

فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الأول



دار ابن رجب

دار الفوائد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

١

الطبعة الثالثة

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م

اسم الكتاب: فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين
اسم المؤلف: مصطفى بن العدوي
القطع: ١٧×٢٤سم
عدد الصفحات: ٣٩٤ صفحة
سنة الطبع: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ١٧٩٤١ / ٢٠٠٨

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع دار الفوائد

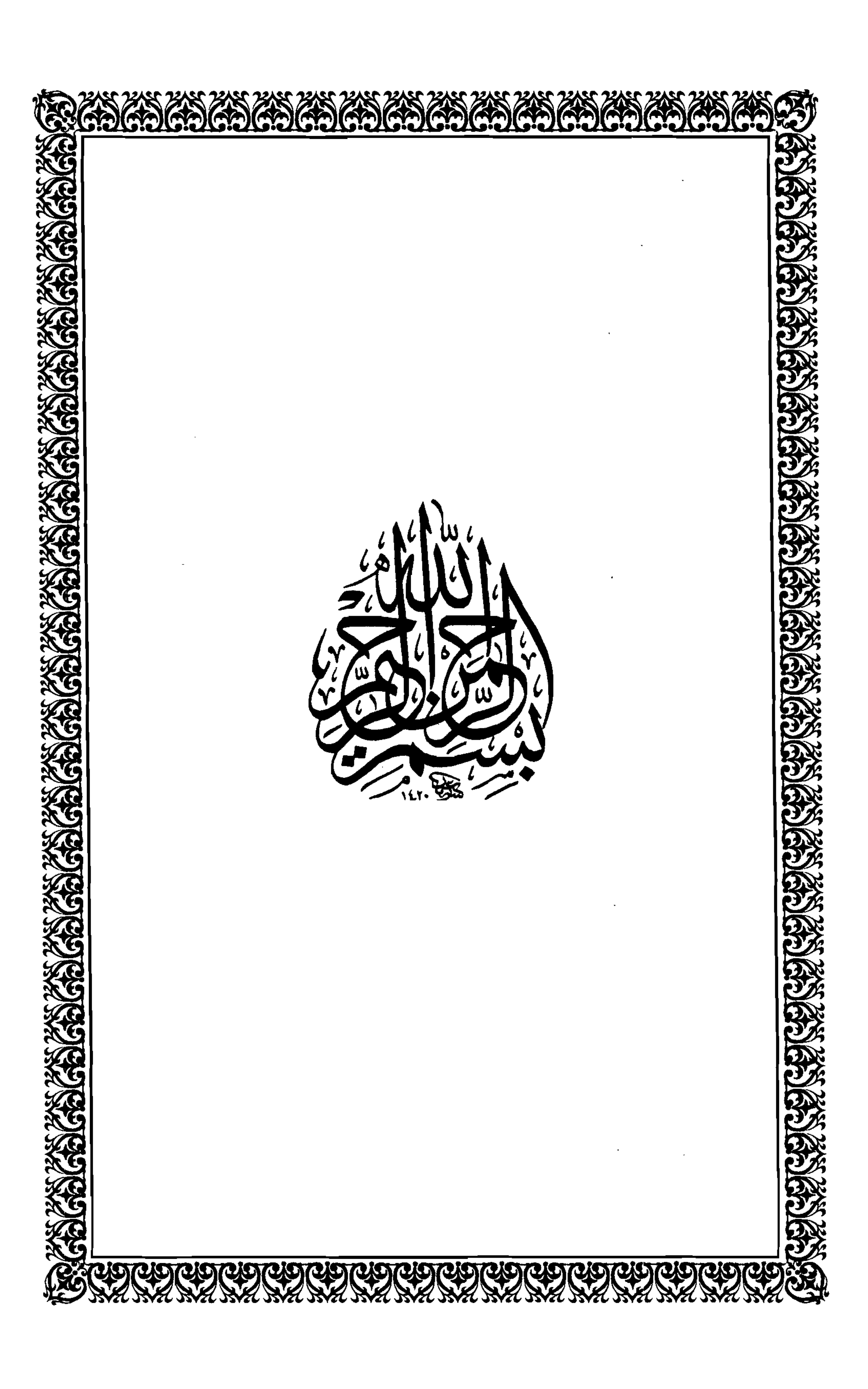
المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٥ - جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
فرع المنصورة: ٣٣ عزبة عقل - هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٣٣٥
Web site: www.daribnragb.com
Email: ibnragb@gmail.com

فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

فضيلة الشيخ
مصطفى بن العدوي

الجزء الأول

دار ابن رجب
دار الفوائد


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة واستهلال

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: الآية ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

❋ **أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

❋ **وبعد:**

فإن المؤمن، بلا شك يريد أن يكون محبوبًا لدى الخالق، وأيضًا محبوبًا لدى الخلق.

□ وكذلك فإنه يريد أن يكون وجيهًا في الدنيا ووجيهًا أيضًا في الآخرة!!

□ وكذلك فإنه يحب أن يحيا حياة طيبة في الدنيا، وأن يجازى أجره في الآخرة بأحسن الذي كان يعمل!!

□ يحب أن يؤتى في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وأن يوقى عذاب النار!!

□ يحب أن يُجْعَلَ له لسان صدق في الآخرة كما قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٤].

□ يحب أن يثني عليه الناس في الدنيا ويمدحونه، ومع ذلك يلاقي الأجر العظيم والثواب الجسيم، والثناء الجميل في الآخرة.

□ يحب أن يذكر بخيرٍ في الأرض، ويذكر في الملأ الأعلى كذلك بخيرٍ وحسن ثناء.

□ وليس هذا بضائرٍ للمؤمن في دينه، بل ذلك كله من محاسن هذا الدين، فأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠١]، وعيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٥]، وإبراهيم الخليل يقول: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٤].

□ والله يحب بعض العباد، وكذلك يحبهم جبريل وأهل السماء، ويجعل الله لهم وُدًّا، ويوضع لهم القبول في الأرض!!

□ وهذا الذي ذُكِر يتأتى بفضل الله، ثم بحسن خُلقٍ يرزقه الله العبد.

ومن ثمَّ، كان أعلى الناس منزلة يوم القيامة، وسيد ولد آدم، وهو

رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا(١).

☐ وأقسم الله ﷻ على أن نبيه ﷺ على خلقٍ عظيم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [ن: ١ - ٤].

☐ وأثنى الله سبحانه على نبيه ﷺ غاية الثناء بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

☐ وبين الله ﷻ شفقة هذا النبي الكريم ﷺ على أمته بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].

☐ وقال تعالى في شأن هذا النبي الكريم ﷺ وأمته: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

☐ وحث الله ﷻ نبيَّه الكريم ﷺ على خفض جناحه للمؤمنين بقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشعراء: الآية ٢١٥].

☐ وقد اجتمعت في رسول الله ﷺ خصال الخير من حياءٍ، وكرمٍ، وشجاعةٍ، ووفاءٍ، ونجدةٍ، وشهامةٍ، وحُسنِ استقبالٍ، وحِلمٍ، وإكرامِ يتيمٍ، وحُسنِ سريرةٍ، وصدقِ حديثٍ، وعفةٍ، وطهارةٍ، وزكاءِ نفسٍ، وسائرِ خصال الخير.

☐ وقد سُئِلَتْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي ﷺ فقالت: «**كَانَ**

---

(١) أخرج البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم حديث (٦٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا.

خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[١].

❑ وصف مُوجزٌ وبليغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسولَ الله ﷺ!

❑ وصف شاملٌ وجامعٌ، «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» صلوات ربي وسلامه عليه.

خُلُقُه هذا الذي ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، و﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢].

❑ خُلقه القرآن، ذلكم الكتاب الذي: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢].

❑ كتابٌ مباركٌ ما فرط الله فيه من شيء!!

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

جمع هذا الكتاب المبارك مكارم الأخلاق خيرَ جمعٍ، ونَظَمَها خير نَظْمٍ، وسار به رسول الله ﷺ خيرَ سِيرةٍ، وقام به خيرَ قيامٍ.

فلزمنا الفقه في كتاب الله وتدبر آياته، فقد أمرنا الله بذلك وحثنا عليه.

❑ قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩].

ولزمنا أيضًا النظر في سيرة رسولنا ﷺ والتأسي به وطاعتُه صلوات الله وسلامه عليه.

❑ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ.

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

□ وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: الآية ٥٤].

فلا بد، ولا مفر من النظر في سيرة الرسول ﷺ واتباعها لمن أراد التحلي بمكارم الأخلاق.

□ وقد كان النبي ﷺ في مستهل دعوته إلى التوحيد يأمر أيضًا مع دعوته للتوحيد بمكارم الأخلاق.

□ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»، وفي رواية: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[1].

□ قَالَ أَبُو ذَرٍّ لأخيه - لَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ -: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَرَجَعَ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ[2]!!

وقال ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[3].

وبين النبي ﷺ فضل حسن الخلق، وما فيه من أجرٍ وثواب بقوله: «**مَا مِنْ**

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وإسناده حسن وله شواهد فيها ضعف قد ترقيه إلى الصحة.

قال ابن عبد البر: (وهو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره) انظر «الموطأ» (٩٠٣).

(٢) البخاري حديث (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»[(١)].

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[(٢)].

وأخرج أبو داود بإسناد صحيح لشواهده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[(٣)].

وقال ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي حديث (٢٠٤)، والترمذي حديث (٢٠٠٤)، وأبو داود (٢٧٩٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٥٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وهي عند الترمذي وغيره، وله عدة شواهد وهي صحيحة.

(٣) أبو داود حديث (٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠، ١٣٣، ١٨٧)، والحاكم (١/ ٦٠)، وله عدة شواهد عند البخاري في «الأدب المفرد» حديث (٣٨٤)، وأحمد (٢/ ٢٢٠) وغيرهم.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا.

وقد أخرج الترمذي «تحفة الأحوذي» (٣٠٧٣) بإسناد حسن عن ابن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٧١): قال القرطبي في «المفهم»: الأخلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال: أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، والتوادد، ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك، وأما السخاء: فهو بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتني بغير عوض، وعطفه على حسن الخلق من عطف الخاص على العام، وإنما أفرد للتنويه به.

وأما البخل: فهو منع ما يطلب مما يقتني، وشره ما كان طالبه مستحقًّا، ولا سيما إن -

وأخرج الترمذي من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**الْمُتَكَبِّرُونَ**»[1].

قال الترمذي: وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ: الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ، وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ**»[2].

= كان من غير مال المسئول.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح.

قلت: الحديث مروي عند الترمذي من طريق مبارك بن فضالة عن عبد ربه بن سعيد عن ابن المنكدر عن جابر، ثم أشار الترمذي إلى ما ذكرناه عنه.

وعلى كل حال فمبارك بن فضالة مدلس، ومتكلم فيه أيضًا؛ لكن للحديث شواهد يُحسن بها، والمبارك يحسن حديثه في مثل هذا الموطن، وانظر: «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١٨٥)، (٤/ ١٩٣، ١٩٤).

(٢) أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩) من طريق عبد الرحمن بن القاسم ثنا القاسم عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها. فذكره.

وإسناده صحيح؛ لكن قد أشار بعض أهل العلم إلى ما يُفيد أنه وقف عليه من طريق عبد الرحمن ابن القاسم عن عائشة رضي الله عنها (أي: بدون ذكر القاسم) فالله أعلم.

وبين النبي ﷺ أن الخيرية تكمن - بعد تقوى الله - في حسن الخلق، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»(١).

وفي «مسند الإمام أحمد» وكذلك عند البخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ فِي الإِسْلَامِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**»(٢).

وعند أحمد زيادة بنفس الإسناد الصحيح: «**إِذَا فَقُهُوا**».

وسئل النبي ﷺ فقيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الإِنْسَانُ؟، قَالَ: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»(٣).

ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين.

فإذا كان للشخص رصيدٌ طيب من حسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثَمَّ كان للرسول ﷺ النصيب الأوفر والحظ الأكبر من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقُهُ في الحديث ﷺ فقال للمشركين: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟!**»، قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا(٤)!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم حديث (٢٣٢١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**».

(٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٤٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» حديث (٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» حديث (٢٩١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك مرفوعًا بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم حديث (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ -

وأثار نحو هذا أيضًا عند مجيء اليهود إليه بالمدينة، فأثار الخير الذي في عبد الله بن سلام بقوله: «**أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا**»، وها هو الحديث بذلك:

أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل النبي ﷺ المدينة... فذكر الحديث، وفيه إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وفيه أيضًا أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ فَادْعُهُمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ، فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيْلَكُمُ اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا**»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ: «**فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلَامٍ؟**»، قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**»، قَالُوا: حَاشَى للهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «**يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ**»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١).

□ وتقدم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

= لمسلم، وفي لفظ البخاري: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟!**».

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

❐ وأخرج مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ[٢]. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[٣].

وانظر إلى ما رواه مسلم رحمه الله من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ[٤]! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ[٥] مَا شَأْنُكُمْ[٦] تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي[٧] لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي[٨]، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ**

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٢٨٥).

(٢) مَهْ مَهْ: كلمة للزجر.

(٣) فشنَّه: أي: فصبَّه.

(٤) رَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ: أي: زجروني بالنظر إليَّ.

(٥) وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ: معناها: وافقد أمي إياي فإني هلكت.

(٦) مَا شَأْنُكُمْ: أي: ما حالكم، وما أمركم.

(٧) يُصَمِّتُونَنِي: أي: يسكتونني.

(٨) مَا كَهَرَنِي: أي: ما قهرني، وما نهرني.

النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[١].

□ ولما سأل هرقل[٢] أبا سفيان عن رسول الله ﷺ فقال له: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ، قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ.

وقبل ذلك سأله هرقل أيضًا فقال: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا.

وسأله أيضًا فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا.

من ثَمَّ قال هرقل لأبي سفيان: (فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ).

فانظر إلى آثار حسن الخلق من توحيدٍ، وصلاةٍ، وصدقٍ، وعفافٍ، وصلةٍ؟!!

□ ولهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم في حُسن الخلق فقد كُلِّلَت به العبادات وزُيِّنت به المعاملات وتوِّجت به العادات، فما من عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى إلا وهي مزينة بحسن الخلق، وما من معاملة بين الناس إلا وقد جاء فيها الحث على حسن الخلق، وما من عادة من العادات التي أقرها الإسلام وجاء بها إلا وهي مصحوبة بحسن الخلق.

□ ففي الصلوات، قال النبي ﷺ: **«إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ،**

---

(١) مسلم حديث (٥٣٧).

(٢) البخاري حديث (٧).

وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ»[١].

وفي رواية أخرى: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ**»[٢].

☐ ومن ثمرات الصلوات ما ذكره الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥].

☐ وفي الصيام قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٣].

وقال النبي ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[٤].

☐ وفي الحج قال الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧].

☐ وفي الزكاة قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) البخاري حديث (٦٣٦)، ومسلم حديث (٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (٦٣٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري حديث (١٨٩٤)، ومسلم حديث (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري حديث (١٩٠٣).

☐ وفي المعاشرة الزوجية قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: الآية ١٩].

☐ وفي البيوع ونحوها، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(١)، وقال: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»(٢).

وهكذا في سائر الأمور(٣).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٤).

☐ وانظر إلى فضل حسن الخلق والتأدب مع حديث رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: الآية ٣].

☐ فالحمد لله على هذا الدين القيم الطيب.

☐ الحمد لله على الحنيفية السمحة.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٨].

❋ هذا، وللأخلاق فقه كما أن للعبادات فقهًا:

للشجاعة فقهٌ، وللحياء فقهٌ، وللكرم فقهٌ، ولسائر الأخلاق فقه.

---

(١) **صحيح**: وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) **صحيح**: وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٣) والمقام لا يتسع للاستفاضة في ذلك.

(٤) أخرجه مسلم حديث (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا.

فقد يظن شخصٌ أنه شجاع مِغوار وهو طائش متهور!!

وقد يظن شخص أنه صادق الحديث قوالٌ بالحق وهو مغتابٌ نمام!!

قد يبالغ الشخص في اللين، وخفض الجناح حتى يصل إلى الاستسلام والضعف والخور!!

والشدة في موطن يحتاج فيه إلى رفق تُعد نوعًا من أنواع التهور والطيش!!

والتراخي في موطنٍ يحتاج فيه إلى حزم يعد نوعًا من أنواع الضعف!!

وقد يصل الكرم بالشخص أحيانًا إلى حد التبذير، ويكون الشخص في عداد المسرفين المبذرين، وهو يظن أنه من الكرماء الممدوحين!!

وقد يظن الشخص أنه ينفع أخاه بالثناء الزائد عليه، وهو في الحقيقة يقطع عنقه، ويذبحه ذبحًا بغير سكين!!

ومن الناس من تكفيه الإشارة لردعه، وزجره، ونهيه عما هو فيه!!

ومنهم من يحتاج إلى نوع من نوعي البيان: القلم أو اللسان!!

ومنهم من لا يصلح معه لزجره إلا الضرب بالسياط!!

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: الآية ٢٥].

فخصال الناس تختلف، وطبائعهم تتنوع، وأحوالهم لها اعتبار عند التعامل معهم، وأوضاعهم وظروفهم تحتم علينا نوعًا من التعامل يختلف من شخصٍ إلى شخصٍ آخر.

وكي يوفق المرء في التعامل مع الناس عليه أن يعرف الداء، وأن يعرف

أيضًا الدواء، عليه أن يكون مُلِمًّا بأكبرِ قدرٍ ممكن من الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ومعاملات الرسول ﷺ والناس، ومُلِمًّا أيضًا بأحوال العباد، ويُنزل الدليل من الكتاب والسنة منزلته الصحيحة، ويعطي كل واقعةٍ ما يليق بها من المعاملة الحسنة معها، وهذا من الحكمة، ومن الحكمة أن تضع الدليل الصحيح في موقعه الصحيح.

فكم من شخص يحمل قدرًا كبيرًا من الكتاب والسنة؛ لكنه لا يعرف كيف ينزل هذا الدليل، ولا أين يضع هذه الآية وهذا الحديث!!

مثل ذلك كمثل صيدلي صيدليته كلها دواء؛ لكن قد يأتيه مريض فيعطيه دواء ليس هو بدواء ذلك الداء، فلا يبرأ المريض، بل يزداد مرضًا إلى مرضه، وألمًا إلى ألمه، ووجعًا إلى وجعه!

ولكن إذا صُرف الدواء بناءً على وصف طبيبٍ فاهمٍ في طبه وتخصصه، بارع في عمله، أصاب الدواء الداء فشفي المريض بإذن الله.

وكذلك حامل الكتاب والسنة عليه أن ينزل كل دليل منزلته، وكل تصرفٍ في موقعه، وصدق الرسول ﷺ إذا يقول: «**رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ**»(١).

وصدق عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٢).

وصدق الله إذا يقول: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ...**».

(٢) أخرجه البخاري حديث (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

وكذلك فاقِد الكتاب والسنة كيف يعالج الناس، والدواء ليس بين يديه!!

قد يجتهد برأيه فيخطئ برأيه ويضل! وهذا الغالب، فنصوص الكتاب والسنة بصائر يستبصر بها العبد، ومناراتٌ يستضاء بها في الظلمات.

□ وتنزيل النصوص في منازلها فقه يؤتيه الله من يشاء، وينعم به على من يريد، فقد يكون الشخص على إلمام بكثير من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة؛ لكنه ينزل النصوص في غير منازلها، ويضعها في غير مواضعها.

وكذلكِ قد يكون الشخص مُلمًّا بأحوال الناس؛ ولكنه لا يدري شيئًا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلا يدري كيف يتصرف، فيتصرف حينئذٍ بناء على ما يمليه عليه عقله، ويرشده إليه فكره، فلا يكاد يهتدي، بل ولا يهتدي - وهو بمعزلٍ عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ - بحالٍ.

فكان لزامًا من إلمام بالكتاب والسنة مع الإلمام بأحوال الناس، ثم سؤال الله التوفيق في إنزال النصوص منازلها.

والناظر في أحوال صحابة رسول الله ﷺ يرى أن منهم من أوتي علمًا كثيرًا بأحاديث رسول الله ﷺ كأبي هريرة رضي الله عنه، ومنهم من أوتي علمًا عظيمًا بالقرآن الكريم كأُبَي بن كعب رضي الله عنه، وبالحلال والحرام كمعاذ رضي الله عنه فقد قال النبي ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ** - يَعْنِي اللَّبَنَ - **حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي** - **أَوْ فِي أَظْفَارِي** - **ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**»، فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**»[1]، أخرج ذلك البخاري، ومسلم في «صحيحيهما».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٠٧)، ومسلم (٢٣٩١).

فأي علم هو الذي أوتيه عمر رضي الله عنه؟! إنه علم بسياسة الناس، فقد اتسعت الفتوحات في زمنه اتساعًا كبيرًا، ومع ذلك فالأحوال كانت مستقرة وهادئة، والعدل سائد والأمن مستقر، وكان رضي الله عنه حائلًا بين المسلمين وبين الفتن كما أشار إلى ذلك حذيفة رضي الله عنه في حديثه عن رسول الله ﷺ.

ثم دخلت الفتن بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وأدت هذه الفتن إلى مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وهكذا توالت الفتن.

فكان العلم الذي أوتيه عمر كما أسلفنا هو العلم بسياسة الناس وقيادتهم فيقرب إذا احتاج الأمر إلى تقريب، ويباعد إذا احتاج الأمر إلى إبعاد، ويلين إذا احتاج الأمر إلى الإلانة، ويشتد حيث يحتاج الأمر إلى شدة، يعطي حيث يحتاج إلى العطاء، فرضي الله عنه وأرضاه فكان رضي الله عنه موفقًا أيما توفيق ومسددًا أيما سداد، وكان حقًّا خليفةً بارًّا راشدًا رضي الله عنه.

كل هذا بفضل الله، ثم بطول ملازمة عمر لرسول الله ﷺ واقتباسه من أخلاقه، وطريقة تعاملاته مع الناس، ثم الفهم الذي أتاه الله عمر والسداد الذي رزقه الله إياه، والورع الذي منَّ الله عليه به.

فلذلك نرجع فنقول: إنه لابد - للتوفيق في المعاملات مع المؤمنين - من إلمام بالكتاب والسنة، والعلم بأحوال الناس، ثم الاجتهاد لإنزال النصوص منازلها الصحيحة، وسؤال الله التوفيق أولًا وآخرًا.

وقد حملني هذا الذي ذكرتُ من فضل حسن الخلق، والحاجة الماسة إلى فقه الأخلاق إلى جمع جملة من النصوص من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ في هذا الباب، وإتباع ذلك بشيء من الوارد في فقه هذه النصوص، وتنزيل ذلك على واقع الناس في كثير من الأحيان.

❐ وحرصي زائد، والحمد لله على أن أزف للقارئ الكريم كمًّا هائلًا من سنة رسول الله ﷺ وسيرته - التي وردت بأسانيد صحيحة - في ثوب قشيب، وسياق جميل ممتثلًا حديث رسول الله ﷺ: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِيَ فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**».

❐ وقد أشرت - والحمد لله - إلى ما يتم به النفع من مصادر التخريج التي وردت فيها الأحاديث المذكورة، وكذلك الحكم على هذه الأحاديث بما تستحقه صحة أو ضعفًا على وجه الاختصار، فلا معنى ولا كبير فائدة لعزو الحديث إلى الطبراني مثلًا أو إلى أبي نعيم في «الحلية»، والحديث في «صحيحي البخاري ومسلم» إلا إذا كان في سياق الطبراني فائدة، وفي الغالب فمفاريد الطبراني وغيره من المتأخرين فيها كلام.

❐ وكذلك كلما وجدت سبيلًا إلى إيراد ما يتعلق بآية من تفسير سلكت هذا السبيل، فإنه يعنيني بصورة كبيرة جدًّا أن يمتلئ سمع القارئ وبصره وفؤاده بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ، ثم أقوال أهل العلم والفضل، فقد نقلت كمًّا طيبًا من الآثار عن الصحابة العلماء الفضلاء، والتابعين النجباء، وأهل الفقه في الدين مع ما منَّ الله به علينا في هذا الباب، والله المستعان.

❐ هذا، وفي الحقيقة أنني لم أرد الاستقصاء في الأبواب التي أوردها إنما فقط أشير إشارات، وأنبه تنبيهات حتى تتولد عند القارئ ملكة النظر في فقه الأخلاق، ويعرف كيف يتعامل مع الناس، وكيف يستنبط من النصوص، وكيف ينزلها على الواقع.

فهي إشارات وأبحاث ولفتات لتفتيح الأذهان، وتوسيع الآفاق، وتنمية المدارك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد حرصت - بتوفيق الله - على أن يكون هذا الكتاب سهل التناول أيضًا لعامة المسلمين، قريب الفائدة بعيدًا عن التعقيد، مجانبًا للملل.

ثم إنني قد كنت كتبت على هذا المنوال كتابًا في هذا المضمار، وإن كان أخص في موضوعه من الكتاب الذي بين يديَّ الآن، وهذا الكتاب الذي كنت قد كتبته هو كتاب «فقه التعامل بين الزوجين»، وهو أحد أفراد هذا العمل الذي بين يديَّ، فلذلك لم أتعرض كثيرًا لما يتعلق بفقه التعامل بين الزوجين، وأحيل إلى كتابي المشار إليه.

أما الكتاب الذي بين يديَّ الآن فقد وسمته بـ «**فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين**» وقد طبع، ولله الحمد عدة طبعات في صورة أجزاء فرأيت أن أقدمه في هذه الطبعة، وقد جمع بعضه إلى بعض في مجلدات حفظًا له وصونًا، فها هو في مجلدين، وأسأل الله التمام على خيرٍ، ولعله يتبع هذين المجلدين ثالثٌ إن شاء الله.

هذا، وقد أدمجت وأدخلت في أثناء هذين المجلدين كتابًا كان منه فصلٌ في هذه الأجزاء، فتوسعت فيه وأودعته في أثناء هذه المجلدات ألا وهو كتاب «أدب التخاطب»، فقد صدر من قبل منفردًا، فأودعته هاهنا بحسب ما يتفق مع موضوعات الكتاب.

هذا، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا الكتاب شافيًا لصدور قومٍ مؤمنين، ومنقذًا لهم من الظلمات، ومقيلًا لهم من العثرات، ورافعًا لهم في الدرجات.

وأسأل الله أن ينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأسأل الله أن أكون قد وُفقت فيما جمعت، وأحسنت فيما رتبت، وسُدِّدت فيما نقلت، وأسأل الله سبحانه أن يحسن أخلاقي وأخلاق المسلمين، فكما قال القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فأسأل الله أن يجملنا بالخلق الحسن، وأن يكلل مساعينا بالتوفيق، والسداد.

ثم ما كان من توفيق في هذا الكتاب فمن الله وحده، فله الحمد وله الشكر، وله الثناء الحسن، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.

والله أسأل أن يغفر لي زلتي، وأن يقيل عثرتي، وأن يستر عورتي، ويؤمن روعتي، ويسكنني مع أهلي والمؤمنين الفردوس.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبها

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود



من أصول النجاح
في المعاملات مع المؤمنين
مراقبة الله ﷻ والعمل ابتغاء وجهه ﷻ

❐ فمن أعظم أسباب النجاح في التعاملات مع الناس، بل أعظمها على الإطلاق أن تبني أعمالك وتنشئ تصرفاتك كلها معهم ابتغاء وجه الله وطلبًا لثوابه ومرضاته:

فإذا أعطيتَ تُعطي لله، وإذا منعت تمنع لله.

وإذا أحببت تحب لله، وإذا أبغضت تبغض لله.

وإذا خاصمت تخاصم لله، وإذا حاكمت تحاكم لله.

وإذا صبرت تصبر لله، وإذا غضبت تغضب لله.

وهكذا في شئونك كلها معهم، وبهذا جاءت الأدلة من كتاب الله تبارك وتعالى، ومن سنة رسول الله ﷺ، فضلًا عن كون ذلك من البديهيات التي يعرفها كلُّ مؤمن.

❋ ففي الإنفاق والإطعام والعطاء:

❐ قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

❐ وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٨ - ٢٠].

❐ وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٢].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ

وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٣٩].

❋ وفي الإصلاح كذلك بين الناس:

لا تصلح بينهم ليقال عنك مُصلح، بل أصلح بينهم ابتغاء رضوان الله وابتغاء ما عند الله.

□ قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النِّساء: الآية ١١٤].

فعليك أن تناجي بالخير ابتغاء مرضات الله.

وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات الله.

وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله.

ذلك كله حتى تُؤتى الأجر العظيم.

❋ وكذلك في الصبر على أذى الناس:

إذا صبرت لا تصبر لِيُقال عنك صابر!

لا تصبر خوفًا على صحتك!

لا تصبر لكون الطرق مغلقة إلا طريق الصبر!

ولكن اصبر ابتغاء وجه ربك، وابتغاء ثواب ربك.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرَّعد: الآية ٢٢].

❋ وإذا شهدت شهادة فاشهد لله:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [الطَّلاق: الآية ٢].

فلا تشهد ليُقال عنك قوالٌ بالحق.

ولكن اجعل شهادتك، وكلمتك لله سبحانه، طلبًا لثوابه، وابتغاء رضوانه.

❁ إذا تعلَّمت فتعلَّم لله، وإذا جاهدت فجاهد لله، وإذا أنفقت فأنفق لله:

فإنك إذا تعلمت ليقال عالم: سُعرت بك النار، وكذلك إذا جاهدت ليقال مجاهد، وكذلك إذا أنفقت ليُقال عنك منفق، وبهذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ.

❐ ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيها؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

---

(١) مسلم حديث (١٩٠٥).

❁ اجعل صلاتك لله، ونُسكك لله، وحياتك كلها لله، ومماتك لله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

❁ وجاءت نصوص السنة بذلك أيضًا:

قال النبي ﷺ في بيان السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»[١].

❐ وقال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[٢].

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[٣].

❐ وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»[٤].

❐ وفي الحديث كذلك: «**إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»[٥].

---

(١) البخاري حديث (٦٦٠)، ومسلم حديث (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (١٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، ومسلم حديث (٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) بإسناد حسن من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا، وله شاهد عند أحمد (٣/ ٤٤٠) من حديث معاذ الجهني رضي الله عنه مرفوعًا بزيادة: «**وَأَنْكَحَ لِلَّهِ**».

(٤) البخاري حديث (٥٦)، ومسلم (ص١٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري حديث (٥٣٥١)، ومسلم حديث (١٠٠٢).

□ وفي «صحيح مسلم» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(١).

□ وفيه أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»(٢).

□ وفي «مسند الإمام أحمد» من طريق أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَايَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى، فَتًى شَابٌّ، قَالَ: قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ: فَجِئْتُ مِنَ الْعَشِيِّ فَلَمْ يَحْضُرُوا. قَالَ: فَغَدَوْتُ مِنَ الْغَدِ. قَالَ: فَلَمْ يَجِيئُوا فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ، فَرَكَعْتُ، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ. قَالَ: فَمَدَّنِي إِلَيْهِ. قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قُلْتُ: إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ**

---

(١) مسلم حديث (٢٥٦٦).

(٢) مسلم حديث (٢٥٦٧).

فِيَّ، وَحقَّتْ مَحبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[(١)].

☐ وفي رواية الترمذي لهذا الحديث مختصرة: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: **الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»[(٢)].

❋ وإذا أحببت القوم لله وفي الله حشرت معهم يوم القيامة:

☐ ففي «الصحيحين» من حديث أَبِي مُوسَى قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[(٣)].

❋ راقب الله في تصرفاتك مع الناس فأعمالك يراها الله:

☐ قال النبي ﷺ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(٤)].

☐ وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية ٧].

☐ وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

☐ وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟

---

(١) أحمد (٥/ ٢٣٦)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٢) الترمذي (٢٣٩٠) من حديث معاذ، وإسنادها حسن.

(٣) البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (ص٢٠٣٤)، وقد وقع لأبي وائل شيخان في هذا الحديث، فرواه أبو وائل مرة عن أبي موسى، ومرة عن ابن مسعود، وكلا الطريقين صحيح، وانظر: «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه مسلم حديث (١) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا.

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية ٧].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: الآية ١٠٥].

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: الآية ١١].

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٥٨].

وإرضاء الناس كلهم غاية لا تدرك، فإنك لا تكاد ترضي هذا حتى يسخط عليك هذا، فاجعل رضا الله عنك مطلبًا لك، ومبتغى تبتغيه، وغاية تنشدها، حتى لا تندم على أفعال الخير وصنائع المعروف التي تقدمها للناس، وخاصة الجاحدين الذين يجحدون المعروف، وينكرون الإحسان، ويجعلون إحسانك إليهم جزءًا من الواجب لهم عليك والحق المقرر لهم عندك!!

فلا تُرْضِ الناس بسخط الله عليك، بل أطع الله فيهم واتق الله فيهم، فإن النبي ﷺ قد قال: **«مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»**(١).

❊ وإذا تركت شيئًا فاتركه لله:

□ قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»**(٢).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» حديث (١٥٢٢) بتحقيقي من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٨، ٧٩) من حديث رجل بدوي عن رسول الله ﷺ، وإسناده صحيح.

وحتى لا تندم

وكما أسلفنا فعليك أن تحرص غاية الحرص على أن يكون عطاؤك لله، ومنعك لله، وأخذك لله، وحبك لله، وبغضك في الله، وشئونك كلها لله، وذلك حتى لا تندم على خيرٍ صنعته، فسجايا الناس تختلف، وطبائعهم تتنوع، فقد تحسن إلى شخص غاية الإحسان، ويقابل ذلك بمنتهى الجحود والكفران فحتى لا تُصدم بمعاملة الناس السيئة وبجحودهم وكفرانهم، عليك أن تخلص الأعمال كلها لله.

وأذكرك أخي الكريم بقصة ذلك الرجل الذي تصدق فوقعت صدقته في يد سارق، ثم تصدق فوقعت صدقته في يد زانية، ثم تصدق فوقعت صدقته في يد غني، وهو لا يعلم، ومع ذلك كله فإن صدقته تقبَّلها الله ﷻ لما علمه الله من نيته وحرصه على مرضاة ربه، وها هي قصته وهذا هو حديثه:

أخرجه البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ رَجُلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ»**[١].

---

(١) البخاري حديث (١٤٢١).

ونحوه ما أخرجه البخاري من حديث مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجَدِّي، وَخَطَبَ عَلَيَّ فَأَنْكَحَنِي وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ»**[(١)].

❊ **وكما أسلفنا فطبائع الناس وسجاياهم تختلف، وإن كانوا من أهل الإسلام، فكثير منهم لم يتأدب بآداب الإسلام، ولم يتخلق بأخلاق المسلمين:**

فمنهم المحسن، ومنهم المسيء!

منهم المصلح، ومنهم المفسد!

منهم الصالحون، ومنهم دون بذلك كانوا طرائق قددًا!

منهم من يبحث عن أهل الفقر والمسكنة والقلّة والحاجة كي يتصدق عليهم، ومنهم من يبحث عن هؤلاء ليظلمهم ويتسلط عليهم!

منهم من يبحث عن الأيتام ليكفلهم ويحنو عليهم ويطعمهم ويسقيهم ويكسوهم، ومنهم من يأكل أموال اليتامى ظلمًا!

منهم من يعمر مساجد الله، ومنهم من يسعى في خرابها!

منهم مفاتيح للخير ومغاليق للشر، ومنهم مغاليق للخير مفاتيح للشر!

منهم من يشتري مصحفًا للمسجد، ومنهم من يسرق المصاحف من المساجد، بل ويسرق حصير المسجد كذلك!

---

(١) البخاري حديث (١٤٢٢).

منهم من يدعو إلى الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، ومنهم من يحارب ذلك وهو يشعر أو لا يشعر!

منهم من يصلح بين الناس، ومنهم من يمشي بينهم بالنميمة والفساد!

منهم من تحسن إليه، ويسيء إليك!

تريد له الستر، ويريد لك الفضيحة!

تريد له الغنى، ويريد لك الفقر!

تحبه، ويبغضك!

تريد حياته، ويريد قتلك!

وكما قالْ القائل:

علمتُه الرَّمْيَ فلما اشتد ساعده رماني

تدخله بيتك لإكرامه، ويدخل بيتك لتتبع العورات!

هذه طوائف وفرق!!

وهناك طوائف صالح نقية تقية، تقابل الإحسان بالإحسان، وتقابل المعروف بالشكر والعرفان.

فهي أخلاقيات قدرها الله بين العباد وقسمها كما تقسم الأرزاق!

وإن كان هؤلاء أهل الإسلام ويشملهم مسمى المسلمين!!

ألا ترى إلى قاتل عليٍّ؟!! إنه رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ألا ترى إلى القائل الذي قال لرسول الله ﷺ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ

تَعْدِلْ[١]!! إنه رجل يقول بلسانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ألا ترى إلى القائل عن قسمة رسول الله ﷺ: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله[٢]!! إنه رجل كذلك يشهد أن لا إله إلا الله.

ألا ترى إلى بعض قذفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنه مسلم بدري[٣] صحابيٌّ قريبٌ لها وكان أبو بكر يكرمه وينفق عليه!!

❊ فليكن رجاؤك إذا أحسنت إلى الناس ثواب الله، وليكن مطلبك رضا الله عنك حتى لا تندم، وحتى لا تفاجأ بما لا يسرك من تصرفات هؤلاء البشر!!

فاجعل هذا نُصْبَ عينيك لا تخطئه، ولا تغفل عنه، ولا تشرد بقلبك بعيدًا، فإنك إن أخطأت وغفلت وشردت ضللت وما كنت من المهتدين.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٦١٠)، ومسلم (ص٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه: «يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ»، والقائل رجلٌ من تميم يقال له: (ذو الخويصرة)، ومسلم أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه: «يا محمد، اعدل».
والقائل رجل أتى رسول الله ﷺ بالجعرانة، مسلم (١٠٦٣)، وعند ابن ماجه، ولفظه: «اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل» ابن ماجه حديث (١٧٢).

(٢) الحديث في «الصحيحين» من حديث مسعود رضي الله عنه قال: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ.
وفي رواية أخرى في «الصحيح» أيضًا: إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ.
البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (٣/ ١٠٥) مع النووي.

(٣) هو مسطح بن أثاثة رضي الله عنه.

أصل آخر من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

هذا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠].

فعلى كل مسلم أن يضع هذا نُصْبَ عينيه عند التعامل مع المؤمنين، عليه أن يضع في الاعتبار أن أهل الإيمان كلهم له إخوان، وذلك حتى ينجح في تعاملاته معهم، فذلك من أصول النجاح، وقد دلت أدلة لا حصر لها من الكتاب والسنة على هذا الأصل، أصل التآخي بين المؤمنين:

- قال الله تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].
- وقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].
- وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨].
- وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١].
- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: الآية ١٠].
- وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

---

(١) البخاري حديث (١٣)، ومسلم حديث (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

☐ وقال ﷺ: «وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(١).

☐ وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ»(٢).

☐ وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»(٣).

☐ وقال عليه الصلاة والسلام: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»(٤).

☐ وقال ﷺ: «واللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٥).

☐ وقال ﷺ في شأن الغيبة: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»(٦).

---

(١) البخاري حديث (٦٠٦٤)، ومسلم حديث (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

(٢) البخاري حديث (٢٤٤٢)، ومسلم حديث (٢٥٨٠) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٣) البخاري حديث (٦٠٦٥)، ومسلم حديث (٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) بإسناد فيه ضعف؛ ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

(٥) أخرجه مسلم حديث (٢٦٩٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

(٦) أخرجه مسلم حديث (٢٥٨٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ. قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

□ وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر: **«لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا»**(١).

□ وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الخدم: **«إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ»**(٢).

□ وفي البيوع قال ﷺ: **«لَا يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ»**(٣).

□ وقال ﷺ: **«أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ بِمَ تَسْتَحِلُّ مَالَ أَخِيكَ»**(٤).

□ وفي الخِطبة قال ﷺ: **«وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ»**(٥).

□ بل وفي المشاكل والمضاربات قال ﷺ: **«إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلَا يَلْطِمَنَّ الْوَجْهَ»**(٦).

□ وقال عليه الصلاة والسلام: **«لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ»**(٧).

❊ وكان النبي ﷺ دائم التذكير بهذا الأصل في أقواله وأقضيته بين المؤمنين كما أسلفنا، ومن ذلك أيضًا:

□ قوله ﷺ: **«فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»**(٨).

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٥٦٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (٣٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري حديث (٢١٣٩)، ومسلم حديث (١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) البخاري (٢١٩٨)، ومسلم حديث (١٥٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري حديث (٥١٤٢)، ومسلم (ص١١٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٦) مسلم (مع النووي ٥/ ٤٧١) [كتاب البر والصلة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٧) البخاري حديث (٧٠٧٢)، ومسلم حديث (٢٦١٧).

(٨) البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله =

☐ وقوله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْه**»(١).

☐ وقوله ﷺ في شأن ضالة الغنم: «**لَكَ، أَوْ لأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ**»(٢).

☐ وقوله ﷺ في التحلل من المظالم: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ...**»(٣).

☐ وقوله ﷺ: «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُم**»(٤).

❋ **وجاءت جملة نصوص أخر في هذا المعنى أيضًا:**

☐ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(٥).

☐ قال ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٦).

= : «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ، فَلاَ يَأْخُذْهَا**».

(١) البخاري حديث (٢٤٤٤)، وفي رواية: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**». البخاري (٢٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.
وعند مسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه... فذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ وفيه: «**وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ**».

(٢) البخاري (٢٤٢٧)، ومسلم حديث (١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري حديث (٢٤٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري حديث (٦٧٨١)، من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري حديث (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا.

(٦) مسلم حديث (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

□ وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**»(١).

وفي رواية ثالثة: «**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**»(٢).

*** وجاءت أيضًا نصوص الكتاب العزيز تؤكد أن المؤمنين نفس واحدة:**

□ قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١١]، أي: لا تلمزوا إخوانكم.

□ وقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: الآية ١٢]، أي: بإخوانهم.

□ وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: الآية ٦١]، قال بعض أهل العلم: على إخوانكم.

فأثبتت هذه النصوصُ الأُخوةَ بين المؤمنين، ولهذه الأخوة مستلزمات، منها كما أسلفنا أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه(٣)، فكما يحب لنفسه

---

(١) مسلم حديث (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) هذه الرواية عند مسلم حديث (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) وانظر إلى هذه الخصلة النبيلة من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وحاول واجتهد أن تكون كذلك مع إخوانك ومع المسلمين.
أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد صحيح عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: شَتَمَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي، وَفِيَّ ثَلاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لآتِي عَلَى الآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي لأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلَعَلِّي لا أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ. أخرجه =

الربح يحب لأخيه الربح، وكما يحب أن يُستر عليه فليحب كذلك أن يُستر على أخيه، وكما يدعو لنفسه يدعو لأخيه، وإذا رأى أن يشتد على أخيه فيشتد على أخيه من أجل مصلحة أخيه، ويأخذ على يديه إن رآه يظلم الناس...

إلى غير ذلك من مستلزمات الأخوة والتوفيق بالله، وهو المستعان.



= الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢١، ٣٢٢).

أصل ثالث من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين: كثرة الاطلاع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والإلمام بأكبر قدر ممكن من ذلك

فكما لا يخفى على اللبيب، أن أحسن الكلام كلام الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣].

وأن أصدق الحديث كتاب الله، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣].

«**وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ**»(١) كما قال النبي ﷺ.

وكذلك فرسولنا ﷺ لا ينطق عن الهوى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤]، فأكْثِرْ مِنْ حَمْلِ الكتاب والسنة، ففيهما وفي حَمْلهما والفقه فيهما الخير كل الخير، أكْثِرْ من حَمْلهما فبهما تستضيء في طريقتك، وفي مسالكك وفي تعاملاتك.

فكم من حديث تحسم به مشكلة بين المسلمين!

وكم من آية يُدْفع بها شر عظيم عنك، بل وعن عموم المسلمين!

وكم من حديث تتخلق به مع الناس، فيجلب لك محبة الخالق ثم محبة الخلق!

كم من آية تقرؤها فترقق قلبك لفعل أشياء شتى من أبواب المعروف

---

(١) مسلم حديث (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

والبر!

وصدق الله إذ يقول: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

وصدق رسوله ﷺ إذ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[(١)].

❋ وهذا كله فضلًا عن الأجر الأخروي المدخر لك:

❐ فإن الله ﷻ قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

❐ وقال النبي ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا**»[(٢)].

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»[(٣)].

❐ وأسوق إضافة إلى الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف أثرًا واحدًا فقط يبين فضل العلم بالكتاب والسنة، وفضل الفقه في الدين، وكيف أثَّر ذلك في طائفة كبيرة من الناس! وعمل ما لم تعمله السيوف! وكيف رجع الألوف إلى الحق بعد الضلال قبل القتل والقتال:

❐ أخرج النسائي في «الخصائص» بسند حسن[(٤)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَارٍ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ، فَقُلْتُ

---

(١) البخاري حديث (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أبو داود (٢/ ١٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد حسن.

(٣) **صحيح**: ومعناه متواتر، وانظر: «سنن أبي داود» حديث (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦).

(٤) النسائي في «الخصائص» حديث (١٨٥).

لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالصَّلَاةِ، لَعَلِّي أُكَلِّمُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَالَ: إِنِّي أَخَافُهُمْ عَلَيْكَ، قُلْتُ: كَلَّا، فَلَبِسْتُ، وَتَرَجَّلْتُ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ نِصْفِ النَّهَارِ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ لَهُمْ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصِهْرِهِ، وَعَلَيْهِمْ نُزِّلَ الْقُرْآنُ، فَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، لأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا تَقُولُونَ، فَانتَحَى لِي نَفَرٌ مِنْهُمْ.

قُلْتُ: هَاتُوا مَا نَقِمْتُمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنِ عَمِّهِ.

قَالُوا: ثَلَاثٌ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَ: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ، فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللهِ، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ٥٧] مَا شَأْنُ الرِّجَالِ وَالْحُكْمِ؟

قُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

قالوا: وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ، وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، إِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّ سِبَاهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَا حَلَّ سِبَاهُمْ وَلَا قِتَالُهُمْ.

قُلْتُ: هَذِهِ ثِنْتَانِ، فَمَا الثَّالِثَةُ؟

وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا قَالُوا: مَحَى نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ.

قُلْتُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا.

قُلْتُ: لَهُمْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا يَرُدُّ قَوْلَكُمْ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حَكَّمَ الرِّجَال فِي أَمْرِ اللهِ، فَإِنِّي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِ اللهِ أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللَّهُ حُكْمَهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبْعِ دِرْهَمٍ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]، وَكَانَ مِنْ حُكْمِ اللهِ أَنَّهُ صَيَّرَهُ إِلَى الرِّجَالِ يَحْكُمُونَ فِيهِ، وَلَوْ شَاءَ لحكم فِيهِ، فَجَازَ مِنْ حُكْمِ الرِّجَالِ، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ أَوْ فِي أَرْنَبٍ؟ قَالُوا: بَلَى، هَذَا أَفْضَلُ.

وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: الآية ٣٥]، فَنَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ حُكْمَ الرِّجَالِ فِي صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِمْ فِي بُضْعِ امْرَأَةٍ؟ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قُلْتُ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ، تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا وَهِيَ أُمُّكُمْ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْهَا مَا نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ قُلْتُمْ: لَيْسَتْ بِأُمِّنَا فَقَدْ كَفَرْتُمْ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: الآية ٦] فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَأْتُوا مِنْهَا بِمَخْرَجٍ، أَفَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

وَأَمَّا مَحْيُ نَفْسِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَا تَرْضَوْنَ. إن نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**اكْتُبْ يَا عَلِيُّ، هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللهِ**» قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ، فَقَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**امْحُ يَا عَلِيُّ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**»، وَاللَّهِ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ، وَقَدْ مَحَى نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ نَفْسَهُ ذَلِكَ مَحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وَخَرَجَ سَائِرُهُمْ، فَقُتِلُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَقَتَلَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ.

❐ وقد ورد نحو هذا عن علي رضي الله عنه عند أحمد في «المسند»(١) بإسناد حسن أيضًا من طريق عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيِّ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ، مَرْجِعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ لَيَالِيَ قُتِلَ عَلِيٌّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه.

قَالَ: وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكِ؟

قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ.

قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَمَ الْحَكَمَانِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلافٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حَرُورَاءُ مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصٍ أَلْبَسَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْمٍ سَمَّاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ، فَلا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ: أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنِ امْتَلَأَتِ

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٨٦، ٨٧).

الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفِ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟

قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللهِ ﷻ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ**﴾ [النِّساء: الآية ٣٥]، فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنَ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**». فَقَالَ: سُهَيْلٌ لَا تَكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: كَيْفَ نَكْتُبُ؟ فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**». فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَمْ أُخَالِفْكَ. فَكَتَبَ: «**هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قُرَيْشًا**». يَقُولُ: اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ**﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: ﴿**قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزّخرف: الآية ٥٨]، فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلَا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ.

فَقَامَ خُطَبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنُوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ اللهِ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ.

فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللهِ الْكِتَابَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ.

فَبَعَثَ عَلِيٌّ رضي الله عنه إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمِ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ.

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ؟!

فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ.

فَقَالَتْ: آللَّهُ؟ قَالَ: آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ.

قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَهُ؟ يَقُولُونَ: ذُو الثُّدَيِّ، وَذُو الثُّدَيِّ.

قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَلَيْهِ فِي الْقَتْلَى، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِثَبَتٍ يُعْرَفُ إِلَّا ذَلِكَ.

قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ رضي الله عنه حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟

قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟

قَالَ: اللَّهُمَّ لَا.

قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا رضي الله عنه إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ.

أصل أصيل من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين: سؤال الرب جل وعلا التوفيق وحسن الخلق

❋ **فالمهتدي من هداه الله:**

□ قال أهل الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣].

□ وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: الآية ١٧].

□ وقال تعالى في الحديث القدسي: **«يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**(١).

❋ **والموفَّق من وفقه الله:**

قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ٨٨].

❋ **والصبور من صبَّره الله:**

□ قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية ١٢٧].

---

(١) مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى.

* والمثبت من ثبته الله:

□ قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧].

□ وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ٧٤].

□ وكل النعم من الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية ٥٣].

* فحسن الخلق من الله:

□ قال النبي ﷺ: «**اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»[1].

□ وورد أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء: «**اللَّهُمَّ، جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ، وَالأَدْوَاءِ**»[2].

□ وفي رواية[3]: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ**».

□ وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: «**اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ**

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» حديث (١٣٨٤) من حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، وهو صحيح لشواهده.
وأخرجه أيضًا الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: ابن حبان (٢٤٢٢).

(٣) هي عند الترمذي (٣٥٩١)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قلت: وفي الرواية المشار إليها عند الترمذي ضعف لكن يشهد لها ما قبلها.

خُلُقِي»(١).

□ فسَلِ الله يا عبد الله أن يوفقك في تعاملاتك مع المؤمنين للخير، وأن يُحبب فيك العباد، قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية ٣٩](٢).

وَسَلِ الله أن يُحسن أخلاقك، وأن يلهمك الصواب، ويرزقك الرشد.

فكم من كلمة تخرج منك يُصلح الله بها بين طوائف من المسلمين!

وكم من كلمة تصدر، تتسبب في قطع أرحام وإفساد ذات البين!

فانتبه وسلِ الله التوفيق والهداية على الدوام.

❋ أمور تجلب المودة والمحبة مع شيء من فقهها وفوائدها:

وها هي أمور تجلب المودة والمحبة بين العباد، فحتى يسمع الناس منك وحتى يلينوا لك، وحتى يقبلوا شفاعاتك، وحتى يطمئنوا إلى بيوعك وشرائك وحكمك وقضائك، وحتى يشكروا لك معروفك وإحسانك ينبغي أن يتوافر فيهم جانب وقدر من الحب لك والتوقير والإجلال، وكما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ آلَ أَبِي... لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**»، وفي زيادة: «**وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»(٣)، أي: سأصلها

---

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ٦٨) بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) قال بعض أهل العلم: كان كل من يرى موسى يحبه.

(٣) البخاري حديث (٥٩٩) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا، وفي «صحيح مسلم» حديث (٢٠٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ...**» فذكر الحديث، وفيه: «**فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ** =

بصلتها.

فالرحم كالجلد اليابسة، إذا بُلَّت، أصبحت لينة فيسهل عليك تشكيلها، فإذا وصلت أرحامك وأحسنت إليهم لانت لك قلوبهم، وسهل أمرهم عليك واستمعوا لحديثك، أما إذا كنت قاطعًا للرحم، ولم تبلها - أي: لم تصلها - فلا يكاد أحدٌ من أرحامك يستمع لك، ولا يصغى لقولك.

وكذلك غير الأقارب إذا رأوا منك الود والمحبة لهم، والحرص عليهم والشفقة والحنو أحبوك، ومن ثَمَّ نجحت في تعاملاتك معهم بإذن الله.

* * *

= لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا».

وها هي طائفة من الأمور التي تجلب المودة والمحبة، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: الآية ٨٨]، **فمن ذلك ما يلي:**

الايمان بالله والعمل الصالح

وهذا يجلب لك محبة الله ﷻ، ومن ثَمَّ يوضع لك القبول في الأرض، دل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريَم: الآية ٩٦]، أي: محبة في قلوب العباد، على قول كثير من المفسرين.

❐ ويشهد لذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيل: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**»(١).

❐ وفي رواية مسلم: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**»(٢).

فاجتهد في أن ترضي الله عنك، واجتهد في العمل بطاعته واجتناب

---

(١) البخاري حديث (٦٠٤٠).

(٢) مسلم حديث (٢٦٣٧).

معاصيه، فالله الذي يقذف الحبَّ في قلوب العباد لك، وهو الذي يكف أذاهم عنك.

□ قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

□ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح: الآية ٢٤].

□ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: الآية ٩٠].

فأصلح ما بينك وبين ربك يصلح الله ما بينك وبين العباد.

واحذر أن تتسلط عليك ذنوبك فتفشل في التعامل مع الناس بسبب ذنوبك، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: الآية ٣٠].

إفشاء السلام

□ ومن الأمور التي تجلب المحبة وتنشر المودة بين الناس: إفشاء السلام، أي: نشره وإظهاره والإكثار منه، ومن ثم جاءت النصوص عن رسول الله ﷺ تحث على ذلك وتبين أثره وفضله:

□ قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ. أخرجه البخاري ومسلم(١).

□ وفي «صحيح مسلم» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى**

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٨)، ومسلم مع النووي (١٤/ ٣٠).

شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(١)] .

❐ وعند البخاري في «الأدب المفرد»[(٢)] من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**».

❐ وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

❐ وبين رسول الله ﷺ أن من حق المسلم على أخيه أن يسلم عليه، ففي «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

❐ وفي «الصحيحين»[(٥)] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ**

---

(١) مسلم حديث (٥٤).

(٢) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩)، وإسناده صحيح.

(٣) البخاري حديث (٢٨)، ومسلم حديث (٣٩).

(٤) مسلم (ص١٧٠٥).

(٥) البخاري مع «الفتح» (١١/ ٨)، ومسلم مع النووي (١٤/ ١٠٢).

السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

❁ **وأولى الناس بالله: من بدأهم بالسلام كما قال النبي ﷺ**(١):

◘ وكان النبي ﷺ يُسلم على الصبيان كما في «الصحيحين»(٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

◘ وكان يسلم على النساء(٣) أيضًا، ففي «سنن الترمذي»، و«الأدب المفرد» للبخاري(٤) بإسناد حسن لشواهده من حديث أَسْمَاءَ بنت يَزِيدَ رضي الله عنها، مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا فِي جِوَارٍ أَتْرَابٍ لِي، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا.

◘ وكذلك إذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين - عبدة الأوثان - واليهود، فإن النبي ﷺ سلَّم على مجلس فيه مثل هذه الأخلاط(٥).

◘ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرةٌ أو أكمةٌ فتفرقوا يمينًا وشمالًا، ثم التقوا سلَّم بعضهم على بعض(٦).

ومما يجلب المودة والمحبة أيضًا: أن ترسل سلامك إلى الناس، وما أظن

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٨٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**»، وإسناده صحيح.

(٢) البخاري مع «الفتح» (١١/ ٣٢)، ومسلم مع النووي (١٥/ ١).

(٣) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة، فإن الله لا يحب الفساد.

(٤) الترمذي مع «التحفة» (٧/ ٤٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٨).

(٥) انظر: البخاري مع «الفتح» (٨/ ٢٣٠)، ومسلم مع النووي (١٢/ ١٥٧).

(٦) ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٥)، وله شاهد عند أبي داود (٥/ ٣٨١)، ولفظه: «**إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا**»، وقد روي هذا موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه، ومرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

هذا يكلفك شيئًا.

وقد جاءت بذلك السُّنة:

❐ أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِش، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**».

قُلْتُ (القائل عائشة): وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ.

❐ وفي «مسند الإمام أحمد»[2] بإسناد صحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو إِنْ طَالَ بِي عُمُرٌ أَنْ أَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ**».

ولهذا الفضل العظيم والثواب الجزيل للسلام، فإن أعظم ما يحسدنا عليه اليهود هو السلام والتأمين.

❐ روت أم المؤمنين عائشة ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[3].

فالسلام كما تقدم اسم من أسماء الله، وإفشاؤه فيه ذكر لله، وكثرة إفشائه تعني كثرة ذكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥].

وكم دُفع من شرٍّ بسبب كلمة: السلام عليكم!

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٥٨١)، ومسلم مع النووي (١٥/ ٢١١).

(٢) أحمد (٢/ ٢٩٨).

(٣) ابن ماجه حديث (٨٥٦)، وابن خزيمة حديث (٥٧٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٨) بإسناد حسن.

وكم حلَّ من خيرات وبركاتٍ بسبب كلمة: السلام عليكم!

وكم وصلت من أرحام بكلمة: السلام عليكم!

وفي المقابل كم حل من نكدٍ وبلاءٍ، وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعة رحم، وإدبارٍ وتنافرٍ بسبب ترك كلمة: «السلام عليكم».

فعليك بها، أكْثِرْ منها، سلِّم على الصغير والكبير والغني والفقير والرجل والمرأة[١]، ومن عرفت ومن لم تعرف، بل وسلِّم على الأموات كذلك[٢]، وتأكد أن في ذلك خيرًا إن شاء الله.

*** وهذه صيغ من صيغ السلام:**

❐ أخرج أبو داود في «سننه»[٣] من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «**ثَلَاثُونَ**»[٤].

❐ وفي «الصحيحين» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ**

---

(١) إلا إذا خشيت الفتنة من إلقاء السلام على فتاة.

(٢) من ذلك (السلام عليكم دار قوم مؤمنين...).

(٣) أبو داود حديث (٣٧٩) بإسناد صحيح.

(٤) فماذا يضيرك يا عبد الله أن تقول في سلامك: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» حتى تغنم ثلاثين حسنة!! ما إخاله ولا أظنه يشق عليك هذا الأمر، ولكن الموفق من وفقه الله، والمهتدي من هداه الله!!

الْمَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ»(١).

❐ وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة إسلامه قال: فَأَتَيْتُهُ (أي: رسول الله ﷺ) فَإِنِّي لأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَنْ أَنْتَ»**(٢).

❐ وفي «سنن أبي داود»(٣) عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَيَدْخُلُ عُمَرُ؟

❁ وقد شرعت للسلام آداب، منها:

❐ قوله الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النّساء: الآية ٨٦].

❐ وقول النبي ﷺ: **«يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»**(٤)، وفي رواية أخرى: **«يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»**(٥).

وقد تكون هناك موانع شرعية تمنع من إلقاء السلام، بل ومن ردِّه، كأن يكون عدم الرد كي ينزجر العاصي عن معصيته، ويقلع المذنب عن ذنبه.

❐ ففي حديث كعب بن مالك الآتي قريبًا، قال: وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) البخاري حديث (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) مسلم مع النووي (١٦/ ٣١).

(٣) أبو داود (٥/ ٣٨٢) بإسناد صحيح.

(٤) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٤).

(٥) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٥)، ومسلم مع النووي (١٤/ ١٤٠).

فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟!

□ وأخرج أبو داود من حديث عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي لَيْلًا، وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَلَمْ يُرَحِّبْ بِي فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ**»(١).

□ وفي «صحيح البخاري» من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ؟ قَالَ: «**مَا هَذِهِ النُّمْرُقَةُ؟**»، قُلْتُ: لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، قَالَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ**»(٢).

□ وأخرج البخاري، وأبو داود(٣) بإسناد صحيح من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

---

(١) أبو داود (٥/ ٨) بإسناد حسن لغيره، فله شاهد عند البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٢٠)، وانظر إلى هذا الفقه، فرسول الله ﷺ لم يرد على عمار السلام، وأيضًا - كما سبق وسيأتي - لم يرد على كعب بن مالك السلام، وألان القول لرجل قال فيه النبي ﷺ: «**بئس أخو العشيرة**».
فإذا كنت ترى أن في صاحبك إيمانًا، وأنه يتحمل هجرانك ويفهمه على وجهه الصحيح، ويفهم أنك لا تريد له إلا الخير، فحينئذ قد يجوز لك في بعض الأحيان أن تشتد عليه من أجل مصلحته ونفعه، وانظر إلى أثر ابن عمر في قصة فاطمة، وكذلك أثر عائشة اللذين أوردناهما أعلاه. وإذا كنت ترى أن الرجل شرير مفسد ويفسد في الأرض إذا هجرته، أو تركت إلقاء السلام عليه، فحينئذ لك أن تداريه، وتتقيه وتتقي شره.
وعلى الله قصد السبيل.

(٢) البخاري حديث (٥٩٥٧)، ومسلم (ص١٦٦٩).

(٣) أبو داود حديث (٤١٤٩)، واللفظ له، وأخرجه البخاري أيضًا (٢٦١٣).

عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَوَجَدَ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا[١]، فَلَمْ يَدْخُلْ قَالَ: وَقَلَّمَا كَانَ يَدْخُلُ إِلَّا بَدَأَ بِهَا، فَجَاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَرَآهَا مُهْتَمَّةً، فَقَالَ: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيَّ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَاطِمَةَ اشْتَدَّ عَلَيْهَا أَنَّكَ جِئْتَهَا فَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا، قَالَ: «**وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا، وَمَا أَنَا وَالرَّقْمَ**»، فَذَهَبَ إِلَى فَاطِمَةَ فَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: قُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، قَالَ: «**قُلْ لَهَا: فَلْتُرْسِلْ بِهِ إِلَى بَنِي فُلَانٍ**».

※ وقد يكون المانع شرعيًّا من وجه آخر:

□ ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبُولُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ.

□ وفي «صحيح البخاري»[٣] من حديث أبي الجهيم الأنصاري رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جَمَلٍ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى الْجِدَارِ فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ.

---

(١) في رواية البخاري: سترًا موشيًا.

(٢) مسلم مع النووي (٤/ ٦٤).

(٣) البخاري مع «الفتح» (١/ ٤٤١)، ومسلم معلقًا مع النووي (٤/ ٦٤).

وفي «سنن أبي داود» من طريق سَعِيد عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ حُضَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَبِي سَاسَانَ عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللَّهَ عز وجل إِلاَّ عَلَى طُهْرٍ**»، أَوْ قَالَ: «**عَلَى طَهَارَةٍ**»، ورجاله ثقات، وكل ما يشوبه عنعنات بعض المدلسين، ولكن لا أراها تضر في هذا الموطن؛ لأن الحسن إنما يروي عن تابعي، فلا إخاله يُسقط أحدًا في مثل هذا الموطن، والله أعلم.

❁ وقد يكون في إلقاء السلام على رجل شرير دفعٌ لشره:

□ وقد قال النبي ﷺ في شأن رجل: «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ**»[(١)]، فلما قدم ألان له النبي ﷺ القول.

وبالجملة ففي باب إفشاء السلام أو تركه ينبغي أن تراعي المصالح الشرعية العامة، فإفشاء السلام، والإكثار منه، والسلام على الصغير والكبير والرجل والمرأة والقريب والبعيد، ومن عرفت ومن لم تعرف هو الأصل بين المسلمين.

أما إذا وُجدت مصلحة شرعية من وراء ترك السلام، فحينئذ تقف مع المصلحة الشرعية، ويُترك إلقاء السلام، بل ويترك الرد، وينبغي أن يكون هذا بقَدَرٍ - أعني ترك إلقاء السلام أو ترك الرد - وحسب الحاجة ولا يتوسع فيه، والله أعلم.

❁ وقد كانت المصافحة أيضًا في أصحاب النبي ﷺ:

وذلك فيما أخرجه البخاري[(٢)] من طريق قَتَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَكَانَتِ

---

(١) في «الصحيحين» وسيأتي سياقه وتخريجه، وسيأتي لهذا الباب مزيدٌ إن شاء الله.

(٢) البخاري مع «الفتح» (١١/ ٥٤)، لكن مصافحة الرجال للنساء كما هو معلوم محرمة، لحديث: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ**».

وإسناده حسن، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢١١، ٢١٢) من حديث معقل ابن يسار رضي الله عنه موقوفًا.

وانظر أيضًا: «السلسلة الصحيحة» للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله حديث (٢٢٦).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فذكرت بيعة رسول الله ﷺ للنساء وامتحانه لهن، قالت عائشة: وَلاَ وَاللَّهِ، مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ =

الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَم.

❑ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: عَلَّمَنِي النَّبِيُّ ﷺ التَّشَهُّدَ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ(١).

❑ وصحح(٢) بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»**.

❑ وفي البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ(٣).

❑ وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ في قصته وتوبة الله عليه، قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي(٤).

= أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلاَّ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: **«قَدْ بَايَعْتُكُنَّ»** كَلاَمًا. لفظ مسلم مع النووي (١٣/ ١٠).

والحديث أيضًا بلفظ قريب عند البخاري مع «الفتح» (٨/ ٦٣٦).

وفي «مسند الإمام أحمد» (٦/ ٣٥٧) بإسناد صحيح عن أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي نِسَاءٍ نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا مَا فِي الْقُرْآنِ: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨] الآيَةَ، قَالَ: **«فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ»**، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ تُصَافِحُنَا؟ قَالَ: **«إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ»**. وأخرجه الترمذي (١٥٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) البخاري (٦٢٦٥)، ومسلم (ص ٣٠٢) ترتيب محمد فؤاد.

(٢) منهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله كما في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٥)، وانظر: تخريج الحديث هناك.

(٣) البخاري (٦٢٦٤).

(٤) **صحيح**: وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

النهي عن الهجران فوق ثلاث

ونهى النبي ﷺ عن الهجران فوق ثلاث:

❐ ففي «الصحيحين» من حديث أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»**(١).

❐ وفي رواية: **«فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»**(٢).

❐ وفي «الصحيحين» من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»**(٣).

❐ وأخرج أبو داود بإسناد حسن من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَا يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةٍ، فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ»**(٤).

❐ وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن هشام بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليالٍ، فإن كان تصادرا فوق ثلاث فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وأولهما**

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١١/ ٢١)، ومسلم مع النووي (١٦/ ١١٧).
(٢) البخاري (٦٠٧٧).
(٣) البخاري (٦٠٧٦).
(٤) «عون المعبود» (١٣/ ٢٥٧).

فيئًا فسبقه بالفيء كفارته، فإن سلم عليه فلم يرد عليه ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان، فإن ماتا على صرامها لم يجتمعا في الجنة أبدًا»[(١)].

❑ وفي رواية أخرى عند أحمد عقب هذه الرواية من طريق هشام أيضًا عن رسول الله ﷺ: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ، مَا دَامَا عَلَى صُرَامِهِمَا، وَأَوَّلُهُمَا فَيْئًا يَكُونُ سَبْقُهُ بِالْفَيْءِ كَفَّارَةً لَهُ، وَإِنْ سَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ، رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَرَدَّ عَلَى الآخَرِ الشَّيْطَانُ، وَإِنْ مَاتَا عَلَى صُرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعًا أَبَدًا»**.

❁ لكن إن كانت هناك حاجة شرعية تدعو إلى الهجران فوق ثلاث فلا بأس بالهجران فوق الثلاث ما دامت الحاجة شرعية، والمقصد منها مقصدًا شرعيًا صحيحًا ليس فيه انتصار للنفس، ولا إشباع للشهوة، ولا الحقد على مسلم من المسلمين:

فمثلًا إذا كان هناك رجل متلبسًا بالمعصية، ولا يقلع عنها، ورأيت أن في هجرانه فوق الثلاث مصلحة شرعية كي يرجع عن غيِّه وفساده ويُقلع عن معاصيه، فلا بأس بالهجران في هذه الحالة، وقد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية خمسين ليلة.

❑ أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ... وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا، حَتَّى

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١١/ ٤٠)، ومسلم مع النووي (١٧/ ٨٧).

كَمَلَتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً، وَآذَنَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ.

❐ وعلى المرء أن ينتبه لهذا انتباهًا شديدًا، فإن حظوظ النفس والشهوات تتدخل في هذا الباب تدخلًا شديدًا، فقد يكون الشخص حاقدًا على شخص لأمورٍ دنيوية محضة ويزين له الشيطان سوء عمله، ويزين له أن هذا الهجران إنما هو في الله ولله، فيقع حينئذ في المحذور الذي نهى عنه رسول الله ﷺ ألا وهو الهجران فوق ثلاث.



الهدية

للهدية عظيم الأثر في استجلاب المحبة، وإثبات المودة وإذهاب الضغائن وتأليف القلوب.

وهي دليل على الحب وصفاء القلوب، وفيها إشعار بالتقدير والاحترام، ولذلك فقد قبل النبي ﷺ الهدية، قبلها من المسلم والكافر، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل، وحث النبي ﷺ على التهادي وعلى قبول الهدايا.

فكم من ضغينةٍ هذبت بسبب هدية!!

وكم من مشكلةٍ دُفِعت بسبب هدية!!

وكم من صداقةٍ ومحبة جُلبت بسبب هدية!!

وها هي جملة نصوص عن رسول الله ﷺ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر، ومن المسلم، وللكافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية، ولمنع قبولها أو كراهيتها وكراهية قبولها، وبالله التوفيق.

❐ أخرج البخاري[1] رَحِمَهُ اللهُ من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٢٥٨٥)، وقد أعله بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب، لكن انظر: إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.

(٢) معنى يثيب عليها: أي: يجازي المُهدي بهدية أيضًا.

☐ وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: «**كُلُوا**»، وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

☐ وكان الأنصار يهدون لرسول الله ﷺ، ففي «الصحيح»[(٢)] من حديث عَائِشَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ[(٣)]، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا.

☐ وأخرج الإمام أحمد[(٤)] بإسناد حسن من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ.

☐ وفي «سنن أبي داود» بإسناد حسن عن عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حِلْيَةٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ أَهْدَاهَا لَهُ، فِيهَا خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مُعْرِضًا عَنْهُ، أَوْ بِبَعْضِ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ دَعَا أُمَامَةَ ابْنَةَ أَبِي الْعَاصِ ابْنَةَ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ فَقَالَ: «**تَحَلِّي بِهَذَا يَا بُنَيَّةُ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٢٥٧٦)، ومسلم حديث (١٠٧٧).

(٢) البخاري (٢٥٦٧).

(٣) المراد بها هنا النوق أو الشياه.

(٤) أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٩)، وله شاهد يصح به في قصة إسلام سلمان عند أحمد (٥/ ٤٤١).

(٥) أبو داود (٤٢٣٥)، وابن ماجه حديث (٣٦٤٤).

الحث على الهدية ولو بالقليل

□ فقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا**(١) **وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ**»(٢). والفِرسِن: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي ﷺ حثَّ المرأة على الإهداء لجارتها والجود بما تيسر عندها، وإن كان هذا المُهدَى قليلًا فهو خير من العدم، وهو دليلٌ على المودة، وفي الحديث أيضًا حثٌّ للمُهْدَى إليها على قبول الهدية، وإن قلَّتِ الهدية فهي دليل على تقدير المهدية للمُهدى إليها.

□ وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»(٣).

❊ الحث على قبول الهدية:

□ وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»(٤) بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (وهو ابن مسعود) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ**(٥)، **وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ**».

---

(١) وقد تطلق الجارة على الضُّرة أحيانًا، وهي هنا عامة، فالمراد جارة المنزل والمراد الضُّرة أيضًا، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» حديث (٥٩٤)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهده.

(٤) البخاري في «الأدب المفرد» حديث (١٥٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤)، وأبو يعلى (٩/ ٢٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٥).

(٥) ذكر فريقٌ من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم، أو ممن يشفع عنده في الأقضية.

❁ قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها:

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير.

☐ ففي «الصحيح» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ، أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ، أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»**[1].

والكراع من الدابة: ما دون الكعب.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: وخصَّ الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير؛ لأن الذراع كانت أحبَّ إليه من غيرها، والكراع لا قيمة له.

❁ إذا رددت الهداية فبين سبب ردها جبرًا للخاطر[3]:

وكذا إذا ردَّ هدية علَّل سبب الرد جبرًا لخاطر المُهدي.

☐ ففي «الصحيحين» من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهْوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ»**[4].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وفيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحل من الهدية.

❁ قبول الهدية من النساء[5]:

وكان النبي ﷺ يقبل الهدية من النساء كذلك.

---

(١) البخاري حديث (٢٥٦٨).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٢٣٦).

(٣) إذا كان الخاطر يُجبر بذلك، أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبين، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري حديث (٢٥٧٣)، ومسلم حديث (١١٩٣).

(٥) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله.

☐ ففي «الصحيحين» من حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: أَهْدَتْ أُمُّ حُفَيْدٍ خَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقِطًا وَسَمْنًا وَأَضُبًّا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الأَقِطِ وَالسَّمْنِ وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقَذُّرًا(١).

☐ **قلت**: وفيه من الفقه أن المُهدي إذا أهدى هدية ورُدَّ منها شيءٌ لعلةٍ، فلا يحزن ويلتمس العذر لمن ردَّ الهدية أو جزءًا منها ما دامت العلة واضحة.

☐ وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَتْ أُخْتِي تَبْعَثُنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِالْهَدِيَّةِ فَيَقْبَلُهَا(٢).

❀ لا ترجع في هبتك:

وشيء سيءٌ أن تهدي ثم تعود في هديتك وترجع في هبتك، فأولى لك أن لا تهدي أصلًا أفضل من أن تهدي وترجع في هديتك، فقد قال النبي ﷺ: «**الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**»(٣).

❀ إياك أن تُهدي ثم تَمُنَّ:

وكذلك لا تُهْدِ ثم تمنَّ على من أهديت له، فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

فلا تُعْطِ الأعطيات وتهب الهبات وتقدم الصدقات ثم تتبع ذلك بالمن،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٥)، ومسلم (ص١٥٤٤).
(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨٩)، ومسلم (١٦٢٢) من حديث ابن عباس ﵄ مرفوعًا.

فالمن يبطل ثواب الصدقات وثواب الهدايا، فضلًا عما يُدخر للمنان من العذاب.

❐ قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[1].

❐ وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا: «**الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ**».

❁ الهدية من أحد الزوجين للآخر:

وللهدية من أحد الزوجين للآخر أثر طيب في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود، ومن ثمَّ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: الآية ٤]، أي: إن طيبت المرأة نفسها وأعطت زوجها شيئًا من صداقها، فلا حرج على الزوج في قبوله والأكل منه، فليأكل هنيئًا مريئًا.

وبالنظر إلى الآية الكريمة، نرى - والله أعلم - أن الزوجة إذا أهدت إلى الزوج تهدي إليه شيئًا من الصداق، ليس كل الصداق، وذلك حتى تُبقي لنفسها شيئًا تتصرف فيه عند احتياجاتها الخاصة بها، والله أعلم.

وكذلك للهدية من الزوج لزوجته عظيم الأثر في جلب مودتها ودفع الوساوس عنها وإثبات محبتها، وهي دليل على التراحم، وخاصة إذا

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

صحبت بالكلمات الطيبة والعبارات المُريحة والابتسامات الصادقة.

❊ وإذا كان عندك هديةٌ واحدة فلمن تهديها؟

تهديها للأقرب فالأقرب، قرابة النسب، وقرابة الجوار:

❏ فها هي ميمونة زوج النبي ﷺ كان لها وليدة (أي: أمة من الإماء) فأعتقتها فقال لها النبي ﷺ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِيهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**»(١).

فمع أنها أعتقت الأمة فهي - بلا شك إن شاء الله - مأجورة لعتقها الرقبة؛ ولكن هنا فاق أجر الهدية أجر العتق لقول النبي ﷺ: «**وَلَوْ وَصَلْتِ بَعْضَ أَخْوَالِكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**».

فالهدية في بعض الأحيان تفوق الصدقة في الأجر، وذلك إذا وقعت موقعها في التأليف والوصل وابتغاء الأجر والثواب.

❏ وأخرج البخاري من حديث عَائِشَةَ ﵂ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»(٢).

❏ فيستفاد من هذين الحديثين أن القريب يُقدَّم على الغريب، وأن الأقارب إذا استووا في درجة القرابة قُدِّم الأقرب بابًا، وهذا كله إذا كان هؤلاء محل احتياج، والله أعلم.

---

(١) البخاري حديث (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٢٥٩٥).

❁ قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم[(١)]:

❁ وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين:

□ ففي «الصحيح»[(٢)] من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا.

□ وفي «الصحيحين»[(٣)] كذلك أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا.

□ وأَهْدَى أُكَيْدِر دُومَةِ الْجَنْدَلِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُلَّةً[(٤)].

□ وانظر ترجمة مارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (أم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسرِّية رسول الله ﷺ) في «الإصابة» فلقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ.

□ وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر ورد الله يده وكبته الله أهداها هذا الكافِرُ هاجرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[(٥)].

❁ وكذلك فالإهداء للمشركين جائز:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى

---

(١) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل.

(٢) البخاري حديث (٣١٦١)، ومسلم حديث (١٣٩٢).

(٣) البخاري حديث (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري معلقًا (٢٦١٦)، ومسلم متصلًا (ص١٩١٧) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) البخاري (٢٦٣٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ فَأَعْطَوْهَا آجَرَ فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ كَبَتَ الْكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً؟! والحديث مطول في مواطن أخر من «الصحيح».

ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

❐ وفي «الصحيحين» من حديث أَسْمَاء بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي، وَهْيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ، وَهْيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»[(١)].

❐ وأهدى عمر حلة لأخٍ له مشرك بمكة قبل أن يُسلم أخوه[(٢)].

لكن إذا كان هذا الكافر سيتقوى بهذه الهدية على المسلمين، ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذ لا يُهْدَى إليه، ولا كرامة.

❐ وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من طريق مُجَاهِدٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[(٣)].

❋ وهناك هدايا لا تُرد:

❐ **منها**: الطيب، ففي «صحيح البخاري» من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠، ٥٩٧٨)، وهناك قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[الممتحنة: الآية ١٨، وأخرجه مسلم (٣/ ٤١).

(٢) انظر البخاري: (٢٦١٩).

(٣) الترمذي (حديث ١٩٤٣)، وأبو داود (٥١٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» حديث (١٠٥).

النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ(١).

□ وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ**»(٢).

* موانع الإهداء، ومتى لا تُقبل الهدية:

فهذه النصوص التي قدمناها نصوصٌ تحث على الإهداء وقبول الهدية؛ ولكن قد تأتي موانع تمنع من الإهداء، وتمنع من قبول الهدية.

ألا ترى أن ملكة سبأ أهدت لسليمان عليه السلام هدية فردَّها سليمان، مع أن إبراهيم عليه السلام قَبِلَ هاجر لما أُهديت إلى زوجته، وقد قبل نبينا محمد ﷺ الهدية، فلِمَ قبل نبينا ﷺ الهدية وردَّها سليمان عليه السلام؟!

ردَّها سليمان عليه السلام لما كانت رشوة عن الدين، فالمرأة أرسلت الهدية إلى سليمان كي يقرها على عبادتها للشمس ويسكت عنها، ولم يكن لسليمان ذلك، وخاصة أنه في مركز قوة واستغناء، فمن ثَمَّ ردَّها لما كانت رشوة في الدين.

□ قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ

---

(١) البخاري حديث (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وقد ورد في الباب حديث ابن عمر عند الترمذي (٢٧٩٠) مرفوعًا: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ**»، الدُّهْنُ يَعْنِي بِهِ: الطِّيبَ، وقَالَ الترمذي: (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ)، وقال أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٣٠٨): هذا حديث منكر.

قلت: وله شاهد آخر في إسناده ضعف شديد، فلا يصح به، والله أعلم.

نَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: ٣٥ - ٣٧].

فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذ، وكذلك إذا كانت الهدية للأمراء والوزراء والمسئولين[(١)] كي يعطوك شيئًا ليس من حقك أو يتجاوزوا عن شيء لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه فحينئذ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية، وقد استعمل النبي ﷺ لفظًا شديدًا في الزجر في هذا الباب:

❐ ففي «الصحيحين» من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: «ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ» عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: «**فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ**» - ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ - «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا**»[(٢)].

❐ ومن ثمَّ روى البخاري معلقًا عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانَتِ الْهَدِيَّةُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً وَالْيَوْمَ رِشْوَةٌ[(٣)].

---

(١) كالقضاء والشُّرطة ونحوهم.

(٢) البخاري حديث (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٣) معلقًا مع «الفتح» (٥/ ٢٦٠)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وصله ابن سعدٍ بقصةٍ فيه، فروى من طريق فرات بن مسلم قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئًا يشتري به، فركبنا معه، فتلقاه غلمان الدبر بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها ثم =

❐ وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»(١) بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: السُّحْتُ الرِّشْوَةُ فِي الدِّينِ، قال سفيان: يعني الحكم.

❐ وأخرج أبو داود وغيره بإسناد صحيح من حديث عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ»(٢).

❁ وكذلك إذا كانت الهدية شيئًا مسروقًا أو شيئًا محرمًا فلا تقبل، لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان:

❐ ففي «مسند الإمام أحمد» أن المغيرة بن شعبة صَحِبَ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَوَجَدَ مِنْهُمْ غَفْلَةً، فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، فَجَاءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهَا(٣).

= ردَّ الأطباق، فقلت له في ذلك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟ فقال: إنها لأولئك الهدية، وهي للعمال بعدهم رشوة.

(١) عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦٦٤)، وانظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي مع «التحفة» (٤/ ٥٦٧)، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥).
قال كثير من أهل العلم: إن الراشي: هو معطي الرشوة، والمرتشي: هو آخذها، والرائش: هو الذي يسعى بينهما، وقالوا: الرشوة ما تُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق، أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به.
انظر: ما ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذي»، وكذلك شمس الحق العظيم آبادي في «عون المعبود»، وكذلك الخطابي في «معالم السنن» وغيرهم.

(٣) «المسند» (٤/ ٢٤٦) من طريق أَبِي مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ به.
وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال، لكن للحديث شاهد في البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) وفيه . . . وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**».

❁ وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط، فإذا عرف من عادته هذا فلك - والله أعلم - أن تتوقف في قبول هديته:

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: الآية ٣٩]، وهذا - في مثل هذا الموطن - في رجل يهدي وينتظر من المهدى إليه أضعاف ما يقدمه له.

أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدَّين عليك، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي، اعتذارٍ لا يكسر له خاطرًا ولا يشوش عليه فكرًا.

وكذلك إذا كان المهدي منَّانًا يمنُّ بهديته ويتحدث بها، فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف.

وكل هذا يقدر بقدره، والأصل استحباب الهدية، واستحباب قبولها والإثابة عليها.

وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخصٍ سفيهٍ، يستعملها في معصية الله ﷻ وفي الفساد في الأرض، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٥] ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: الآية ٥].

وكذلك ففي أثناء هديتك انتبه هل ستُصْلِح في باب وتُفسد في بابٍ آخر، أم أن الهدية كلها خير، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد:

❐ قال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ

رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا»**، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[١].

❐ وأخرج عبد الرزاق[٢] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أسلفت رجلًا سلفًا، فلا تقبل منه هدية كُراع، ولا عارية ركوب دابة.

❐ وأخرج أيضًا[٣] من طريق سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنه كان لنا جار سمَّاك، فأقرضته خمسين درهمًا، وكان يبعث إليَّ من سمكه، فقال ابن عباس: حاسبه، فإن كان فضلًا، فرُدّ عليه، وإن كان كفافًا فقاصصه.

❐ وأخرج أيضًا[٤] بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دين، فأكلت عليه فاحسب له ما أكلت عنده، إلا إن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك.

وثمَّ جملة آثار أُخر في هذا الباب، وفي أسانيد كثير منها مقال[٥].

قلت: لكن إذا أقرضت رجلًا مبلغًا من المال وردَّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك، فلا مانع من قبوله، وذلك لما في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم حديث (١٦٢٣).

(٢) عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦٥٠).

(٣) عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦٥١)، وهو صحيح أيضًا، وأخرجه البيهقي (٥/ ٣٥٠).

(٤) عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٦٤٩).

(٥) انظرها في «مصنف عبد الرزاق» (٥/ ١٤٢)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (٥/ ٣٤٩).

«الصحيحين»[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ[٢] مِنَ الإِبِلِ فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ**»، فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا سِنًّا فَوْقَهَا[٣]، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ**»، فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى اللَّهُ بِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**».

❐ وفي «الصحيحين»[٤] أيضًا من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِي وَزَادَنِي.

وأيضًا ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا، فقد يقترض شخصٌ من شخص مالًا ويحل وقت السداد، ولا يطيق المدين السداد؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته، وحتى يصبر عليه، فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا، نعم، إنه يجوز قبولها ما لم يشترط؛ لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة.

❐ وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللهُ[٥] من طريق أبي بردة قال: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيقًا، وَتَمْرًا، وَتَدْخُلَ فِي بَيْتٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ بِأَرْضٍ الرِّبَا بِهَا فَاشٍ، إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ، فَأَهْدَى إِلَيْكَ حِمْلَ تِبْنٍ، أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ، أَوْ حِمْلَ قَتٍّ، فَلَا تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ رِبًا.

---

(١) البخاري حديث (٢٣٩٣)، ومسلم حديث (١٦٠١).

(٢) يعني: جملًا له سنٌّ معين.

(٣) وفي رواية أخرى: لا تجد إلا سنًّا أفضل من سنّه.

(٤) البخاري حديث (٢٣٩٤)، ومسلم (ص١٢٢٢، ١٢٢٣).

(٥) البخاري حديث (٣٨١٤).

وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة، ومحل ذلك - كما هو معلوم - عند أمن الفتنة، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة، وتقع المرأة في قلب الرجل، ويقع في قلبها، ويحدث من وراء ذلك المحرم، فحينئذٍ تمنع الهدية لا لكونها حرامًا، ولكن سدًّا للذريعة الموصلة إلى الحرام، فالله لا يحب الفساد.

ولا ينبغي أن تحرج أحدًا وتحمله على الإهداء لك، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدى؛ ولكن إن أُهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة، ولا إشراف نفس بورك لك فيه، ولتحرص على أن تكوْن نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك، وانظر إلى هذا الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه»، وانظر فيه إلى حرص النبي ﷺ على تطييب نفس المعطي:

□ فقد أخرج البخاري[1] من حديث مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ**»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ،**

---

(١) البخاري حديث (٢٦٠٧، ٢٦٠٨).

فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: طَيَّبْنَا يَا رَسُولَ اللهِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِيهِ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**»، فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا.

❐ وقال النبي ﷺ[١]: «**إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ**[٢]**، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**».

❐ وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَيُبَارَكُ لَهُ**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري حديث (١٤٧٢)، ومسلم حديث (١٠٣٥) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه ولفظه: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ.

(٢) قال النووي رحمه الله: شبهه في الرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد.

وفيه إشارة إلى عدم بقائه؛ لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء.

(٣) مسلم حديث (١٠٣٧).

فِيهِ، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرَهٍ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

❐ وفيه[١] أيضًا من حديث معاوية كذلك: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ**».

❁ وإذا أهدى رجلٌ هديةً لرجل من أجل مصلحة ما أو من أجل أن يُهدى إليه في موطن مشابه فلم يثب منها فله أن يرجع في هبته:

❐ قال عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: مَنْ وَهَبَ هِبَةً لِذِي رَحِمٍ فَهِيَ جَائِزَةٌ، وَمَنْ وَهَبَ هِبَةً لِغَيْرِ ذِي رَحِمٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ يُثَبْ مِنْهَا.

❐ وصح[٣] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: هُوَ أَحَقُّ بِهَا مَا لَمْ يَرْضَ مِنْهَا.

❐ وفي رواية[٤] عنه أيضًا قَالَ: مَنْ وَهَبَ هِبَةً لِوَجْهِ الثَّوَابِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَرُدَّ.

❐ وصح[٥] عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: مَنْ وَهَبَ هِبَةً لِغَيْرِ ذِي رَحِمٍ، فَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ مَا لَمْ يُثِبْهُ[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم حديث (١٠٣٨).

(٢) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٢) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٥).

(٥) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٥).

(٦) ويظهر لي - والله أعلم - أنه يدخل في هذا ما يسميه العامة (النقوط) للعروسين أو أحدهما، فالناس يهدونه وينتظرون رده لهم في مناسبات مشابهة، والله أعلم.

الإحسان والعفو عن الناس

وهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

❑ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

❋ إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه:

❑ فإن الله يدافع عنك، فالله تبارك وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: الآية ٣٨].

❑ إن الله تبارك وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الحج: الآية ٦٠]، هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه الله!! فكيف بالذي ترك حقه كله لله؟!

فالزم جانب العفو فإن العفو من شِيَم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٤].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

❑ وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾.

❐ وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»[١].

❐ وقد صح عن رسول الله، أنه قال: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللَّهُ لَكُمْ**»[٢].

❐ وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ عز وجل مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ، يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى**»[٣].

❋ والعفو والإحسان من شيم رسول الله ﷺ:

❐ أخرج البخاري[٤] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.

---

(١) مسلم حديث (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» حديث (٣٨٠)، والحديث صحيح لشواهده.

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ١٢٨) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه (٤١٨٩)، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٤) البخاري حديث (٤٨٣٨).

□ وفي «سنن الترمذي»(١) من طريق أبي عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيِّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.

العدل والفضل

وقد أمر الله سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن، قال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٣].

□ فقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] عدل.

□ وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] إرشاد إلى الإحسان والعفو.

□ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]: فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

□ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣]: فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

□ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾ [المائدة:

---

(١) **صحيح وله شاهد**، وقد أخرجه الترمذي مع «تحفة الأحوذي» (٢٠٨٥)، وسيأتي لهذا مزيد في أثناء هذا الكتاب.

الآية ١٤٥]: كل هذا عدل.

□ وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٤٥] إرشاد إلى العفو.

□ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: الآية ٦٠] عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

□ وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٤٩] إرشاد إلى العفو والإحسان.

□ وأيضًا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: الآية ٦٠] عدل.

□ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: الآية ٦٠] فيه إرشاد إلى العفو.

فهنيئًا له، من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

هنيئًا له، من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأحوال وصبر وعفا عن الناس.

هنيئًا له، من ملك نفسه عند الغضب، ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز.

كل هذا خير!



ولك أن تنتصر بقدر مظلمتك

وليس معنى أخذ الشخص حقَّه أحيانًا بقدر مظلمته أنه ظالم للناس، بل هو محق إذا لم يتجاوز في الظلم والاعتداء، بل والله يدافع عنه.

❏ قال تعالى مثنيًا على أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠].

❏ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: الآية ٦٠].

وأذكر هنا واقعة حدثت لرسول الله ﷺ في مرض موته:

❏ أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: لَدَدْنَاهُ[(٢)] فِي مَرَضِهِ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلُدُّونِي، فَقُلْنَا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي**»، قُلْنَا: كَرَاهِيَةَ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «**لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ**».

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ**»!!!

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنتصر من أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أمام رسول الله ﷺ لما شعرت أن رسول الله ﷺ يقرّها على هذا الانتصار:

---

(١) البخاري حديث (٥٧١٢)، ومسلم حديث (٢٢١٣).

(٢) اللدود: هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فمِّ المريض.

□ أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي - فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَيْ بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟»**، فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: **«فَأَحِبِّي هَذِهِ»**، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ[٢] فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ!، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[٣] مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً[٤] مِنْ حَدٍّ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ[٥]، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ

---

(١) مسلم حديث (٢٤٤٢).

(٢) قال بعض العلماء: أي: يطلبن منك العدل في المحبة القلبية.

(٣) تساميني: أي: تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة، مأخوذ من السمو، وهو الارتفاع.

(٤) سورة من حد: هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حد، وفي بعضها: من حدةٍ، وهي شدة الخلق وثوراته.

(٥) الفيئة: الرجوع، ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خُلُق وسرعة =

فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي[(١)]، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا[(٢)] حِينَ[(٣)] أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا[(٤)]، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ**».

❏ وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: الآية ٣٩].

❏ وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: الآية ٦٠].

❏ وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: الآية ٣٩].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق، ومن ثَمَّ شُرع القصاص في

= غضب تسرع منها الرجوع، أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا، ولا تصر عليه.

(١) ثم وقعت بي: أي: نالت مني بالوقيعة فيّ.

(٢) لم أنشبها: أي: لم أمهلها.

(٣) حين: في بعض النسخ: حتى، بدل حين، وكلاهما صحيح، ورجح القاضي: حين.

(٤) أنحيت عليها: أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

الدنيا، بل وكما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: الآية ١٧٩].

فكم من ظالم إذا ترك يتمادى في ظلمه وفي غيّه، وفي شره وفساده!!

وكذلك العفو لا يُندب إليه، ولا يُرشد إليه في كل الأوقات، فقد يفهم العفو عند قومٍ من أهل الغباء، والجهل على أنه ضعف وخور!!

وقد يفهم الصفح على أنه استسلام للظلم، ومن ثَمَّ يتمادى الظالم في ظلمه، والطاغي في طغيانه، والباغي في بغيه!!

ألا ترى أن الله ﷻ قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: الآية ٩].

قد يفهم شخص قصة أبي بكر مع مسطح على غير وجهها، ويختلط عليه الأمر فمسطح كما هو معلوم رمى أم المؤمنين عائشة وقذفها بالفاحشة.

وأنزل الله براءة عائشة، وكُذِّب مسطح وسائر من رماها!

ثم إن أبا بكر قال: والله لا أنفق على مسطح بعد اليوم!

ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: الآية ٢٢].

فقال أبو بكر حينئذٍ: والله لا أمنع النفقة عن مسطحٍ أبدًا!

فهذا عفوٌ من أبي بكر، وهذا صفحٌ من أبي بكر.

ولكن متى هذا العفو؟! وعمن هذا الصفح؟!

إنه بعد تبرئة عائشة في قرآنٍ يتلى في المحاريب وفي كل مقام[1].

إنه بعد تكذيب مسطح!!

إنه بعد انكسار مسطح!! وبعد إقراره بالخطأ على نفسه، ونزول القرآن بتخطئة وتكذيب من رمى عائشة رضي الله عنها.

فالعفو هنا له وجه، وأي وجه، إن وجهه قوي واضح.

أما قوم آخرون فيفهمون الأمر على غير وجهه! يظلمون الناس ويستمرون على ظلمهم ويصفون الناس بأنهم يثأرون لأنفسهم!!

❐ يتمادون في الظلم والغي، ويطلبون العفو من الناس!!

كأنهم يقولون للناس: اصبروا على ضربنا لكم، واصبروا على أذانا، واصبروا على سرقتنا لأموالكم وانتهاكنا لأعراضكم!! فشتان ما بين عفوٍ وبين ضعفٍ وخورٍ واستسلام!

فافهم واعقل بارك الله فيك.

والنفس لا تطيق الظلم ولا تتحمله في كل الأوقات كما أسلفنا،ولا من كل الأشخاص، فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه تغير موقفه مع هند عن

---

(١) انظر: حديث الإفك بتمامه في البخاري حديث (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) ففيه من حديث عائشة رضي الله عنها: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ ابْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ -: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: الآية ٢٢] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

موقفه مع وحشي بن حرب قاتل حمزة، مع أن وحشيًّا قد أسلم، وهند قد أسلمت.

❐ ففي «الصحيحين» من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ: «**وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي**»[(١)].

❐ وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من طريق جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي: عُبَيْدُ اللهِ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيتٌ، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا، فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ اللهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ ابْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي الْعِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللهِ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ، قَالَ: نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ

---

(١) البخاري حديث (٣٨٢٥)، ومسلم (ص١٣٣٩).

(٢) البخاري حديث (٤٠٧٢).

النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**آنْتَ وَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ، فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْفَضْلِ، فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ: عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الأَسْوَدُ.

وها هو مَثَلٌ طيبٌ رائعٌ لبيان أثر العفو، وفيه بُعد نظرٍ من رسول الله ﷺ في شأن رجل كافر لكن يُتوقع منه الخير، ها هي قصته فانظرها، وانظر إلى أثر العفو عن رجلٍ يعرف قيمة العفو، عن رجل له شيم ومبادئ وقيم:

❐ ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هُرَيْرَةَ قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»**، فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: **«مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»**، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: **«مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»**، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ،

---

(١) البخاري حديث (٤٣٧٢)، ومسلم حديث (١٧٦٤).

وفي فعل رسول الله ﷺ - ذلك الفعل الرشيد ألا وهو ربط ثمامة في المسجد من الفقه ما لا يخفى، وذلك- والله أعلم - حتى يستمع ثمامة إلى القرآن الذي يُتلى ويرى الصلوات وحال المسلمين فيها وينظر إلى أخلاق المسلمين عن قرب بعيدًا عن النقولات الكاذبة والتشويشات التي يشوش بها أهل الكفر، وأهل الإسراف على المسلمين، وكذلك بعيدًا عن الأراجيف والشائعات، فإذا رآهم وعرف حقيقتهم، ورآهم في صلواتهم، وسمع قول المؤذن: الله أكبر الله أكبر، وقول المؤذن: لا إله إلا الله، ورأى صفوف المسلمين، ورأى توقير المسلمين لرسول الله ﷺ، وتوقيرهم بعضهم لبعض، وشفقة الرسول ﷺ عليهم، إلى غير ذلك مما يراه الداخل عليهم والمختلط بهم، فحينئذٍ يُسلم وينشرح صدره للإسلام، للصورة الطيبة التي رآها منهم.

وهذا - والله أعلم - كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: الآية ٦].

وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**».

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ[١]، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

❁ **ومن هذا الباب[٢]: دعاء الرسول ﷺ على أقوام ودعاؤه لأقوام:**

❑ أخرج البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»[٣].

---

(١) صبوت: أي: خرجت من دينك الذي كنت عليه.

(٢) باب الانتصار والمؤاخذة بقدر المظلمة أو العفو.

(٣) البخاري مع «الفتح» (١١/ ١٩٦)، ومسلم مع النووي (١٦/ ٧٧).

☐ وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**»، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَت الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

☐ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**».

☐ وقال عليه الصلاة والسلام[(٣)]: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**».

❁ وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منهم من دعا على القوم، ومنهم من دعا لهم.

---

(١) مسلم مع النووي (١٦/ ٥١).

(٢) مسلم مع النووي (١٢/ ٢١١).

(٣) البخاري مع «الفتح» (١/ ٣٤٩)، ومسلم مع النووي (١٢/ ١٥٠).

□ قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

فدعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه لما رأى أن لا جدوى في بقائهم، بل رأى أن في بقائهم إضرارًا بأهل الصلاح، وإضلالًا للعباد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: الآية ٣٦].

□ وكذلك نبي الله موسى ﷺ قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: الآية ٨٨].

□ أما الخليل إبراهيم ﷺ فقد قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦].

□ وعيسى عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨].

❋ وكذلك أصحاب نبينا ﷺ ورضوان الله عليهم تجاوزوا أحيانًا عن من ظلمهم وجهل عليهم، وأحيانًا دعوا على من ظلمهم:

□ فأبو بكر - كما تقدم - عفا عن مسطح مع قذف مسطح لابنته عائشة رضي الله عنها وتبرئة الله لها.

□ وهذا عمر يتجاوز عن جهل الجاهل:

□ أخرج البخاري[(١)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ

---

(١) البخاري حديث (٤٦٤٢).

ابْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا، أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ، مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ.

❁ أما دعاؤهم على من ظلمهم:

❐ فهذا سعد بن أبي وقاص يدعو على رجل افترى عليه الكذب، وافترى عليه ووصفه بما ليس فيه:

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ، فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ، رَجُلًا - أَوْ رِجَالًا - إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ

---

(١) البخاري حديث (٧٥٥).

لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ[1]: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

❐ وهذا سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو على أروى بنت أويس لما ادَّعت عليه أنه أخذ شيئًا من أرضها ظُلمًا:

❐ أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[2] من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ[3] إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا.

قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ.

---

(١) الراوي عن جابر بن سمرة.

(٢) مسلم (ص١٢٣١).

(٣) طوقه: أي: جُعل طوقًا في عنقه.

❐ وفي رواية لمسلم أيضًا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا.

قَالَ: فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

فانظر عمن ستعفو؟ وهل عفوك عنه يجلب الإصلاح؟ أم أن عفوك عنه سيزيده عتوًّا وفسادًا وظلمًا وتطاولًا وبغيًا على العباد؟!

فإذا كان عفوك عنه سيجلب الصلاح وسيخمد الفتنة وسيكون سببًا لدفع الشر والفساد، فاسلك حينئذٍ سبيل الكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، فالله يحب المحسنين.

أما إذا كان العفو سيزيد الشخص عتوًّا وظلمًا وفسادًا وبغيًا على العباد، فعليك حينئذٍ أن تأخذ بالقصاص، وأن تردع الباغي، وأن ترد الظالم عن ظلمه، وتوقف المفسد عن فساده فالله لا يحب المفسدين.

وقد جاءت سنة رسول الله ﷺ بهذا وبذاك، ومن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

فعلى الشخص أن يعرف متى يعفو؟ ومتى يؤاخذ؟

متى يصفح؟ ومتى ينتصر بقدر مظلمته؟

ويسأل الله التوفيق والسداد في كل الأحوال.



ولك أن تأخذ بقدر مظلمتك كما أسلفنا؛ ولكن:

إياك أن تأخذ أكثر من مظلمتك

□ أخرج مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**».

أي: إن إثم السباب الواقع من اثنين مختصٌّ بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار، فيقول للبادئ: أكثر مما قال له.

□ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠].

□ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: الآية ٦٠]، فأذن للمظلوم في الانتصار بقدر مظلمته ولا يتعداها.

□ وقد قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٣].

ومن هنا تظهر فائدة العفو جلية واضحة، فالمظلوم لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يضبط المظلمة وقدرها بدقة، فمن ثَمَّ قد يتجاوز عند انتصاره فيزيد في الانتصار لنفسه عن المظلمة التي ظُلمها! فيقع في الإثم إن تجاوز قدر المظلمة التي ظلمها، فحينئذٍ تظهر فائدة العفو، ففضلًا عن كونه لم يوقع نفسه في الإثم، فقد نال بعفوه الأجر، والله أعلم.

❁ ما على المحسنين من سبيل:

ولا لوم ولا توبيخ على مُحسنٍ من المحسنين إذا ذهبت إليه تطلب منه

---

(١) مسلم حديث (٢٥٨٧).

شيئًا فأعطاك الميسور، وإن كان الميسور قليلًا فلا يُعاتب، فهو محسن يفعل خيرًا، فليشكر على هذا الخير، حتى ولو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة، فهو أولًا وأخيرًا محسنٌ، وما يفعله ليس بواجب عليه، ومن ثَمَّ فلا يُتوجه إليه بلوم ولا بعتاب، وكذلك المؤمنون الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ليس عليهم حرج، ولا على الضعفاء ولا على المرضى كذلك إذا تخلفوا عن الجهاد والخير، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: الآية ٩١].

فإذا ذهبت إلى شخصٍ تسأله شفاعة أو تطلب منه مالًا أو تسأله عونًا لك على مسألتك، فقدَّم ما عنده أو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة فلا لوم عليه ولا عتاب، فافهم ذلك واتهم نفسك قبل أن تتهم الناس وأدِّبْ نفسك قبل أن تلوم الناس.



إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه ذلك

وهذا له عظيم الأثر في نفس المؤمن، ثم هو من الأمور التي تجلب المودة وتزيد في المحبة، وقد أمر بذلك النبي ﷺ.

□ أخرج ابن السني في «عمل اليوم والليلة»[1] بإسناد صحيح من حديث المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ ذلك**».

اشفعوا فلتؤجروا

□ والشفاعة، وفيها الوساطة، سببٌ طيبٌ في توطيد أواصر المحبة ففيها جلب للمودة بين طالب الشفاعة والشافع والمشفوع إليه، ومن ثَمَّ حث الله ﷻ عليها في كتابه الكريم ما دامت شفاعة حسنة ليس فيها إضرار بأحد ولا سلبٌ لحقوق أحد، ولا تعدٍّ على حدٍّ من حدود الله، ولا تعطيل لحد.

أما إذا حالت الشفاعة عند السلطان دون إقامة الحدود فهي حينئذ حرام، وكذلك إذا كان في الشفاعة تضييع لحقوق أقوام فهي حرام، قال الله تعالى: ﴿**مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾**﴾ [النساء: الآية ٨٥].

---

(١) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٩٦)، وللحديث شاهد فيه المبارك بن فضالة، وهو: مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات، ولفظه: أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني أحب فلانًا. قال: «**فأخبرته؟**»، قال: لا، قال: «**قم فأخبره**»، قال: فقال: إني أحبك في الله يا أخي فلان، قال: فأحبك الله الذي أحببتني له. أخرجه ابن السني (١٩٧).

☐ وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**».

ففي الحديث الحث على الشفاعة، وإن لم تُقبل فالشافع مأجور، وقد شفع النبي ﷺ، ومع فضله وكونه سيد ولد آدم إلا أن شفاعته لم تقبل عند امرأةٍ من النساء كانت أمَةً فأُعتقت، ومع ذلك لم يُثرِّب عليها رسول الله ﷺ:

☐ ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: «**يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**»، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ[(٣)].

---

(١) البخاري حديث (٦٠٢٨)، ومسلم حديث (٢٦٢٧).

(٢) البخاري حديث (٥٢٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ «فتح الباري» (٩/ ٣٢٤): وفيه جواز مخالفة المشير فيما يشير به في غير الواجب، واستحباب شفاعة الحاكم في الرفق بالخصم حيث لا ضرر، ولا إلزام، ولا لوم على من خالف وغضب ولو عظم قدر الشافع، وترجم له النسائي «شفاعة الحاكم في الخصوم قبل فصل الحكم، ولا يجب على المشفوع عنده القبول».
ويؤخذ منه أن التصميم في الشفاعة لا يسوغ فيما تشق الإجابة فيه على المسئول، بل يكون على وجه العرض والترغيب، وفيه جواز الشفاعة قبل أن يسألها المشفوع له؛ لأنه لم ينقل أن مغيثًا سأل النبي ﷺ أن يشفع له، كذا قيل، وقد قدمت أن في بعض الطرق أن العباس هو الذي سأل النبي ﷺ في ذلك، فيحتمل أن يكون مغيث سأل العباس في ذلك ويحتمل إدخال السرور على قلب المؤمن، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع الله به: فيه أن الشافع يؤجر ولو لم تحصل إجابته، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع لم تمتنع الشفاعة.

أما الحدود إذا وصلت إلى الحاكم فلا شفاعة فيها؛ لقول النبي ﷺ لأسامة لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**»[(١)]!.

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ**»[(٢)].

وقال القاضي رحمه الله[(٣)]: وأما المصرون على فسادهم المشتهرون في باطلهم، فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك.

❐ **قلت**: فجديرٌ بمن طُلبت منه شفاعة أن لا يبخل بها، بل يشفع ولا يتردد وإن ظن أن شفاعته سترد، فهو مأجور على كل حال إن شاء الله.

❐ **قلت**: ومن أبواب الشفاعة التوسط لشخص لكي يعمل في عملٍ، أو يوظَّف في وظيفة من الوظائف، فهذه الوساطة محمودة، والوسيط مأجور إذا كان يشفع في وظيفة غير مشبوهة ولا محرمة، وكذلك إذا لم يكن المشفوع فيه لن يأخذ حقَّ أحد، ولن يتقلد منصبًا ليس له بكفؤٍ، وأن لا ترجع الشفاعة بضررٍ على أحدٍ من المسلمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري حديث (٦٧٨٨)، ومسلم حديث (١٦٨٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود حديث (٣٥٩٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.
وقد رأى بعض أهل العلم أن الشفاعة في الحدود جائزة ما لم تبلغ السلطان، فإذا بلغت السلطان، فلا شفاعة حينئذٍ. انظر: «سنن البيهقي» (٨/ ٣٣).

(٣) كما نقل ذلك عنه الحافظ (١٠/ ٤٦٦).

التعفف عما في أيدي الناس

وهذا باب عظيم لجلب محبة الناس، فالزهد فيما بأيديهم يُحببهم فيك، ويرفع من شأنك عندهم، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس فيحملهم على ازدرائك، بل والسخرية منك واحتقارك فالناس يحبون من يعطيهم(١)، ومن ثمَّ جاءت النصوص تحث على التعفف وقصر النظر عما في أيدي الناس.

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

❐ وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

❐ وقد ورد حديث في إسناده مقال: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبّكَ النَّاس**».

❐ وفي «الصحيحين»(٣) من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ

---

(١) نعم، فالناس يحبون من يعطيهم ولا يوقرون من يأخذ منهم، وذلك أن الناس جبلوا على حب المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٠]، فإذا نازعت الناس فيما يحبون كرهوك واستثقلوك.

(٢) البخاري حديث (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) البخاري حديث (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٣).

رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**»[1]، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ.

❏ وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[2]: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**».

❏ وقال النبي ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**»[3].

❏ وقد قال النبي ﷺ[4]: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ[5]؛ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**».

---

(١) وفي «صحيح مسلم» (١٠٣٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا: «...**وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ**».

(٢) مسلم حديث (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٣) مسلم في «صحيحه» حديث (١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) العرض: هو ما ينتفع به من متاع الحياة الدنيا.

أي: ليس الغني بما أوتي الشخص من عرض الحياة الدنيا وأحوالها ومتاعها، فمهما أوتي ابن آدم - إذا كانت نفسه لا تشبع - لا يُعدُّ غنيًّا ما دام لم يقنع بما آتاه الله، فهو دائم التطلع، أما إذا كانت نفسه قانعة راضية دائمًا، فهذا هو الغني إذ ليس له حاجة فيما في أيدي الآخرين، والله أعلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَغَنِيُّ النَّفْسِ الَّذِي لَا يَسْتَشْرِفُ إِلَى الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ الْحُرَّ عَبْدٌ مَا طَمِعَ، وَالْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ، وَقَدْ قِيلَ: أَطَعْت مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي، فَكَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَ نَفْسَهُ مَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ لِئَلَّا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ فَقْرٌ وَطَمَعٌ إِلَى الْمَخْلُوقِ؛ فَإِنَّهُ خِلَافُ التَّوَكُّلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَخِلَافُ غِنَى النَّفْسِ»[١].

❐ وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ، أَوْ مَنَعَهُ**».

❐ وفي «صحيح البخاري»[٣] من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ، أَوْ مَنَعُوهُ**».

❐ وفي «سنن أبي داود»[٤] بإسناد صحيح من حديث سَمُرَةَ بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ[٥] بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ،**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٢٩).

(٢) البخاري حديث (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢).

(٣) البخاري حديث (١٤٧١).

(٤) أبو داود حديث (١٦٣٩).

(٥) فالعمل ليس بعيب، إنما المذموم مدّ الرجل يده للناس، وأن يجعل يده هي السفلى دائمًا =

. . . .

= وهو مستطيع للكسب والارتزاق بإذن الله.
وها هم أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم وأهل الفضل، وأهل الصلاح كانوا يعملون ويرتزقون.
فما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم كما قال رسول الله ﷺ، قالوا: وَأَنْتَ يا رسول الله؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**». (أخرجه البخاري حديث (٢٢٦٢).
وقد كان زكريا ﷺ نجارًا، كما قال النبي ﷺ، وأخرجه مسلم في «صحيحه» حديث (٢٣٧٩).
وأيضًا قال الله لداود ﷺ: ﴿أَعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: الآية ١١].
وها هو سليمان النبي الكريم يقف متفقدًا الطير وسائلًا عن المتخلف منهم فيقول: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النّمل: الآية ٢٠].
وأيضًا يراقب الجن وهي تعمل وهو متكئ على عصاه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: الآية ١٤].
وقد أوحى الله تعالى إلى نوح ﷺ: ﴿أَصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: الآية ٢٧].
وقال الله جل ذكره: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٠].
وقال عمر رضي الله عنه: «أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ».
وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالأَسْوَاقِ». البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).
وكان خباب بن الأرت يعمل قَيْنًا (أي: حدادًا). أخرجه البخاري (٢٢٧٥)، ومسلم مع النووي (١٧/ ١٣٨).
وأرسل النبي ﷺ إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه، مسلم (٢٢٠٧).
وقال الله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمّل: الآية ٢٠].
وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «دلوني على السوق». البخاري (٢٠٤٩).
وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: الآية ١٥].
وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ١٠].
وكان أبو مسعود البدري يحمل على ظهره ويأتي بمال يتصدق به لما نزلت آية الصدقة. البخاري حديث (١٤١٥)، ومسلم (٧/ ١٠٥). =

فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا».

□ وأخرج أبو داود(١) من حديث ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟**»، فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.

□ وفي «الصحيحين»(٢) من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

□ وأخرج الإمام أحمد(٣) بإسناد صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُ فُلَانًا يَقُولُ خَيْرًا، ذَكَرَ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُ دِينَارَيْنِ، قَالَ: «**لَكِنْ فُلَانٌ لَا يَقُولُ ذَلِكَ، وَلَا يُثْنِي بِهِ، لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْمِائَةِ** ، أَوْ قَالَ: **إِلَى الْمِئَتَيْنِ - وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَسْأَلُنِي الْمَسْأَلَةَ، فَأُعْطِيهَا إِيَّاهُ، فَيَخْرُجُ بِهَا مُتَأَبِّطُهَا، وَمَا هِيَ لَهُمْ إِلَّا نَارٌ**».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلِمَ تُعْطِيهِمْ؟ قَالَ: «**إِنَّهُمْ يَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُونِي، وَيَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلَ**».

□ وفي «صحيح مسلم»(٤) من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ

= إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب، وكلها تدل على أن الأنبياء، وأهل الفضل والصلاح كانوا يلتمسون أبواب الرزق ويطرقونها ويتقون مسألة الناس - بل كانوا يتصدقون - فقد علموا أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

(١) **إسناده صحيح**: وله طرق عن ثوبان، وهو عند أبي داود (١٦٤٣).

(٢) البخاري حديث (١٤٧٤)، ومسلم حديث (١٠٤٠).

(٣) «المسند» (٣/ ١٦).

(٤) مسلم حديث (١٠٤٣).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟**»، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ**»، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ**».

قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا** - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.

□ وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً(٢)، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ(٣)، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ(٤) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ(٥)** ....

---

(١) الحديث عند مسلم حديث (١٠٤٤).

(٢) تحملت حمالة: الحمالة هي المال الذي يتحمله الإنسان، أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين: كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك.

(٣) حتى يصيبها ثم يمسك: أي: إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين، ثم يمسك نفسه عن السؤال.

(٤) ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله: قال ابن الأثير: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأمور وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة، واجتاحت أي: أهلكت.

(٥) قوامًا من عيش: أي: إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة.

أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ[١] - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ[٢] حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ[٣] لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا[٤] يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».

أما إذا جاءك مالٌ من شخص، وكان مصدره حلالًا، وليس برشوة في الدين، ولم تكن نفسك مشرفة متطلعة لهذا المال، فحينئذٍ يجوز لك أخذه، بل يستحب لما في «الصحيحين»[٥] من حديث عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: **«خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ، وَلَا سَائِلٍ[٦] فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ».**

---

(١) سدادًا من عيش: القوام والسداد، بمعنى واحد، وهو ما يغني من الشيء، وما تسد به الحاجة، وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد، ومنه: سداد الثغر، وسداد القارورة، وقولهم: سداد من عوز.

(٢) فاقة: أي: فقر وضرورة بعد غنى.

(٣) حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: هكذا هو في جميع النسخ: حتى يقوم ثلاثة، وهو صحيح: أي: يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته فاقة، والحجا مقصور، وهو العقل، وإنما قال ﷺ: **«من قومه»**؛ لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة، فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه.

(٤) سحتًا يأكلها صاحبها: هكذا هو في جميع النسخ: «سحتًا»، وفيه إضمار، أي: أعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا، والسحت: هو الحرام، قال ذلك النووي.

(٥) البخاري حديث (١٥٧٣)، ومسلم حديث (١٠٤٥).

(٦) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٢٨): فالسائل بلسانه وهو ضد التعفف، والمشرف بقلبه وهو ضد الغنى.

أما إذا كنت تظن أن مصدر المال حرام فلا تقبله حينئذٍ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: والتحقيق في المسألة أن من علم كون ماله حلالا فلا ترد عطيته، ومن علم كون ماله حرامًا فتحرم عطيته، ومن شك فيه فالاحتياط رده وهو الورع، ومن أباحه أخذ بالأصل، قال ابن المنذر: واحتج من رخص فيه بأن الله تعالى قال في اليهود: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: الآية ٤٢]، وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك، وكذلك أخذ الجزية منهم مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والمعاملات الفاسدة.

❐ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من طريق ابْنِ السَّاعِدِيِّ الْمَالِكِيِّ أَنَّهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهَا وَأَدَّيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعُمَالَةٍ، فَقُلْتُ: إِنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ وَأَجْرِي عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: خُذْ مَا أُعْطِيتَ، فَإِنِّي عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَمَّلَنِي، فَقُلْتُ: مِثْلَ قَوْلِكَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ**».

وانظر إلى أثر التعفف عما في أيدي الناس وإكرام الله للعفيف، فهذا عبد الرحمن بن عوف يقدم إلى المدينة فيؤاخي الرسول ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع فيعرض عليه سعد إحدى زوجتيه، وأن يُشاطره ماله فيتعفف عبد الرحمن عن هذا، فما هي إلا أيام حتى يأتي عبد الرحمن وعليه أثر صفرة وقد تزوج، ثم بعد ذلك يصبح ابن عوف من كبار الأثرياء.

---

(١) «الفتح» (٣/ ٣٩٦).

(٢) مسلم (٧٢٢).

□ أخرج البخاري[(١)] من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأُزَوِّجُكَ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ فَمَكَثْنَا يَسِيرًا - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ - فَجَاءَ، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**»، قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - قَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**».

وكما أسلفنا فشاء الله أن يكون عبد الرحمن بن عوف من الأثرياء.

□ فعند ابن أبي عاصم في «السنة»[(٢)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي**»، قَالَ: فَبَاعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ حَدِيقَةً بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَسَمَهَا فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ.

وإسناده حسن لشواهده.

□ ومن شواهده ما أخرجه الترمذي[(٣)] من حديث عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ**».

قَالَ: ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ: فَسَقَى اللَّهُ أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ، تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَوْفٍ وَقَدْ كَانَ وَصَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَالٍ بِيعَتْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا.

---

(١) البخاري حديث (٢٠٤٩).

(٢) ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤١٤).

(٣) الترمذي (٣٧٤٩)، وانظر سائر الشواهد في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (تأليفي).

وها هو أيضًا أبو مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نزلت آية الصدقة يذهب إلى الأسواق فيحمل على ظهره، ويأتي بالأجور يتصدق بها، وما هي إلا مدة يسيرة حتى أصبح أبو مسعود من الأثرياء:

❏ فأخرج البخاري(١) من طريق شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى وَعَمَّارٍ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: مَا مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ فِيهِ غَيْرَكَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْكَ شَيْئًا مُنْذُ صَحِبْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَعْيَبَ عِنْدِي مِنِ اسْتِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ عَمَّارٌ: يَا أَبَا مَسْعُودٍ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْكَ وَلَا مِنْ صَاحِبِكَ هَذَا شَيْئًا مُنْذُ صَحِبْتُمَا النَّبِيَّ ﷺ أَعْيَبَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمَا فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ - وَكَانَ مُوسِرًا -: يَا غُلَامُ، هَاتِ حُلَّتَيْنِ، فَأَعْطَى إِحْدَاهُمَا أَبَا مُوسَى وَالْأُخْرَى عَمَّارًا، وَقَالَ: رُوحَا فِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ.

❁ ومن عجيب أمر بعض الناس أنهم يخرجون في أسفارهم بدون زاد ويزعمون أنهم متوكلون على الله، ثم هم يسألون الناس ويمدون الأيدي!!

❏ أخرج البخاري في «صحيحه»(٢) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ، وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧](٣)

---

(١) البخاري حديث (٧١٠٥، ٧١٠٦، ٧١٠٧).

(٢) البخاري حديث (١٥٢٣)، وعقبه بقوله: رواه ابن عيينة عن عكرمة مرسلًا لكن قد أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله، انظر: «فتح الباري» (٣/ ٣٨٤).

(٣) قال فريق من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧]، أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك.

حقًّا إنهم بشر

والمؤمنون بشرٌ يصدر منهم ما يصدر من البشر.

فأبوهم آدم عليه السلام عصى فعصت ذريتُه، وجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته!

خلقوا ضعفاء كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٨].

فإذا صدر من أحدهم زلة فلا تسقطه تمامًا بهذه الزلة، بل اعرف له فضله ومنزلته ومكانته، وأعنه على أن يُصلح نفسه ويقيل عثرته!!

فهاهم أصحاب رسول الله ﷺ خير الناس، وخير أمة أُخرجت للناس، وخير قرنٍ من القرون، ومع ذلك صدرت منهم هفواتٌ وزلاتٌ، لكن هذه الهفوات والزلات لم تخرجهم من عداد أهل الفضل والصلاح، ولم تزحزحهم عن طريق المتقين، بل هي هفوات مغمورة في بحور فضائلهم ومحيط مناقبهم.

ها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا تعرف أم المؤمنين خديجة، ولم ترها ولم تعاشرها، ومع ذلك تأخذها الغيرة منها وتحملها هذه الغيرة على أن تتكلم فيها.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا.

---

(١) البخاري (٣٨١٧)، ومسلم (٢٤٣٥).

❐ وتقول أم المؤمنين عائشة[(١)]: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَالَةَ**»، قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا.

فانظر إلى وصفها لأم المؤمنين خديجة بقولها: عجوز من عجائز قريش!

وانظر كذلك إلى قولها: حمراء الشدقين - أي: عجوز كبيرة جدًّا حتى إن أسنانها قد سقطت من الكبر، ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيهما حُمرة لثاتها.

❐ وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نفسها من أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه شيءٌ[(٢)]، فلما ذكرت وفاة رسول الله ﷺ ومرض موته قال: فخرج النبي ﷺ يُهادى بين رجلين: بين عباس ورجلٍ آخر!!

فسبحان الله كيف أضربت عن ذكر عليٍّ! وهي تعرف عليًّا رضي الله عنه تمام

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٣٧).

(٢) ظني - والله أعلم - أن هذا الشيء منذ حديث الإفك، فأم المؤمنين عائشة كانت تتوقع من علي رضي الله عنه دفاعًا قويًّا عنها أمام أهل الإفك، ودفاعًا قويًّا عنها لما استشار رسول الله ﷺ، فصدر من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقل من الذي توقعته عائشة مع عشمها الزائد فيه، فتأثرت رضي الله عنها ممن تتوقع منه مزيد دفاع، يوضح ذلك ما ورد في حديث الإفك، كما عند البخاري (٤١٤١):

وفيه قالت (أي: عائشة): وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا، وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

المعرفة حتى قال ابن عباس للتابعي: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ إنه عَلِيٌّ[1].

❐ وها هي أم المؤمنين عائشة أيضًا لا تريد أن يتشاءم الناس بأبيها بعد رسول الله ﷺ، فتُعَلِّلُ امتناعها من إبلاغ أبي بكر بالصلاة بالناس لما قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[2]، تتعلل بقولها: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ.

وهي في الحقيقة كما أشارت[3] أرادت أن لا يتشاءم الناس بأبي بكر بعد رسول الله ﷺ.

❐ وها هو سعد بن عبادة رضي الله عنه مع فضله وكرمه وصلاحه تحتمله الحميةُ في حديث الإفك[4]، فيقول قولًا غير لائقٍ به وبفضله وبمنزلته، ففي حديث الإفك قالت عائشة رضي الله عنها: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤٤٣)، ومسلم حديث (٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: (راوي الحديث عن عائشة رضي الله عنها)، فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَلِيٌّ.

(٢) البخاري حديث (٦٧٨)، ومسلم حديث (٤٢٠).

(٣) في «صحيح مسلم» (ص٣١٣) من حديثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا، وَإِلاَّ أَنِّي كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إِلاَّ تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ.

(٤) البخاري حديث (١٤١٤)، ومسلم مع النووي (١٧/ ١٠٢).

عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ - وَهْوَ عَلَى الْمِنْبَرِ - فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»**، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ - فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ - وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ وَهْوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهْوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ.

❐ وأخرج البخاري[(١)] من حديث جَابِرٍ رضي الله عنهما سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»**، فَقَالَ رَجُلٌ لِجَابِرٍ: فَإِنَّ الْبَرَاءَ يَقُولُ: اهْتَزَّ السَّرِيرُ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ ضَغَائِنُ! سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»**.

فانظر كيف تسرب إلى البراء القولُ بأن الذي اهتز هو السرير، وليس العرش، وذلك للضغائن التي كانت بين الحيين الأوس والخزرج!!

فأراد الخزرجيون صرف الفضيلة عن سيد الأوس، وقالوا: إن الذي اهتز هو السرير وليس العرش، وتسرب هذا القول إلى البراء فحكاه رجلٌ عنه؟!!

فقام جابر رضي الله عنه بالدفاع عن فضل سعد بن معاذ مع أن جابرًا رضي الله عنه خزرجي، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»!!**

---

(١) البخاري حديث (٣٨٠٣)، وأخرجه مسلم مختصرًا حديث (٢٤٦٦).

□ وانظر إلى هذه الرواية التي يرويها المقداد عن نفسه وتأملها، فقد رواها مسلم[١] عن المقداد قال: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ[٢]، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا[٣]، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ[٤]، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي[٥]، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ، فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ

---

(١) مسلم حديث (٢٠٥٥).

(٢) الجهد: بفتح الجيم، وهو الجوع والمشقة.

(٣) فليس أحد منهم يقبلنا: هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به.

(٤) ما به حاجة إلى هذه الجرعة: هي بضم الجيم وفتحها، حكاهما ابن السكيت وغيره، والفعل منه جَرِعتُ.

(٥) وغلت في بطني: أي: دخلت وتمكنت منه.

فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ.

فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ(١)، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ(٢) فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِحْدَى سَوْآتِكَ**(٤) **يَا مِقْدَادُ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا

---

(١) حافلة: الحفل في الأصل: الاجتماع: قال في «القاموس»: الحفل والحفول والحفيل: الاجتماع، يقال: حفل الماء، واللبن حفلًا وحفولًا وحفيلًا، إذا اجتمع، وكذلك يقال: حفله إذا جمعه، ويقال: للضرع المملوء باللبن: ضرع حافل، وجمعه: حُفَّل، ويطلق على الحيوان كثير اللبن: حافلة: بالتأنيث.

(٢) رغوة: هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرها، ثلاث لغات مشهورات، ورغاوة بكسر الراء، وحكي ضمها، ورغاية بالضم، وحكي الكسر، وارتغيت شربت الرغوة.

(٣) فلما عرفت. . . إلخ: معناه: أنه كان عنده حزن شديد خوفًا من أن يدعو عليه النبي ﷺ؛ لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرض لأذاه، فلما علم أن النبي ﷺ قد روي وأجيبت دعوته فرح، وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه، لذهاب ما كان به من الحزن، وانقلابه مسرورًا بشرب النبي ﷺ وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه، وجريان ذلك على يد المقداد، وظهور هذه المعجزة.

(٤) إحدى سوءاتك: أي: أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي؟

وَكَذَا، وَفَعَلْتُ كَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ**[(١)]، **أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا**»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ.

كان بعضهم يحب المال ويجتمع له:

قال الله تعالى في أصحاب نبيه ﷺ الذين شهدوا أحدًا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٢].

□ وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] رحمهما الله من حديث عمرو بن عوف أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم**».

❃ وانظر إلى هذه الواقعة وتبيَّن ما فيها:

□ أخرج الإمام أحمد[(٣)] بإسناد صحيح من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى

---

(١) ما هذه إلا رحمة من الله: أي: إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته، وإن كان الجميع من فضل الله، قاله عبد الباقي نقلًا عن النووي.

(٢) البخاري حديث (٥/ ٤٠)، ومسلم حديث (٢٩٦١).

(٣) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٨)، وانظر مزيدًا من تخريجه في كتابنا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

مَجْلِسٍ، وَهُمْ يَتَنَاوَلُونَ مِنْ عَلِيٍّ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي نَفْسِي عَلَى عَلِيٍّ شَيْءٌ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ كَذَلِكَ، فَبَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ عَلَيْهَا عَلِيٌّ، وَأَصَبْنَا سَبْيًا قَالَ: فَأَخَذَ عَلِيٌّ جَارِيَةً مِنَ الْخُمُسِ لِنَفْسِهِ. فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: دُونَكَ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ جعَلْتُ أُحَدِّثُهُ بِمَا كَانَ، ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ عَلِيًّا أَخَذَ جَارِيَةً مِنَ الْخُمُسِ. قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا مِكْبَابًا قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ تَغَيَّرَ فَقَالَ: «**مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ، فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ**».

❁ بل وقد فرَّ منهم قوم من القتال، بل ومن فضلائهم، ولكن الله قد عفا عنهم:

□ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٥٥].

□ أخرج البخاري[1] من طريق عُثْمَان بْن مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا بْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَحَدِّثْنِي هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ

---

(١) البخاري حديث (٣٦٩٨).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

❁ وقد أقيمت الحدود على عدد منهم: قُطعت أيدي أناس، وجُلدَ أُناس، ورُجم آخرون.

❁ بل وبعضهم قد وقع في يمين كذب من أجل عَرَضٍ من أعراض الحياة الدنيا الفانية:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٦، ١٠٧]، جاء في تفسيرها وفي سبب نزولها ما يلي:

❐ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ[1]: وَقَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ،

---

(١) البخاري حديث (٢٧٨٠)، وأبو داود (٣٦٠٦)، والترمذي (٣٠٦٠).

فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ فَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وُجِدَ الْجَامُ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَحَلَفَا لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَإِنَّ الْجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦].

❋ وهؤلاء أيضًا أهل فضل وخير وصلاح صدرت منهم أمور:

❐ فأبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي قال عنه رسول الله ﷺ[(١)]: «**مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**».

أبو ذر يسبُّ رجلًا فيعيره بأمِّه فيقول له الرسول ﷺ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، قَالَ: قُلْتُ: عَلَى حَالِ سَاعَتِي مِنَ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

وها هو الحديث بذلك، أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي: «**أَسَابَبْتَ فُلَانًا؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ؟**»، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ، قَالَ: «**نَعَمْ**».

وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أفضل هذه الأمة، وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، يغاضب الأضياف ويقول لهم: كُلوا لا هنيئًا، ويسبُّ ولده، وينال منه غاية النيل لتقصيره في حق الأضياف.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٢) عن أبي الدرداء بإسناد صحيح لغيره، وانظر: «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي حديث (٢٠٩).

(٢) البخاري حديث (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

□ أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فُقَرَاءَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَلَاثَةٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ**»، أَوْ كَمَا قَالَ. وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلَا أَدْرِي هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ، - أَوْ قَالَتْ - ضَيْفِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئًا، وَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَايْمُ اللَّهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، قَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِرَارٍ، قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي يَمِينَهُ - ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ، فَمَضَى الْأَجَلُ، فَعَرَّفْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

□ **وأبونا آدم** عليه السلام، ومعه زوجته أمنا حواء عليها الصلاة والسلام يخدعها

(١) البخاري (٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم حديث (٢٠٥٧).

إبليس بالأماني الكاذبة، ويقول له: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٠].

فيطمع آدم عليه السلام في الخلود، ثم يقسم له إبليس على صحة كذبه ومُدَّعاه، كما قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢١].

فيُقدم آدم وزوجته على الأكل من الشجرة، كما قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: الآية ١٢١].

وكما قال سبحانه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: الآية ٢٢].

فهكذا فعل آدم وزوجه عليهما السلام طمعًا في الخلود في الدنيا!!

وذريتهما كذلك، قال النبي ﷺ: «**يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ، وَطُولُ الْعُمُرِ**»(١).

□ وفي «الصحيحين» من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ**»(٢).

□ **ونوحٌ** ﷺ تأخذه الشفقة على ولده؛ إذ هو والد، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: الآية ٤٥]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: الآية ٤٦].

□ **وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام**، يقول فيه الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا

---

(١) البخاري حديث (٦٤٢١)، ومسلم حديث (١٠٤٧) من حديث أنس.

(٢) البخاري حديث (٦٤٢٠)، ومسلم حديث (١٠٤٦).

ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هُود: الآية ٧٤].

❐ **ويوسف** ﷺ يقول للسجين: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤٢].

وإخوته قبل ذلك يقولون: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يُوسُف: الآية ٨].

❐ **وموسى الكليم عليه الصلاة والسلام**: «ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه».

ومع أن الخضر قال له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٠].

ووعده موسى ذلك بقوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩]، ومع ذلك يقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧١]، فيأخذها عليه الخضر ويذكره بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٢]، ثم يقع في نفسه ما وقع فيه، ويقول للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٤].

فيقول الخضر مُذكرًا للمرة الثانية، ومشتدًا في التذكير: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٥].

فيقول موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٦]، ثم يسأل موسى أيضًا بعد ذلك ويعقب بقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٧].

❐ **بل ونبيُّنا صلوات ربي وسلامه عليه** سيد الناس يوم القيامة[1] وأول

---

(١) البخاري حديث (٣٣٤٠)، ومسلم حديث (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

شافع وأول مشفع(١)، وأول من يدخل الجنة عليه الصلاة والسلام(٢)، وصاحب المقام المحمود(٣)، والحوض المورود، يقول الله ﷻ في شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: الآية ١١٠].

❑ ويقول هو عن نفسه عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ**»(٤).

---

(١) أخرج مسلم حديث (٢٢٨٧) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

(٢) أخرج مسلم حديث (١٩٧) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

(٣) قال الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩].
وأخرج البخاري (٤٧١٨) من حديث ابْنَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ، اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

(٤) أخرج مسلم (٢٦٠٣) من حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «**آنْتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ لاَ كَبِرَ سِنُّكِ**»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ، قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنِّي، فَالآنَ لاَ يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ قَرْنِي[١] - فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا[٢] حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي، قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**»، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلاَ يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، =

---

[١] قرني: قال القاضي: السن والقرن واحد، يقال: سنه وقرنه، مماثله في العمر، فكأنه قال لها: لا طال عمرك؛ لأنه أصل قرنها.

[٢] تلوث خمارها: أي: تديره على رأسها.

❐﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾.

فحقًّا إن الجميع بشرٌ يعتريهم ما يعتري البشر، فإذا كان أهل الفضل والصلاح أولو العزم من الرسل وسائر الأنبياء، ثم أهل العلم والفضل والصلحاء يعتريهم ما يعتري البشر، فغيرهم من أهل الإيمان من باب أولى، ثم غيرهم من عموم الناس من باب أولى وأولى.

❐ فالناس يحبون من أحسن إليهم، ويكرهون من يسيء إليهم!

❐ يحبون من يسترهم! ويكرهون من يفضحهم!

❐ يحبون المشفق عليهم، ويكرهون الجلف الجافي الغليظ!

❐ يحبون من يتمنى لهم الخير، ويكرهون من يتمنى لهم الشر!

❐ يحبون من يدعو لهم، ويكرهون من يحسدهم!

❐ يحبون المتواضع لهم، ويكرهون المتعالي المستكبر عليهم!!

❐ يحبون من وصلهم وواساهم، ويكرهون من قطعهم وعاداهم!

❐ يحبون من يهدي لهم ويُسلم عليهم، ويكرهون ويبغضون من يسرقهم ويجفوهم!

❐ يحبون من يثني عليهم، ويكرهون من يذمُّهم!

❐ يحبون من يذكرهم بما فيهم من خير وصلاحٍ، وبما في آبائهم من ذلك الخير والصلاح!

= ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْم، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي» ، فَقُلْتُ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

❏ فعلى الشخص أن يتعامل مع الناس على ما تقتضيه بشريتهم، فلهم طاقات وقدرات، ولهم مشاعر وأحاسيس، ويحتاجون إلى جبر الخاطر، ويحتاجون إلى دفع الشكوك عنهم وتطييب نفوسهم، وإقالة عثراتهم، وستر عوراتهم.

فعليك برحمة العباد، وعليك بالستر عليهم، وعليك بإقالة عثراتهم، وعليك بإنزالهم منازلهم.

جبر الخواطر وتطييبها

وجبر خواطر الناس التي كُسرت باب طيب من أبواب المواساة وتخفيف المصائب عن العباد، وله أدلته من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، ومن الأدلة عليه ما يلي:

❏ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: الآية ٨].

وذلك عند قسمة الميراث إذا حضر القسمة الأقارب والفقراء والمساكين الذين لا حظَّ لهم في الميراث، ولا مال لهم، فطيِّب خاطرهم بجزء من المال أو جزء من التركة تعطيهم إياه يبارك الله لك ويعوضك الله خيرًا ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩].

فيا ليت الناس ينتبهون عند تقسيم الميراث لمثل هذا الأدب الكريم!

❏ ومن باب جبر الخاطر أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٤١].

فخاطر المطلقة مكسور لكونها طُلِّقت، فعوِّض هذا الكسر بشيء من المال تخفيفًا عن أحزانها.

❏ **وذكر بعض أهل العلم أن خاطر إبراهيم** ﷺ قد جُبر، لما أصابه ما أصابه من قلة المؤمنين به، ومن قذفه في النار إلى غير ذلك جُبر خاطره بأن جعل الله كلمة التوحيد في عقبه، وجعل الرسل من بعده من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: الآية ٢٨].

❏ **وكذلك جبر خاطر يوسف** ﷺ لما ألقي في غيابات الجب، ألقاه إخوته، ثم دخل السجن بعد اتهامه وهو بريء - جبر خاطره مع من تسببت في سجنه فقالت: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

❏ **وكذلك جبر خاطره مع إخوته** الذين ألقوه في البئر لما جاءوا ذليلين منكسرين قائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: الآية ٨٨].

❏ **ومن جبران الخاطر أيضًا**: ما أخرجه أحمد والترمذي[(١)] من حديث بريدة رضي الله عنه بإسناد صحيح أَنَّ أَمَةً سَوْدَاءَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ صَالِحًا أَنْ أَضْرِبَ عِنْدَكَ بِالدُّفِّ. قَالَ: «**إِنْ كُنْتِ فَعَلْتِ فَافعَلِي، وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَفعَلِي فَلَا تَفْعَلِي**». فَضَرَبَتْ... الحديث.

❁ نماذج أخر من تطييب الخواطر:

وإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا أو تمنع آخر من شيء فكلِّل ذلك بالكلمات الطيبة، وليكن منعك أو عطاؤك مصحوبًا بالخُلُقِ الحسن والثناء الجميل:

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦)، والترمذي (٣٦٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة.

□ فالله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

□ وانظر إلى الكلمات الطيبة والثناء العطر وجبر الخاطر في حديث رسول الله ﷺ لأصحابه الثلاثة الكرام لما قضى بينهم في شأن ابنة حمزة، كما في «صحيح البخاري»[1] من حديث الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ... فذكر الحديث، وفيه: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمِّلِيهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ.

قَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهْيَ بِنْتُ عَمِّي.

وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي.

وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**».

وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ**».

وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**».

وَقَالَ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا**».

فانظر إلى تطييب الخاطر في قوله عليه الصلاة والسلام: «**أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ**»!

وفي قوله ﷺ لِجَعْفَرٍ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»!!

(١) البخاري حديث (٤٢٥١).

وفي قوله ﷺ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا**»!!

☐ ويأتي الخصمان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في قضية ذات أهمية فبين يدي الحكم يطمئنهما ﷺ بقوله: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ**»(١)!! وهذا حتى تطمئن قلوبهما ويعلمان أن الحكم

---

(١) البخاري حديث (٦٨٢٨)، ومسلم حديث (١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلاَّ قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ[١]، فَقَالَ الْخَصْمُ الآخَرُ، وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ[٢]: نَعَمْ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ**»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا[٣] عَلَى هَذَا[٤]، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ[٥] مِنْهُ بِمِئَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ**[٦].. =

---

[١] أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله: معنى أنشدك: أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي، وقوله: بكتاب الله، أي: بما تضمنه كتاب الله.

[٢] وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه، ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها، ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحُجرَات: الآية ١]، بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك الله، فإنه من جفاء الأعراب.

[٣] عسيفًا: العسيف هو الأجير، وجمعه عسفاء، كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

[٤] على هذا: يشير إلى خصمه، وهو زوج مزنية ابنه، وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور، فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

[٥] فافتديت: أي: أنقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية: وكأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

[٦] «**الوليدة والغنم رد**»: أي: مردودة، ومعناه: يجب ردها إليك، وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

إنما هو حكم الله فيستقبلانه بالرضا والطاعة، وإن لم يكن هذا القسم بمطرد لكن إن احتيج إليه فُعل.

❋ وهكذا تعلَّم من النبي ﷺ أصحابه ﷺ فيقضون بالحق الذي يرونه ويطيبون الخواطر:

◻ **وها هو أبو بكر** رضي الله عنه: ترسل إليه فاطمة رضي الله عنها تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، وأبو بكر قد سمع حديث النبي ﷺ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»، فيقول أبو بكر رضي الله عنه: . . . وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. . . فمع هذا الحكم، والقضاء من أبي بكر رضي الله عنه إلا أنه يتبعه بالقول الطيب الذي قاله لعلي رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي(١)!!!

= **وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، واغْدُ يَا أُنَيْسُ**[١] **إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**»، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَتْ.

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ.
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ** - يَعْنِي مَالَ اللهِ - **لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ**». وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ =

[١] «واغد يا أنيس»: قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيعرفها بأن لها عنده حد القذف، فتطالب به أو تعفو عنه، إلا أن تعترف بالزنى، فلا يجب عليه حد القذف، بل يجب عليها حد الزنى وهو الرجم؛ لأنها كانت محصنة. فذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنى، فأمر النبي ﷺ برجمها، فرجمت، ولابد من هذا التأويل؛ لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حد الزنى، وهذا غير مراد، لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقر به الزاني استحب أن يلقَّن الرجوع.

□ **وها هو أمير المؤمنين عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطيب خاطر ولده عبد الله بن عمر، لكن ليس على حساب الحق، فلما جاءه الناس، وهو بين يدي الموت لما طُعن فقالوا: «أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ...»[(١)].

فابن عمر فقط إنما يشهد مجلس اختيار بعد عمر، وذلك نوع من أنواع المواساة له؛ ولكن ليس له من الأمر شيء؛ ذلك لأن هناك من أهل الفضل وأهل السبق إلى الإسلام، وأهل البذل والعطاء والفداء من هو أحق منه، فهو وإن كان ابن عمر لكن ليس له من الأمر شيء، هكذا قال عمر العادل المنصف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

□ **وانظر إلى الاعتذار المُكلل بالمودة والمحبة**، لكنه اعتذار عن القتال اعتذارٌ صدر من أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان من أمر الحروب بين عليٍّ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما كان، وكان عليٌّ يلوم من تخلف عن القتال معه ضد معاوية، وكان من الذين أمسكوا عن الاشتراك في المعارك أسامة بن زيد، وأسامة هو أسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ فهو متداخل مع آل بيت رسول الله ﷺ، فلا جرم أن يجد عليٌّ في نفسه شيئًا تجاه أسامة لتخلفه عن

= شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.
فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَقَّهُمْ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي.

(١) البخاري حديث (٣٧٠٠).

الاشتراك معه في القتال، أما أسامة في نفسه فقد كان قتل رجلًا في المعارك بعد أن قال الرجل: لا إله إلا الله، فلامه الرسول ﷺ أشد اللوم، وما زالت هذه تحيك في صدر أسامة، يحيك في صدره أن قتل رجلًا بعد أن قال: لا إله إلا الله، فمن ثمَّ اعتذر عن القتال مع عليٍّ رضي الله عنه ضد معاوية ومن معه، فمعاوية رضي الله عنه ومن معه يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، فالشاهد أن أسامة لا يرى الاشتراك في القتال، ولكن كيف اعتذر إلى عليٍّ رضي الله عنه، أرسل إليه يعتذر ويُعلمه أنه من أحب الناس إليه، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء إلا أنه لا يرى قتال المسلم.

❐ ففي «صحيح البخاري»[1] من طريق حَرْمَلَةَ قَالَ: أَرْسَلَنِي أُسَامَةُ إِلَى عَلِيٍّ، وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الْآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الْأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ!!

❐ فاجتهد يا عبد الله في أن تجبر كل خاطرٍ قد كُسر إما بكلمة طيبة أو بهدية أو بزيارة في الله أو بأي نوع تراه سببًا في تخفف المصائب عن إخوانك وجبر خواطرهم، وانتقِ الألفاظ الجميلة واختر العبارات الطيبة عند الاعتذار ولك في ذلك الأجر والثواب، والله لا يضيع أجر المحسنين.

* * *

(١) البخاري حديث (٧١١٠).

مراعاة أحاسيس الناس ومشاعرهم وقدراتهم

وللناس أحاسيس ومشاعر وقدرات يجب أن تُراعى، وتوضع في الاعتبار عند التعامل معهم، وقد جاء من الأدلة على ذلك ما لا يكاد يُحصى، فعليك أخي الكريم أن تراعي هذا، ففيه النفع لك في دينك وفي دنياك وفي معاملتك مع الناس.

وها هي طائفة من الأدلة في هذا الباب، والحمد لله على نعمة الإسلام، ذلك الدِّين الذي يكفل لك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة إن تمسكت به وامتثلت شرائعه:

❐ أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث مَالِك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ**...» الحديث.

فانظر إلى مراعاة رسول الله ﷺ لأحوال الشباب، ونظره ﷺ في حالهم وفطنته صلوات الله وسلامه عليهم لاشتياقهم إلى أهليهم فمن ثم أمرهم بالرجوع إلى أزواجهم.

❐ ومن هذا قول النبي ﷺ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا**،

(١) البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).

قَالَ: فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ»، أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذا النبي هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في «مسند أحمد» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**».

فهذا النبي الكريم الذي غزا يعرف أن العقد على المرأة مدعاة إلى التفكير فيها وفي جماعها، ومن ثَمَّ أراد أن لا ينشغل أحد المجاهدين بالتفكير في زوجته المعقود عليها، كيف هي؟ ومتى أبني بها؟ ومتى أرجع إليها؟

وكذلك الذي رفع أعمدة بيتٍ يفكر في سقفه متى سيُسقف؟ ومتى سيُسكن؟ فحتى يتفرغ الناس للجهاد وينشغلوا بالقتال، منع النبيُّ خروج من هذه حالُهُ معهم.

❑ **ومن ذلك أيضًا**: قول النبي ﷺ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»[٢].

---

(١) البخاري حديث (٣١٢٤)، ومسلم حديث (١٧٤٧).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٥٦٠)، وأبو داود حديث (٨٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا.

قلت: والأخبثان المراد بهما البول والغائط.

قال الخطابي: إنما أمر النبي ﷺ أن يبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه، فيدخل المصلي في صلاته، وهو ساكن الجأش لا تنازعه نفسه شهوة الطعام فيعجله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها وإيفاء حقوقها، وكذلك إذا دافعه البول فإنه يصنع به نحوًا من هذا الصنيع، وهذا إذا كان في الوقت فضل يتسع لذلك، فأما إذا لم يكن فيه متسع له ابتدأ بالصلاة ولم =

❐ وقوله ﷺ[١]: «إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ».

❐ وفي رواية أخرى في «الصحيحين»[٢]، كذلك من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَابْدَؤُوا بِالْعَشَاءِ، وَلَا يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ».

❐ وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قُدِّمَ الْعَشَاءُ فَابْدَؤُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، وَلَا تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ».

❁ ومن مراعاة أحوال الناس أيضًا:

❐ ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يأمر المؤذن في الليلة الباردة أو المطيرة أن يؤذن فيقول: «أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ»[٤].

❐ أخرج البخاري ومسلم[٥] من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ فِي يَوْمٍ رَدْغٍ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُؤَذِّنُ «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» فَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ: الصَّلَاةُ فِي الرِّحَالِ، فَنَظَرَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: فَعَلَ هَذَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَإِنَّهَا عَزْمَةٌ.

❐ وفي «الصحيحين»[٦] أيضًا من طريق نَافِعٍ قَالَ: أَذَّنَ ابْنُ عُمَرَ فِي لَيْلَةٍ

= يعرج على شيء سواها.

(١) أخرجه البخاري (٦٧١)، ومسلم حديث (٥٥٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (٦٧٣)، ومسلم حديث (٥٥٩).

(٣) البخاري حديث (٦٧٢)، ومسلم حديث (٥٥٧).

(٤) الرحال: المراد بها البيوت والمساكن.

(٥) البخاري مع «الفتح» (٢/ ٩٧)، ومسلم مع النووي (٥/ ٢٠٦).

(٦) البخاري مع «الفتح» (٢/ ١١٢)، ومسلم مع النووي (٥/ ٢٠٥).

بَارِدَةٍ بِضَجْنَانَ، ثُمَّ قَالَ: صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ مُؤَذِّنًا يُؤَذِّنُ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى إِثْرِهِ: «**أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ، أَوِ الْمَطِيرَةِ فِي السَّفَرِ**».

ومن ذلك: تصرف النبي ﷺ مع عثمان رضي الله عنه، فلما كان عثمان رجلًا حييا قد يمنعه حياؤه من بيان حاجته، وشرح حالته فمن ثمَّ جمع النبي ﷺ ثيابه وتأهب لاستقبال عثمان رضي الله عنه:

❐ ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث عائشة وعثمان رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ، لَابِسٌ مِرْطَ[٢] عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ، قَالَ عُثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، وَقَالَ لِعَائِشَةَ: «**اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ**»، فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لِي لَمْ أَرَكَ فَزِعْتَ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَمَا فَزِعْتَ لِعُثْمَانَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ**».

❁ ومن ذلك مراعاة النبي ﷺ لغيرة عُمَر:

❐ ففي «الصحيحين» من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَتَيْتُ الْجَنَّةَ، فَأَبصَرْتُ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَلَمْ يَمْنَعْنِي إِلَّا عِلْمِي بِغَيْرَتِكَ**»، قَالَ عُمَرُ

---

(١) مسلم حديث (٢٤٠٢).

(٢) المرط: هو الكساء من الصوف.

ابْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَعَلَيْكَ أَغَارُ[١]!!

❏ **ومن ذلك**: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷞ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ، وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهْيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ»، لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ - وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ - فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ يَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي.

❏ **ومن ذلك**: مراعاة النبي ﷺ لمشاعر عبد الله بن عبد الله بن أُبي ابن سلول لما مات أبوه عبد الله بن أُبي، ففي «صحيح مسلم»[٣] عن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ

(١) البخاري حديث (٥٢٢٦)، ومسلم حديث (٢٣٩٤).
(٢) البخاري حديث (٥٢٢٤).
(٣) البخاري حديث (٥٢٢٤).

يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ**»، **فَقَالَ**:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: الآية ٨٠] **وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ**».

قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: الآية ٨٤].

فعبد الله بن أُبي ابن سلول رئيس المنافقين بالمدينة وكبيرهم، وهو الذي تولى كِبر حديث الإفك، وقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وهو الذي قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: الآية ٨]، وفعل جملة أفاعيل وكبائر، وكان يجبر إماءه على الزنا!

ومع ذلك كله فلما مات جاء ولده إلى رسول الله ﷺ يطلب منه قميصه لوالده الذي مات كي يُكَفَّن فيه، فأعطاه الرسول إياه، وكساه به، ونفث فيه من ريقه.

فولده عبد الله بن عبد الله مؤمن فلم يكسر الرسول ﷺ خاطره، ما دام أنه ليس هناك معصية.

□ **ومن ذلك**: قول النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»(١)، فلماذا لا يُسبُّ الأموات؟!

لأنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا، ولهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا.

---

(١) البخاري حديث (١٣٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولأن في سبهم أيضًا أذى للأحياء من أقاربهم(١)، وإشعالًا للفتن في كثير من الأحيان، إذ الشخص ينتصر لقريبه ولأبيه ولأمه ولأخته وأخيه ولصديقه وحميمه.

إذن فلا فائدة في الباب لما في الباب من جرح للشعور وأذى للأحياء.

ولما قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: الآية ٥١] قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: الآية ٥٢].

لكن إذا كان الميت سنَّ سننًا سيئةً وشرَّع تشريعات باطلةً وأفسد في الأرض، فلابد حينئذٍ من بيان حاله حتى لا يُتَّبع ولا يُتأسى به، وقد ذُكر في كتاب الله فرعون وهامان وقارون، وذُكر أيضًا أبو لهب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: الآية ٨]، وقال سبحانه في شأن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: الآية ٨١]، وفي شأن أبي لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: الآية ١].

□ وقال النبيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنِ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(٢).

□ وأخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ:

---

(١) عند الترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «**لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ**»، وفي إسناده خلاف.

(٢) البخاري (٣٥٢١) عن أبي هريرة، وانظر أيضًا: البخاري (١٢١٢)، ومسلم (ص٦١٩).

(٣) البخاري حديث (١٣٦٧)، ومسلم مع النووي (٧/ ١٨).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩):

وقال القرطبي في الكلام على حديث «وجبت» يحتمل أجوبة:

مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**».

ومن مراعاة المشاعر أيضًا: ترك ذكر ما يتعلق بالجماع أمام محارم الزوجة وأقاربها: وذلك باب من أبواب الحياء ينبغي أن يراعى، وذلك حتى لا تُحرج أقارب الزوجة وتخدش كرامتهم.

= **الأول**: أن الذي كان يحدث عنه بالشر كان مستظهرًا به، فيكون من باب لا غيبة لفاسق، أو كان منافقًا.

ثانيها: يحمل النهي على ما بعد الدفن، والجواز على ما قبله ليتعظ به من يسمعه.

ثالثها: يكون النهي العام متأخرًا، فيكون ناسخًا، وهذا ضعيف.

وقال ابن رشيد ما محصله: أن السب ينقسم في حق الكفار وفي حق المسلمين، أما الكافر فيمنع إذا تأذى به الحي المسلم، وأما المسلم فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك كأن يصير من قبيل الشهادة، وقد يجب في بعض المواضع، وقد يكون فيه مصلحة للميت كمن علم أنه أخذ ماله بشهادة زور ومات الشاهد، فإن ذكر ذلك ينفع الميت إن علم أن ذلك المال يرد إلى صاحبه.

قال: ولأجل الغفلة عن هذا التفصيل ظن بعضهم أن البخاري سها عن حديث الثناء بالخير والشر، وإنما قصد البخاري أن يبين أن ذلك الجائز كان على معنى الشهادة، وهذا الممنوع هو على معنى السب، ولما كان المتن قد يشعر بالعموم اتبعه بالترجمة التي بعده، وتأول بعضهم الترجمة الأولى على المسلمين خاصة، والوجه عندي حمله على العموم إلا ما خصصه الدليل بل لقائل أن يمنع أن ما كان على جهة الشهادة، وقصد التحذير يسمى سبًّا في اللغة.

وقال ابن بطال: سب الأموات يجري مجرى الغيبة، فإن كان أغلب أحوال المرء الخير وقد تكون منه الفلتة فالاغتياب له ممنوع، وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة له، فكذلك الميت. ويحتمل أن يكون النهي على عمومه فيما بعد الدفن، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن ليتعظ بذلك فساق الأحياء، فإذا صار إلى قبره أمسك عنه لإفضائه إلى ما قدم.

❐ ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه كما في «الصحيحين»(١): كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً(٢)، وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**يَغْسِلُ ذَكَرَهُ وَيَتَوَضَّأُ**».

❁ وإذا وجدت مصلحة شرعية في السؤال عما يتعلق بالجماع فلا بأس بالسؤال والاستفسار عن ذلك.

❐ **ومن ذلك**: أن عمرو بن العاص كان يسأل زوجة ابنه عن حالها مع زوجها، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُذْ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**الْقَنِي بِهِ**»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَصُومُ؟**»، قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟**»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَة، قَالَ: «**صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك، قَالَ: «**صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّام فِي الْجُمُعَةِ**»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك، قَالَ: «**أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ، وَصُمْ يَوْمًا**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك، قَالَ: «**صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْم صَوْم دَاوُدَ: صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْم، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً**»، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ؛ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ

---

(١) البخاري حديث (٢٦٩)، ومسلم حديث (٣٠٣).

(٢) مذاءً أي: كثير المذي، والمذي ماء أبيض رقيق لزج يخرج عند شهوة، ولا يخرج متدفقًا ولا يتبعه فتور، ولا تنقضي بخروجه الشهوة، وقد لا يحس الرجل بخروجه، وهو في الرجال والنساء، وقال بعض العلماء: إنه في النساء أكثر.

النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ(١).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ (البخاري): وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلَاثٍ، وَفِي خَمْسٍ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ.

*** وعلى الشخص أن يفهم أساليب الناس وطريقة الخطاب معهم، ومدلولات ألفاظهم ومخارج أقوالهم، وأن يكون قوي الملاحظة في ذلك.**

□ فالله ﷻ يقول في شأن أهل النفاق: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١١٨].

□ ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: الآية ٣٠].

فليس كل أحدٍ يعبر عما في نفسه صراحة، صحيحٌ أن منهم من يصرح بما في نفسه، ومنهم من يكتم ما في نفسه، ويظهر ذلك على وجهه، ومنهم من يكتم ما في نفسه، لكن الألفاظ تخرج رغمًا عنه تنم عما في نفسه من خير أو شرٍّ أو حب أو بغضٍ أو غضب أو ارتياح، فعلى المرء أن يكون قوي الملاحظة في ذلك.

*** فكان الصحابةُ يعرفون الغضب في وجه رسول الله ﷺ:**

□ أخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حُلَّةً سِيَرَاءَ، فَلَبِسْتُهَا فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي.

□ **ومن ذلك**: قول النبي ﷺ لعائشة: «**إِنِّي لأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ**»،

---

(١) البخاري حديث (٥٠٥٢).

(٢) البخاري حديث (٢٦١٤)، ومسلم حديث (٢٠٧١).

قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ.

❐ وفي رواية: «**إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى...**»[١].

فانظر إلى أدب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في التعبير عن غضبها؟!!

نعم، فإنها تتعامل مع من يفهم ويُقدِّر، إنها تتعامل مع سيد ولد آدم، إنها تتعامل مع خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه، يعرف ألفاظها ومدلولات ألفاظها وتعبيرات وجهها وقسمات وجهها.

ألا فانتبه يا عبد الله، واعقل إن كنت تعقل.

❐ **ومن ذلك أيضًا: سؤال سلمان لأم الدرداء عن حالها لما رآها متبذلة**، فسألها عن سبب تبذلها وعدم اهتمامها بملبسها، والحديث في «الصحيح»[٢] من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً[٣]، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ

---

(١) البخاري حديث (٦٠٧٨، ٥٢٢٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٠).

(٢) البخاري حديث (١٩٦٨).

(٣) يظهر أن هذا قبل الحجاب.

الآنَ فَصَلِّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**».

فانظر إلى فهم سلمان وفقه سلمان، وملاحظة سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المرأة (امرأة أبي الدرداء) متبذلة لا تتزين، لا تختضب - لا تكتحل - لا تهتم بثيابها، لم هذا؟ فطن سلمان، وفهم سلمان من قولها: أخوك أبو الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، فنبه سلمانُ أبا الدرداء على هذا، وأقره رسولُ الله ﷺ على تنبيهه لأخيه وعلى إرشاده له.

❋ وللناس قدراتٌ أيضًا يجب أن تُراعيها:

❑ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤].

❑ ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلاَ نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ**

---

(١) مسلم حديث (١٢٥).

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**نَعَمْ**»، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**نَعَمْ**».

❑ وعنده[1] أيضًا من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤]، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**»، قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**».

❑ وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

❑ وقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦].

---

(١) مسلم حديث (١٢٦).

◻ وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَج: الآية ٧٨].

◻ وأباح الله للمضطر أكل الميتة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٣].

◻ وأباح الله للمكره التلفظ بكلمة الكفر، قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النّحل: الآية ١٠٦].

❁ ومن هذا الباب: تخفيف الصلاة من أجل بكاء الصبي وضعف الضعيف:

◻ قال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**»(١).

◻ وفي رواية في «الصحيحين»(٢) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**».

◻ **ومن ذلك أيضًا**: ما أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أَبِي مَسْعُودٍ البدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ**».

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٠٧) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري حديث (٧١٠)، ومسلم (ص٣٤٣).

(٣) البخاري حديث (٧٠٤)، ومسلم حديث (٤٦٦).

□ وفي «الصحيحين»(١) أيضًا من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ، وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ، وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوِ النِّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ أَوْ فَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ - فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾** [الأعلى: ١]، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾ [الشمس: الآية ١]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [الليل: الآية ١]، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ».

□ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«أُمَّ قَوْمَكَ»**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا، قَالَ: **«ادْنُهْ»**، فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ، ثُمَّ قَالَ: **«تَحَوَّلْ»**، فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قَالَ: **«أُمَّ قَوْمَكَ فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»**.

***

(١) البخاري حديث (٧٠٥)، ومسلم حديث (٤٦٥).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٤٦٨).

دفع الشكوك عن المسلمين

وقد أمر بذلك شرعُنا الحنيفُ حتى تبقى قلوبُ العباد نظيفة، ولا يتسرب إلى قلوبهم شكوك في إخوانهم، وقد دلت على ذلك جملة أدلة في اتجاهات شتى:

ففي باب التناجي:

❐ قال النبي ﷺ[(١)]: **«إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَه»**.

وهذا أدب نبوي أدَّبَ به النبي ﷺ أمَّته، فإذا تناجى اثنان دون الثالث لعب الشيطان بالثالث، وحدثته نفسُهُ: لعل هذين يتآمران من أجلك ويكيدان لك، لعل كذا ولعل كذا! وينسحب هذا الحكم على ما إذا كانوا أربعة، فلا يتناجى ثلاثة دون الرابع، وكذلك لا يتناجى الخمسة دون السادس، فكل ما فيه حزنٌ يُتقى ويُبتعد عنه.

أما إذا كان هناك مَلأٌ: أربعة مثلًا أو خمسة أو أكثر، فلا بأس أن يتناجى اثنان منهم دون الآخرين، وذلك حتى لا تتعطل مصالح المسلمين، ثم إن احتمال تسرب الحزن في مثل هذه الحال إلى قلوب الآخرين: ضعيفٌ، بل منعدم، وقد جاءت الأدلة بإباحة ذلك:

❐ ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قَسَمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم حديث (٢١٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وقد ورد في بعض الروايات زيادة: **«حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ»**، وهي زيادة ضعيفة.

(٢) البخاري حديث (٦٢٩١)، ومسلم حديث (١٠٦٢).

النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لآتِيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلأٍ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».

فهذا هو ابن مسعود يأتي ويساور رسول الله ﷺ والنبي ﷺ في ملإ.

□ **وأيضًا:** فقد جاءت فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ فساورته في حضور أزواجه: وقد أخرج الحديث بذلك البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١) من حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ إِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ؟

قَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَّا أَخْبَرْتِنِي، قَالَتْ: أَمَّا الآنَ، فَنَعَمْ فَأَخْبَرَتْنِي قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الأَمْرِ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ، أَخْبَرَنِي: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ،**

---

(١) البخاري حديث (٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم حديث (٢٤٥٠).

أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ».

وغريبٌ وعجيبٌ أمر رجال ونساء لا يحتاجون إلى التناجي؛ ولكنهم يختلقون التناجي في حضور ثالث حتى يؤذوه ويجلبوا له الهم والنكد، فما أعظمه من جهلٍ بالشرع وأذى للمسلمين.

إنها صفية

ومن هذا الباب: قول النبي ﷺ: «**إِنَّهَا صَفِيَّةُ**»، لدفع شبهة قد ترد إلى قلوب أصحابه ويظنون شيئًا برسول الله ﷺ.

❐ أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللهِ! يَا رَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**».

❐ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أنسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَعَ إِحْدَى نِسَائِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعَاهُ فَجَاءَ، فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ، هَذِهِ زَوْجَتِي فُلَانَةُ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**».

---

(١) البخاري حديث (٢٠٣٥)، ومسلم حديث (٢١٧٥).

(٢) مسلم (٢١٧٤).

❐ **ومن ذلك أيضًا**: قول النبي ﷺ لعائشة[١]: «**لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ وَلَجَعَلْتُهَا عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ**».

❐ وفي بعض الروايات في «الصحيح»[٢] كذلك: «**فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ**».

❐ **ومن هذا الباب**: ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[٣] من حديث جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي لِحَاجَةٍ، ثُمَّ أَدْرَكْتُهُ وَهُوَ يَسِيرُ - وفي رواية: يُصَلِّي - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَلَمَّا فَرَغَ دَعَانِي، فَقَالَ: «**إِنَّكَ سَلَّمْتَ آنِفًا وَأَنَا أُصَلِّي**»، وفي رواية[٤]: «**فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُكَلِّمَكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي**».



(١) البخاري (١٥٨٥)، ومسلم حديث (١٣٣٣).
(٢) البخاري (١٥٨٤).
(٣) كلاهما عند مسلم (ص٣٨٣) حديث (٥٤٠).
(٤) كلاهما عند مسلم (ص٣٨٣) حديث (٥٤٠).

وفي أبواب الفتيا

كان النبي ﷺ إذا سُئل أو أفتى أفتى بما يدفع الشكوك والظنون والوساوس عن القلوب، فمن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَلْوَانُهَا؟**»، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «**فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**[٢]»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟**»، قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ[٣]، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**».

فالرجل قد جاء شاكًّا في زوجته مُعرضًا بقذفها، فصرف الرسول ﷺ عنه هذا الشك بالمثال الذي ضربه له.

وكان عليه الصلاة والسلام يطمئن الخصوم في القضايا كما أسلفنا، فيقول لمن يقضي بينهما - كما في قصة العسيف - الذي زنا بامرأة الرجل: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ**».

فالموقف يحتاج إلى مثل ذلك حتى يطمئن الخصوم، وليس هذا بلازمٍ ولا بمطرد؛ ولكن الموقف لما كان يحتاج إلى الطمأنينة أقسم النبي ﷺ بقوله: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ**» حتى يطمئن الخصوم ويقذف في قلوبهم التصديق والإقرار بالحكم.

---

(١) البخاري (٦٨٤٧)، ومسلم حديث (١٥٠٠).

(٢) الأورق: هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

(٣) أي: عرق من النسب نزعه، وجذبه إليه، كأن يكون في أخواله مثلًا أو في أعمامه أو في أجداده رجل أسود فجُذب الولد إلى لون أعمامه أو أخواله أو أجداده، والله أعلم.

□ ولما سرقت المخزومية، قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

فأمور الحدود ليس فيها مجاملات لأحدٍ، وإن كان من قبيلة من أكبر القبائل وعائلةٍ من أفضل العائلات.

□ وكذلك رقى بعض الصحابة رجلًا على قطيع من الغنم وتحرَّج بعض الصحابة من الأكل منه، وأتوا إلى رسول الله ﷺ وأفتاهم بجواز الأكل منه بقوله: «**خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْم**»(١).

❁ **وعلى هذا المنوال سار أصحابه** رضي الله عنهم:

فحتى يؤكد أحدهم كلامه يبدأ بإلزام نفسه بما يدعو إليه.

□ **ومن ذلك**: لما لعن ابن مسعود الواشمات و...، ونقل هذا اللعن عن رسول الله ﷺ، وقالت له المرأة: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ!! فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا (أي: لم نعاشرها).

□ أخرج الحديث بذلك البخاري ومسلم(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ(٣)، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ(٤) الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ١٩٨)، ومسلم مع النووي (١٤/ ١٨٧).

(٢) البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم حديث (٢١٢٥)، واللفظ له.

(٣) النامصات: النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة هي التي تطلب فعل ذلك بها.

(٤) والمتفلجات للحسن: المراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها، الثنايا والرَّباعيات، وهو من الفلج، وهي فرجة بين الثنايا والرَّباعيات وتفعل ذلك العجوز، ومن قاربتها =

أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ، فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧]، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ، قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ تَرَ شَيْئًا فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا(١).

□ ولما أشار عمر بقتل أسارى بدر، قال: يا رسول الله، أرى أن تُمكني من فلانٍ قريب لي فأقتله ولتمكن عليًّا من عقيل فيقتله.

فبدأ عمر بنفسه حتى لا يظن ظانٌّ أنه متحامل على غير أقربائه، والله أعلم.

□ ففي «صحيح مسلم»(٢) من طريق أَبِي زُمَيْلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ

= في السن إظهارًا للصغر، وحُسن الأسنان؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت، فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر، وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضًا: الوَشْرُ.

(١) لم نجامعها: قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها (النووي).

(٢) مسلم حديث (١٧٦٣).

مِنْهُمْ فِدْيَةً، فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**»، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ[1]، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا.

أعط كل ذي حق حقه

فللجسد حقٌّ، وللضيف حقٌّ، وللزوجة حقٌّ، فآت كل ذي حقٍّ حقَّه، وبهذا جاءت سنة رسول الله ﷺ:

❐ ففي «الصحيحين»[2] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «**فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ**[3] **مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ**[4] **عَلَيْكَ حَقًّا،**

---

(١) في رواية أحمد (١/ ٣٠، ٣١): وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ.

(٢) البخاري حديث (١٩٧٥)، ومسلم حديث (١١٥٩)، والسياق له.

(٣) فإن بحسبك أن تصوم: الباء فيه زائدة، ومعناه: أن صوم الثلاثة أيام من كل شهر كافيك.

(٤) ولزورك: قال في «النهاية»: هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم: كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم، وقد يكون الزور جمعًا لزائر، كركب في جمع راكب، أي: لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك، وأنت تعجز، بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم.

وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حقًّا»، قَالَ: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: «**كَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»، **قَالَ**: «**وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»(١)، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حقًّا**».

قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ.

قَالَ: وَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ**»، قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ(٢).

فلا تضيع كل الوقت مع أضيافك وتُهمل تزكية نفسك، وعبادة ربِّك وحقِّ زوجك، فإن ذلك ينعكس أثره عليك ويرجع عليك بسوء الخلق وبمشاكل مع الزوجة، وبقسوة في القلب لعدم تهذيب النفس وتزكيتها.

وكذلك لا تولع ولعًا شديدًا بالزوجة، فإن ذلك يؤثر على عبادة ربك فكم من مفتون بزوجته يتخلف عن الجمع والجماعات ومجالس العلم والذكر بسبب زوجته، وكم من زوجة تهجر كتاب الله وتضيع الصلوات من أجل

---

(١) واقرأ القرآن في كل شهر: أي: اختمه.

(٢) وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ، فشق عليه فعله، ولا يمكنه تركه.

زوجها!!

وكذلك كم من رجل يبخل على أضيافه ضنًّا بالمال وحرصًا - بزعمه - على نفسه وعلى أولاده.

وثمَّ صنف آخر يغالون في العبادة وحضور مجالس العلم، ولا يكادون يستفيدون شيئًا من مجالس العلم والذكر، بل ينعكس ما غالوا فيه على أخلاقهم داخل بيوتهم، وعلى صلتهم بالناس فتجدهم في مشاكل كثيرة وخلافات مستمرة لتضييعهم حقوق العباد.

فالتوسط مطلب شرعي؛ لكلٍّ حق، للزوجة حق، وللضيف حق، وللنفس حق، ولربك عليك حق، فأعط كل ذي حق حقه.

فكما أن لك في الصلاة أجرًا، فكذلك لك في إكرام الضيف أجر، وكذلك لك في جماع الزوجة أجر، كما قال النبي ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[(١)].

وكم من مشكلة دبت بين زوج وزوجته، واختُلقت هذه المشكلة، والذي وراءها كله هو هجران الزوج لفراش زوجته، أو ترك الزوجة التزين لزوجها فانتبه يا عبد الله.

* * *

(١) مسلم (٢/ ٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

عليك بالرفق واللين وخفض الجناح للمؤمنين

□ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩].

□ وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥، ٢١٦].

□ ووصف الله تعالى نبيه ﷺ وأصحابه فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ...﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

وتقدم قول مالك بن الحويرث في رسول الله ﷺ، قال مالك: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا.

□ وذكر النبي ﷺ أن من أهل الجنة: **«وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ»**(١).

□ وقال عليه الصلاة والسلام: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»**(٢).

□ و**«اللَّه رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»**(٣)، كما قال النبي ﷺ.

والرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف.

□ وقد قال النبي ﷺ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح لشواهده**: أخرجه أحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٣) البخاري حديث (٦٠٢٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٤) مسلم (٢٥٩٢).

❑ وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[١].

❑ وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[٢].

❑ وانظر إلى رفق رسول الله ﷺ بالأعرابي وتعليمه له فيما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُزْرِمُوهُ**»، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ.

❑ وفي رواية في «صحيح مسلم»[٤]: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ[٥] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

❑ وفي «صحيح مسلم»[٦] من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال:

---

(١) مسلم (٢٥٩٣).

(٢) مسلم حديث (٢٥٩٤).

(٣) البخاري حديث (٦٠٢٥)، ومسلم حديث (٢٨٤).

(٤) مسلم حديث (٢٨٥).

(٥) هكذا في الحديث.

(٦) مسلم حديث (١٨٢٨) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُمَاسَةَ: قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي، أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ =

«اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».

❁ فأصل المعاملات مع المؤمنين ينبني على الرفق واللين والإحسان إليهم والرحمة.

ولكن ثَمَّ مواطن تحتاج إلى شدة - شدة لله - وابتغاء مرضاة الله، ثم لمنفعة الشخص ومصلحته، فثَمَّ مواطن لا يُجدي فيها اللين، ولكنها تُحسم بعون الله، ثم بالشدة على الشخص والأخذ على يديه، وقد اشتد النبي ﷺ في عدة مواطن واشتد أصحابه كذلك في عدة مواطن، وكما أسلفنا فكل ذلك لله وابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه، ولتقرير الحقوق ومنع الظالم من ظلمه.

❐ وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ...﴾ [الحديد: الآية ٢٥]، فمن لم ينتفع بالبينات، ولم يُذعن لها استعمل معه الحديد.

❐ **قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: الآية ٢٥]، أي: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه.

❁ وها هي مواطن اشتد فيها رسول الله ﷺ[1]:

❐ أخرج البخاري ومسلم[2] (واللفظ لمسلم) من حديث أَبِي حُمَيْدٍ

= مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هذا... فذكر الحديث.

قلت: الذي يظهر لي، والله أعلم: أن هذا الأمير هو معاوية بن خديج، فقد ذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر الصديق أن معاوية بن خديج قتله.

(١) وهي مواطن كثيرة متعددة نذكر طرفًا منها فقط.

(٢) البخاري حديث (٢٥٩٧)، ومسلم حديث (١٨٣٢)، واللفظ له.

السَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ - رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ - عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَ بِالْمَالِ فَدَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَتَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْكَ أَمْ لَا**».

❏ وفي «صحيح مسلم»[١] أن النبي ﷺ قال: «**كُلَّمَا نَفَرْنَا غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ يَنِبُّ نَبِيبَ التَّيْسِ**[٢] **يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُثْبَةَ**[٣] **إِنَّ اللَّهَ لَا يُمْكِنِّي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا**[٤]»، أَوْ «**نَكَّلْتُهُ**».

❏ وتقدم قول النبي ﷺ لمعاذ: «**يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ، أَوْ فَاتِنٌ**»، ثَلَاثَ مِرَارٍ، لما صلى معاذ بالناس وأطال الصلاة[٥].

❏ وفي «مسند أحمد»[٦] بإسناد حسن من طريق عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؟[٧] وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ[٨]، فَقَالَ: «**بِهَذَا**

---

(١) مسلم (ص١٣٢٠).

(٢) أما التيس: فهو الجدي (من الماعز)، وقوله: ينب نبيب التيس، أي: يصوِّت كصوته عند السفاد، وهو كناية عن إرادة الوقاع (أي: الجماع) لشدة توقانه إليه.

(٣) قوله: يمنح إحداهن الكثبة، أي: يعطي إحدى النساء اللواتي غاب عنهن أزواجهن في الغزو كثبة (أي: كمية قليلة) من اللبن كي يزني بها.

(٤) نكالًا: أي: عظةً وعبرةً لمن بعده.

(٥) البخاري حديث (٧٠٥)، ومسلم حديث (٤٦٥).

(٦) أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٥، ١٩٦).

(٧) أي: أن بعضهم يعارض بعضًا وينازعه القول فهذا يورد آية، وهذا يورد آية ينازعه بها.

(٨) وذلك من شدة الغضب، أي: قد احمر وجهه احمرارًا شديدًا.

أُمِرْتُمْ؟ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ[١]، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، فَانْتَهُوا».

❐ وعند الإمام أحمد[٢] من حديث أَبِي بَكَرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَوْمٍ يَتَعَاطَوْنَ سَيْفًا مَسْلُولًا، فَقَالَ: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، أَوَ لَيْسَ قَدْ نَهَيْتُ عَنْ هَذَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ، فَلْيُغْمِدْهُ، ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ**».

❐ وأخرج مسلم في «صحيحه»[٣] حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه نزلت فيه آيات من القرآن... الحديث وفيه:

قال (أي: سعد): وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ، فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «**رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ**»، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لَامَتْنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ أَعْطِنِيهِ، قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ: «**رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ**»... الحديث.

❐ ومن هذا شدة الرسول ﷺ على عمر لما اختلف مع أبي بكر، وقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ،**

---

(١) أي: لستم على الصواب، ولستم من الصواب في شيء، فالصواب أن لا تجادلوا.

(٢) عند أحمد (٥/ ٤١، ٤٢)، وفي إسناده المبارك بن فضالة، ومن العلماء من حسن حديثه، ولأجزاء من الحديث شواهد انظرها في كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

(٣) مسلم حديث (١٧٤٨).

وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي»[١].

□ ومن هذا قول الصديق يوسف لأخوته: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: الآية ٧٧].

❋ ومن هذا أبواب القصاص والحدود وسائر أنواع التعزيرات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فعلى المسلم أن يلزم جانب اللين والرِّفق بإخوانه، فالرفق واللين هو الأصل ولكن إن وجد أن هناك أمرًا ما تلزم فيه الشدة فيشتد بقدرٍ ثم إن انتهى الأمر عاد إلى حاله من الرفق واللين، والموفق في هذا من وفَّقه الله، والمسدَّدُ من سدَّده الله، فمن وفقه الله يعلم متى يرفق ومتى يشتد، ومتى يتجاوز ومتى يؤاخذ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(١) البخاري حديث (٣٦٦١).

من أدب التخاطب

التذكير بالله وخشيته وتقواه

جديرٌ بالعبد أن يكون دائم التذكير لإخوانه بالله ﷻ عند بيعه وشرائه وأخذه وعطائه ودخوله وخروجه وذهابه وإيابه ومجلسه وقيامه وقعوده وسائر معاملاته، فذِكْر الله يُرضي الله عنك ويجلب محبته لك، ومن ثمَّ يحبب فيك الخلق، فإذا أحب الله عبدًا دعا جبريل فقال: «**إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(١).

وأيضًا قد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: الآية ٩٦] أي: محبة في قلوب العباد.

ثم إن التذكير بالله ينفع أهل الإيمان في تعاملهم معك، فالذكرى تنفع المؤمنين، فإذا فكر أحدهم في غشك أو خداعك وذكرته بالله تذكر، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٥].

❐ ألا ترى إلى قول موسى ﷺ لما تعاقد مع العبد الصالح على أن يكون أجيرًا عنده قال له: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: الآية ٢٨].

❐ ألا ترى إلى تلك المرأة التي ألجأتها الحاجة إلى أن تمكن ابن عمها من نفسها ثم استدركت وذكرته بقولها: «**اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا**

---

(١) البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا والترمذي كذلك.

بِحَقِّهِ»[(١)]، فقام عنها.

❑ ألا تستمع إلى قول رسولنا الكريم محمد ﷺ، وهو يذكر بالله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: الآية ٢٦].

❑ ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١٥].

❑ ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

❑ واقرأ قول موسى للخضر عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٩].

❑ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧].

❑ انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٤٦٥)، ومسلم حديث (٢٧٤٣) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلاَّ الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ»... فذكر الحديث وفيه: «فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلاَّ أَنْ آتِيَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتِ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِئَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

□ وانظر إلى قول نبينا محمد ﷺ وهو يذكر أبا بكر بقوله: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»(١).

□ وانظر إلى مقولة أبي بكر لعمر لما جاءه وفي نفسه شيء من أمر الصلح يوم الحديبية، قال أبو بكر: «**إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ**»(٢).

□ ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٣) في حديث الإفك من حديث عائشة رضي الله عنها بعد أن تشهد: «**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ عليه...**».

□ وفيه أيضًا قول عائشة رضي الله عنها: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٨].

□ واذكر قول يوسف عليه السلام قبل أن يُعبِّر الرؤيا: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: الآية ٣٧].

□ وقول يعقوب عليه السلام: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧].

---

(١) البخاري حديث (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩).

(٢) البخاري (٣٧٣١، ٣٧٣٢).

(٣) البخاري حديث (٤٥٧٠)، ومسلم حديث (٢٧٧٠).

والأدلة في هذا الباب لا يأتي عليها الحصرُ وإنما أوردنا نماذج فقط، فجدير بالعبد أن يُخلل جميع معاملاته بذكر الله.

❁ وذكر المعتدي وخوِّفه بالله:

❐ انظر إلى قول ابن آدم لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: الآية ٢٨].

❐ وكذلك قول مريم عليها السلام لمن ظنت أنه يريد الاعتداء عليها: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: الآية ١٨].

❐ ومن هذا الباب قول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: الآية ٦١].

❐ ومن ذلك ما أخرجه النسائي وأحمد(١) من طريق قَابُوسَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يَأْتِينِي فَيُرِيدُ مَالِي؟ قَالَ: «**ذَكِّرْهُ بِاللَّهِ**»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَذَّكَّرْ... الحديث.

❐ وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ(٣) وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ(٤)، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا أَتَانِي، وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي**

---

(١) النسائي (٧/ ١١٣، ١١٤)، وأحمد (٥/ ٢٩٤، ٢٩٥) وإسناده حسن.

(٢) البخاري حديث (٤١٣٩)، ومسلم حديث (٨٤٣).

(٣) القائلة: أي: وقت القيلولة، وهو وسط النهار، وشدة الحر.

(٤) واد كثير الشجر الذي به شوك كبير عظيم.

فَاسْتَيْقَظْتُ وَهوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا[١]، **قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ فَشَامَهُ**[٢] **ثمَّ قَعَدَ، فَهوَ هَذَا**»، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

❐ ومن ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

❐ وفي رواية لمسلم أيضًا: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**».

❐ وفي رواية عند مسلم[٣] أيضًا: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَتَرَكَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَاللَّهِ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، قَالَ: فَأَعْتَقَهُ.

❋ **وكذلك ذكِّر الخصومَ بالله وبعذابه وبالتوبة والرجوع إليه:**

❐ فمن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من تذكير المتخاصمين، ففي

---

(١) صلتًا: أي: بدون غمد (مجردًا من غمده).

(٢) شام السيف: أي: أدخله في غمده.

(٣) مسلم حديث (١٦٥٩).

«الصحيحين»[(١)] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ[(٢)] بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»**.

❏ ومن ذلك ما أخرجه البخاري[(٣)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ، فَجَاءَ فَشَهِدَ[(٤)] وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟»**، ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ.

❏ ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٥)] من حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ[(٦)] فِي شَيْءٍ، وَهْوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **«أَيْنَ الْمُتَأَلِّي[(٧)] عَلَى اللهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ»**، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ.

❋ فليجعل العبد ذكر الله ﷻ على لسانه على الدوام:

❏ من احتاج إلى كلمة جزاك الله خيرًا، فأعطها له.

---

(١) البخاري حديث (١٧٨١)، ومسلم حديث (١٧١٣).

(٢) ألحن: أي: أعلم بالحجة وأبلغ في الكلام.

(٣) البخاري حديث (٥٣٠٧).

(٤) شهد: أي: شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

(٥) مسلم حديث (١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).

(٦) يسترفقه: أي: يطلب منه الرفق.

(٧) المتألي: أي: الحالف.

❒ ومن احتاج إلى كلمة عفا الله عنك، فقدمها له.

❒ ومن احتاج إلى التذكير بالله، فذكِّره بالله.

❒ من احتاج إلى كلمة بارك الله فيك، وبارك الله لك فقلها له.

❒ إذا غضبت فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

❒ إذا دخلت البيت فسمِّ الله ﷻ وسلِّم على أهلك.

❒ إذا أكلت فسمِّ الله، وإذا شربت فسمِّ الله.

❒ إذا انتهيتَ من مطعمك ومشربك، فقل: الحمد لله.

❒ قل إذا رأيت نعم الله عليك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

❁ ذكِّر الناس بمثل هذه الأحاديث:

«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١].

«مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[٢].

«مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ»[٣].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يتخللها ذكر الله.

❁ قل للشخص أيضًا:

❒ أعطني مما أعطاك الله.

❒ مُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك.

---

(١) مسلم حديث (٢٦٩٩).

(٢) مسلم حديث (٢٥٨٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ»**.

(٣) مسلم حديث (٢٣١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

- ارحم يرحمك الله.
- علِّمني مما علَّمك الله.
- اغفر غفر الله لك.
- وسِّع علينا وسَّع الله عليك.
- تصدق إن الله يجزي المتصدقين.
- غفر الله لك لِمَ صنعت كذا وكذا.
- عفا الله عنك لِمَ فعلتَ كذا.
- استر سَتَرَ الله عليك.
- اشفع شفَّع الله فيك نبيه محمدًا ﷺ.

إلى غير ذلك من الكلمات الطيبة التي ترطب اللسان وتطمئن القلب وتسكِّن الفؤاد وتهدِّئْ من الروع، فإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

❊ فأكثر في حديثك مع الناس من ذكر الله ومن التذكير به:

فالذاكرون يذكرهم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥٢].

وفي الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(١).

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٣٨٤)، ومسلم مع النووي (١٧/ ٢).

وذكر الله يطمئن القلوب ويرطب الألسن، ويقوي الأبدان.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ** ﷻ».

وقد أرشد النبي ﷺ ابنته فاطمة ﵂ إلى ما هو خير لها من خادم، فقال لما جاءت تسأله خادمًا: «**أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ: تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ**»(١).

وقال هود ﵇ لقومه: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: الآية ٥٢].

وبذكر الله تُستجلب الأرزاق وتدفع المصائب.

فالاستغفار من ذكر الله، وقد قال الله فيه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]

وقال سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٧].

وبذكر الله ترفع الدرجات وتحط الخطيئات وتغفر الذنوب والزلات.

❋ وكذلك عليك بالتذكير باليوم الآخر:

فالتذكير باليوم الآخر يحمل الشخص على الصبر على الناس، وعلى

---

(١) البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (ص٢٠٩٢).

أذاهم له، وعلى جهلهم عليه.

ويحمله أيضًا على احتساب الأعمال الصالحة التي يقدمها للناس عند الله.

ويحمله على الورع كذلك فيما يتعلق بحقوق الآخرين.

ويحمله على العفو، ويحمله على الصفح، ويحمله على الخُلُقِ الحسنِ الجميل، وعلى القول الطيب، وعلى العمل الصالح.

كل ذلك من ثمرات التذكير باليوم الآخر.

فالاعتقاد الصحيح يحمل على العمل الصالح، والاعتقاد الفاسد يحمل على عملٍ فاسد، فإذا اعتقدت أن هناك ثوابًا وعقابًا حملك هذا الاعتقاد على عمل ما يجلب لك الثواب ويجنبك العقاب، إذا اعتقد الشخص أن هناك جنةً ونارًا عمل لما يدخله الجنة، وترك ما يكون سببًا في دخوله النار.

ومن ثم كثر التذكير باليوم الآخر وما فيه من أهوالٍ وشدائدَ وكرباتٍ.

وخصَّ الله أنبياءه بمزيد من التذكير لهذا اليوم، قال الله ﷻ في شأن عدد من أنبيائه: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص: الآية ٤٦].

أي: اختصصناهم بخاصية وميزناهم بميزة، ألا وهي: كثرة تذكرهم للدار الآخرة وأهوالها، وما فيها من الثواب والعقاب، فكانوا يتذكرون ذلك دائمًا، ومن ثم يعملون للدار الآخرة ويشمرون عن ساعد الجد استعدادًا لها.

وأغلب سور الكتاب العزيز فيه تذكير باليوم الآخر سواء في مطالعها أو في أثنائها، وسواء في القصص أو الأحكام أو على انفراد، فكل ذلك يرد فيه

التذكير باليوم الآخر.

وأفردَتْ عدة سورٍ للحديث عن اليوم الآخر، وتسمَّت باسمه أو ببعض ما يكون فيه كسورة القيامة، والغاشية، والواقعة، والحاقة، والقارعة، والجاثية، والتغابن، والنبأ، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة.

وكذلك الأحكام التي سيقت في كتاب الله عُقِّبَتْ في أغلبها بذكر اليوم الآخر، قال الله تعالى بعد ذكر آيات النهي عن الربا والتحذير منه والحث على إنظار المعسر:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨١].

❏ وقال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥] فانظر كيف ختمت الآية.

❏ وانظر إلى آيات الطلاق وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٢].

❏ وانظر إلى قوله تعالى في شأن النكاح: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٢١].

❏ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ

أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: الآية ٨١].

□ وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٩].

إلى غير ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصى كلها تحمل في أثنائها التذكير باليوم الآخر أو الأحداث التي تجري فيه، وما أُعدَّ فيه من الثواب أو العقاب.

فحقًّا إنه ينبغي التذكير باليوم الآخر فالذكرى تنفع المؤمنين، وكما قدمنا فالاعتقاد الصحيح يحمل على عمل صحيح، والاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد.

□ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١ - ٦].

أي: لو أيقن هؤلاء المطففون أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ما طففوا المكاييل ولا الموازين، ولكنهم لما ضعف يقينهم في اليوم الآخر حملهم هذا الضعف في اليقين إلى تطفيف المكاييل والموازين.

□ وانظر أيضًا إلى بني إسرائيل وما ذكره الله عنهم في كتابه لما اعتقدوا - بناء على ما اختلقوه من كذبٍ وزورٍ وتحريفٍ - أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ

إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

☐ وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا: إنهم ليس عليهم في الأميين سبيل - أي ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين - حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

❊ ❊ ❊

قلة الحديث والإعراض عن اللغو

* **فمن صفات أهل الإيمان الإعراضُ عن اللغو:**

□ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

□ وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفُرقان: ٧٢].

□ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القَصص: الآية ٥٥].

□ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفُرقان: الآية ٦٣].

والثرثارون - وهم كثيرو الكلام - من أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ.

□ قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**الْمُتَكَبِّرُونَ**»[(١)].

قال الترمذي رحمه الله: وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الكَثِيرُ الكَلَامِ، وَالمُتَشَدِّقُ: الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

وقد كره الله سبحانه وتعالى لنا قيل وقال:

---

(١) أخرجه الترمذي حديث (٢٠١٨)، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.
قلت (القائل مصطفى): وله شواهد يُحسَّن بها، انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١٨٥)، (٤/ ١٩٣، ١٩٤).

❐ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**»(١).

❐ وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: «**وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(٢).

❐ وفي قول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والمغرب**»(٣).

❐ وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٤).

فلا تكثر من الكلام بغير ذكر الله ﷻ، ولا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدةٌ ونفعٌ في دنياك أو أُخراك!

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم حديث (٥٩٣، ١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب: «... كان النبي ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ».

(٢) **صحيح لشواهده**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، وانظر: «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٨٦).

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، مسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

ثم إن الكلمات تسطر وتكتب على العبد ويراها في صحائفه يوم القيامة

□ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: الآية ١٨].

□ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

□ وقال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: الآية ٦].

□ وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٩].

□ وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

□ وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

وكثرة الكلام تسبب مللًا للناس، فيعرضون عنك ولا يشتهون حديثك:

□ أخرج البخاري ومسلم(١) من طريق أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ(٢) يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ

---

(١) البخاري حديث (٧٠)، ومسلم حديث (٢٨٢١).

(٢) عبد الله: هو ابن مسعود.

أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ[(١)] بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.

*** ولذلك استحب للخطيب يوم الجمعة أن يُقصِّر الخطبة:**

❏ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا**»[(٢)].

❏ وكان عليه الصلاة والسلام: «**يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاه**»[(٣)].

*** وقد حثنا ربُّنا على الاقتصار على الخير من الكلام وترك ما سوى ذلك:**

❏ قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: الآية ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) التخول هو: التعاهد، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نملَّ، قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
وقال أيضًا: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكليف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

(٢) أخرجه مسلم حديث (٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا، وقد انتقد على مسلم لكن له شاهد.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

□ وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

وحثنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا:

□ فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**»(٢).

□ وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(٣).

فالاختصار والإيجاز في الحديث مطلوب.

وهذا من الفقه، فقلل الكلام قدر الاستطاعة ما دام الكلام مفهومًا، وركز على المفيد من الكلام والنافع منه، فمن مناقب نبينا محمد ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم(٤).

وقد أنعم الله ﷻ على نبيه داود بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب:

□ قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: الآية ٢٠].

□ ولما قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ قالوا له: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ

---

(١) البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم حديث (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) **حسن**: أخرجه عبد بن حميد «المنتخب» بتحقيقي (٣٤٥)، وأحمد (٣/ ١٥٨، ١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري حديث (٢٩٧٧)، ومسلم (٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**»، وفي لفظ للبخاري (٦٩٩٨): «**أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ**».
وفي لفظ لمسلم (٥٢٣): «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ...**».
وفي لفظ آخر لمسلمٍ (ص٣٧٢): «**وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ...**».

شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ... الحديث[١].

فقد طلبوا بإيجاز ما يدخلون به الجنة.

فهل يليق بك بعد هذه النصوص كلها أن تكون ثرثارًا؟!!

هل ترضى أن تملأ صحائفك يوم القيامة بالقيل والقال واللغو، وأن تسوِّد صحائفك باغتياب المؤمنين والمؤمنات والطعن في أعراضهم.

إن كثرة الكلام مدعاةٌ لطول الحساب!

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء!

وكثرته مذهبة للرزانة والوقار!

وكثرته مدعاةٌ لكثرة الأخطاء!

وكثير الكلام لا يكاد الناس يستمعون إليه، فكثرة الكلام يُنسي بعضُها بعضًا.

ولذلك كانت كلمات رسول الله ﷺ يسيرة وقليلة، كان عليه الصلاة والسلام يتكلم كلامًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه[٢].

فصلوات الله وسلامه على نبينا محمد ﷺ ذي الخلق العظيم الذي بعث متممًا لمكارم الأخلاق.

---

(١) البخاري حديث (٥٣)، ومسلم (ص٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن وفد عبد قيس لما قدموا... الحديث.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم (ص١٥٨).

وقلل من المسائل قدر الاستطاعة، إلا ما لابد منه:

❏ فقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١).

❏ «**فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»(٢).

❏ وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠١].

تأكيد الإمساك عن الكلام إذا لم يكن في الكلام فائدة

ويتأكد الإمساك عن الكلام ويُمنع الخوض فيه إذا لم يكن في الكلام فائدة:

❏ فها هي مريم تقول للملك: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: الآية ٢٠].

فيجيبها الملك بقوله: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: الآية ٢١].

حقًّا إنه أمر قد قضي وقدره الله ﷻ، فلا معنى حينئذٍ للإكثار من المراجعات!

❏ ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلى تدمير قرى قوم لوط يجادل عليه الصلاة والسلام في شأن قوم لوط، فتجيبه الملائكة بقولهم: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ

(١) تقدم (ص١٥٤).
(٢) مسلم حديث (١٣٣٧).

غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هُود: الآية ٧٦].

فما دام قد جاء أمر الله، وما دام قد قضى الله هذا الأمر، فلم الجدل في شأن هؤلاء الأقوام؟!

☐ وها هي مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمرها ربُّها فيقول لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريَم: الآية ٢٦]، لِمَ لا تكلِّم إنسيًّا؟!

إن البشر يستنكرون حملها؟! يستنكرون وضعَها!! يستنكرون مجيئها بالطفلِ!! إنها مهما اعتذرت ومهما قدَّمت من مبررات فلن تُقبل هذه المبررات!! فمن ثَمَّ فلا فائدة في الكلام ولا فائدة في الاعتذارِ! ولا جدوى من وراء إيراد المبررات!!

فحينئذٍ الصمت أولى، والصمت أجدى، والصمت أليق، ولله في ذلك حِكَمٌ أُخر، منها أن معجزةً ما ستحدث، وقد حدثت، تكلم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في المهد!

☐ والفتية أصحاب الكهف تنازعوا شيئًا ما في تحديد المدة التي لبثوها ثم أعرضوا عن الجدل إذ لا فائدة فيه.

قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ...﴾ [الكهف: الآية ١٩].

حقًّا فربكم أعلم بما لبثتم، وما الفائدة من وراء السؤال؟!

☐ وأيضًا لما اختلف القوم من بعدهم في عددهم، أمر الله بالإعراض عن الخوض في أمرهم بغير علم، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا

تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف: الآية ٢٢].

□ وها هي أم المؤمنين عائشة ﵂ تقول لما قال لها رسول الله ﷺ: «**فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»(١).

فبماذا تجيب عائشة ﵂؟ إنها إن أظهرت براءتها لم يصدقوها، وإن تقوَّلت على نفسها صدقوها! فماذا عساها أن تقول حينئذٍ؟

إنها قالت: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٨](٢).

فعلى ذلك لا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدة.

وكذلك إذا كان القول بلا علم فامتنع

□ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٦].

□ وقال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: الآية ٢٢].

□ وقال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ١٥].

❏ وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٦].

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنت لا تعلم.

❏ فقد قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٥].

❏ وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٨٧].

❏ ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن الساعة، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم حديث (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

ولا تكثر من الجدل والخلاف

فالتلاحي سبب لرفع الخير، فقد رفع العلم بليلة القدر لما تلاحى رجلان من أصحاب النبي ﷺ.

❐ ففي «الصحيح»[(١)] من حديث عُبَادَة بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَإِنَّهَا رُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ»**.

❐ وفي رواية لمسلم[(٢)]: من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهَا كَانَتْ أُبِينَتْ لِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِهَا، فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَّانِ[(٣)] مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ فَنُسِّيتُهَا...»** الحديث.

وقد حرمنا وصية رسول الله ﷺ بسبب الخلاف الذي دار بين بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا عنهم:

❐ ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ»**.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا

---

(١) البخاري حديث (٦٠٤٨).

(٢) مسلم (ص٨٢٧).

(٣) أي: يطلب كل واحد منهما حقه.

(٤) البخاري حديث (١١٤)، ومسلم (ص١٢٥٩).

كِتَابُ اللهِ.

فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده، وفيهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **«قُومُوا»**، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنِ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ.

والجدال بالتي هي أحسن
لتقرير الحق محمود

❐ قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: الآية ١٢٥].

❐ وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٦].

❐ وقال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: الآية ٣٢].

❋ ولكن إذا وصل الجدال إلى حدِّ المراء فاتْرُكْه:

❐ قال النبي ﷺ: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»**(١)، ولما ذهب رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ يوقظهما لصلاة الليل، قال له عليٌّ: «إن أنفسنا بيد الله»، فانصرف رسول الله ﷺ وهو يضرب بيده على فخذه قائلًا: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف: الآية

(١) رواه أبو داود حديث (٤٨٠٠) بإسناد حسن لشواهده.

٥٤](١)، وكذلك لما جاء المشركون يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، لم يستطرد معهم رسول الله ﷺ في الحديث ونزل قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾(٢)، فلا تفتح بابًا للجدل، ولا تسمح بمجادلة في هذا المقام، فالله تبارك وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾

هذا هو قول ربنا تبارك وتعالى.

فإذا كان لابد من الكلام فليكن القول حسنًا جميلًا، فهذا هو الأصل في التخاطب بين الناس، وهذه وصية الله تبارك وتعالى لعباده:

- قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: الآية ٥٣].
- وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾.

فالكلمة الطيبة الحسنة تحيل العدو إلى صديق حميم بإذن الله، وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودة وولاء!! وتقطع على شياطين الإنس والجن وشاياتهم ووساوسهم وسعيهم في الأرض بالفساد!!

---

(١) البخاري حديث (٣٧٠٥)، ومسلم (ص٢٠٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» حديث (٢٦٥٦) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ: ﴿مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٨، ٤٩]

ثم إن الكلمة الطيبة صدقة كما قال النبي ﷺ[(١)].

ثم إن الكلمة الطيبة تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتقبل بإذن الله!!!

□ قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

□ ثم إنها سبب في دخول الجنان، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطِبِ الْكَلَامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[(٢)].

ثم إن الكلمة الطيبة شعارٌ لقائلها ودليل على طيب قائلها، والكلمة الخبيثة دليلٌ على خبث قائلها، ثم هي شعارٌ له أيضًا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: الآية ٢٦].

□ ثم إن الكلمة الطيبة تُتقى بها النار، قال النبي ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(٣)].

❁ انظر إلى هذا المثل المضروب للكلمة الطيبة:

□ قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٣) بإسناد حسن لشواهده.

(٣) البخاري حديث (٦٠٢٣)، ومسلم (ص٧٠٤) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**اتقوا النار...**» الحديث.

وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

فصحيحٌ ما قاله كثيرٌ من المفسرين أن الكلمة الطيبة هي: «لا إله إلا الله»، ولكن الآية الكريمة بعمومها تحوي كل كلمٍ طيبٍ، فكل كلمٍ طيبٍ داخل في هذه الآية الكريمة.

❁ **والكلمة الطيبة سبب عظيم من أسباب تأليف القلوب ودفع الشرور:**

❐ فكم من شرٍّ دفع بسبب كلمة طيبة!

❐ وكم حلت من مودة وجُلبَتْ من محبة بسبب كلمة طيبة!

❐ وكم من مشكلة اشتعلت وجريمة استعرت بسبب كلمة سيئة!

❐ فكم من مُشكلة قد حُلَّت بسبب كلمة طيبة!

❐ وكم من بليةٍ قد دُفعت بسبب كلمة طيبة!!

❐ وكم من مشاحنات وعداوات قد رفعت بسبب كلمة طيبة، وفي المقابل كم من فتن قد اشتعلت، وكم من جرائم قد ارتكبت ونيران قد استعرت من جراء كلمةٍ خبيثة!!

❐ بل، وكم من أرواح قد أُزهقت وأنفس قد قتلت وأُسر قد شردت بسبب كلمة خبيثة.

❐ وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فقابله بعفو وصفح وإحسان.

وإذا جاءك نمَّامٌ مفسد يخبرك بما يسوءك من مقالات إخوانك، فاستغفر لإخوانك، وقل لهذا النمَّام: هم إخواني عفا الله عنهم، وهم أصدقائي وخُلَّاني!! قل له: وإن صدرت من إخواني زلَّاتٌ في شأني وهفواتٌ، فكم من يدٍ لهم عندي وكم من معروف قد صنعوه، وقدموه إليَّ، وكم من نُصح قد أسدوه إليَّ، فجزاهم الله خيرًا وعفا الله عنهم.

بمثل هذه الكلمات الطيبة تقطع على الوشاة وشايتهم، وعلى مريدي الشر والفساد شرهم وفسادهم.

أما إخوانك الذين بلغك عنهم السوء في شأنك ونالك منهم المكروه فبإذن الله، وإذا وصلتهم مقالتك الطيبة في شأنهم فسيعرفون لك قدرك، وسيقدِّرون لك عفوك وصفحك، فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه وليٌّ حميم.

ولتعلم أن إخوانك وأصدقاءك، بل وعموم الناس تعتريهم أحوال ضيق وشدة، وسعادة ورخاء، وإقبال للأنفس وإدبار لها، وانشراح صدور وتبرمٍ وضيق، كل ذلك يعتري البشر وغيره كذلك يعتريهم.

قد يخرج لك صاحبك وهو في ضيق شديد وهموم وغموم، ومشاكل واجهته داخل البيت فلا يقابلك على الوجه اللائق بك، بل يقابلك وهو متبرم متضايق، وقد تصدر منه ألفاظ لا تصدر منه وقت ارتياحه وانشراحه، فلا تؤاخذه بما يصدر منه في هذه الحال ولا تنقل ما قاله لك وقت تعبه وإرهاقه، بل اتركه حتى يستجم ويستريح وسيراجع نفسه بإذن الله، وسيصلح من شأنه بتوفيق الله.

قد يخرج صاحب العمل إلى عماله وهو مبتلى بخسارة فيسمعوا منه ألفاظًا

نابيةً حادة، فجدير بهم آنذاك أن يصبروا عليه ويدعون له بتفريج كربته وفك عسرته.

فلتكن الكلمة الطيبة شعارك، ولتجر الكلمة الطيبة دومًا على لسانك.

والله وحده المستعان والتوفيق منه الكريم المنان.

وليس المراد بالكلم الطيب ذلكم الكلم الذي فيه مجاملات للناس وتضييع الحقوق والإقرار على الباطل.

بل من لوازم الكلم الطيب أن يكون سديدًا موفقًا يُقر به الحق ويُدحضُ به الباطل ويبتغى به وجه الله ﷻ.

فمثل هذه الكلمات السديدة الموفقة تكون سببًا في صلاح أعمال قائلها وسببًا في مغفرة ذنوبه، ثم هي تبقى لهم في ذرياتهم كذلك.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وليس معنى الكلم الطيب أن تكلم الناس بكلام تجاملهم فيه وتقرهم فيه على باطلهم وتذهب بحق ضعيفهم لقويهم!! كلا بل من مستلزمات الكلم الطيب أن يكون قولًا سديدًا، فبهذا أمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

□ وقال سبحانه: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: الآية ٩].

فالقول السديد يصلح الأعمال بإذن الله.

أما القول الأعوج المملوء بالمجاملات والمراءاة والمُذهب بالحقوق فإنه يفسد الأعمال ويورث الشحناء وينشر الشر والفساد.

وأحيانًا تستعمل الكلمات اللاذعة الشديدة ولكنها بحسبها وبقدرها

فتتنزل في محلها ولا تتعداه وبقدرها ولا تتجاوزه، فالأصل كما قدمنا في التخاطب مع المؤمنين بل ومع الناس أيضًا هو الطيب من القول، وكما قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣].

ففي استعمالك للكلمات الشديدة اللاذعة كُن كالطبيب الذي يصف الدواء المرَّ للمريض، أو يعطي المريض حقنة مؤلمة، أو يقضي ببتر ساق المريض، إنه في كل ذلك يسبب للمريض أذًى، لكن هذا الأذى لدفع شرٍّ هو أعظم ولدرء بلاءٍ ومفسدة هي أشد، ثم بعد حلول الشفاء يقلع الطبيب عن الحقن ويمنع المريض من الدواء.

وكذلك أنت في كلماتك اللاذعة الشديدة، لا ينبغي أن تكون هذه الكلمات لك ديدنًا إنما يُتجه إليها عند الضرورات الملحة، فإذا انتهت الضرورة الملجئة إليها عدت سريعًا عودًا حميدًا إلى أصلك بل أصولك من طيب الكلام وحسن الخطاب.

أما استعمال الكلمات الشديدة اللاذعة فهذه بعض أوجه استعمالها وإباحتها ومواطن تنزيلها وإجازتها.

❑ فها هو يوسف يشتد في مقولته لإخوانه بعد قوله لهم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٩].

يعقب ذلك بقوله لهم: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ

﴿٦٠﴾ [يُوسُف: الآية ٦٠].

□ وسليمان ﷺ يقول: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[النمل: ٢٠، ٢١].

□ ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهَنِّ أَبِيهِ**»[١].

□ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن اللتبية لما أتاه بمال وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي: «**فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَبَيْتِ أُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ**»[٢].

□ ومن ذلك قول أبي بكر الصديق لعروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية: «امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ»[٣].

□ وقول حمزة رضي الله عنه لسباع: «يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٥٤٠) بإسناد صحيح عن الْحَسَنِ، عَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ، عن أُبَيِّ بْنَ كَعْبٍ عن النَبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يتَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا**».

قلت: ومعنى التعزي بعزاء الجاهلية: المناداة والاستغاثة بالنعرات الجاهلية كقول القائل: يا للمهاجرين، يا للأنصار، ويا قبيلة فلان وفلان، ومعنى فأعضوه بهن أبيه: أما الهنُّ: فهو عضو الرجل وأداة الجماع منه، ومعنى أعضوه: أي: قولوا له: عضنَّ هن أبيك.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم وهو في «الصحيحين»، وانظر كذلك مسلم (ص١٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وقال الحافظ: والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ: الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبه المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[١].

❐ ومن ذلك قول موسى ﷺ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٠٢].

ولكنها كما أسلفنا تكون بقدر ولا يتوسع فيها إلا بحسب الحاجة الماسة الملحة الملجئة إليها، والأصل هو حسن الخلق والأصل هو الكلم الطيب، وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد.

وفي «صحيح مسلم»[٢] أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا»**، قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي بن حرب قال: لما قال له قائل: أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ: جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ، قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ، أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ... الحديث.

(٢) مسلم (ص٣٢٧).

التواضع
وعدم التعالي على الناس في الخطاب

فكن متواضعًا خافضًا للجناح عند خطابك مع الناس.

□ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

□ وقد كتب النبي ﷺ بذلك إلى هرقل.

□ وانظر إلى قول الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية ١١].

□ ويقول يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: الآية ٣٧].

فانظر إلى يوسف عليه السلام كيف يرد العلم الذي يحمله إلى الله سبحانه وتعالى!!

❊ وها هي طائفة من أساليب الخطاب التي تحمل طابع التواضع غاية التواضع:

□ ها هو نبينا محمد ﷺ يقول في رسالته لهرقل: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**»(١).

وفي أثناء الرسالة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤].

---

(١) أخرجه البخاي حديث (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

وسليمان عليه السلام كذلك يرسل رسالته فيقول فيها: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٣٠، ٣١].

فمن ثَمَّ وصفته ملكة سبأ بقولها: ﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النَّمل: الآية ٢٩].

فحقًّا إنه كتاب كريم!!

فالزم التواضع في الخطاب مع الناس ولا تتكلم معهم بطريقة المتعالي المستكبر، فقد قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: **«وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**.

وقال ﷺ: **«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»**[(٢)].

طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب

وعليك بطلاقة الوجه وانبساطه لإخوانك في أثناء حديثك معهم:

❑ قال لقمان لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: الآية ١٨].

❑ وقال النبي ﷺ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**[(٣)] أخرجه مسلم.

❑ وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي: **«وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ»**[(٤)].

---

(١) مسلم (٢٨٦٥)، (ص٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٥٨٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ»**.

(٣) مسلم حديث (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أحمد (٥/ ٦٣) بإسناد صحيح وله شواهد.

□ وجير البجلي يقول: «وَلَا رَآنِي النبي ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[(١)].

□ وذم الله تعالى المستكبر ثاني عطفه بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾[(٢)] [الحج: ٨ - ١٠].

ولا تزكوا أنفسكم

❊ ولا تزك نفسك أمام الناس ولا تمن بمعروفك عليهم، إلا إذا دعت الضرورة والحاجة لذلك:

□ فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: الآية ٣٢].

□ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ [المدثر: الآية ٦].

□ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: الآية ٤٩].

□ وقال المقداد رضي الله عنه: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ[(٣)].

□ وقد أثنى رجلٌ على رجلٍ عند رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ:

---

(١) البخاري حديث (٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) معنى ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحج: الآية ٩]: أي: لاوي عنقه تكبرًا، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: الآية ١٨]، أي: لا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرًا.

(٣) أخرج مسلم مع النووي (١٨/ ١٢٧) من طريق أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الأُمَرَاءِ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَاب.

«**وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**» - يَقُولُهُ مِرَارًا - «**إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا**»[(١)]، فثناؤك على نفسك يبغضك إلى الناس، فالناس يكرهون من يتعالى عليهم ويتعاظم.

ولكن إذا دعت الحاجة لمثل ذلك كانت التزكية بقدر الحاجة:

❐ قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥].

فحقًّا إنه حفيظ على الأموال في سنوات المجاعة والشدة، عليمٌ بتصريف الأمور بإذن الله.

❐ وقال النبي ﷺ للأنصار: «**أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي**»[(٢)].

❐ وقال عثمان رضي الله عنه: أَنْشُدُكُمْ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟**» فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»، فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ[(٣)].

❋ ولك أن تنفي عن نفسك بين يدي حديثك[(٤)]:

❐ قال هود عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٧٦)، ومسلم مع النووي (١٨/ ١٢٥)، وفي رواية: «**وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا**».

(٢) البخاري حديث (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) البخاري حديث (٢٧٧٨) معلقًا، وهو صحيح لشواهده.

(٤) وسيأتي هذا الباب بتوسع إن شاء الله.

فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ [هود: الآية ٥١].

□ وبنحوه قال عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود: الآية ٨٨].

□ وقال نبينا محمد ﷺ: «**وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»(١).

وقال عروة بن مسعود الثقفي للمشركين لما أراد أن يشير عليهم بأمرٍ في شأن رسول الله ﷺ والصلح معه، قال عروة: أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا، وَدَعُونِي آتِهِ(٢)... الحديث.

❁ وهذا من أدب الجواب:

□ أخرج البخاري(٣) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**» محتمل، وليس بصريح، واستعمال هذا المحتمل هنا أولى، ووجه ذلك أنه كان في المشركين من هو أشد عداوةً لرسول الله ﷺ من هند، وكذلك لم تكن هند بعد إسلامها أحبَّ

---

(١) البخاري حديث (٦٧٨٨)، ومسلم مع النووي (١١/ ١٨٦).

(٢) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٣) البخاري حديث (٣٨٢٥).

الناس إلى رسول الله ﷺ، ولا كان خباؤها أعزَّ بيت على رسول الله ﷺ، ولكنها قالت مقالة فاحتاجت أن تكافأ على مقالتها، فقال رسول الله ﷺ: «**وَأَيْضًا**»، فقوله ﷺ: «**وَأَيْضًا**» قد تفهم هند منه أن لها نفس المنزلة عنده ﷺ وإن لم يكن صريحًا بذلك.

*** قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1]:**

قوله: «**وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، قال ابن التِّين: فيه تصديق لها فيما ذكرته، كأنه رأى أن المعنى: وأنا أيضا بالنسبة إليك مثل ذلك، وتعقب من جهة طرفي البغض والحب، فقد كان في المشركين من كان أشد أذى للنبي ﷺ من هند وأهلها، وكان في المسلمين بعد أن أسلمت من هو أحب إلى النبي ﷺ منها ومن أهلها، فلا يمكن حمل الخبر على ظاهره.

وقال غيرُهُ: المعنى بقوله: «**وَأَيْضًا**» ستزيدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك، وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له اثر ف «**أيضًا**» خاص بما يتعلق بها، لا أن المراد بها إني كنت في حقك كما ذكرت في البغض ثم صرت على خلافه في الحب بل ساكت عن ذلك، ولا يعكر على هذا قوله في بعض الروايات: «**وأنا**» إن ثبتت الرواية بذلك.

*** وانظر إلى الأدب في الرفض:**

☐ فلما ذكر النبي ﷺ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ (وفي رواية: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ يا رسول الله) قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَامَ آخَرُ

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٧٥).

فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**»[١].

❁ **وهذا أيضًا من الأدب:**

❒ ففي «الصحيح»[٢] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ**»، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا.

فالغلام يكنُّ مودةً ومحبةً لرسول الله ﷺ، واستأذنه رسول الله ﷺ لمناولة الأشياخ، فلم يقل لا آذن، ولكنه رفض بطريقة أثبتت المودة وعبَّرت عما في القلب من محبة تجاه رسول الله ﷺ، فهو رفض يجلب المحبة.

❁ **الخطاب مع عموم الناس:**

❒ وأحيانًا يوجه الخطاب لعموم الناس حتى تعم الفائدة، وأحيانًا لا يُحبذ ولا يستحب الكلام مع عمومهم.

❒ أخرج البخاري[٣] من حديث مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ**»، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا

---

(١) البخاري حديث (٥٧٥٢).

(٢) البخاري حديث (٥٦٢٠).

(٣) البخاري حديث (٢٣٠٧، ٢٣٠٨).

نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ**»، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ**»، فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا.

❐ وبنحو ذلك نصح الصحابة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرج البخاري[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً، فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ، فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لَا يَعُوهَا، وَأَنْ لَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ

---

(١) البخاري حديث (٦٨٣٠).

وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا، فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ.

تقديم الأهم

وعند خطابك مع الناس قدِّم الأهم فابدأ به.

❐ ألا ترى إلى قول شعيب عليه الصلاة والسلام إذ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾ [هُود: الآية ٨٤].

فقدَّم الأمر بالعبادة على النهي عن البخس والتطفيف في المكاييل والموازين.

❐ وكذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ**»(١) الحديث.

وأحيانًا يحتاج الأهم من الكلام إلى تقدمة بأمور هي دونه في الأهمية فليفعل ذلك إن احتيج إليه وتكون هذه صور مستثناة.

ومن التوطئة للحديث والبداية بالأهم: قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما طُلب منه تأويل الرؤيا قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي...﴾ [يُوسُف: الآية ٣٧] الآيات إلى قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم حديث (١٩) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**».

﴿ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: الآية ٣٩]، ثم عبَّر لهم رؤياهم بعد ذلك بقوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ...﴾ [يوسف: الآية ٤١].

تقدمات بين يدي الخطاب وتأهيل المخاطب لاستقبال الحديث

ففي كثير من الأحيان يكون من الأنسب تقديم بعض المقدمات قبل طرق الموضوعات تمهيدًا لبدء الحديث.

فمن ذلك أحيانًا[(١)] البدء بخطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يبدأ بها أحيانًا ويعلمها أصحابه.

□ أخرج أبو داود[(٢)] بإسناد صحيح لغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: الآية ١][(٣)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) وقلنا أحيانًا؛ لأن النبي ﷺ قد وردت عنه صيغٌ أُخر من المقدمات، وأحيانًا يتكلم بلا مقدمات، فقد قال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه - في قصة الواهبة -: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»، ولم يقدم خطبة الحاجة بين يدي الحديث صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) أبو داود حديث (٢١١٨)، والترمذي مع «التحفة» (٤/ ٢٣٧)، والنسائي (٦/ ٨٩)، وأحمد (١/ ٣٩٣) وغيرهم.

(٣) الموجود في «سنن أبي داود»: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ =

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وقد اقتصر رسول الله ﷺ على بعض فقرات من خطبة الحاجة المذكورة في بعض المواطن:

❏ ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي[(٢)] مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ[(٣)]، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ[(٤)]؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**»، قَالَ: فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ

= والصواب ما أثبتناه.

هذا؛ وقد قال ابن قدامة في «المغني»: والخطبة غير واجبة عند أي أحد من أهل العلم علمناه إلا داود فإنه أوجبها لما ذكرناه.

ولنا أن رجلًا قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، زوجنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**» متفق عليه، ولم يذكر خطبة. «المغني» (٦/ ٥٣٧).

(١) مسلم حديث (٨٦٨).

(٢) يرقي: من الرقية وهي العوذة التي يرقى به صاحب الآفة.

(٣) من هذه الريح: المراد بالريح هنا: الجنون ومسُّ الجان.

(٤) فهل لك: أي: فهل لك رغبة في رقيتي وهل تميل إليها.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ(١)، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ.

❐ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

❋ ومن ذلك حمد الله والثناء عليه:

❐ ففي «الصحيح»(٣) من حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ قال: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ:

---

(١) ناعوس: ضبطناه بوجهين: أشهرهما ناعوس، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير «صحيح مسلم»، وقال القاضي عياض: أكثر نسخ «صحيح مسلم» وقع فيها قاموس: قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه: وقال ابن يزيد: لجته، وقال صاحب كتاب «العين»: قعره الأقصى، قاله النووي.

(٢) مسلم حديث (٨٦٧).

(٣) البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي «الفضائل» (٢٤١).

فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ**».

ولما خرج أبو بكر[1] يخبر الناس بوفاة رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه، وقال: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٠] وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٤].

❁ ومن تأهيل المخاطب كذلك:

❏ ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي[3] حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**»، قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالدَّارَ الْءَاخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٨، ٢٩].

قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ.

---

(١) أخرج ذلك البخاري في «صحيحه» (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

(٢) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٨٥).

(٣) المعنى - والله أعلم -: لا بأس عليك بتأخير الإجابة.

بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل

قال سليمان عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**»[١].

وفي صلح الحديبية قال رسول الله ﷺ لعليّ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...**».

تقدمات تتناسب مع موضوع الحديث

وأحيانًا يقدم الخطاب بكلمات تناسب مع ما سيذكر من الحديث، كتقدمة بها يُرفع الحرج عن المتكلم أو يُطلب بها تثبيت المخاطب، ونحو ذلك.

❁ **ومن ذلك ما يلي:**

☐ قول أم سليم لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، ثم سألته سؤالها، فقالت: هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ[٢]؟

☐ وقول ضمام[٣] لرسول الله ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي

---

(١) البخاري حديث (٧)، ومسلم حديث (١٧٧٣).

(٢) البخاري حديث (٢٨٢)، ومسلم (١/ ٦٠٨).

(٣) أخرجه البخاري حديث (٦٣) من حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ =

الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

ومن ذلك قصة أم سليم مع زوجها رضي الله عنه لما مات ولدها، فانظر إلى حديثها الطيب وصنيعها الجميل قبل أن تخبر زوجها بوفاة ولده:

□ أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَتْ: وَارِ الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ «**أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ**»[2]، قَالَ:

= لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**»، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ: آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

قلت: ويؤخذ من هذا الحديث أيضًا مما يتعلق بفقه الخطاب، ترك الاسترسال في الحديث إذا لم تكن فيه فائدة، فالرجل لما سأل رسول الله ﷺ فقال: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**»، فالرجل يعلم أن رسول الله ﷺ هو ابن عبد المطلب، قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٨٢): نزل تقريره للصحابة في الإعلام عنه منزلة النطق.

قلت: وفيه أيضًا نوع من التقدمات التي يتقدم بها الحديث، وذلك في قوله: أسألك بربك ورب من قبلك، وفي قوله: أنشدك بالله.

وفيه كذلك الإيجاز والاختصار، وذلك من قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**».

(١) البخاري حديث (٥٤٧٠)، ومسلم (ص١٦٩٠).

(٢) يعني: هل جامعت أهلك الليلة.

=

نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**»، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَمَعَهُ شَيْءٌ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ، وَحَنَّكَهُ بِهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ الله.

❊ وانظر إلى تقدمة أم سليم الحسنة بين يدي اعتذارها:

❒ أخرج النسائي[1] بإسناد صحيح من حديث أَنَسٍ، قَالَ: خَطَبَ أَبُو

= في بعض الروايات: أن أم سليم قالت: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ أَهْلَ بَيْتٍ أَعَارُوا أَهْلَ بَيْتٍ عَارِيَةً فَطَلَبَهَا أَصْحَابُهَا، أَيَرُدُّونَهَا أَوْ يَحْبِسُونَهَا؟ قَالَ: بَلْ يَردونَهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَتْ: احْتَسِبْ أَبَا عُمَيْرٍ.
وفي رواية أخرى وإسنادها صحيح أيضًا: أن أم سيلم قالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه فرجع من المسجد، وقد يسرت له عشاءه، كما كانت تفعل، فقال: ما فعل الغلام - أو الصبي؟ - قالت: خير ما كان، فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله، فلما كان من آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طُلبت إليهم شقَّ عليهم؟ قال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك فلانًا كان عارية من الله فقبضه إليه، قال: فاسترجع وحمد الله... الحديث.
وفي رواية أخرى وإسنادها صحيح أيضًا أنها قالت: يَا أَبَا طَلْحَةَ، إِنَّ آلَ فُلَانٍ اسْتَعَارُوا مِنْ آلِ فُلَانٍ عَارِيَةً، فَبَعَثُوا إِلَيْهِم ابْعَثُوا إِلَيْنَا بِعَارِيَتِنَا فَأَبَوْا أَنْ يَرُدُّوهَا، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ، إِنَّ الْعَارِيَةَ مُؤَدَّاةٌ إِلَى أَهْلِهَا، قَالَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللهِ ﷻ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ قَبَضَهُ فَاسْتَرْجَعَ.
وفي رواية أخرى، أنه قال لها: ما فعل ابني؟ قالت: صالح، فأتته بتحفتها التي كانت تتحفه بها، فأصاب منها، ثم طلبت منه ما تطلب المرأة من زوجها فأصاب منها، ثم قالت: ما رأيت ما صنع ناسٌ من جيرتنا كانت عندهم عارية فطلبوها، فأبوا أن يردوها فقال: بئس ما صنعوا، فقالت: هذا أنت كان ابنك عارية من الله، وإن الله قد قبضه إليه، فقال لها: والله لا تغلبيني الليلة على الصبر. وكل هذه الروايات عند ابن سعد في «الطبقات» وغيره وبمجموعها وبمفرداتها تصح بلا شك ولا ريب.

(١) النسائي (٦/ ١١٤).

طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا.

قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الإِسْلَامَ، فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ.

□ وأخرج ابن سعد في «الطبقات»[1] بإسناد صحيح عن أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ يَخْطُبُ أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ مُشْرِكًا، أَمَا تَعْلَمُ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَنَّ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَ يَنْحَتُهَا عَبْدُ آلِ فُلَانٍ النَّجَّارُ، وَأَنَّكُمْ لَوْ أَشْعَلْتُمْ فِيهَا نَارًا لَاحْتَرَقَتْ؟ قَالَ: فَانْصَرَفَ عَنْهَا وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ مَوْقِعًا، قَالَ: وَجَعَلَ لَا يَجِيئُهَا يَوْمًا إِلَّا قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَتَاهَا يَوْمًا، فَقَالَ: الَّذِي عَرَضْتِ عَلَيَّ قَبِلْتُ، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهَا مَهْرٌ إِلَّا إِسْلَامُ أَبِي طَلْحَةَ.

❁ ومن التقديمات بين يدي الخطاب والأدب في ذلك:

□ قول وفد عبد القيس لرسول الله ﷺ لما أتوه: قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ، مَاذَا يَصْلُحُ لَنَا مِنَ الأَشْرِبَةِ[2]؟

□ وقول عمر لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ! قَالَ: «**نَعَمْ**»[3].

---

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣١٢).

(٢) مسلم (ص٥٠).

(٣) مسلم (ص٦٠)، حديث (٣١).

❐ وهرقل يقدم مقدمةً بين يدي رغبته في إسلام قومه من الروم فيقول لهم: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ(١).

❐ ومن ذلك أيضًا: قول النبي ﷺ لليهود: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**»(٢).

❐ ومن ذلك: قول حاطب لرسول الله ﷺ(٣): يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، وذلك لما أرسل حاطب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، وعلم بذلك رسول الله ﷺ وأُتي بالرسالة، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا...**» الحديث.

❐ وانظر إلى التقديم الطيب الرائع الذي يُقدمه عبد الله بن عدي بن

---

(١) البخاري حديث (٧).

(٢) البخاري (٣١٦٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودَ**»، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ.
قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**»، قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: «**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**»، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: «**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**»، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اخْسَؤُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**».
ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

(٣) البخاري (٣٠٠٧)، (٤٢٧٤)، ومسلم حديث (٢٤٩٤).

الخيار بين نصيحته لأمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أخرج البخاري[١] من طريق عُبَيْد اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالَا لَهُ[٢]: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ خَالَكَ عُثْمَانَ فِي أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ؟ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاس فِيمَا فَعَلَ بِهِ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَانْتَصَبْتُ لِعُثْمَانَ حِينَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهْيَ نَصِيحَةٌ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَانْصَرَفْتُ، فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ جَلَسْتُ إِلَى الْمِسْوَرِ وَإِلَى ابْنِ عَبْدِ يَغُوثَ فَحَدَّثْتُهُمَا بِالَّذِي قُلْتُ لِعُثْمَانَ وَقَالَ لِي، فَقَالَا: قَدْ قَضَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْكَ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُمَا إِذْ جَاءَنِي رَسُولُ عُثْمَانَ، فَقَالَا لِي: قَدِ ابْتَلَاكَ اللَّهُ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ الَّتِي ذَكَرْتَ آنِفًا قَالَ: فَتَشَهَّدْتُ ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَآمَنْتَ بِهِ، وَهَاجَرْتَ الْهِجْرَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، فَحَقٌّ عَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ أَخِي، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ قَدْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا خَلَصَ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: فَتَشَهَّدَ عُثْمَانُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهَاجَرْتُ الْهِجْرَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، كَمَا قُلْتَ وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ وَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ، وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَوَاللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٧٢)، (٣٦٩٦).

(٢) في رواية البخاري (٣٦٩٦) فقد أكثر الناس فيه.

مَا عَصَيْتُهُ، وَلَا غَشَشْتُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتُهُ، وَلَا غَشَشْتُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ أَفَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي كَانَ لَهُمْ عَلَيَّ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ، قَالَ: فَجَلَدَ الْوَلِيدَ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً، وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَجْلِدَهُ، وَكَانَ هُوَ يَجْلِدُهُ.

❐ ومن ذلك أيضًا: قول النبي ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»(١).

❐ وفي رواية في «الصحيحين»: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»(٢).

❐ ومن ذلك أيضًا: قول عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن شداد: هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟(٣).

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (٤٩٧٢).

(٢) البخاري حديث (٤٣٣٠)، ومسلم حديث (١٠٦١).

(٣) أحمد في «المسند» (١/ ٨٦، ٨٧).

تطييب الخواطر مع الإرشاد إلى الأفضل

وينبغي أن تطيب خاطر من تحادثه مع إرشاده وتوجيهه إلى الأفضل:

❐ ففي «الصحيحين»(١) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ، فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

❐ وفي «الصحيحين»(٢) كذلك من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**».

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم حديث (١٠٥٣).

(٢) البخاري (١٤٧٢)، ومسلم حديث (١٠٣٥).

مزيد من أدب النصح والخطاب والتوجيه

إذا أخطأ فاضل من الفضلاء في مسألة وزلت قدمه فيها، ورأيت أن تبين له وجه خطئه فيها، فذكِّره بما فيه من محاسن بين يدي بيانك وتنبيهك، ثم قدِّم نصيحتك، فيكون ذلك أدعى لتهيئة مشاعره لقبول قولك والعمل بنصحك، فما من البشر أحد إلا وزلت قدمه في مسألة من المسائل أو أخطأ في فهمها فاذكر لأهل الفضل فضلهم، والتمس لهم المعاذير في أخطائهم، ألا تقرأ كتاب الله في شأن نبييه داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

فانظر إلى قوله سبحانه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]، فحتى لا يتسرب إلى ذهن شخص أن داود عليه السلام قليل الفهم، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]، ثم ذكر الله بعض الفضل الذي منَّ به على داود عليه السلام بقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩].

فإذا أخطأ شخص في مسألة فقل مثلًا: يا هذا عهدناك تفهم، ونعرف عنك الفضل والذكاء، لكنك في هذه المسألة ابتعدت شيئًا ما عن الصواب، فلعلك مرهق، لعلك متعب، لعلك... وذلك حتى تسمح له بالتفكير وإعادة النظر، وأيضًا حافظ على حقوق وأعراض من تقوِّم تصرفاته أو توضحها لمن خفيت عليه.

□ قال الله سبحانه في شأن نبيه يعقوب عليه السلام مع نبيه: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟

مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف: ٦٧، ٦٨].

□ فانظر إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: الآية ٦٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: الآية ٦٨]؟! فقد يظن ظانٌّ أن يعقوب قليل العلم لما قال لبنيه: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ [يوسف: الآية ٦٧] فدفع هذا الظن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: الآية ٦٨].

□ وكذلك فأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٤ - ٧٦].

□ فانظر إلى قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: الآية ٧٤]!! ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: الآية ٧٥]!! ثم إلى قوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [هود: الآية ٧٦].

□ وكذلك فلتنظر إلى قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٤٣].

فلتقل لصاحبك إذا فعل ما لا تريد: عفا الله عنك لم صنعت كذا؟! هلا صنعت كذا وكذا؟! وفقك الله، كان ينبغي أن تصنع كذا وكذا؟!

إنك إن قلت له مثل ذلك هيأت نفسيته لقبول ما ستلقي عليه، وأدخلت الثقة في نفسه، وحملته على الإصلاح، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

من طرق الإقناع

* وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الإقناع:

ألا وهي تقرير المخاطب بأصولٍ وقواعدَ، ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره، وهي طريقة لها أصولها وأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء:

□ قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٥ - ٨٩].

□ وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذًا منهم الاعتراف والإقرار بصدقه: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**»[1].

□ وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار المؤلفة قلوبهم، ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا (أي: حزنوا) إذا لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ: أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟**»، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ... ثم قال لهم: «**أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ،**

---

(١) البخاري حديث (٤٧٧٠)، ومسلم حديث (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ...» الحديث[١].

❏ وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[٢] من حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ! فَقَالَ: «**ادْنُهْ**»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**»، قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**»، قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**»، قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**»، قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

❏ وها هو عليه السلام يقرر اليهود[٣] - قبل إخبارهم بإسلام عبد الله بن سلام - بسيادة عبد الله بن سلام وفضل عبد الله بن سلام.

قال عليه الصلاة والسلام لليهود: «**فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟**»، قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**»، قَالُوا: حَاشَى لِلهِ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**»،

---

(١) البخاري حديث (٤٣٣٠)، ومسلم حديث (١٠٦١).
(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٦) بإسناد صحيح.
(٣) لكن التوفيق من عند الله.

قَالُوا: حَاشَى لِلهِ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟**»، قَالُوا: حَاشَى لِلهِ، مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «**يَا ابْنَ سَلَام، اخْرُجْ عَلَيْهِمْ**»، فَخَرَجَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

□ وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه، وقد كان منهم آنذاك، يقول لهم: أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا، وَدَعُونِي آتِيهِ... الحديث[2].

فانظر إلى استهلاله للحديث وإلى ذِكْرِ مآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة أو الغش لهم... ثم حثه لهم على قبول خطة الصلح.

فحقًّا إنه فقه تعامل وفقه تخاطب مع الناس، يؤتيه الله من يشاء من عباده، فهي طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن.

❁ وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الأدب في الخطاب:

تلك الطريقة التي سلكها الأنصار مع رسول الله ﷺ لما أُسر العباس عم رسول الله ﷺ مع المشركين يوم بدر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

□ فقد أخرج البخاري[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ائْذَنْ لنا فَلْنَتْرُكْ لابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، فَقَالَ: «**لَا تَدَعُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا**».

فالأنصار أخوال أبيه عبد المطلب (أي: أخوال ولد العباس)[٢] وهي درجة قرابة أبعد من قرابة العباس من رسول الله ﷺ، فالعباس هو عم رسول الله ﷺ.

فلم يقولوا: ائذن لنا فلنترك لعمك فداءه، ولكن قالوا: (ائذن لنا أن نترك لابن أختنا فداءه)، وذلك حتى تكون المنة إنما هي من رسول الله ﷺ عليهم في الإذن لهم بالتنازل عن الفدية، وليست منهم على رسول الله ﷺ بالمن على عمه بترك الفدية.

إلى هذا أشار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إنما قالوا: ابن أختنا، لتكون المنَّة عليهم في إطلاقه، بخلاف ما لو قالوا: عمك، لكانت المنَّة عليه ﷺ، وهذا من قوة الذكاء وحسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع النبي ﷺ من إجابتهم لئلا يكون في الدين نوع محاباة.

* * *

(١) البخاري حديث (٢٥٣٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فتح الباري» (٥/ ٢٠٠): والمراد أنهم أخوال أبيه عبد المطلب، فإن أم العباس هي نتيلة - بالنون والمثناة مصغرة - بنت جنان - بالجيم والنون - وليست من الأنصار، وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم؛ لأنها سلمى بنت عمرو ابن أحيحة - بمهملتين مصغر - وهو من بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة، وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب.

❁ ومن أمثلة ذلك في حياتنا الدنيا وتعاملاتنا مع الناس ما يلي:

☐ تريد أن تطعم شخصًا من بيتك، ففرقٌ بين قولك له: هيا إلى بيتي أُطعمك، وبين قولك له: هل تتفضل عليَّ وتشرفني بالطعام في بيتي؟!

☐ شخص يدعوك لوليمة عنده، ففرقٌ أن تقول له: لن آتي، وبين قولك له: هل تسمح لي في التأخير لأفعل كذا وكذا؟

إنك بقولك الأخير جعلته صاحب القرار، مع أنك في الحالين ستصل إلى مرادك بإذن الله.

☐ وكذلك إذا تقدم رجلٌ لخطبة امرأة فقررت في نفسها الامتناع عن الزواج به، فَفَرْقٌ بين قولها له: أنا أرفضك، أو لا أرغب فيك، وبين قولها له: إني رأيتك فرأيت أنك تحتاج إلى امرأة هي أفضل مني، أو إن بلدتكم بعيدة عن بلدتي ووالدتي لا ترغب في غربتي، إلى غير ذلك من أساليب الامتناع الطيبة التي لا تكسر خاطرًا ولا تُهين مسلمًا ولا تجرح حياءً.

والموفق من وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

☐ وكذلك فانظر إلى إجابة وحشي بن حرب لرسول الله ﷺ، ففي «صحيح البخاري»[(١)]: أن وحشيًّا قدم على رسول الله ﷺ، قال وحشي: فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**آنْتَ وَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ.

فانظر إلى قوله لما سأله رسول الله ﷺ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، وإجابته بقوله: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ.

---

(١) البخاري حديث (٤٠٧٢).

فلم يقل له: نعم، أنا قتلته وفعلت به وفعلت، فإن في ذلك إثارة للكامن في النفوس، ولكنه قال: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ... فافهم يا عبد الله، وانتق الكلمات واختر أفضل العبارات وسل الله التوفيق والسداد.

❋ ولك أن تثبت المودة والمحبة لمن ستعتذر إليه أو تقوم بنصحه حتى يقبل منك عذرك أو يسمع إلى نصحك:

❐ فحاطب يقول بين يدي اعتذاره لرسول الله ﷺ عمَّا قام به من إرسال رسالة للمشركين: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ[1].

❐ ويقول أيضًا: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ.

❐ وأسامة بن زيد يرسل إلى عليٍّ رضي الله عنه، لما تخلف عنه أسامة في قتال معاوية فيقول معتذرًا عن حضوره القتال: لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الْأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ[2].

وهذه كلمات موجزة مؤدية للغرض من رسول الله ﷺ، صحبها استهلالٌ بين يدي الخطاب من رجلٍ عاقلٍ جاء يسأل رسول الله ﷺ:

❐ أخرج مسلم في «صحيحه»[3] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ، فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ:

---

(١) البخاري حديث (٤٢٧٤)، ومسلم حديث (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٠).

(٣) مسلم حديث (١٢).

فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ**».

❋ ومن ذلك إدخالك السرور على من تحادثه:

❏ ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا[(٢)] سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا[(٣)]، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ

(١) مسلم حديث (١٤٧٨).

(٢) الواجم: هو الذي اشتد حزنه.

(٣) وجأت عنقها: أي: طعنتها في رقبتها.

عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا كِلاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا، أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٨] حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»**، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ.

قَالَ: **«لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا[(١)] وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»**.

❊ ❊ ❊

---

(١) معنتًا: مشددًا على الناس وملزمًا لهم بما يشق عليهم، ومتعنتًا طالبًا زلتهم.

انتقاء الكلمات واختيار الألفاظ والعبارات

□ وينبغي أن تنتقي الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب، فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه[١]، كما قال الرسول ﷺ، فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًّا وغمًّا، ويمكن أن تُبْدَل بكلمة تجلب انشراحًا وسعادة، وها نحن نورد بعض نماذج ذلك:

□ فرقٌ بين قولك لشخص ضربه آخر وظلمه: أين المضروب؟ وبين قولك: أين صاحب الحق؟ فالمضروب هو صاحب الحق، ولكن في قولك له: أين المضروب؟ أو أنت المضروب؟ مزيدُ إهانة وإذلال، لكن في قولك: أين صاحب الحق؟ ردٌّ للأمور إلى نصابها.

□ وفرقٌ كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارٌ موقدة: يا أهل النار، أو: يا أصحاب النار، وبين ندائك لهم: يا أهل الضوء، أو: يا أصحاب النور.

□ وكذلك ثَمَّ فرقٌ بين قولك لرجلٍ تزوج باثنتين: من هي الزوجة القديمة؟ وقولك: من هي الزوجة الأولى، أو: بين قول الزوج نفسه متحدثًا عن زوجته: الزوجة القديمة، وبين قوله: أم فلان بكنيتها.

□ وانظر إلى أدب عليٍّ رضي الله عنه ومعه صحابيٌّ آخر[٢] لما أرسلهما النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم حديث (٣٥٩٤)، ولفظه: «**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ**».

(٢) الرجل الآخر أشار الحافظ إلى أنه عمران بن الحصين رضي الله عنه.

للبحث عن الماء، فَانْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ - أَوْ سَطِيحَتَيْنِ - مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، فَقَالَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ قَالَتْ: عَهْدِي بِالْمَاءِ أَمْسِ هَذِهِ السَّاعَةَ، وَنَفَرُنَا خُلُوفًا، قَالَا لَهَا: انْطَلِقِي إِذًا، قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا: إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتِ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ؟ قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ... الحديث[1].

فانظر إلى هذا الأدب فلم يقولا لها: لا، حتى لا يقعا في الكذب، ولم يقولا لها: نعم، فيكون في مقالتهما إقرارٌ على أنه الصابئ، وإن كانت كلمة الصابئ تتحمل جملة؛ إذ الصابئ هو الذي ترك دينه واعتنق دينًا آخر.

ولكن لا يليق بحالٍ وصْفُ النبي ﷺ بأنه صابئ، فقد استقر في ذهن الناس آنذاك أن من وصف بهذا فهو مذموم، ولذلك عدل عليٌّ رضي الله عنه ومن معه إلى هذه الكلمة: هو الذي تعنين.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[2]: وفيه أدب حسن، ولو قالا لها: لا، لفات المقصود، أو نعم، لم يحسن بهما، إذ فيه تقرير ذلك، فتخلصا أحسن تخلص.

قلت: فيا سبحان الله من علَّم هؤلاء الأميين هذا العلم ومن أدبهم بهذا الأدب؟!

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وجزى الله خيرًا نبينا محمدًا عليه أفضل صلاة وأتم سلام.

❑ وانظر أيضًا إلى ما في هذه الآية الكريمة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

---

(١) البخاري حديث (٣٤٤).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٣٨).

حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: الآية ٢٥].

فأثبت الله تعالى أن الصحابة يوم حنين ولَّوا مدبرين، ولكن لما سئل البراءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تُرى كيف أجاب؟ ففي «الصحيح»[1] أن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، أَتَوَلَّيْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يُوَلِّ...

وفي رواية: أَفَرَرْتُمْ[2] عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ...

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذا أجابه بقوله: «نعم فررنا» أن رسول الله ﷺ فرَّ معهم، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، فنعم هذا الأدب.

وقد قال النووي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: هذا الجواب من بديع الأدب؛ لأن تقدير الكلام: فررتم كلكم؟ فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء: لا والله، ما فرَّ رسول الله ﷺ.

□ **ومن ذلك**: قول النبي ﷺ لما بغله أن خالدًا قتل القوم الذين قالوا: صبأنا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، وأمر أيضًا بقتل الأسرى منهم، فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**»[3].

ففرقٌ بين قول: «اللهم إني أبرأ إليك من خالد»، وقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ**

---

(١) البخاري (٤٣١٥).

(٢) البخاري (٤٣١٧).

(٣) البخاري (٧١٨٩).

إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ».

❁ واللفظة التي تحتمل احتمالات إذا لم يحتج إليها للتعريض ونحوه فاتقها واستعمل غيرها:

❐ قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٤].

فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نهوا عن قول: راعنا؛ لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول الله ﷺ وسبِّه، والسخرية والنَّيل منه.

❐ وأخرج الطبري بإسناد حسن[1] إلى قَتَادَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٤]، قَوْلٌ كَانَتْ تَقُولُهُ الْيَهُودُ اسْتِهْزَاءً، فَزَجَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ.

❁ ❁ ❁

---

(١) الطبري (١٧٢٨).

التنادي بأحب الأسماء

ويستحب لك أن تنادي الناس وتدعوهم بأحب أسمائهم إليهم، وأوقعها في أنفسهم، ولتعتقد ولتوقن أنك بذلك مثابٌ من الله ﷻ، ثم إن فعلك هذا يُحببك إلى خلق الله ﷻ ويقربك من قلوبهم.

فاعمد إلى كل اسم محبوب إلى النفس وادع الناس به.

ألا ترى أن الملائكة تصعد بنفس المؤمن الطيبة، «**فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**».

أما الروح الخبيثة: «**فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا**»(١).

هذا، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

أي: أنك إذا تنابزت بالألقاب تحولت من مؤمن إلى فاسق، وبئس أن تتسمى بفاسق.

* * *

(١) انظر أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧) فهو مطوّل هنالك، وإسناده صحيح.

مخاطبة الناس على قدر عقولهم

□ وهذا باب من الأهمية بمكان، فانظر إلى أفهام الأشخاص قبل أن تحدثهم، ولا تفتن الناس بحديثك، وانظر ماذا تريد منهم، ومن ثَمَّ وجِّه الخطاب بالقدر الذي يفهمونه ويتحملونه فحينئذٍ يُفهم عنك مرادك، وتجاب إلى طلبك.

□ أخرج البخاري[١] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُه!».

□ وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[٢].

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين:

□ ففي «الصحيحين»[٣] من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «**يَا مُعَاذ بْن جَبَلٍ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا**

---

(١) البخاري حديث (١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال: . . . فذكره «ترتيب محمد فؤاد» (ص١١).

قلت: وإسناده منقطع، و«مقدمة مسلم» ليست على شرط «الصحيح».

(٣) البخاري حديث (١٢٨)، ومسلم حديث (٣٢).

حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا»، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[١].

فانظر إلى قوله: «إِذًا يَتَّكِلُوا»، وفي الرواية الأخرى[٢]: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا».

❐ ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة، ودخل على إثره، فقال: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلِّهِمْ»[٣].

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يُفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه، وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه.

❋ ولا يُجهر بكل كلام مع الناس:

❐ ففي «الصحيح» عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَيَا[٤]. . . الحديث.

فإذا كنت تريد من أحدٍ مسألة خاصة أو توجيهًا خاصًّا فلا تجهر بمسألتك ولا بنصيحتك أمام الناس، ولكن أسرَّ إليه ما تريد، وقد أسرَّ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثًا.

---

(١) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.
(٢) البخاري حديث (١٢٩)، ومسلم حديث (٣٢).
(٣) مسلم حديث (٣١) (ص٦١).
(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم حديث (١٤٠٠).

وأسرَّ رسول الله ﷺ إلى فاطمة ابنته أيضًا بحديث(١).

مراعاة حرمات الأوقات والأماكن وأقدار الناس

❏ ولْتُرَاعَ حرماتُ الأوقات والأماكن، ولينظر إلى أقدار الناس عند الخطاب فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧].

❏ وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»(٢).

❏ وقال عمر لمن رفع صوته عند مسجد رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا».

❏ وقال سبحانه في شأن الحرم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: الآية ٢٥].

❏ وقال تعالى للنساء عند حديثهن مع الرجال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢].

❏ وقال للرجال مع النساء: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٥].

❏ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) البخاري حديث (١٩٠٤)، ومسلم (ص٨٠٧).

□ وتقدم أيضًا قول الرسول ﷺ لأصغر الرجلين لما ذهب يتكلم: «... كَبِّرْ كَبِّرْ».

خفض الصوت عند مخاطبة أهل الفضل

□ وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: الآية ٢].

□ وقال عروة بن مسعود الثقفي يصف صحابة رسول الله ﷺ مع نبيهم عليه الصلاة والسلام فيقول: ... وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ... الحديث(١).

□ وقد قال لقمان لولده: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٩]، وكأن هذا كان معهودًا حتى عند أهل الكفر، فقد قال - أمية بن خلف وكان كافرًا - لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما رفع سعد صوته على أبي جهل: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأحيانًا يرفع الصوت لحاجة، وقد قدمنا نماذج لذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٥٠) من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صَدِيقًا لأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ لأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلاَ أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ؟ أَمَا وَاللهِ، لَوْلاَ أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ. وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ.: أَمَا وَاللهِ، لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَمَنَعْتُكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ، طَرِيقَكَ =

ولا تعد الكلام المُذكر بالأسى والحزن

فإعادة الكلام الذي يذكر بالأسى والألم لا تستحب، فانظر إلى هذا الجواب من وحشي بن حرب قاتل حمزة بعدما أسلم، وقدم على رسول الله ﷺ فسأله رسول الله ﷺ فقال له: «**آنْتَ وَحْشِيٌّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟**»، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ[1].

فلم يُعِدْ وحشي ذكر القتل على مسامع رسول الله ﷺ، بل قال على وجه الإجمال: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ.

وبنحو هذا أجاب الأنصار لما تكلم بعضهم في قسمة رسول الله ﷺ غنائم حنين، فدعاهم رسول الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟**»[2]، وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ، فَقَالُوا: هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ.

= عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ، قَالَ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّةَ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَقَالَ أُمَيَّةُ: وَاللهِ لاَ أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ، قَالَ: أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ، وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ، حَتَّى قَالَ: أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي، فَوَاللهِ لأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ: يَا أُمَّ صَفْوَانَ، جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا صَفْوَانَ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: لاَ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلاَّ قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ، أَخَذَ لاَ يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلاَّ عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ ﷻ بِبَدْرٍ.

(١) البخاري (٤٠٧٢).

(٢) البخاري (٣٧٧٨).

فالكلام المؤذي الذي يُذكِّر بالمآسي والآلام لا يُعاد ولا يكرر، أما الكلام الطيب فيعاد ويكرر إذ السامع يحب ذلك ويرغب فيه، ومن ثَمَّ قال بعضُ المفسرين لما طُرح سؤالٌ في قول زكريا ﷺ: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥]، فلما بُشر قال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم: الآية ٨]، فكيف سأل - وقد سأل وهو كبير بدلالة قوله: ﴿إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤]، ولما بُشر قال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ [آل عمران: الآية ٤٠] ولِمَ تعجب من الإجابة لما أُجيب؟!

فأجاب بعض المفسرين بأجوبة منها: أنه سأل كي يُعاد عليه التبشير بالغلام، وهذا مما يُسعد ويفرح، والله أعلم.

الأدب فيما يُنقل عن الله ﷻ

ويجب أن يتأدب الشخص فيما ينقله عن ربه ﷻ، فينسب إليه كل طيب وجميل، ويحترز الشخص في ألفاظه في هذا الباب غاية الاحتراز.

وأسوق نماذج وأمثلة أوضح منها مرادي، وما توفيقي إلا بالله:

□ يقول الخليل إبراهيم ﵇: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١]

فانظر إلى قوله: «يهدين، ويطعمني، ويسقين، ويشفين...» فنسب كل ذلك إلى الله ﷻ، ولكنه لما جاء إلى المرض نسبه إلى نفسه فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ [الشعراء: الآية ٨٠] مع أن الله قال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: الآية ١١]، ولكن تأدبًا من الخليل إبراهيم ﵇، نسب الخليل المرض على نفسه.

☐ ونحو ذلك قول الخضر لموسى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: الآية ٧٩]، فألصق عيب السفينة بنفسه، ولكن جاء عند ذكر الجدار فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: الآية ٨٢].

☐ ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**».

❋ **وانظر إلى هذه الدقة التي تنم عن إيمان بالله ﷻ:**

☐ فحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه رجل مسلم مهاجري بدريٌّ هاجر من مكة إلى المدينة، ثم إن الرسول ﷺ أراد أمرًا بأهل مكة، فأرسل حاطب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بأمر رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه ﷺ على أمر هذه الرسالة فسأل حاطب: «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**»، فانظر إلى ردِّ حاطب رضي الله عنه وهو يقول: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ[1].

فانظر إلى دقته في قوله: «يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي»، فاعجب من معرفته بالله، فليست اليد، وليس المعروف الذي يصنعه حاطب بأهل مكة هو الذي يدفع الشر عن أهله وماله، بل يدفع الله بهذا المعروف... فحقًّا إنه مؤمن مع ما قد صدر منه وبَدَرَ.

☐ ومن الجهل أن تهزأ بأوامر الله أو أن تنقل خطأ ولو على سبيل المزاح عن الله ﷻ أو عن رسوله ﷺ.

فليس هذا من شيم الفضلاء، ولا من شيم الأتقياء، بل هو من شيم

(١) البخاري (٣٩٨٣).

الجهلاء الأغبياء.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ [البقرة: الآية ٦٧].

لفت نظر المخاطب
وجذب انتباهه لاستماع الحديث

وهذا يُحتاج إليه في كثير من الأحيان، وخاصة في الأمور المهمة التي يُراد التنبيه عليها أو التحذير منها أو السؤال عنها.

ولذلك طرق، منها ما يلي:

❁ **جذب الانتباه بإثارة سؤالٍ وطرحه:**

□ كقول الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ [الكهف: الآية ١٠٣].

فيشتاق القارئ والسامع إلى من هم الأخسرون أعمالًا.

فيقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: الآية ١٠٤].

□ وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

وقد فعل ذلك أيضًا رسول الله ﷺ:

□ ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) مسلم حديث (٢٩٥٧).

مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ[١]، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[٢] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**»، فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**»، قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**».

فانظر كيف لفت رسول الله ﷺ نظر أصحابه وجذب انتباههم ثم بين لهم حقارة الجدي الميت، ومن ثَمَّ حقارة الدنيا حتى يزهدوا فيها.

❋ **ومن جذب الانتباه ولفت النظر بطريقة السؤال أيضًا:**

قول النبي «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**»[٣].

ثم يجيب الرسول ﷺ بعد ذلك عن هذا، وقد اشتاقوا إلى معرفة الجواب، فيرسخ الجواب في أذهانهم، وتثبت الموعظة في قلوبهم بإذن الله.

ومن ذلك قول النبي ﷺ، وقد قال: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَام أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟**»، قال: «**فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[٤].

❐ **ومن ذلك**: قول مسروق لعائشة رضي الله عنها، لما قالت له: ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ

---

(١) كنفته: أي: جانبه.

(٢) الأسك: هو صغير الأذن.

(٣) مسلم حديث (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) مسلم (٢/ ٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قال: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي[١]... ثم ذكر ما أراد رَحِمَهُ اللَّهُ.

□ **ومن ذلك**: قول النبي ﷺ: «**أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ؟ بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ**»[٢].

وأحيانًا يطرح الشخص سؤالًا هو يعلم إجابته سلفًا، ولكن هذا الطرح لإفهام الجالسين وتعليمهم، فقد جاء جبريل وسأل رسول الله ﷺ جملة مسائل ليعلم الناس أمر دينهم، كما في «صحيح مسلم»[٣] من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فيه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ... الحديث. وفيه: «**أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ**»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

ومن ذلك جذب الانتباه ببيان عظيم الأجر وجميل الثواب أو عظم الذنب وكبير الإثم، وذلك قبل بيان الفعل حتى يجذب المستمع والمخاطب ويتشوق إلى سماع هذا الشيء الذي به يُنال الثواب أو يُدرأ به العقاب.

ومن ذلك ما يلي:

□ قوله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ**

---

(١) مسلم حديث (١٧٧).

(٢) البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٣) مسلم حديث (٨).

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فيسأل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ويشتاق أبو ذر إلى معرفتهم، فيخبره بهم رسول الله ﷺ فيقول: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[1].

❋ ومن ذلك تكرير التحذير وتكرير الترغيب والوصية[2]:

❑ فقد قال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»[3]، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قال الصحابة: لَيْتَهُ سَكَت.

❑ ومنه: قول النبيّ ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[4].

❋ ومن ذلك رفع الصوت الزائد إن احتيج إليه:

❑ فقد كان النبي ﷺ في سفر ورأى الصحابة يتوضئون ومنهم من يُقصِّر في غسل الرجلين إلى الكعبين فنادى بأعلى صوته: «**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**»[5] مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا.

❋ ومن ذلك طلب الإنصات من الناس:

❑ فقد قال النبي ﷺ لجرير في حجة الوداع: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**»، ثم

---

(١) مسلم حديث (١٠٦).

(٢) وسيأتي في تكرير الحديث باب أوسع إن شاء الله.

(٣) أخرجه البخاري حديث (٨٧)، ومسلم حديث (٨٧) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري حديث (٦٠١٥)، ومسلم حديث (٢٦٢٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا، وقوله: «**سَيُوَرِّثُهُ**» أي: يجعل له نصيبًا من الميراث، وذلك بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ.

(٥) أخرجه البخاري حديث (٦٠)، ومسلم حديث (٢٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا.

قَالَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[١].

❐ ومن ذلك التثبت من الشخص بشأن ما نُقل عنه قبل عتابه، وتوبيخه فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»، قال عبد الله: قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «**فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ...**» الحديث[٢].

❐ وفي الباب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجرات: الآية ٦].

ولا تجلب على الناس شرورًا بحديثك

❐ قال يعقوب ﷺ ليوسف عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يُوسُف: الآية ٥].

❐ وقال النبي ﷺ لما سُحِرَ وكشف الله ما به من ضُرٍّ: «**أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٢١)، ومسلم حديث (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ...**» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٩٧٥)، ومسلم حديث (١١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري حديث (٥٧٦٥)، ومسلم حديث (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولا تجهر بالسوء من القول

□ قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

وذلك - والله أعلم - لأن الجهر بالسوء من القول يساعد على نشر السوء، وتفشيه ويساعد أيضًا على نشر الرذيلة، وفحوى ذلك على وجه الإيجاز: أنك إذا سمعت قومًا يتحدثون أن فلانًا قد زنى، فإنك تستنكر ذلك وتبغض هذا الزاني، ثم إن سمعت بعد مدة أن فلانًا ما قد زنى بمحرمه هان عليك أمر الزاني الأول، وتحولت كراهيتك للزاني بمحرمه، ثم إن سمعت بعد ذلك وانتشر في الناس أن فلانًا ما قد زنى بامرأة على قارعة الطريق أمام المارة نسيت أمر من زنى بمحرمه، واتجهت لإنكار ما فُعل أخيرًا، وهكذا تهون الخطوب بكثرة ذكرها والخوض فيها.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه كان في بلدة صغيرة، قرية من القرى، لا يكاد الخمر يُعرف فيها فإذا سمعوا أن فلانًا ما قد شرب خمرًا أبغضه جميع أهل القرية، فلما انتقل إلى مدينة كبرى ووجد الخمر تباع في الطرقات والحديث عنها متفشيًا قلَّت كراهيته لشارب الخمر، وهكذا فالحديث في المحرمات يهونها، فمن ثم كره السوء من القول.

لكن من ظلم له أن ينتصر بقدر مظلمته مع أن عفوه أولى له من الانتصار، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٤٩].

□ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: الآية ١٩].

□ وقد تقدم حديث رسول الله ﷺ: «**فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»، فهذا أيضًا يمنع من نشر السوء وبثه، والله أعلم.

ولا تعود لسانك
على اللعن والسباب والشتائم

فإن اللعن سبب لدخول النار.

□ ففي «الصحيح» أن النساء قلن: . . . وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ...**»(١).

□ **واللعانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**(٢) كما قال النبي ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

ولا تروِّع المؤمنين ولا تفزعهم بكلماتك، فإن النبي ﷺ نهى عن ترويع المؤمن(٣) بل وأذهب عنهم ما يعتريهم من خوف، وفزع وقلق، قال الملائكة لإبراهيم عليه السلام - لما قال لهم -: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: الآية ٥٢]،

---

(١) مسلم حديث (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) مسلم حديث (٢٥٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ، فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**».

وعند الترمذي (٢١٦٠) بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَأْخُذْ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ**».

قالوا: ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: الآية ٥٣].

فكم من مزَّاحٍ يمزح بالكذب ويُدخل الرُّعب على إخوانه ويحسب أنه يُحسن صنعًا، وهو من الآثمين!!

فاحرص على أن يسلم المسلمون من لسانك فقد قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[1].

ولا تسبق الكبير بالحديث والكلام

فللكبير حقٌّ.

❐ وقد قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا**».

❐ ولما جاء حويِّصة ومحيِّصة إلى رسول الله ﷺ وذهب محيصة يتكلم، قال له النبي ﷺ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**» يُرِيدُ السِّنَّ، فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ[2].

❐ وفي «الصحيحين»[3] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ**»، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَة**».

❐ فانظر إلى قوله: «فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُّ»!!

❐ وفي رواية أخرى: «فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتكَلَّمَ».

---

(١) البخاري حديث (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرج ذلك البخاري حديث (٧١٩٢).

(٣) البخاري حديث (٧٢)، ومسلم حديث (٢٨١١).

☐ وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي.

وأعرض عن الجاهلين

فلا ينبغي للعاقل الحليم الرشيد أن يقابل الجاهل بجهل، ولا أن يؤاخذه بقوله.

☐ فقد قال الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩].

☐ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣].

☐ وأخرج البخاري[(٢)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا، أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ، مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ.

---

(١) مسلم (ص٦٤٤).

(٢) البخاري حديث (٤٦٤٢).

وانظر إلى تصريف النبي ﷺ مع هذا الأعرابي الجاهل الذي بال أمام الناس في المسجد:

❐ أخرج البخاري[١] من حديث أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: **«دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا[٢] مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»**.

❐ وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَعْرَابِيًّا يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: **«دَعُوهُ»**، حَتَّى إِذَا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري حديث (٢٢٠).

(٢) السجل: هو الدلو الواسع الضخم.

(٣) البخاري حديث (٢١٩)، ومسلم حديث (٢٨٥).

(٤) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١/ ٣٢٥): وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه.

الحزم في مواقف

وإذا كنت على حق واضح فلا تطمع عدوك فيك بضعف ألفاظك، فيطمع فيك عدوك، ولكن احزم أمرك، واقطع على خصمك طمعه في زحزحتك عن الحق.

❐ **فمن هذا الباب**: قول سحرة فرعون لفرعون لما آمنوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: الآية ٧٢].

❐ **ومن هذا الباب**: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ٣٥].

❐ **ومن ذلك**: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: الآية ١٥].

❐ **ومن ذلك**: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي**»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ**»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا**

فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، أَحَدُهُمَا: الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ: مُسَيْلِمَةُ»(١).

❋ ومن صور الحزم أيضًا وبيان تمام الصدق وكمال التحدي:

❐ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

❐ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مريم: الآية ٧٥].

أو من كان غارقًا في الضلالة منا أو منكم فزاده الله ضلالًا إلى ضلاله وأمدَّه الله مما هو فيه.

❐ ومن صور القوة في التحدي: قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: الآية ٧١].

❐ وإبراهيم الخليل عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الأنعام: الآية ٨٠].

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري حديث (٤٣٧٣)، ومسلم حديث (٢٢٧٣).

ولصاحب الحق مقال

فليُتحمل صاحب الحق إذا صدرت منه كلمة لا تليق بالمقام.

❑ ففي «الصحيحين»(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ فَهَمَّ(٢) بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا**»(٣)، ثُمَّ قَالَ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**».

فليتحمل صاحب الحق، بل ويُقر المحق على قوله ويُسلِّم له بحقه ولا يُجادل، وهذا باب نافع قاطع للشر ومانع للفساد، ومُزيل للكبر الذي هو بطر الحق، وغمط الناس، ولهذا الباب أدلة متعددة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

❑ فمن صور إقرار المحق على قوله قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢١٧].

❑ وقول النبي ﷺ لما جاء عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية وتعرض له المغيرة بن شعبة بعض التعرض، فقال له عروة: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ

(١) البخاري حديث (٢٣٩٠)، ومسلم (٤١٩٤).

(٢) قوله: «فهم به أصحابه» أي: أراد أصحاب رسول الله ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل، لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ.

(٣) قوله: «فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا» أي: صولة وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع.

وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا الإِسْلَام فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَال فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**»(١).

❋ واقرأ هذه المناقشة والمجادلة والمداخلة التي دارت بين أبي هريرة وبين ابن سعيد بن العاص:

❏ أخرج البخاري في «صحيحه»(٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهْوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ مَا افْتَتَحُوهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَسْهِمْ لِي، فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: لَا تُسْهِمْ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ، فَقَالَ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ: وَاعَجَبًا لِوَبْرٍ تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومِ ضَأْنٍ يَنْعَى عَلَيَّ قَتْلَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ...

❏ فأعجب من قوله: أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ!!

فأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء يطلب من رسول الله ﷺ أن يجعل له سهمًا من غنيمة خيبر، وابن سعيد بن العاص جالس فقال: لا تسهم له يا رسول الله، فحينئذٍ ذكر أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئًا عما فعله هذا الرجل قبل إسلامه من قتل ابن قوقل، فأجاب الرجل إجابة حسنة بقوله: ينعي عليَّ قتل رجل مسلمٍ أكرمه الله على يديَّ، ولم يهني على يديه، أي: يعيرني بقتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي بالشهادة في سبيل الله، فدخل الجنة بسببي، ولم يُهنِّي الله بالموت على الكفر على يد هذا الرجل الذي استشهد!!

أما قوله: «واعجبًا لوبر»، فالوبر: حيوان يشبه السنور أو القط، أما

---

(١) البخاري حديث (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) البخاري حديث (٢٨٢٧).

قوله: «قدوم ضأن»: كأنه يقول من رأس جبل، ومراده من ذلك: أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس من قريش، وجاء يتدخل في الشئون ويثير ما ليس له أن يثيره[1]، والله أعلم.

وهذا يجرنا إلى موضوعنا، وهو الإقرار بالخطأ والتماس وجه الاعتذار إن كان ثمَّ اعتذار.

فالرجل قتل ابن قوقل، واعترف بذلك، لكنه أيضًا بين ما لله سبحانه من فضل في ذلك، وهذا مما يهوِّن الخطأ.

❐ وهذا نبي الله موسى ﷺ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها ثم خرج من مصر إلى مدين، ثم رجع إلى مصر بعد ذلك، وقد كلَّمه ربُّه وآتاه الله النبوة وشرفه بالرسالة، فقدم إلى فرعون يدعوه إلى الله ويطلب منه أن يرسل معه قبيلته التي هي بنو إسرائيل، فذكره فرعون، بل وعيَّره فرعون بفعلته التي هي قتل النفس، فقال فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٩]، فما كان من موسى إلا الاعتراف بذلك فقال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الشعراء: ٢٠، ٢١].

فاعترافك وإقرارك بالخطأ لا يجعل لخصمك عليك سبيلًا، ثم إنه يُوقف الجدل في باب قد يفتح ويستمر، ثم إنك قد تلتمس عفو الناس بعد عفو الله

---

(١) ونقل الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٨/ ٤٩٢) عن الخطابي قوله: أراد أبان تحقير أبي هريرة، وأنه ليس بقدر من يشير بعطاء ولا منع، وأنه قليل القدرة على القتال. ونقل ابن التين عن أبي الحسن القابسي، أنه قال: معناه: أنه ملصق في قريش؛ لأنه شبهه بالذي يعلق بوبر الشاة من الشوك وغيره.

بإقرارك بالخطأ واعترافك به.

تحمُّلُ كلمات أهل الفضل

وكذلك إذا صدر من أهل الفضل قول ظننت أن فيه نوعًا من أنواع الأذى فتحمله، فأهل الفضل لا يريدون لك إلا الخير.

❑ فقد تحمل هارون عليه السلام موسى ﷺ لما أخذ برأسه يجرُّه إليه، قال الله ﷻ في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٠]، ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ [طه: الآية ٩٤].

❑ ووصف موسى رسول الله محمدًا ﷺ بأنه غلام، فيما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «**فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**».

❑ ولما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما: أَفِرَارٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ[2]!! فتحملها عمر من أبي عبيدة.

❑ وتحمل عمر[3] مقولة أزواج رسول الله ﷺ لما قلن له: «أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

***

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم حديث (١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

(٣) البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).

إعادة الحديث وتكراره

وإذا احتاج من أمامك إلى إعادة الحديث فعليك بالإعادة حتى يفهم عنك مرادك، ورأى بعض أهل العلم أن منتهى ذلك ثلاثًا، ورأى آخرون أنه لا مانع من الزيادة على الثلاث إذا لم يفهم من تخاطبه إلا بذلك، وإن كان أغلب الوارد عن رسول الله ﷺ أنه يكرر ثلاثًا إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

❑ ففي «الصحيح»(١) من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ(٢).

قال ابن التين: فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان.

❑ **قلت**: وقد نادى النبي ﷺ بأعلى صوته: «**وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا(٣).

❑ **ومن إعادة الكلام وتكريره لتأكيده**: ما أخرجه مسلم(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة مجيء وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ وقول

---

(١) البخاري حديث (٩٥).

بوب البخاري لهذا الحديث بباب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه فقال: «**أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا**»، وقال ابن عمر قال النبي ﷺ: «**هَلْ بَلَّغْتُ**»، ثَلَاثًا.

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة وعده من البلادة، قال: والحق أن هذا يختلف بإختلاف القرائن، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرةٍ إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يُعد بل الإعادة عليه آكد من الابتداء؛ لأن الشروع مُلزم.

(٣) البخاري حديث (٩٦)، وانظر: مسلم (ص٢١٣، ٢١٤، ٢١٥).

(٤) مسلم حديث (١٨).

النبي ﷺ لهم: «**وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَالنَّقِيرِ**»، وفي الحديث أنهم قالوا: فَفِيمَ نَشْرَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**فِي أَسْقِيَةِ الأَدَمِ**(١) **الَّتِي يُلَاثُ**(٢) **عَلَى أَفْوَاهِهَا**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَرْضَنَا كَثِيرَةُ الْجِرْذَانِ(٣)، وَلَا تَبْقَى بِهَا أَسْقِيَةُ الأَدَمِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ**»، قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ**».

فنهاهم الرسول ﷺ عن الانتباذ في النقير، وهو جذع النخلة الذي يُنقر من وسطه، ويطرح فيه الماء والتمر، فيحصل بذلك تخمر ويؤول الشراب إلى الخمر، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وسد الذريعة الموصلة إلى ذلك بنهيه عليه الصلاة والسلام عن الشرب من هذه الأوعية التي تسرع بالشراب إلى التخمر، فسألوه: فَفِيمَ نَشْرَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**فِي أَسْقِيَةِ الأَدَمِ الَّتِي يُلَاثُ عَلَى أَفْوَاهِهَا**»، أي: في القرب من الجلد التي يُربط على أفواهها، فتعللوا بأن الفئران تأكلها إذ بلادهم كثيرة الفئران، فقال رادًّا عليهم ومكررًا: «**وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ**».

□ وقال رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟**»، قال أسامة: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ(٤).

---

(١) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ.

(٢) يلاث على أفواهها: أي: يربط على أفواهها.

(٣) الجرذان: الفئران الذكور.

(٤) مسلم (ص٩٧).

وقد وردت روايات يُستفاد منها الاقتصار على الثلاث فمن ذلك ما:

□ أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث سَعْد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا، وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا؟**»، فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**»، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا سَعْدُ، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ**».

□ وفي «الصحيحين»(٢) من حديث جَابِر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلَامِ فَجَاءَ مِنَ الْغَدِ مَحْمُومًا، فَقَالَ: أَقِلْنِي فَأَبَى - ثَلَاثَ مِرَارٍ - فَقَالَ: «**الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا**».

□ ومن حجج القائلين بجواز الزيادة على ثلاث إن استدعى المقام ذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في كتابه الكريم: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: الآية ١١]، في سورة واحدة مرات كثيرة متعددة.

□ وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: الآية ١٣].

□ وقد قال قوم نوح لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: الآية ٣٢].

□ وأيضًا فقد كرر النبي ﷺ مقالته: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»، حتى قال

---

(١) البخاري حديث (٢٧)، ومسلم (١٥٠).

(٢) البخاري حديث (١٨٨٣)، ومسلم حديث (١٣٨٣).

الصحابة: ليته سكت[١].

فالذي يظهر أن التكرير بحسب حال السائل والمخاطب، وبحسب المسألة التي يراد التنبيه عليها وأهميتها، والله تعالى أعلم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾

فهكذا أمرنا ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❐ وقد أكثر ﷺ من قول ذلك:

ففي «الصحيح»[٢] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالطَّائِفِ قَالَ: «**إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ...**» الحديث.

❐ وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا أن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ السُّيُولَ تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَسْجِدِ قَوْمِي، فَلَوَدِدْتُ أَنَّكَ جِئْتَ فَصَلَّيْتَ فِي بَيْتِي مَكَانًا، حَتَّى أَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَ: «**أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...**».

❐ وفي «الصحيحين»[٤] كذلك من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ قُدُومَ مَكَّةَ: «**مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ**».

وغير ذلك كثير، فامتثل أمر ربِّك: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا

---

(١) البخاري حديث (٥٩٧٦)، ومسلم حديث (٨٧) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.
(٢) البخاري حديث (٦٠٨٦)، ومسلم حديث (١٧٧٨).
(٣) البخاري حديث (٨٤٠).
(٤) البخاري حديث (١٥٨٩)، ومسلم (ص٩٥٣).

﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

ولا تكل قوتك إلى نفسك بل احذر من ذلك، وَرُدَّ الأمر والمشيئة لله سبحانه.

□ فإبراهيم إمام التوحيد عليه السلام يقول: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾ [الأنعام: الآية ٨٠].

فمع كونه إمامًا للتوحيد إلا أنه يحترز بقوله: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾ [الأنعام: الآية ٨٠].

□ وكذلك قال شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الأعراف: الآية ٨٩].

ولا تحجّر واسعًا

فإذا وُسع عليك في شيء فلا تضيق على نفسك.

فإن الله تبارك وتعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، ولو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، ولكنهم شددوا؛ فُشدد عليهم، فقالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة: الآية ٦٨]، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة: الآية ٦٩]، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: الآية ٧٠]، وفي كل ذلك يجلبون على أنفسهم أنواعًا من المشقة والعنت.

فإذا كان من أمامك يوسع عليك في الاختيار فلا تضيق على نفسك.

إذا قال لك من أمامك: ائتني في أي وقت شئت، فلا تقل له: لا، بل سآتيك في موعد كذا فقط.

إذا قال لك: خذ ما شئت، فلا تسأله عن جزيئات تضيق بها على نفسك

ما دام أخذ هذه الجزيئات لن يشق على صاحبك، ولن يضيره، ولا يكره ذلك منك ونحو هذا.

فلا تحجر واسعًا كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»، يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ[(١)].

ولا تكثر من الحلف والأيمان في خطابك مع الناس

فالإكثار من الحلف شأن أهل الكفر والنفاق ليتستروا وراء أيمانهم.

❏ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [القَلَم: الآية ١٠].

❏ وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المجَادلة: الآية ١٦].

❏ وقال تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٨٩].

ولكن إذا دعت الحاجة إلى اليمين، فليكن ذلك بقدر، وإن لم يطلب منك، وذلك لنفي تهمة، أو لتثبيت حكم، أو لبيان مودة ومحبة ونحو ذلك.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري حديث (٦٠١٠).

وأحيانًا يقسم الشخص قبل كلامه ليطمئن من أمامه

❑ فقد جاء خصمان إلى رسول الله ﷺ يطلبان قضاءه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ**»(١).

❑ وكذلك لما سرقت المخزومية قال النبي ﷺ: «**وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»(٢).

وإذا أقسمت فلتكن أيمانك كأيمان رسول الله ﷺ.

❑ وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٣).

❑ ومن أيمان رسول الله: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»(٤)، «**وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(٥).

فقوله: «**وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**» فضلًا عن أنه يمينٌ بالله، وقد أقسم به رسول الله ﷺ، فإنه يحمل أيضًا تذكيرًا بأن الله يقلِّب، فحينئذ تسأل الله أن يثبت قلبك على الإيمان، وتُذكِّر من أمامك بذلك.

❑ وأخرج البخاري ومسلم(٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم حديث (١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٦٧٨٨)، ومسلم حديث (١١/ ١٨٧).

(٣) البخاري حديث (٦٦٤٦)، ومسلم حديث (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) البخاري حديث (٦٦٣٢).

(٥) البخاري حديث (٦٦٢٨).

(٦) البخاري حديث (٦٦٧٦)، ومسلم حديث (١٣٨).

رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ**(١) **يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِيَّ نَزَلَتْ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ أَرْضٌ بِالْيَمَنِ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟**»، فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: «**فَيَمِينُهُ**»، قُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ فَنَزَلَتْ**»، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: الآية ٧٧]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

وينبغي أن ينقطع الحديث بعد تقديم الأيمان: ويوكل ما وراء ذلك إلى الله ﷻ، فهذا نبي الله عيسى ﷺ رأى رجلًا يسرق، فقال له: «**أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي**»(٢).

---

(١) يمين الصبر: هي اليمين التي يحبس الحالف نفسه عليها، وتسمى اليمين الغموس.

(٢) البخاري حديث (٣٤٤٤) ومحل هذا فيما يتعلق بحق عيسى عليه السلام نفسه، ومع ذلك فأرى من الأنفع أن أورد أقوال العلماء في هذا الحديث، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٦/ ٥٦٤، ٥٦٥): قال ابن التين: قال عيسى ذلك على المبالغة في تصديق الحالف، وأما قوله: «**وكذبت عيني**» فلم يرد حقيقة التكذيب، وإنما أراد كذبت عيني في غير هذا، قاله ابن الجوزي، وفيه بعد، وقيل: إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين، فكيف يكذب عينه، ويصدق قول المدعي؟
ويحتمل أن يكون رآه مد يديه إلى الشيء فظن أنه تناوله، فلما حلف له رجع عن ظنه، وقال القرطبي: ظاهر قول عيسى للرجل: «سرقت» أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالًا من حرزه في خفية، وقول الرجل: كلا، نفي لذلك ثم أكده باليمين، وقول عيسى: «**آمنت بالله وكذبت عيني**» أي: صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر =

لا تكثر من الإلحاح على الأشخاص

فإنك تسبب لنفسك حرجًا وتسبب للآخرين حرجًا كذلك.

فإن هم أعطوك أعطوك عن غير طيب نفس، ولم يبارك لك فيما أخذت.

وإن هم منعوك أُحرجوا أيضًا لمنعك وأُحرجت أنت الآخر كذلك.

وقد يعطونك من الوعود أمام إلحاحك ما لا يوفون لك به فتؤثمهم وتأثم.

وأسوق لك واقعة وكيف أكثر صحابيٌّ فيها من الكلام مع رسول الله ﷺ وكيف تصرفت عائشة رضي الله عنها مع هذا الصحابي رضي الله عنهم أجمعين:

❑ أخرج البخاري[1] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها تَقُولُ: لَمَّا جَاءَ قَتْلُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ - وَأَنَا أَطَّلِعُ مِنْ شَقِّ الْبَابِ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ - وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ - فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: قَدْ

= لي من كون الآخذ المذكور سرقة، فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه، ولم يقصد الغصب والاستيلاء، قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه بقوله: «سرقت»؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ كثير، انتهى.

واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه ﷺ بأن عيسى رأى رجلًا يسرق، واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضًا بهذا الجزم بعينه، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض، وقد تعقبه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» فقال: «هذا تأويل متكلف، والحق أن الله كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبًا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قلت: وليس بدون تأويل القاضي في التكلف والتشبيه غير مطابق، والله أعلم.

(١) البخاري حديث (١٣٠٥).

نَهَيْتُهُنَّ، وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ لَمْ يُطِعْنَهُ، فَأَمَرَهُ الثَّانِيَةَ أَنْ يَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَى، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ غَلَبْنَنِي - أَوْ غَلَبْنَنَا - فَزَعَمَتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ**»، فَقُلْتُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَنَاءِ.

ولا تنه عن خلق وتأتي مثله

فهذا عارٌ عليك عظيم، عارٌ عليك أن تأمر الناس بأمرٍ ولا تفعله، عارٌ عليك أن تنهى الناس عن شيء وتقع فيه.

فإنك إن فعلت كنت مجالًا للسخرية، ومحطًّا لازدراء من حولك بك، ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب ﷻ.

❐ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: الآية ٢، ٣].

❐ وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: الآية ٨٨].

❐ وقال تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: الآية ٤٤].

❐ ونورد هنا بعض أشعار السابقين، فمنها:

ما نسب إلى منصور الفقيه، وفيه:

إن قومًا يأمرونا … بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم … لم يكونوا يصرعونا

❐ وقال أبو الأسود الديلي:

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثله … عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل إن وعظت ويُقتدى بالقول منك وينفع التعليم

❐ هذا كله فضلًا عن قول رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[1].

❐ وذمَّ النبي ﷺ الخُلُوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[2]: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

* * *

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٢٦٧) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.
(٢) مسلم (ص٧٠) وهو حديث (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

ولا تسترسل في الحديث وأنت غضبان

وإذا وصلت في حديثك مع الناس إلى درجة الغضب فتوقف عن الحديث فالغضب من الشيطان، والغضب يُحدث نوعًا من الإغلاق على العقل، وقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهْوَ غَضْبَانُ**»(١).

والغضب مظنة الخطأ في الأقوال والأفعال، فاتق الحديث وقت غضبك، وتوضأ، واجلس إن كنت واقفًا، واستلق إن كنت جالسًا، وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم حتى يذهب عنك الغضب، بل وإن أردت أن تؤجل الحديث إلى لقاء آخر فافعل، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ولا تُشَوِّش على من بجوارك في أثناء حديثك:

❏ فقد قال الله ﷻ: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٩].

وكان النبي ﷺ يجيء من الليل فيسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان(٢).

❁ ولا تُسكِّتِ الناسَ حتى تتكلم أنت:

❏ فقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا قُلْتَ لِلنَّاسِ: أَنْصِتُوا وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، فَقَدْ أَلْغَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري حديث (١٧٥٨)، ومسلم حديث (١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم حديث (٢٠٥٥) من حديث المقداد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٨) بإسناد صحيح.

□ ففي ذلك نوع أنانيةٍ وحبٌّ للنفس وتقديم لها على الآخرين، وهذا مما ينافي التواضع.

لكن إن كنت ذا منصب وتريد توجيه كلام للرعية الذين تحت يديك، فقد تقدم قول النبي ﷺ لجرير: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»(١).

وكذلك إن كان هناك أمرٌ من الأمور المهمة يُراد إعلام الناس به، فهذا على النحو المذكور كذلك.

ولكن بالجملة وعلى العموم إذا كان الناس يتحدثون فتمهل حتى تستمع لحديثهم وينتهوا منه، ثم إذا كان لديك استدراك أو عندك فائدة فتقدم بها فحينئذ يُقبل ما تقول.

❋ وإذا كنت ستلقي كلمة في مجمع من المجامع فلك أن ترتبها وتنظمها قبل إلقائها، وتعرف ماذا تريد من الناس وما الذي تريد إخبارهم به:

□ فها هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن نفسه يوم أن ذهب إلى سقيفة بني ساعدة، وهناك مجلس الأنصار، فقالوا - أي: الأنصار - مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ(٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥).

(٢) البخاري حديث (٣٦٦٨).

وضوح العبارات

❑ وكن واضحًا في مقالاتك وعباراتك مع الناس حتى يفهموا عنك مرادك وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: الآية ٥٤]، والمبين هو المظهر الموضح.

❑ وقال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١١٨].

❑ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

❑ فاجنح إلى السهولة في الخطاب واليسر فيه والواضح منه، وقد قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: الآية ٦٣]، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، ألا ترى إلى مقالات رسول الله ﷺ وكيف هي في غاية السهولة واليُسر.

❑ انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»، إلى غير ذلك من أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه فهي سهلة مفهومة يسيرة.

❊ ❊ ❊

المواساة عند الاحتياج إليها

□ **ومن أنواع المواساة:** قول النبيِّ ﷺ لعائشة لما حاضت وكانت معتمرة وسيدخل عليها الحجُّ وهي حائض فبكت، فقال لها النبيُّ ﷺ: «...**وَإِنَّمَا أَنْتِ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكِ مَا كَتَبَ عَلَيْهِنَّ**»(١).

□ وفي رواية: «**هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ**»(٢).

□ ومن صور المواساة تذكير الناس بمصائب الآخرين وابتلاءات الآخرين، قول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

□ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: الآية ٣٤].

وليكن الصدق شعارك

نعم، فليكن الصدق شعارك في حديثك مع الناس، فبهذا أمرك ربك:

□ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩].

□ وصدقك في كلامك مدعاةٌ لقبول حديثك، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال للمشركين: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟!**». قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا(٣)!

---

(١) مسلم (ص٨٧٥).

(٢) مسلم (ص٨٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم حديث (٢٠٨).

□ وفي رواية أخرى عند البخاري: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي**»؟ قالوا: بلى.

□ وهرقل لما سأل مشركي مكة عن رسول الله ﷺ فقال لهم: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان: لَا، فقال هرقل: فقد أعرف أنه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ(١).

□ وكذلك فمن آفات الكذب أنه سبب لردِّ كُلِّ حديثك حتى الصواب منه، وذلك لأن كذبك يُدخلك في عداد الفساق، وقد قال ربُّنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرات: الآية ٦].

□ ثم إن أثر الصدق يظهر على الوجه، وعلى الشفاه، وكذلك أثر الكذب.

□ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمَّد: الآية ٣٠].

□ وها هو يعقوب لما أتاه بنوه وقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف: ١٧، ١٨]، فرد عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ [يُوسُف: الآية ١٨].

ولما أتوه في المرة الثانية بعد أن ذهبوا بأخيهم من أبيهم، ورجعوا بدونه، وقالوا لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا

(١) البخاري حديث (٧).

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: الآية ٨١].

ردَّ يعقوبُ عليهم قولهم أيضًا - مع أنهم محقون فيه -: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: الآية ٨٣].

فانظر كيف أخذ فكرة عنهم بسبب كذبهم الأول، فحمله ذلك على رد كلامهم في المرة الثانية؟!

فكما قدمنا فمن عقوبات الكاذب العاجلة أن الصدق الذي قد يأتي به يردُّ مع سائر كذبه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

□ ثم إن الكذب مدعاةٌ لسخرية الناس منك ومجلبةٌ للخزي والعار، ألا ترى إلى قول خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ[1].

□ والكذب يدخلك في عداد أهل النفاق، فمن خصال المنافق أنه: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، كما قال رسول الله[2].

□ وفي «صحيح البخاري»[3] من طريق عَاصِم بن مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قال: قَالَ أُنَاسٌ لابْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ؟ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا.

وبصدق الحديث تدفع مصائب، وتقطع مجادلات، وتزول إشكالات، فصاحب الحق دائم المطالبة بحقه سواء كان في عرضه أو في ماله أو في

---

(١) البخاري حديث (٤٩٥٣)، ومسلم حديث (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري حديث (٥٩)، ومسلم حديث (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

(٣) البخاري (٧١٧٨).

شيء آخر، فإذا وجد منك تكذيبًا لحديثه أو إنكارًا لمقاله، فلن يزال قائمًا لإثبات صدقه، ولإبطال كذبك، لكن قولك الحق وصدقك في الحديث يريح خصمك وقد يحمله على العفو عنك فتنجو في الدارين: دار الدنيا، والدار الآخرة.

❐ ومن ذلك قول كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول لرسول الله ﷺ - لما تخلف كعب عن الغزو -: إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، ثم قال كعب: لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ**»[1].

ثم إلى ماذا كان مآله بعد ذلك؟ كان مآله إلى عفو الله وإلى توبة الله عليه:

❐ قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٤١٨)، ومسلم حديث (٢٧٦٩).

وفضلًا عن ذلك كله فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، كما قال رسول الله ﷺ[(١)] والصادقون ينفعهم صدقُهم يوم القيامة.

❑ قال الله سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٩].

❑ وقال سبحانه: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٤].

❑ والشياطين تتنزل على كل أفاك أثيم، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

فعلى قدر كذب الشخص تمده الشياطين في غيِّه وضلاله، فاتق الله وكن مع الصادقين.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٦٥١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا».
وفي رواية لمسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

باب في المعاريض

وقد يحتاج الشخص في حديثه مع الناس إلى التعريض وعدم التصريح، وذلك إما لأن التصريح يمنع منه العبد شرعًا كالتصريح بخطبة المتوفى عنها زوجها وهي في عدتها، وأيضًا فقد يجلب الشخص لنفسه حد القذف إذا صرح بما في نفسه، ولم يكن عنده بيِّنات، وقد يكون في التصريح نوع فتنة أو كذب أو حرج أو غير ذلك، فحينئذٍ يُتجه إلى التعريض بدلًا من التصريح، وها هي بعض صور ذلك:

❁ التعريض بالخِطبة للمتوفَّى عنها زوجُها:

❐ من المعلوم أن من مات عنها زوجُها أنه يحرم على أي شخص أن يتقدم ويُصرح بخِطبتها وهي ما زالت في عدتها، وذلك باتفاق المسلمين(١).

ولكن يجوز للشخص أن يُعرِّض ويُلوِّح ويشير إليها ويُشعرها برغبته في الزواج بها بدون تصريح، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥].

وهذه بعض صور التعريض بالخطبة:

❐ أخرج البخاري(٢) بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥] يقول: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّهُ تَيَسَّرَ لِي امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ.

---

(١) نقل هذا الاتفاق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٨).
فقال: لا يجوز التصريح بخطبة المعتدة ولو كانت في عدة وفاة باتفاق المسلمين.
(٢) البخاري حديث (٥١٢٤).

□ وأخرج مالك في «الموطأ» بإسناد صحيح عن القاسم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٥] أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ وَهِيَ فِي عِدَّتِهَا مِنْ وَفَاةِ زَوْجِهَا: إِنَّكِ عَلَيَّ لَكَرِيمَةٌ، وَإِنِّي فِيكِ لَرَاغِبٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَائِقٌ إِلَيْكِ خَيْرًا وَرِزْقًا، وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ[(١)].

□ وأخرج الطبري بإسناد صحيح[(٢)] عن عبيدة في هذه الآية قال: يذكرها إلى وليِّها يقول: لا تسبقني بها.

□ **ومن صور التعريض أيضًا:** ما أخرجه البخاري[(٣)] من حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهْوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ، فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ...

ومن ذلك أيضًا: تعريض عائشة ﵂[(٤)] ببيان فضلها، وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ

---

(١) مالك في «الموطأ» (ص٥٢٤).
(٢) الطبري حديث (٥١٠٥).
(٣) البخاري حديث (٣٩١١).
(٤) البخاري (٥٠٧٧).

تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «**فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا**»، تَعْنِي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.

فعائشة رضي الله عنها تُريد أن تظهر منزلتها عند رسول الله ﷺ، وفي الوقت نفسه لا تريد أن تقع في اغتياب أحد، فسلكت أسلوب التلويح والتعريض رضي الله عنها.

❐ **ومن صور التعريض كذلك**: إعراض النبي ﷺ عن ذكر الأشخاص بأسمائهم، فكان النبي ﷺ إذا رأى من قومٍ شيئًا قال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ؟**»، ففي «الصحيح»(١) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**».

ومع شدة البلاء الذي لحق برسول الله ﷺ من عبد الله بن أُبي ابن سلول يصعد النبي ﷺ فيقول: «**مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**»، فلم يذكر النبي ﷺ عبد الله بن أُبي ابن سلول باسمه حتى قال سعد بن معاذ: من هو يا رسول الله... الحديث(٢).

❐ **ومن صور التعريض كذلك**: ما أخرجه البخاري(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة إبراهيم مع امرأة إسماعيل، ففي الأثر هناك «... **فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ. فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ**

---

(١) البخاري حديث (٦١٠١).

(٢) وذلك في حديث الإفك عند البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم حديث (٢٣٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ...» الحديث.

❐ وكذلك قول إبراهيم للمرأة الثانية: «فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ...»، وفيه قول إسماعيل: «ذَاكِ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ».

❋ **ومن ذلك التكنية عن الجماع بما لا يخدش الحياء:**

فقد ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى النكاح في كتابه الكريم مُعبِّرًا عنه بلفظ المساس كما في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٧]، وبالغشيان: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٩]، وبالملامسة كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: الآية ٤٣].

❐ **ومن صور التعريض كذلك**: ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَلْوَانُهَا؟**»، قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى ذَلِكَ؟**»، قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ(٢)، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ**».

---

(١) البخاري حديث (٥٣٠٥)، ومسلم حديث (١٥٠٠).

(٢) المراد بالعرق هنا: الأصل من النسب، ومعنى نزعه: أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه، وأصل النزع الجذب، فكأنه جذبه إليه لشبهه، يقال: منه نزع الولد لأبيه أو إلى أبيه =

❏ وعمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُصرِّح بذكر أمير المؤمنين عمر لما نهى عمر عن المتعة، قال عمران لمطرِّف في مرض عمران الذي توفي فيه: إِنِّي كُنْتُ مُحَدِّثَك بِأَحَادِيثَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا بَعْدِي، فَإِنْ عِشْتُ فَاكْتُمْ عَنِّي، وَإِنْ مُتُّ فَحَدِّثْ بِهَا إِنْ شِئْتَ، إِنَّهُ قَدْ سُلِّمَ عَلَيَّ[١]، وَاعْلَمْ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَجُلٌ فِيهَا بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ[٢].

فلم يصرح عمران باسم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

❋ وانظر إلى هذا الأدب في التعبير عما في النفس:

❏ ففي «الصحيح»[٣] من حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ آخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا... الحديث.

أم الدرداء متبذلة لا تتزين ولا تهتم بنفسها ولا بثيابها، فسألها عن سبب ذلك فأجابت بإجابة حسنة تنم عما في نفسها، وفي نفس الوقت تثني على زوجها الذي لا يجامعها، ولا يهتم بها بالنظر إليها، فقالت بأسلوب مؤدب ومهذب: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا[٤].

= ونزعه أبوه، نقلًا عن النووي (ترتيب محمد فؤاد).

(١) يعني أن الملائكة كانت تسلِّم عليه، فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه، ثم لما ترك الكي عادت الملائكةُ للسلام عليه، مسلم (٨٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (ص٨٩٩).

(٣) البخاري حديث (١٩٦٨).

(٤) ويظهر أن هذا قبل نزول آية الحجاب؛ إذ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في =

تفهم مدلولات الخطاب

وينبغي أن تفهم مدلولات خطاب من يخاطبك.

فقد قال الله ﷻ عن قوم من أهل النفاق: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمَّد: الآية ٣٠].

فللناس طرقٌ في التعبير عما في أنفسهم وليسوا جميعًا على نسقٍ واحد في التعبير عما في أنفسهم، فمنهم من يعبِّر عما في نفسه صراحة، ومنهم من ترى ما في قلبه على وجهه، ومنهم من يؤمئ ويشير إشارات فقط، ومنهم من يخرج ما في نفسه رغمًا عنه وتنم كلماته عما في نفسه من خير أو شر، فشخص امتلأ صدره وقلبه حبًّا لك فتسمع كلمات المودة والمحبة تخرج رغمًا عنه وبلا تكلف في كثير من الأحيان.

وآخر امتلأ صدره غيظًا وحنقًا وغلًّا وحقدًا، ترى كلماته خارجة رغمًا عنه أيضًا كما قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٨].

فعليك حينئذٍ أن تفهم مدلولات الخطاب وتتعامل على ضوء ما تسمع، وتقطع في الأمور على ضوء ما تتيقن به.

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة ﵂: **«إِنِّي لأَعْرِفُ غضَبَكِ وَرِضَاكِ»**، قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً، قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»**، قَالَتْ:

= بداية هجرة النبي ﷺ، والله أعلم.

قُلْتُ: أَجَلْ لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ.

وفي رواية: «**إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى...**»(١)، فحقًّا إنه أدبٌ جمٌّ في التعبير عما في النفس.

❐ وهذا والدها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع النبي ﷺ يخطب، فقال النبي ﷺ في خطبته: «**إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ، إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ**»(٢).

فرضي الله عن أبي بكر، كيف فهم أن الرسول ﷺ يودعهم ويختار ما عند الله، فتذكر أبو بكر الفراق، وفهم أن أجل رسول الله ﷺ قد اقترب فبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري حديث (٥٢٢٨، ٦٠٧٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٠).

(٢) البخاري حديث (٤٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولك أيضًا أن تغير في أسلوب خطابك حتى يفهم عنك المراد

فنبينا ﷺ كان يدخل على عائشة رضي الله عنها لما أفاض الناس في قول أصحاب الإفك، قالت عائشة: وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي(١)، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»، فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ... الحديث(٢).

إمعان النظر في كتاب الله لاستخراج آداب التخاطب

وأرجو منك أخي القارئ أن تمعن النظر في كتاب الله، وأن تستخرج منه هذه الآداب الجميلة الحسنة، آداب التخاطب مع الناس، وها هي طائفة من ذلك:

❐ انظر إلى قول يوسف لإخوته لما أتوه شاكين إليه ما أصابهم من الضرِّ قائلين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: الآية ٨٨]، قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٩]، هكذا نبههم بهذا الأسلوب المؤدي للغرض، ولم يسبَّ يوسف ولم يلعن ولم يبذُ عليهم مع ما أصابه بسببهم من ضُرٍّ، وما أصابه بسببهم من فراق

(١) فقد كانت عائشة رضي الله عنها مريضة ولا تعلم ما يدور على ألسنة الناس في شأنها.
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

لأبيه، وما أصاب والده كذلك بسببهم، وما أصابه كذلك من رقٍّ واستعبادٍ، ثم انظر إلى قوله وهم يقولون له: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ [يوسف: الآية ٩٠]، فيقول عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: الآية ٩٠]، فحقًّا إنه تواضع أيما تواضع، وأدبٌ جمٌّ غزير، واعتراف بالفضل لمسديه والمنعم به والمتفضل به سبحانه وتعالى.

ثم هو تعليم لإخوانه وإرشاد لمن جاء بعده: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: الآية ٩٠].

ثم انظر إلى قولهم: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: الآية ٩١].

فبم يجيبهم يوسف ﷺ؟ يقول عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: الآية ٩٢].

لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم من بعد اليوم، فصلى الله على نبيه يوسف الكريم وعلى نبينا وسلم؟!

ثم ها هو يوسف يحقق ما وعد به، فلما دخل عليه أبوه ماذا قال؟ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: الآية ١٠٠].

فلم يذكر فعل إخوته به من إلقاء في غيابات الجبِّ، إنما أوجز إيجازًا لطيفًا، فقد وعد إخوانه أنه لا تثريب عليهم، فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

فحقًّا إنه أدبٌ، ولكن أين المتأدبون به؟!

❑ وانظر إلى أدب الطلب في قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: الآية ٦٦].

وأدب الرد في قول الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

ثمَّ إلى قول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩]، فحقًّا إنه أدب جم وخلق قويم.

فيستأذن الكليم موسى عليه السلام الخضر في اتباعه للتعليم.

ثم يومئ إلى الخضر أن هذا العلم من الله سبحانه، فكما علَّمك الله فعلِّم الناس، ولكن هذا بأسلوب في غاية من الذكاء وحلةٍ من الوقار في قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: الآية ٦٦].

ثم إن الخضر هو الآخر يلتمس العذر لموسى عليه السلام بعد أن يُذكِّره بأن صبره سينفد، وذلك بقوله ملتمسًا العذر لموسى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٨]، فأراد الخضر أن يبين لموسى سبب عدم الصبر، إنه ليس قصورًا من موسى عليه السلام، ولا في عقلية موسى عليه السلام، فموسى عليه السلام نبيٌّ كريمٌ من أولي العزم من الرسل، والأنبياء هم أذكى الخلق وأكمل الخلق عقولًا وأوسعهم صبرًا، ولكن ثمَّ علمٌ علَّمه الله للخضر لا يعلمه موسى عليه السلام، كما قال الخضرُ لموسى: **«يَا مُوسَى، إِنَّكَ عَلَى عِلْم مِنْ عِلْم اللهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا.

فحقًّا إنه أدب من العالم، وأدب من المتعلم، وحسن خطاب من الجميع.

☐ وانظر إلى أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ في شأن الضعفاء الفقراء: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

من الذي يقول: السلام عليكم، هل القادم أم المستقبل؟

إن الذي يلقي السلام هو القادم كما هو معهود، ولكنها حفاوة بالغةٌ ومزيد اهتمامٍ بهؤلاء المؤمنين الفقراء الضعفاء[(١)].

☐ وكذلك فاستمع إلى أجوبة الأنبياء عليهم السلام وردودهم على اتهامات أقوامهم فقوم نوح يقولون لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٠]، فيجيبهم بقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦١].

☐ وقوم هود يقولون لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦]، فيجيبهم بقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦٧].

☐ وفرعون يسأل موسى سؤالًا كي يحرجه أمام الأقوام ويثير الأقوام

---

(١) فالآية والتي قبلها نزلت فيهم، ففي «صحيح مسلم» (١٥/ ١٨٧) من حديث سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

عليه، فيسأله فرعون عن مصير القرون الأولى وآباء هؤلاء الأقوام الذين ماتوا على الشرك فيقول لموسى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: الآية ٥١].

فيجيب موسى بإجابة هي حق ولكنها لا تحمل على الإثارة والفتنة، فيقول موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

ثم يبين نعم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدٗا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤﴾.

فحقًّا إن علم هؤلاء عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، حقًّا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٞ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤﴾ [البقرة: الآية ١٣٤].

فلا معنى إذن للجدال في شأنها، ما دام الجدل ليس من ورائه كبير طائل، فقد أفضت إلى ما قدمت وثُوِّبت ما كانت تفعل.

* * *

إن من البيان لسحرًا

□ هكذا قال النبيُّ ﷺ، ففي «الصحيح»[١] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ**».

فالبيان وهو ما يفصح به الشخص عما في نفسه، والبيان بيانان: بيان بالقلم، وبيان باللسان. وثمَّ أنواع أخر من البيان لكن لقلتها لا نعرج عليها كالبيان بالإشارة ونحو ذلك.

□ وقد امتن الله سبحانه على الإنسان إذ علمه البيان، فقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: الآية ٤].

□ وقد يبلغ الشخص في الوصف ويسترسل في الحديث بطريقة تقنع من يستمع إليه بقبول حديثه والاستماع له والإنصات، وذلك بتزيين الكلام وتحسين العبارات وتحبير الألفاظ وكل ذلك بإذن الله.

وحكم ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فإذا كان الشخص يزين الكلام ويُحسِّن العبارات ويُحبِّر الألفاظ لتقرير الحق ففعله محمود وسعيه مشكور، أما إذا كان هذا التحسين والتحبير لتزيين الباطل وقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ولإهدار الحقوق، فهذا فعلٌ مذموم، وفاعله من إخوان الكُهَّان كما قال رسول الله ﷺ، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ

---

(١) البخاري حديث (٥٧٦٧).

(٢) البخاري حديث (٥٧٥٨)، ومسلم (ص١٣١٠)، وفي بعض روايات الصحيح: =

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهْيَ حَامِلٌ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لَا شَرِبَ، وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ، وَلَا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»**.

□ وكما قال عليه الصلاة والسلام: **«إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»**[1].

= **«أسجع كسجع الأعراب»**.

(١) البخاري حديث (١٧٨١)، ومسلم (١٧١٣).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» طبعة الريان (١٠/ ٢٢٩):

قوله: **«إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»**، أي: لمشابهة كلامه كلامهم، زاد مسلم والإسماعيلي من رواية يونس: «من أجل سجعه الذي سجع» قال القرطبي: هو من تفسير الراوي، وقد ورد مستند ذلك فيما أخرجه مسلم في حديث المغيرة بن شعبة، فقال رجل من عصبة القاتلة: «يغرم» فذكر نحوه، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: **«أسجع كسجع الأعراب»**، والسجع: هو تناسب آخر الكلمات لفظًا وأصله الاستواء. وفي الاصطلاح: الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع، قال ابن بطال: فيه ذم الكفار وذم من تشبه بهم في ألفاظهم وإنما لم يعاقبه؛ لأنه ﷺ كان مأمورًا بالصفح عن الجاهلين، وقد تمسك به من كره السجع في الكلام، وليس على إطلاقه بل المكروه منه ما يقع مع التكلف في معرض مدافعة الحق، وأما ما يقع عفوًا بلا تكلف في الأمور المباحة فجائز، وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه ﷺ، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الدعوات.

والحاصل: أنه إن جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحق كان مذمومًا، وإن اقتصر على أحدهما كان أخف في الذم، ويخرج من ذلك تقسيمه إلى أربعة أنواع: فالمحمود ما جاء عفوًا في حق، ودونه ما يقع متكلفًا في حق أيضًا والمذموم عكسهما.

❐ فاحذر يا عبد الله أن تذهب بالحق بأسلوبك العذب الميسر الساحر، واحذر أيضًا أن تفتن بأسلوب غيرك فتقع في المحرمات، وتذهب عندك حقوق الناس سدًى وتعطي أقوامًا ما ليس لهم ولا هو من حقهم.

❐ وفي «سنن الترمذي» بإسناد حسن عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ، كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ**»(١).

ومن أدب الخطاب مع النساء

والحديث مع النساء ينبغي أن يكون للضرورة فإنهن فتنة، وخضوعهن بالقول يُطمع الذي في قلبه مرضٌ.

❐ قال النبي ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(٢).

❐ وقال ﷺ: «**وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(٣).

❐ وقال ربُّ العزَّة ﷻ: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢].

فالإكثار من الحديث مع النساء وخضوعهن بالقول وتكسرهن في الخطاب سبب عظيم من أسباب الفتنة بهن(٤).

---

(١) الترمذي (٢٨٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٧٢٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم حديث (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) وليس معنى عدم خضوع المرأة بالقول أن تكون فظة غليظة وجلفة جافة، فالتوسط في الأمور محمود، والموفق من وفقه الله.

ألا ترى النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيُسَبِّحْ، فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ الْتُفِتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ**»[١]، فشرع للمرأة أن تصفق إذا حدث شيء في الصلاة وأرادت أن تنبه عليه - وذلك حد علمي والله أعلم - لأن صوتها يُفتن به قوم من المصلين.

فإذا كان هناك ما يدعو للحديث مع النساء فليكن بقدر الحاجة مع الابتعاد عن الفتنة والريبة فالله لا يحب الفساد، وليكن الكلام باختصار ما دام الاختصار يؤدي الغرض المطلوب.

❐ وقد قال موسى عليه السلام للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القَصَص: الآية ٢٣]، أي: ما شأنكما؟

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القَصَص: الآية ٢٣].

❐ وقال تعالى في شأن إحداهما، وقد جاءت تدعو موسى عليه السلام للقاء أبيها فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القَصَص: الآية ٢٥].

فأفصحت وأبانت عن حاجة أبيها لموسى وسبب دعاء أبيها لموسى عليه الصلاة والسلام.

❐ ويشرع إلقاء السلام على النساء[٢] ما دامت الفتنة مأمونة، وقد جاءت أم هانئ رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وذلك بلا مصافحة كما هو معلوم.

(٣) البخاري (٣١٧١)، ومسلم (ص٤٩٨).

❐ وقد جاءت أسماء بنت عميس رضي الله عنها[(١)] إلى عمر ودار بينهما نقاش في بعض المسائل.

❐ وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣].

وسؤال المرأة عن دينها وعما تحتاج إليه مشروع أيضًا ما دامت الفتنة مأمونة.

❐ ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**».

❐ وفي «الصحيحين»[(٣)] أيضًا أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهْوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**».

ووعظ النساء وتذكيرهن وتعليمهن مشروع عند أمن الفتنة.

❐ أخرج البخاري[(٤)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ، ثُمَّ خَطَبَ، فَلَمَّا فَرَغَ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَّرَهُنَّ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى يَدِ بِلَالٍ، وَبِلَالٌ بَاسِطٌ ثَوْبَهُ يُلْقِي فِيهِ النِّسَاءُ

---

(١) البخاري (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).
(٢) البخاري حديث (٦٠٩١)، ومسلم (ص٢٥١).
(٣) البخاري حديث (٥٣٦٤)، ومسلم (٤/ ٣٠٤).
(٤) البخاري حديث (٢٤٠٦).

الصَّدَقَة، قُلْتُ لِعَطَاءٍ[(١)]: زَكَاةَ يَوْمِ الْفِطْرِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ صَدَقَةً يَتَصَدَّقْنَ حِينَئِذٍ، تُلْقِي فَتَخَهَا وَيُلْقِينَ، قُلْتُ: أَتُرَى حقًّا عَلَى الْإِمَامِ ذَلِكَ يَأْتِيهِنَّ وَيُذَكِّرُهُنَّ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَحَقٌّ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ لَا يَفْعَلُونَهُ.

❏ وأخرج البخاري[(٢)] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحًى - أَوْ فِطْرٍ - إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟**»، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟**»، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**».

❏ وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي**»، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**».

❏ ولا ينبغي أن تشدد عليهن في الحديث وتضيق عليهن تضييقًا زائدًا؛ فإنهن ناقصات عقل ودين، وقد قال تعالى في شأنهن: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي

---

(١) القائل: هو الراوي عن عطاء.

(٢) البخاري حديث (٣٠٤).

(٣) البخاري حديث (١٢٨٣).

ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزّخرف: الآية ١٨] .

□ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التّحريم: الآية ٣] ، فلم يؤاخذها النبي ﷺ بكل ما صنعت ولم يعاتبها في كل ما قالته.

□ واستمع إلى مجادلة يوسف ﷺ عن نفسه أمام امرأة العزيز وهي تلقي عليه التهمة، وتقول لسيدها وهي المتعدية الباغية آنذاك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٥] .

فانظر بم يجيب يوسف ﷺ هذه المرأة.

إنه لا ينزل إلى مستوى الثرثرة مع النساء، ولكن بأدب جم وفير، وخلق كريم غزير؛ يقول مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يُوسُف: ٢٦] .

فلم يتهوك ﷺ في الخطاب ويقل لها: أنت راودتيني عن نفسي وفعلت، وفعلت، ولكن يتكلم كأنها ليست موجودة فيقول ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يُوسُف: الآية ٢٦] ، فالمقام ليس مقام ثرثرة، وأخلاق يوسف الكريم ﷺ لا تسمح بذلك.

وانظر إلى إعراض يوسف عن الخوض في مجادلة ومهاترة مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها ثم ألصقت التهمة به بقولها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٥] ، فدافع يوسف عليه السلام عن نفسه بأسلوب مختصر موجز مستعملاً ضمير الغائب، فقال: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يُوسُف: ٢٦] .

وتشرع موعظة النساء بالتي هي أحسن.

وللرجل أن ينبسط في الحديث مع زوجته، ولو كان كلامًا مما يستحيا من ذكره؛ وذلك لأن الله قال في كتابه الكريم: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، والرفث: الجماع ومقدماته من الكلام.

والمهتدي إلى
القول الطيب من هداه الله

فاعلم ذلك وأيقن به.

فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحَج: الآية ٢٤]، فترى مَنْ هَدَاهم؟! إنه الله سبحانه وتعالى وقال عليه الصلاة والسلام: **«وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ»**(١).

فسله التوفيق للكَلِمِ الطيِّب وارجه لذلك.

وكذلك فادع الله سبحانه وتعالى أن يحلل عقدة من لسانك حتى يُفقه عنك ما تقول، فقد قال موسى عليه السلام: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

بلسان عربي مبين

وهكذا ينبغي أن نكون عند تخاطبنا مع الناس، نغلِّب على ألسنتنا وخطابنا معهم لغة العرب، التي هي لغة القرآن الكريم، خير كتاب أنزل على أفضل رسول:

❐ قال الله سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٩٥].

❐ وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يُوسُف: الآية ٢].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرَّعد: الآية ٣٧].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: الآية ١١٣].

❐ وقال سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٨].

❐ وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشّورى: الآية ٧].

❐ وقال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٣].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: الآية ١٢].

فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلِّب لغةً على لغة الكتاب العزيز؟

هل يليق بمسلمٍ غيورٍ على كتاب ربِّه أن يستعمل كلمة (ماما)، و(بابا) مكان أبي، وأمي، وأبتاه، وأماه.

وهل قال الخليل: يا بابا إني قد جاءني من العلم، أم أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريَم: الآية ٤٣].

فكيف نغلِّب لغة الأوربيين الكفار على لغة الإسلام والمسلمين؟! إن النبي ﷺ لم يرضَ أن تُغلَّب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة، وقد أوردت

في كتابي «فقه تربية الأبناء» بابًا مختصرًا في ذلك، أذكِّر ببعضه ففيه أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُم**».

إنها كلمة قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا.

إنها كلمة تنم عن معانٍ أصيلة في التربية.

أما مناسبتها، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان: أحدهما وأشهرهما (العشاء) كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ [النور: ٥٨].

والآخر: هو العتمة كما قال رسول الله ﷺ: «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(١).

فلصلاة العشاء إذن اسمان: «العشاء»، و«العتمة».

ولكن الاسم الأكثر استعمالًا والأحبُّ إلى رسول الله ﷺ هو العشاء، وهو الذي جاء في كتاب الله.

أما «العتمة» فهي لغة الأعراب، وإن كان النبي ﷺ تكلَّم بها أحيانًا، بل وذكرها في حديث؛ لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة، فحينئذٍ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، أَلَا إِنَّهَا الْعِشَاءُ، وَهُمْ يُعْتِمُونَ بِالإِبِلِ**»(٢).

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب

---

(١) البخاري حديث (٦١٥)، ومسلم حديث (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم حديث (٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وقوله: «**وَهُمْ يُعْتِمُونَ بِالإِبِلِ**» أي: يدخلون في العتمة، وهي ظلمة الليل بالإبل، أي: بسبب الإبل وحلبها.

الله، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة، وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ.

أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير، فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب - وهم عرب - على لغة قريش وأهل المدينة، فهل يحب رسولُ الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والإنجليز على لغة المسلمين؟

هل يحب أن تُغلَّب (بابا) و(ماما) على (أبي) و(أمي)، و(أبت) و(أماه) و(أبتاه)؟!!

هل يحب أن تغلَّب (أنكل) على (عمي) و(خالي)؟!!

أو تغلَّب (تانت) على (عمتي) و(خالتي)؟!!

هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: الآية ٤٣].

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: الآية ٤٤].

ويقول: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٦].

ويوسف يقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤].

ويقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٠].

ويقول الرسول ﷺ: **«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَ أُمِّي»**.

فهل يليق أن تقول: واغفر (لبابا)؟ أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)؟ والرسول يقول لأبي طالب: «**يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، فهل يليق أن يقال: (يا أنكل) قل: لا إله إلا الله؟!

أظنُّ، بل أوقن أن هذا لا يليق!

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي، وأمي، وأبتاه، وأماه، وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبًا، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي وأمي، و. . .) بألفاظٍ جديدة (بابا، وماما)!!

فليتنبه الآباء لمثل هذه الألفاظ، وليُحي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ.

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول الله ﷺ يكثر من استعمالها ككلمة: أبشر، ومرحبًا، وأبي، وأمي، ونحو ذلك من الألفاظ.

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي)، و(تانت)، و(أنكل). . . و(أفندم)، و(أبلة) ونحو هذه الكلمات.

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأستاذ فتحي جمعة(١)، قال حفظه الله:

---

(١) الأستاذ فتحي جمعة: هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وخبير بمجمع اللغة العربية، ومن ذوي الخلق الحسن، ومن الدعاة إلى الله على بصيرة بمدينة بلقاس.

العربية لغة الإسلام

تلك حقيقة ثابتة راسخة، يدركها كل ذي بَصَرٍ بوقائع التاريخ، منذ ظهر الإسلام، ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين!!

لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحليّة» وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية، فارقت هذا وصارت لسانًا عامًّا للمسلمين أينما كانوا ومتى يكونوا! فكان الإسلام سبيلها إلى الناس، كما كانت - بحق - سبيل الناس إليه به عرفوها، وبها عرفوه!!

ومن أجل ذلك كان حقًّا على المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم - أن يُبوِّئوا لغة القرآن «مبوأ صدق»، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام، فلا يقدِّموا عليها لغة أخرى في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها.

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة؛ لأن تقريره ليس اجتهادًا منَّا، أو دعوى يدعيها أمثالنا حبًّا للعربية أو حماسة لها واعتزازًا بها، مع أن الحبَّ والحماسة والاعتزاز لَبَعْضُ حقِّ هذه اللغة علينا وعلى الأُمَّة جميعًا.

وإنما يرجع الأمر هنا إلى آيات تتلى في كتاب الله تعالى ما دامت السماوات والأرض، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق بيانًا لأن العربية - لغة القرآن - هي اللغة التي اجتباها ربُّنا تبارك وتعالى، واصطفاها على لغات العالمين!!

قال تعالى في مفتتح سورة يوسف: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: الآية ٢].

وقال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النّحل: الآية ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: الآية ١١٣].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الشّورى: الآية ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزّخرف: الآية ٣].

هذه الآيات البينات العظيمات، تدل - في رأينا - على أمرين ظاهرين:

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن.

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند الله تعالى، إنه وحيٌ يوحى: قرآنًا يتلى إلى آخر الزمان.

ومعنى ذلك أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عامًّا لجميع المسلمين.

فإذا تقررت هذه الحقيقة - وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلًا - فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردُّوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلى تعصب النبي ﷺ - حاشا لله - للغة قومه ولسان عشيرته أو يدَّعُوه على خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان الله عليهم أجمعين.

فها هي آيات القرآن تقول: إن أمر الله تعالى ومشيئته جلت حكمته أن

يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن، فهو إذًا لسان الإسلام.

❋ ضرورة العربية لوجود الأُمَّة:

❑ من الحقائق الثابتة أن اللغة من أهمِّ عوامل التوحُّد والتلاقي بين الأمم والشعوب.

ذلك، والأمة الإسلامية اليوم أشد ما تكون حاجةً إلى جمع كلمتها وتوحيد صفوفها في مواجهة قوى عاتية باغية، خبيثة ماكرة، تتربص بها، وتتظاهر عليها، وتسعى إلى محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها، فلا سبيل أمامها إلا أن تكون أُمة واحدة متماسكة، ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة فعلى أيها تجتمع؟!

إن الجواب بيِّنٌ لا يحتاج إلى بيان.

فأحقُّ اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يُعرف الإسلام حق المعرفة بغير معرفتها، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، الذي شاءت إرادة ربِّ العالمين أن يكون عربيًّا يُتلى بالعربية في كل مكان إلى آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصالح العظيم من الأُمة هذه الحقيقة فأقبل جميعهم على لغة القرآن حبًّا ورغبًا، دراسة وبحثًا وتأملًا، وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين.

وحسبنا أن نتذكر أسماء: سيبويه، وأبي عليٍّ الفارسي، والمُبَرِّد، والفَرَّاء، والكسائي، وابن جِنِّي، وعبد القادر الجرجاني، هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية وكلهم من أصول أعجمية لا عربية.

ولكنهم نظروا إلى لغة الضاد لا على أنها لغة العرب، بل على أنها لغة الإسلام والمسلمين أجمعين؛ لأنها لغة القرآن الكريم بأمر الله رب العالمين.

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمَّةً عزيزة منيعة، وأسَّسُوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

* خصومة العربية من خصومة الإسلام:

لقد أدرك أعداء الإسلام وخصومه «الدائمون» أثر اللغة العربية في حماية «الوحدة الإسلامية» والمحافظة عليها، كما أدركوا ما هو أعظم من ذلك، وهو أثر هذه اللغة في ربط المسلمين بالإسلام: وعيًا وفهمًا وإدراكًا وعلمًا وعملًا، أي: أدركوا ما غاب عن المسلمين من ضرورة العربية لفهم الإسلام وتنفيذ أوامره ونشر دعوته الشاملة، وذلك يعني قضاءً عليهم، ومطاردةً لهم في مواطن بغيهم وعتوِّهم، ولهذا توجَّهت جهودهم إلى اللغة العربية فيما سيطروا عليه أو تمكَّنوا منه في بلاد المسلمين، سدَّدوا إليها سهامهم ومطاعنهم، وتعقبوها في كل مكانٍ لها فيه وجود، يريدون أن تزول أو تتوارى بالحجاب!!

وقد سار عملهم الأثيم بخبث ودهاء في طريقين متوازيين:

أولهما: بلاد العرب، فأضعفوا «العربية» فيها، وزحزحوها عن مكانتها، وأنزلوها من عرشها إذ زاحموها بلغاتهم، بل قدَّموا لغاتهم في بعض الأحيان عليها، ثم أوقدوا نار الحرب على الفصحى، فزعموا عليها العجز والقصور والاستغلاق على الأفهام، ودعوا إلى «العاميَّة» ومكَّنوا لها، وساعدوا على نشرها، وتوسيع رقعتها ونادوا بأن تكون هي لغة الحديث

والكتابة والتأليف والخطابة والمحاضرة.

أما الطريق الآخر: فهو طريق البلاد الإسلامية غير العربية، وهناك طاردوا لغة القرآن، وزينوا لها تيكم الأمم الإعجاب بلغات الاحتلال، والابتعاد عن اللغة التي هي عماد الرابطة الحقيقية، وقاعدة الوحدة الكاملة بين المسلمين ولم يلبثوا إلا يسيرًا، فأُخرجت العربية من البلاد الإسلامية بلدًا في إثر بلد، حتى انحصرت في دائرة الوطن العربي المستهدف لانتقاص الأطراف وتفريق الصفوف، وهكذا «حُبست العربية» عند قوم لا يستمسكون بها، ولا يغارون عليها، ولا يهمهم أمرها.

❋ الفصحى والعاميَّة:

لا نستطيع في هذا الحيز الضيق أن نفصل القول في هذه القضية؛ لأن ذلك يتطلب جهدًا ووقتًا لا يتسع له هنا مقام البيان(١)، وإنما نتحدث عن خطر الدعوة إلى العاميَّة أو الإصرار على محادثة الناس بها في مجالات العلم والتعليم، أو في مجالات الدعوة الإسلامية التي يحزنني فيها أن أجد طائفة كبيرة من جنودها يؤثرون العاميَّة ويجعلونها وسيلتهم في الخطابة والمحاضرة، وذلك خطأ عظيم لسببين اثنين:

الأول: أن الدعوة إلى العاميَّة في المجالات العلمية والتعليمية ترجع إلى بداية عصر الاحتلال(٢)، وكان الدعاة الأولون إلى العاميَّة في بلادنا من

(١) راجع في تفصيل ذلك إلى ما كتبناه في كتابنا «اللغة الباسلة» ولمزيد ارجع إلى الدراسة القيمة التي كتبتها الدكتورة نفوسة زكريا في كتابها «الدعوة إلى العامية في مصر».

(٢) نحن نؤثر دائمًا في هذا المقام كلمة الاحتلال ونرفض كلمة الاستعمار مع شيوع الثانية وشهرتها؛ لأن الاستعمار معنًى جميل وعمل كريم، ولذلك نسب إلى الحق تبارك =

أهل الرأي والفكر الذين استقدمتهم قوى الاحتلال ليكونوا مستشارين في غرس قواعد الاحتلال الفكري والثقافي، الذي يدوم لهم بعد زوال الاحتلال السياسي والعسكري.

ومعنى هذا أن الحديث بالعاميَّة في المجالات الجادة خدمة جليلة لقوى الاحتلال، تنفذ خططهم، وتحقق أغراضهم، وتوصلهم إلى مآربهم وأهدافهم البعيدة في استمرار السيطرة وامتداد النفوذ.

الثاني: أن الحديث بالعاميَّة يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين، تؤثران في البناء الثقافي للأُمَّة تأثيرًا سيئًا غير محمود:

أولاهما: إهمال التراث وازدراؤه لدى العامَّة وجماهير الأُمَّة؛ إذ يصير حينئذٍ رُكامًا من المعمَّيات والطلاسم لا سبيل إلى معرفتها فضلًا عن فهمها وإدراك ما فيها، وفي ذلك ما فيه من إضعاف «الشخصية» العامَّة للأُمة ودفعها بقوة إلى منحدرات التبعية و«الانمحاق».

والنتيجة الأخرى: عدم فهم القرآن وذلك أخطر وأفدح ما يؤدي إليه الحديث بالعاميَّة، ولكنَّ قومي لا يعلمون!!

لأن تدبر القرآن وفهمه فريضة عامة على المسلمين، كلٌّ بِقَدْرِ ما يستطيع، ولن يتحقق هذا التدبر بغير معرفة اللغة التي نزل بها القرآن إلى الحدِّ الذي يؤدي إلى الفهم ويعين عليه.

وكلُّ حديثٍ بالعاميَّة يغلق منافذ الفصحى، ويضيق من سبلها بقدر ما

= وتعالى في قوله ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود: الآية ٦١].
ومن غير ذلك أن عمل أولئك الطغاة البغاة على الطرف المضاد لذلك المعنى العظيم فهم محتلون للأرض، مغتصبون للخير، قاهرون للناس.

يفتح للأخرى ويوسع أمامها!!

إننا في حاجة دينية وثقافية إلى التزام الفصحى وإذاعتها ونشر الوعي بها بين جموع العرب.

أولًا: لنسترد شيئًا من وحدةٍ لا غنى عنها ولا قوة لنا بدونها.

وثانيًا: ليصح فهمنا للإسلام والقرآن.

ومن أجل ذلك أوجِّه ندائي لإخواننا جنود الدعوة إلى الله أن يدركوا خطر المسألة وفداحة النتيجة إذا التزموا العاميَّة وأصرُّوا عليها؛ لأنهم بذلك يخدمون أعداءهم ويحققون غايتهم من حيث لا يشعرون.

ومن جهة أخرى يشاركون في وضع الحواجز والسدد أمام الفهم الواعي للقرآن وتراث الإسلام، وما أظنُّ أحدًا منهم - وكلهم نحسبه على الخير - يقبل أن يكون عَونًا لأعداء الإسلام أو أن لا يؤدي واجبَهُ في نشر الوعي بلغة القرآن؛ لأنها الطريق القويم إلى فهم الإسلام.

وإني لأربأ بذوي الفضل منهم، أن تزدهيه دعوى الإفهام والتأثير، فيرفع شعار العاميَّة مع الرافعين! أو أن يبتغي توسيع رقعة المخاطبة ولو على حساب الغايات النبيلة والأهداف السامية للعمل في ميدان الدعوة الإسلامية، وليس من الصواب ولا من منهج الرشاد أن يقال: إنَّ «العاميَّة» ضرورة لازمة لمخاطبة الناس على قدر عقولهم؛ لأنَّ المخاطبة على قدر العقول، لا تعني تبذُّل اللغة، أو هبوط الكلام، وانحرافه عن سنن الفصحى، وإنما تعني الابتعاد عن تعقيد الفكرة، والتقعُّر في اللغة، أي تعمد اختيار الصعب من التركيب والغريب الحوشي من الكلام.

أما الجنوح إلى العاميَّة بدعوى «إفهام العوام» فإن لم يكن مداراة للعجز

عن الفصحى، وقِصَر الباع في استعمالها، فهو ادعاء يظلم الفصحى والعوامَّ في وقت واحدٍ معًا!!

يظلم الفصحى بأنها غير مفهومة، ووالله إنها لمفهومة!!

ويظلم العوامَّ بأنهم لا يفهمون، وتالله إنهم ليفهمون!!

وإلا فكيف يخشعون للقرآن، ويتأثرون ببالغ الموعظة وجميل البيان.

وبعد: فتلك كلمة، ما ابتغيت بها إلا تنبيهًا على الارتباط الوثيق بين قضية الفصحى، وقضية الإسلام ووحدة المسلمين.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: الآية ٨٨].



كفارة المجلس

واحرص على أن تختم مجلسك بتلك الكلمات النافعة الجامعة التي كان النبي ﷺ يقولها إذا أراد أن يقوم من المجلس ألا وهي «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»(١).

فهي كلمات جامعة نافعة جمعت بين تسبيح الله ﷻ، أي: تنزيهه عن كل ما لا يليق به سبحانه، وجمعت الحمد، وضُم إلى ذلك كلمة التوحيد «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، ثم ختمت بطلب المغفرة منه ﷻ.

فلنختم بذلك مجالسنا كما كان نبينا محمد ﷺ يفعل، صلوات ربي وسلامه على من آتاه الله جوامعَ الكلم، نبينا محمد ﷺ، والحمد لله رب العاملين.



(١) أخرج أبو داود في «سننه» (٥/ ١٨٢) بإسناد حسن من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «**كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ**».

وضع هذه الأحاديث
نصب عينيك عند التعامل مع الناس

فهي نافعة غاية النفع بإذن الله ومطمئنة غاية الاطمئنان، ودافعة للشكوك والرِّيب بإذن الله.

❐ حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرجه البخاري ومسلم، وفيه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ)(١): **«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ(٢)، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،**

---

(١) (وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ): أي: مدهما إليهما ليأخذ إشارة إلى استيقانه السماع.

(٢) «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ»: أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث: **«الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**، وحديث: **«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»**.

قلت (القائل مصطفى): وحديث: **«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»** فيه كلام.

وقال أبو داود السجستاني: الإسلام يدور على أربعة أحاديث: هذه الثلاثة، وحديث **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**، وقيل حديث: **«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاس»**.

قلت (القائل مصطفى): حديث: (ازهد...) ضعيف.

قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس، وأنه ينبغي أن يكون حلالاً، وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة القلب.

فقال ﷺ: **«أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً»** إلخ، فبيَّن ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه. =

فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ(١)**، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ**(٢)**، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً**(٣) **إِذَا صَلَحَتْ**

= وأما قوله ﷺ: «**الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ**»، فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بيِّنٌ واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات، وكذلك الكلام والنظر والمشي، وغير ذلك من التصرفات فهي حلال بيِّنٌ واضح لا شك في حله.

وأمَّا الحرام البيِّن فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح، وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك.

وأمَّا المشتبهات: فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأمَّا العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالًا، وقد يكون دليله غير خالٍ عن الاحتمال البيِّن، فيكون الورع تركه، ويكون داخلًا في قوله ﷺ: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**».

(١) «اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»: أي: حصل له البراءة من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه.

(٢) «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» معناه: أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفًا من الوقوع فيه، ولله تعالى حمى وهي محارمه أي: المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنى والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله تعالى، من دخله بارتكابه شيئًا من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات.

(٣) «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً» قال أهل اللغة: يقال: صلح الشيء وفسد، بفتح اللام والسين وضمهما، والفتح أفصح وأشهر.

والمضغة: القطعة من اللحم، سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها، قالوا: =

صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

فأي أمر يشتبه عليك وتتردد فيه، فاتركه واستبرئ لدينك وعرضك.

□وحديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»(٢).

□وحديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»(٣).

□وكذلك حديث النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٤).

فهذه أحاديث نافعة غاية النفع، فاذكرها ولا تنسها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* * *

= المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب، قاله النووي.

(١)الحديث أخرجه البخاري حديث (٥٢)، ومسلم حديث (١٥٩٩).

(٢)رواه مسلم حديث (٢٥٥٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي حديث (٢٥١٨)، وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد (١/ ٢٠٠).

(٤)أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم حديث (٤٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

مراعاة أحوال الناس ومعرفة طبائعهم

وهذا بابٌ نافع جدًّا وسبب عظيم من أسباب النجاح في التعاملات مع الناس: أن تعرف أخلاقهم وطبائعهم وخصالهم، وتتعامل معهم بناءً على هذه الأخلاق والطبائع والخصال، فإنَّ الله ﷻ قسم الأرزاق وقسم الأخلاق بين العباد، وكذا قسم الرياسات والوجاهات والعلوم والعقول والأفهام... إلى غير ذلك.

فهذا عالمٌ، وهذا جاهلٌ، وهذا أميرٌ، وذاك مأمور، وهذا ثريٌّ، وهذا فقير، وهذا حليم أواه منيب، وهذا طائش متماد في غيّه، وهذا محبٌّ للخير، وذاك مستطيل على العباد بالبغي والفساد، وهذا فاضل صالح مصلح، وهذا شريرٌ فاسد مفسد!.

منهم من تعتريه حِدَّة مع فضله وورعه وصلاحه[1]، ومنهم من جُبل على

---

(١) كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فمع فضله وصلاحه ومناقبه التي لا تحصى وفضائله التي لا تُعد، فقد كانت به حِدَّة رضي الله عنه.

وقد قدمنا فعله مع زوجته وولده وأضيافه لما أقبل على ولده يسبه، ويقول للأضياف: «كلوا لا هنيئًا».

ويقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيما أخرجه البخاري حديث (٦٨٣٠): «وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ...» الحديث.

وهذه أيضًا أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، مع فضلها وورعها تذكرها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه مسلم (٢٤٤٢):

فتقول عائشة: «وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا =

الحلم والأناة! إلى غير ذلك من الخصال، وكلٌّ يحتاج إلى نوع من أنواع التعامل التي تناسبه وتتمشى معه، فللعالم طريقة في التخاطب معه، وكذلك للملك والأمير طريقة، وللغني طريقة، وللفقير طريقة، وللعاقل أسلوب تتفاهم به معه، وللسفيه كذلك أسلوب آخر، وكلٌّ بحسبه، فإذا أخطأت طريقة التفاهم وجهلت أحوال الناس ابتعدت عن التوفيق وجانبك الصواب، ومن ثَمَّ أعطيت من أمامك جرعة من الدواء لا توافق الداء فأضرت به فضلًا عن كونها لم تنفعه، ورجع عليك خطؤك وارتد إليك سهمك، وكنت أنت المُلام.

❐ وقد تعامل النبيُّ ﷺ مع الناس كلٌّ بحسبه فأعطى للكبير حقَّه من التوقير، وكذلك رحم الصغير وأعطاه حظه من الرحمة، وخاطب الملوك بما يستحقونه وكذلك الأمراء، وكذلك الفقراء عاملهم بما تستدعيه أحوالهم من خفض الجناح ولين الجانب، وكذلك الوجهاء عاملهم بما يستحقونه من إنزالهم منازلهم، والضعفاء عاملهم صلوات الله وسلامه عليه بما تستدعيه حالتهم، وخاطب السفهاء والشريرين بطريقة، وعامل أهل الفضل والحلم والعلم بطريقة... فمن ثَمَّ أحب المسلمون كلهم رسولَ الله ﷺ: غنيهم وفقيرهم، أحبَّه قويهم وضعيفهم، أحبه ذكرانهم وإناثهم، عزيزهم وذليلهم، أحبه أميرهم ومأمورهم، فصلوات ربي وسلامه عليه.

فمن أراد السداد فليلتمس هدي نبيه ﷺ في الخطاب مع الناس ومراعاة

= وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حَدٍّ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ».

قلت: وقولها: «تسرع منها الفيئة»، أي: تسرع في الرجوع ولا تصر على غضبها وحدتها.

أحوالهم والنظر في قدراتهم وأخلاقهم.

❋ للعلماء طريقة في التفاهم معهم:

وهم العلماء الربانيون العاملون.

فهم قومٌ قد أثنى عليهم ربُّهم سبحانه في عدة مواطن من كتابه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: الآية ٢٨].

□ وقرن سبحانه شهادتهم مع شهادته بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

□ ورفع الله درجاتهم فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: الآية ١١].

□ وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

إلى غير ذلك مما ورد في فضلهم من الآيات والأحاديث، فهم ورثة الأنبياء.

حملوا كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم ﷺ!!

خشوا ربهم وراقبوه في السر والعلن.

أخذوا بأيدي العباد إلى طريق الله وعرفوهم بربهم عز وجل.

أنقذوا أممهم من الهلكة والضياع وكانوا سببًا في رفع العذاب عن هذه الأمم.

□ ألا ترى إلى قولهم لما أعجب أهل الدنيا بقارون وزينته: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ﴾ [القصص: ٨٠]

□ هؤلاء أهل العلم ومعلمو الناس الخير، أمر الله بسؤالهم والتأدب معهم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣].

□ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: الآية ٨٣].

□ عرفوا قدر كتاب ربهم وقدر سنة نبيهم ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

فجدير بالعاقل أن يتعامل معهم على ضوء ما ذُكر من كتاب الله.

فعليك بتوقيرهم واحترامهم وتبجيلهم: ففي توقيرهم توقيرٌ لما يحملونه من علم، وأنت مأجور على هذا التوقير، وإن فاقهم شخص في أمر من الأمور لكن عليه توقيرهم وتبجيلهم واحترامهم.

□ فهذا نبي الله موسى ﷺ كليم الله، ومن أولي العزم من الرسل يخفض جناحه أيما خفض للخضر، مع أنه يفوق الخضر فضلًا، ويقول للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: الآية ٦٦].

فيقول له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٧].

ثم يلتمس له الخضر العذر في عدم الصبر فيقول: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٨][1].

---

(١) فيه أيضًا أن العالم يتلمس العذر للمتعلم، فالخضر لما قال لموسى ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، أراد أن يبين له سبب عدم صبره، إنه ليس قصورًا من موسى ولا في عقلية موسى، فموسى نبي، والأنبياء ﷺ أذكى الخلق، ولكنه علم ما علمه الله لموسى، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٨]، فحقًّا إنه أدب من العالم ومن المتعلم أيضًا.

□ وفي الحديث أن الخضر قال لموسى: «**يَا مُوسَى، إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ**».

□ ثم يقول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩].

فانظر إلى كليم الله عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩].

□ ثم انظر إلى الأدب الجم والخلق القويم الكريم من حبر الأُمَّة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما مع علماء الصحابة رضي الله عنهم عند تلقيه العلم منهم، انظر إليه وهو يأخذ لزيد بن ثابت رضي الله عنه بالركاب وزيد يقول: تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّا هَكَذَا نَفْعَلُ بِكُبَرَائِنَا وَعُلَمَائِنَا(١)!

وانظر إلى حرصه الزائد على طلب العلم:

□ أخرج الدارمي(٢) من طريق عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ، هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى، فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ(٣)، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١٦٦).
(٢) الدارمي (١/ ١٤١، ١٤٢).
(٣) من القيلولة.

فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ، مَا جَاءَ بِكَ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَك، فَأَقُولُ: لَا أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَك، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَآنِي، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي».

❐ بل وانظر إليه وهو يقول عن نفسه: «لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى فيهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤]، حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤]؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ... »[1] الحديث.

❐ حقًّا إنه أدب جم وهو خلق كريم، ومن ثم حمل ابن عباس علمًا جمًّا غزيرًا ووقَّره الكبيرُ كما وقَّره الصغير، فها هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يدخله عليه ويجعله من أهل مجالسته مع كبار الصحابة رضي الله عنهم حتى قال بعض الصحابة: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، وكان عمر يتعمد طرح المسائل عليهم وعليه حتى يريهم فضله رضي الله عنه.

❐ ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ، فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ

---

(١) البخاري حديث (٥١٩١).

(٢) البخاري حديث (٤٩٧٠).

تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: الآية ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَد اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ».

□ وفي «مصنف ابن أبي شيبة»[(١)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ: فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْته، فَقَالَ: أَعْيَيْتمُونِي أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي لَمْ تَجْتَمِعْ شئون رَأْسِهِ.

□ وفي «مصنف ابن أبي شيبة»[(٢)] أيضًا بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ.

□ وفي «الزوائد على فضائل الصحابة لأحمد»[(٣)] زوائد ابنه عبد الله بإسناد صحيح عَنْ يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ حَاجًّا، وَخَرَجَ مَعَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ مَوْكِبٌ، وَلِابْنِ عَبَّاسٍ مَوْكِبٌ مِمَّنْ يَسْأَلُ عَنِ الْفِقْهِ.

❁ قدم بين سؤالك عذرًا إن كان السؤال يحتاج إلى اعتذارٍ:

□ ها هي أم سليم تقدّم عذرًا بين يدي سؤالها فتقول: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ؟[(٤)].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٧٤) بإسناد صحيح.

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٦٩) بإسناد صحيح.

(٣) «فضائل الصحابة» حديث (١٩٤٧).

(٤) البخاري حديث (٢٨٢)، ومسلم (١/ ٦٠٨).

فانظر إلى تقديمها بقولها: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ يا رسول الله.

والعالم هو الآخر

والعالم هو الآخر عليه أن يخلص عمله لله وأن يبث العلم لله، وأن يتواضع للناس ويخفض الجناح للجاهل.

❁ عليه أن يكون من الربانيين الذين يعلِّمون الناس صغار العلم قبل كباره:

يعلمهم المسائل السهلة ذات الأهمية الكبرى قبل المسائل الصعبة التي هي دون الأولى في أهميتها، وهذا حاصل قول بعض العلماء في تفسير الربانيين.

❁ على العالم أن يحدث الناس بما يعرفون، حتى لا يكذبوه ويردوا الحق الذي جاء به:

❏ أخرج البخاري[1] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**».

❏ وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[2].

❁ فعلى العالم أن ينظر في أحوال سائليه:

ولا يفتيهم بما يكون سببًا في إضلالهم وإغوائهم، فإذا جاءه رجل يحمل

---

(١) البخاري حديث (١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال: . . . فذكره وإسناده منقطع، و«مقدمة مسلم» ليست على شرط مسلم، ترتيب محمد فؤاد (ص١١).

فكر الخوارج القائلين بتكفير الناس بالمعاصي فلا يحدثه بحديث رسول الله ﷺ «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»(١)، فإن هذا الحديث يحمل عند الخارجي على غير وجهه وينزله في غير منزلته فيضل به الناس.

وكذلك إذا أتاه مرجئ من المرجئة الذين يقولون: لا يلزم مع قول لا إله إلا الله عمل، فلا يحدثه بحديث: «**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، فإنه يعزِّز بدعته بهذا الحديث، ويفهم الحديث على غير وجهه.

□ وفي «الصحيح»(٢) من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْن جَبَلٍ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**»، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

فانظر على قوله: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**»، وفي الرواية الأخرى(٣): أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ: «**لَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**».

□ ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة، ودخل على إثره، فقال: يا رسول الله لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ

---

(١) البخاري حديث (٥٩٨٤)، ومسلم حديث (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا، والمراد بالقاطع: قاطع الرحم، كما في بعض الروايات في «الصحيح».

(٢) البخاري حديث (١٢٨)، ومسلم حديث (٣٢).

(٣) البخاري حديث (١٢٩)، ومسلم (٣٢).

النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، فقَالَ: «**فَخَلِّهِمْ**»(١).

*** على العالم أيضًا أن لا يُمِلَّ الناس من حديثه:**

فكثرة الكلام ليست بغاية، إنما الغاية بعد إرضاء الله ﷻ تفهيم الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، أما أن يبالغ العالم في الكلام الطويل المُمل الفارغ من الكتاب والسنة فهذا مذموم، وعليه أن يراعي قدرات الناس وطاقاتهم في التحمل ومدى استيعابهم لحديثه.

□ أخرج البخاري ومسلم(٢) من طريق أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ(٣) يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ(٤) بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.

□ ومن ثم كان النبي ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاه(٥).

□ وكان يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا**

---

(١) مسلم حديث (٣١) (ص٦١).

(٢) البخاري حديث (٧٠)، ومسلم حديث (٢٨٢١).

(٣) عبد الله: هو ابن مسعود.

(٤) التخول: هو التعاهد، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نَملَّ، قاله الحافظ ابن حجر، وقال: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العلم خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكليف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط: الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

(٥) البخاري حديث (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»(١).

❋ وإذا سئلت عن شيء لا تعلمه فقل: الله أعلم:

فإن الله سبحانه وتعالى اختص عباده كُلًّا بنوعٍ من أنواع العلم وباب من أبوابه، فلم يحز أحد العلم كله، وقد استأثر سبحانه بعلوم لا يعلمها إلا هو.

❐ ولما جاء اليهود إلى رسول الله ﷺ وسألوه: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ ونزل عليه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٥](٢).

فها هو رسول الله ﷺ يتوقف في المسألة ويكل أمرها إلى الله سبحانه، ومع أنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بالله وأتقاهم لله.

❐ ولما سئل عن الساعة قال: **«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**(٣).

❐ وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٢: ٤٤].

❐ وأطلع الله بعض أنبيائه على علوم لم يطلع عليها غيرهم، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

❐ وقال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٧٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار رضي الله عنه مرفوعًا، وقد انتقد على مسلم ولكن له شاهد.

(٢) أخرجه البخاري حديث (١٢٥)، ومسلم مع النووي (١٧/ ١٣٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) مسلم حديث (٩) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ.

❁ **وكان الصحابة رضي الله عنهم في تخصصاتهم، كلٌّ في تخصصه واتجاهه:**

❐ فهذا عالم بالفرائض كزيد بن ثابت رضي الله عنه.

❐ وهذا عالم بالقضاء كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

❐ وهذا عالم بالقراءات كأُبي بن كعب رضي الله عنه.

❐ وهذا عالم بسياسة الناس كعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

❐ وهذا عالم بالتفسير كابن مسعود رضي الله عنه.

❐ وهذا حافظ لسنة رسول الله ﷺ كأبي هريرة وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم.

❐ وهذا عالم بفنون الحرب وشئون القتال وفن النزال كخالد بن الوليد وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما.

❐ وهذا عالم من العلماء كمعاذ بن جبل رضي الله عنه.

❐ وهذا حبر من الأحبار كابن عباس رضي الله عنه.

إلى غير ذلك من التخصصات.

❁ **قبول العلم ممن هو أدنى:** والعالم حقُّ العالم، العالم النبيل الجليل: يقبل العلم ممن هو فوقه وممن هو دونه، لا يستعلي ولا يستكبر.

❐ فها هو نبي الله موسى مع كونه من أولي العزم من الرسل يقول للخضر: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: الآية ٦٦].

❐ وأخرج النسائي في «السنن»، وفي «عمل اليوم والليلة»، وكذلك الإمام أحمد في «المسند»(١) من حديث قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا

---

(١) النسائي في «السنن الصغرى» (٧/ ٦)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦)، وأحمد =

أَتى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ.

فها هو الرسول ﷺ يقبل من اليهودي كلامه ما دام اليهودي محقًّا فيه.

□ روى البخاري أن حبرًا مِنَ الْأَحْبَارِ جاء إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: «**أَنَا الْمَلِكُ**»، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٧] (١).

فانظر إلى ضحك النبي ﷺ تصديقًا لخبر الحبر.

□ وكذلك فانظر إلى قول الرسول ﷺ في شأن الشيطان الذي جاء إلى أبي هريرة، وقال له: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥] فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»(٢).

□ وها هو عمر يسأل أصحاب رسول الله ﷺ مع كونه أفضل منهم،

= في «المسند» (٦/ ٣٧١، ٣٧٢) وإسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري معلقًا، وانظر ما ذكره الحافظ في «الفتح» (٤/ ٤٨٧).

فيقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأصحاب رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟»[(١)] الحديث.

❏ وابن مسعود[(٢)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.

فجدير بكل شخص أن يتواضع للعلم فيأخذه من الصغير ومن الكبير، ولا ينبل العالم حتى يأخذ ممن فوقه وممن هو دونه.

❊ وعليك أن ترشد الناس إلى أصحاب التخصصات إذا سئلت عن علم من نوع معين ولم تكن من أهل الاختصاص فيه:

❏ فأمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «عَلِيٌّ أَقْضَانَا، وَأُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا»[(٣)].

❏ وها هو معاذ بن جبل العالم الفاضل الجبل الذي يتقدم العلماء يوم القيامة رميةً بحجرٍ كما قال النبي ﷺ، ها هو يرشد أصحابه إلى أهل العلم ولا يبخل بذلك، وها هو الحديث بذلك:

❏ أخرجه الترمذي[(٤)]، والنسائي وغيرهما بإسناد حسن، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ مُعَاذ بْن جَبَلٍ الْمَوْتُ قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَقَالَ: إِنَّ العِلْمَ وَالإِيمَانَ مظانهما من التمسهما

---

(١) البخاري (٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري حديث (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢).

(٣) البخاري حديث (٤٤٨١)، وأحمد (٥/ ١١٣).

(٤) الترمذي (٣٨٠٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في «الفضائل» (١٤٩)، وابن حبان (٢٢٥٢) موارد، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١١١)، والحاكم (٣/ ٢٧٠، ٤١٦).

وجدهما - أو العِلْمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنِ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا - فالتَمِسُوا العِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ: عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ**».

☐ وها هو أبو موسى رضي الله عنه لما أفتى في بعض المسائل يرشد إلى أخيه ابن مسعود لما يعلمه عن علم ابن مسعود، ففي «البخاري»[١] من طريق هُزَيْلِ ابْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنِ ابْنَةٍ، وَابْنَةِ ابْنٍ، وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِلأُخْتِ النِّصْفُ، وَائْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلأُخْتِ، فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ.

☐ وكذلك في «الصحيحين»[٢] أن أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَزْهَرَ رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا، وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عنهما، فَقَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها فَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي، فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا، فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ

---

(١) البخاري حديث (٦٧٣٦).

(٢) البخاري حديث (١٢٣٣)، ومسلم حديث (٨٣٤).

سَلَمَةَ رضي الله عنها: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ، فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ قُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ، فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ**».

فانظر إلى إحالة كلٍّ إلى أخيه الذي يرى أنه أعلم منه!!

فحريٌّ بالشخص إذا جاءه سائلٌ يسأله عن نوع من أنواع العلوم ليس له تبحرٌ فيها ولا رسوخٌ في العلم بها أن يحيل إلى غيره ولا يستكبر ولا يتعالى، فمثلًا مريض ذهب إلى طبيب يدفع له قيمة الكشف، والمريض لا يدري ما به، إلا أنه يتألم مما أصابه، فيراه الطبيب ويعلم أن المرض الذي به ليس من تخصصه، فعليه في هذه الحالة أن يحيل إلى طبيب آخر أكثر اختصاصًا منه في الجانب الذي يشتكي منه المريض، وهذه أمانة يجب أن تؤدى إلى أهلها، ورب العزة يقول أيضًا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦].

وهل على الطبيب أن يرد قيمة الكشف إلى المريض أم لا؟

النظر في هذا إلى مقدار الجهد الذي بذله الطبيب، والأورع له والأحوط له في دينه أن يرد المبلغ إلى المريض، والله أعلم.

فياليت هذه الخصلة تتفشى في الأطباء، يتفشى فيهم القول: إن هذا المرض ليس من اختصاصي، ولكن اذهب إلى الطبيب الفلاني فهو أعلم بهذا مني.

ولا يقف الأمر على الأطباء بل يمتد إلى كل نوع من أنواع العلوم.

فعلى المهندس المدني أن يحيل إلى المهندس المعماري فيما يخصه.

وعلى المحدث أن يحيل إلى الفقيه، ويحيل الفقيه إلى المحدث، ويحيل المحدث إلى اللغوي، كلٌّ فيما يخصه ويعنيه.

وإذا سئلت عن شيء لا تعلمه فقل: الله أعلم.

وإذا احتجت إلى العلم بشيء فاسأل أهل الذكر من أهله والمتخصصين فيه.

❐ قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣].

❐ وقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٥٩].

والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*** وليترك لكل إنسان تخصصه الذي ما دام قائمًا فيه بحرص وإتقان:**

❐ أخرج البخاري[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ إِلَى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى[٢] فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ، فَأْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ: «**اسْقِنِي**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قَالَ: «**اسْقِنِي**»، فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا[٣] لَنَزَلْتُ حَتَّى أَضَعَ الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ**»، يَعْنِي عَاتِقَهُ، وَأَشَارَ

---

(١) البخاري حديث (١٦٣٥).

(٢) استسقى: أي: طلب السقيا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: قال ابن بزيزة: أراد بقوله: «لولا أن تغلبوا» قصر السقاية عليهم وأن لا يشاركوا فيها.

إِلَى عَاتِقِهِ.

❐ وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر رضي الله عنه قال: ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ[2] إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «**انْزِعُوا[3] بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**»[4].

❐ وقد كان حذيفة صاحب سرِّ رسول الله ﷺ.

قال أبو الدرداء لعلقمة[5]: «أَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي كَانَ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، يَعْنِي: حُذَيْفَةَ...» الحديث.

❋ وعلى العالم أن يتحرى صحة المادة العلمية التي يقدمها للناس:

فعليه أن يقدم للناس الصحيح من سنة رسول الله ﷺ ويبين لهم ضعف الضعيف منها، وعليه أن ينتقي ما صح من أقوال المفسرين في الآيات ويترك الشاذ والمهجور من هذه الأقوال، وعليه أن ينظر في سيرة أصحاب رسول الله ﷺ وفي أقوالهم وينتقي ما صحَّ من ذلك ويبثه في الناس، ويقدم الدليل من الكتاب والسنة على كل قول، فبذلك يثاب، وبذلك ترفع درجته، وينضر الله وجهه.

---

(١) مسلم حديث (١٢١٨).

(٢) أفاض: أي: طاف طواف الإفاضة، والمراد بالبيت: البيت الحرام، والكعبة التي به.

(٣) انزعوا: أي: استقوا الماء واستخرجوها من البئر بالدلاء.

(٤) أي: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء. (النووي).

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٧٨)، والمراد بالسر - والله أعلم - أسماء المنافقين، وأيضًا أحاديث الفتن.

ولا يخفى على أهل العلم والفضلاء النجباء أن المسائل تقدر بقدرها، فثمَّ مسائل القول فيها قول واحد للعلماء لا يسوغ لأحد خلافه.

وثمَّ مسائل أُخر للعلماء فيها أكثر من قول، وفي كثير من الأحيان يوجد لكل قول منها دليله، وفي أحيان أخر لا يوجد الدليل إلا لبعضها، فعلى العالم أن يراعي ذلك وينظر متى يشتد في الإنكار على المخالف ومتى تخف حدة الإنكار.

والمناهي تختلف في درجاتها، والأوامر تختلف في درجاتها كذلك، وليس من خالف في مسألة انعقد عليه الإجماع كمن اختار قولًا من أحد قولي العلماء، وكلما اتسعت مطالعات العالم وكثرت قراءاته وأبحاثه كلما أدرك ذلك جيدًا.

❁ ويجدر بالعالم أن يتريث في البحث والنظر في متون الأحاديث المستدل بها وأسانيدها ومدلولات ألفاظها:

ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر حديثين فهم منهما بعض إخواننا - عفا الله عنا وعنهم - غير ما يتحمله الحديثان:

❁ أحدهما: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.

استدل به البعض على منع التعزية في البيوت(١) والحديث كما هو واضح لا يحتمل النهي عن التعزية، بيد أنَّ الراجح فيه لدينا أيضًا أنه ضعيف؛ وذلك لأن الحديث أخرجه ابن ماجه(٢) من طريق هشيم عن إسماعيل بن أبي

---

(١) والأحاديث في مشروعية التعزية واستحبابها كثيرة معروفة.

(٢) ابن ماجه حديث (١٦١٢)، وأحمد (تحقيق أحمد شاكر حديث ٦٩٠٥).

خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير.

وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعن، وتفرد ابن ماجه بالحديث من بين أصحاب الكتب الستة لا يطمئن، وخاصة إن كان رجال الحديث رجال الكتب الستة.

وقد رواه أحمد بمتابعة لهشيم من طريق نصر بن باب، ولكن متابعة نصر ابن باب لا يُفرح بها لكونه متهمًا بالكذب، وعليه فالحديث عندنا ضعيف.

وقد ذكره الدارقطني في «العلل»[1] فقال: «يرويه ابن بشير واختلف عنه فرواه سريج بن يونس والحسن بن عرفة عن هشيم عن إسماعيل عن قيس عن جرير.

ورواه خالد بن القاسم المدائني[2] قيل: ثقة، قال: لا آمن لك هذا، خرَّجوه عن هشيم عن شريك عن إسماعيل، ورواه أيضًا عباد بن العوام[3] عن إسماعيل كذلك». اهـ.

وفي «مسائل أحمد»[4] رواية أبي داود قال أبو داود: ذكرت لأحمد حديث هشيم عن إسماعيل عن قيس عن جرير: كنا نعد الاجتماع عند أهل الميت وصنعة الطعام لهم من أمر الجاهلية.

قال: زعموا أنه سمعه من شريك، قال أحمد: وما أرى لهذا الحديث أصلًا.

---

(١) الدارقطني في «العلل» (مخطوط) (ج٤/ ٨٨أ).
(٢) خالد بن القاسم المدائني: متروك.
(٣) رواية عباد بن العوام عند الطبراني في التعزية على الميت، وليست هي روايتنا.
(٤) «مسائل أحمد» رواية أبي داود (ص٢٩٢).

قلت (القائل مصطفى): فالحديث عندنا ضعيف لما قدمناه، والله أعلم.

وثَمَّ حديثٌ آخر رواه الترمذي(١) وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال: «إِذَا مِتُّ فَلَا تُؤْذِنُوا بِي أَحَدًا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَعْيًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ».

استدل به البعض على منع النعي، مع أن الأحاديث الواردة في إثبات النعي كثيرة معلوم.

والحديث ضعيف كذلك للانقطاع بين بلال بن يحيى(٢) - الراوي عن حذيفة - وحذيفة، فالراجح أنه لم يسمع منه.

ثم هو محمول - في حالة صحته - على صورة معينة من صور النعي، والله أعلم.

❋ ومن المسائل العلمية التي تتعدد فيها وجهات النظر: مسألة وضع اليد اليمنى على اليسرى بعد القيام من الركوع:

هل توضع اليمنى على اليسرى؟ أم ترسل اليمنى واليسرى؟ فالأدلة الواردة فيها غير صريحة في هذا الباب، ومن ثم قال الإمام أحمد رحمه الله: إن شاء أرسلهما وإن شاء وضع يمينه على شماله(٣).

---

(١) الترمذي في باب النهي عن النعي (أبواب الجنائز)، وابن ماجه (١/ ٤٥٠)، وأحمد (٥/ ٤٠٦)، والبيهقي (٤/ ٧٤).

(٢) قال ابن معين في رواية بلال عن حذيفة: إنها مرسلة، انظر «التهذيب».

(٣) نقلًا عن «المحرر في الفقه» (١/ ٦٢)، وكلام أحمد مسطرٌ في عدة مواطن من عدة كتب، وعمدة الاستدلالات في هذه المسألة تنبني على ثلاثة أدلة:
أحدها: حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وقد أخرجه البخاري حديث (٧٤٠)، وفيه: «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ». =

فمثل هذه المسألة لا ينبغي أن يتشدد فيها شخص ولا أن يثرِّب على إخوانه! وإنما يوضح وجهة نظره واستدلالاته والذي ترجح لديه والذي ينصح به من غير تشددٍ ولا تسفيهٍ للقول الآخر، والله أعلم.

طريقة التعامل مع الضعفاء والفقراء

❋ وللضعفاء والفقراء وأصحاب الأعذار طريقة في الخطاب معهم، تنبني على الرحمة والرفق بهم، وللقوي طريقة أيضًا تتناسب معه:

وأسوق لك ها هنا واقعتين كلتيهما حدثت لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أحدهما: موقف لأبي بكر مع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والآخر موقف لأبي بكر مع سلمان وصهيب وبلال، هؤلاء الثلاثة الفقراء، فأعرني ذهنك وفكرك أخي الكريم، وأمعن النظر في موقف الرسول ﷺ مع أبي بكر في الحالين، الحال الأول حاله مع

= والثاني: حديث وائل بن حُجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه مسلم حديث (٤٠١)، وفيه: أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ يَدَيْهِ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَّرَ، ثُمَّ الْتَحَفَ بِثَوْبِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى...» الحديث.

وهذا الحديث والذي قبله كلاهما محتمل، فهل قوله: «كان الناس يؤمرون...» إلى آخره، وقوله: «وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى في الصلاة» عام يدخل فيه قبل الركوع وبعده أم أنه مختص بالقيام الذي هو قبل الركوع؟ كل هذا محتمل.

وثالث الاستدلالات: حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري حديث (٨٢٨)، وفيه: أن أبا حميد الساعدي قال: «أَنَا كُنْتُ أَحْفَظَكُمْ لِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ إِذَا كَبَّرَ جَعَلَ يَدَيْهِ حِذَاءَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ»، وفي بعض الروايات: «حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى مَوْضِعِهِ»، وهذه الرواية أيضًا ليست صريحة، فهل المراد بالعظم عظم الظهر كما أوضحته رواية: كل فقار؟ أم المراد عموم العظام بما فيها عظام المرفق؟ وأيضًا هل المراد بقوله: «إلى موضعه» موضعه قبل الهيئة أي: موضعه الذي كان عليه قبل الركوع أم موضعه الذي من طبيعته أن يكون فيه؟ كل ذلك محتمل ووارد، وإن كان الأقرب أن المراد: عظام الظهر، والله أعلم.

ومن ثَمَّ وردت عن أحمد رَحِمَهُ اللهُ الروايتان اللتان أشرنا إليهما، والله أعلم.

عمر، وعمر رجل من سادات قريش وأشرافها، وسلمان وصهيب وبلال غرباء رضي الله عنهم أجمعين.

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**»، ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ (مَرَّتَيْنِ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**».

❐ وأخرج مسلم[(٢)] من حديث عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ، قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ.

فانظر كيف اشتد رسول الله ﷺ على عمر رضي الله عنه في الحديث الأول شدةً

---

(١) البخاري حديث (٣٦٦١).

(٢) مسلم (٢٥٠٤).

في غاية الشدة لما أغضب عمرُ أبا بكر رضي الله عنهما.

ثم انظر إلى قوله ﷺ لأبي بكر - في الحديث الآخر -: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»**.

فخاطر هؤلاء الضعفاء والفقراء وأصحاب الأعذار منكسرٌ، وتأثرهم بالكلمات وبالنظرات وبالحركات أشد من غيرهم بكثير، فحريٌّ بك أن تتلطف معهم في العبارات وفي الألفاظ وفي الإشارات، وعليك أن تطيِّب خواطرهم.

❐ ادعهم إلى طعامك، صح عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] أنه قال: شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ.

❐ عُدْ مريضهم، قال رسول الله ﷺ[٢]: **«إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ، فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»**.

انظر إلى صنيع رسول الله ﷺ مع مولاه أسامة بن زيد رضي الله عنه، إن أسامة

---

(١) البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢) وقد رُوي هذا الحديث مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ، ولا يصح.

(٢) مسلم حديث (٢٥٦٩).

مولى من الموالي ثم هو أسود شديد السواد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لكنه مع ذلك حِبُّ رسول الله ﷺ حتى إن كبار القرشيين يستشفعون به إلى رسول الله ﷺ.

انظر إلى صنيع رسول الله ﷺ معه، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقد قالت: عَثَرَ أُسَامَةُ بِعَتَبَةِ الْبَابِ، فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمِيطِي عَنْهُ الأَذَى**»، فَتَقَذَّرْتُهُ، فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ وَيَمُجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَّيْتُهُ وَكَسَوْتُهُ حَتَّى أُنَفِّقَهُ**»[1].

أي: لزينته بالكسوة والحلي حتى أُزوِّجه.

اعلم تمام العلم أنك ترزق بسبب هؤلاء الضعفاء، ويدفع الله عنك الشرور بسببهم، فهذا سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة يرى أن لنفسه فضلًا على من دونه، فقال له النبي ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**»[2].

فعلى المرء أن يضمهم له ويؤويهم إليه.

❑ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة «المصنف» (١٢٣٥٦)، وأحمد (٦/ ١٣٩، ٢٢٢)، وأبو يعلى (٤٥٩٧)، وغيرهم، وإسناده صحيح لغيره.

(٢) البخاري حديث (٢٨٩٦)، وصورته مرسل لكن له شواهد، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦/ ٨٩): وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أحمد والنسائي بلفظ: «**إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**».

عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾(١) [الأنعام: ٥٢-٥٤].

□ وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

□ ونوح ﷺ لما قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء: ١١١-١١٤].

□ ولما عبس النبي ﷺ(٢) في وجه عبد الله بن أم مكتوم عاتبه ربه، فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: الآيات ١-١٢].

---

(١) وقد ورد في سبب نزولها ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٥/ ١٨٧) من حديث سَعْد بن أبي وقاص، قالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلاَلٌ وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ، أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠٩) بإسناد حسنه بعض العلماء لشواهده من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾ [عَبَسَ: الآية ١] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: «**أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا**»، فَيُقَالُ: لاَ، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ.

❋ ولا تحملهم فوق طاقتهم فإن الله سبحانه قد عذرهم:

❐ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: الآية ٩١].

❐ وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١].

❋ وأنت أيها الفقير، وأنت أيها الضعيف، وأنت أيها المعذور عليك بالآتي:

❐ ارض بما قسمه الله لك، فأنت لا تدري إذا أغناك الله وإذا عافاك الله هل ستشكر أم ستكفر ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: الآية ٢٧].

اعلم أن الغني وأن القوي وأن المعافى في بدنه فتنة لك فلا تفتن به، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]. فلا تقل: هذا منَّ الله عليه وتركني!

ولا تقل: هذا قد فضله الله عليَّ!

❐ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٣].

❋ عليك أن تجازي الإحسان بالإحسان، ولا تجحد المعروف ولا تنكر الجميل:

❐ قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٦٠].

❐ وكان النبي ﷺ يجازي المعروف بالمعروف والإحسان بالإحسان، فقد

نزل النبي في جوار المطعم بن عدي فحمل المطعم بن عدي سلاحه للدفاع عن رسول الله ﷺ مع أن المطعم بن عدي كان مشركًا، فلما جاءت غزوة بدر قال النبي ﷺ في أسارى بدر: «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**»(١)، ويعني بالنتنى: الأسارى.

❐ ويحفظ الجميل لخديجة في أختها هالة بعد موت خديجة، فلما استأذنت هالة على رسول الله ﷺ عرف صوت خديجة فارتاع، وقال: «**اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**»(٢).

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(٣).

❐ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٧).

(٣) **صحيح وله شواهد**: وقد أخرجه أبو داود «عون المعبود» (١٣/ ١٦٥)، والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وله شواهد.
قال الخطابي في «معالم السنن» مع «سنن أبي داود» (٥/ ٥٧) في شرح حديث «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»: هذا الكلام يتأول على وجهين:
أحدهما: أن من كان طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له سبحانه.
والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر.

(٤) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٣٥) بإسناد رجاله ثقات وهو من طريق الأعمش عن مجاهد، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية الأعمش عن مجاهد، لكن قوله: «**وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ...**»، يشهد له عمومات كثيرة من الشرع.

مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

❐ وها هو كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكسو من بشره بتوبة الله عليه ثوبه الذي لا يملك غيره، ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصة توبة الله عليه... قال: «فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا...».

❐ ومن مجازاة الإحسان بالإحسان: وصية النبي ﷺ بالأنصار، ففي آخر خُطبة خطبها النبي ﷺ قال أنس[(٢)]: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي**[(٣)]، **وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

والرجل الشاكر يجلب لنفسه بإذن الله مزيدًا من الرزق، وذلك أولًا لامتثاله أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ بمجازاة الإحسان بالإحسان، ثم ثانيًا لأن البشر جبلوا على حب من يشكرهم، فمثلًا إذا أتيت رجلًا الآن وسألته مبلغًا من المال (مائة جنيه مثلًا) فأعطاك، ثم جئته من العام المقبل فسألته مائة جنيه أخرى فقال لك: مَنْ أنت؟ فذكَّرته بنفسك قائلًا أنا الذي سألتك في العام الماضي فأعطيتني مائة جنيه، فحينئذ يتذكر هذا المحسن أنك لست من ينكرون المعروف ويجحدون الإحسان ويعلم أن صدقته جاءت في يد

---

(١) البخاري حديث (٤٤١٨)، ومسلم حديث (٢٧٦٩).

(٢) البخاري حديث (٣٧٩٩).

(٣) كرشي وعيبتي: أي: بطانتي وخاصتي.

شاكر فيعطيك ولا يبالي ولا يتردد.

وكمثال لذلك من كتاب الله ﷻ قول زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: الآية ٤].

أي: يا رب، إنك لم تشقِّني بالرد والحرمان من قبل، فكل ما سألتك أعطيتني، وكل ما دعوتك به أجبتني فلا تشقني يا رب بالرد والحرمان في هذه الدعوة، والله أعلم.

❊ إياك أن تجمع بين الكِبْرِ والفقر والمسكنة:

□ أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

فعليك بالتواضع وخفض الجناح.

❊ وانظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو أعلى منك وذلك حتى تعظم في نفسك نعمة الله فتؤدي شكرها:

□ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

□ وقال النبي ﷺ: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ**»[2].

□ وفي رواية لمسلم: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ**

(١) مسلم حديث (١٠٧).

(٢) البخاري حديث (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»، وفي رواية: «عَلَيْكُمْ».

أما أهل الجهل والغباء فقد قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩].

فبهذا أمرنا ربُّنا ﷻ، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩].

❑ وقال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣].

❑ وانظر إلى هذا الأثر الذي أخرجه البخاري(١) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ ابْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا، أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللهِ، مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ.

---

(١) البخاري (٤٦٤٢).

❊ **وانظر إلى تصرف النبي ﷺ مع هذا الأعرابي الجاهل الذي بال أمام الناس في المسجد:**

☐ أخرج البخاري[(١)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا[(٢)] مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**».

☐ وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَعْرَابِيًّا يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: «**دَعُوهُ**»، حَتَّى إِذَا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ[(٤)].

☐ وفي «صحيح مسلم»[(٥)] من حديث أَنَسٍ أيضًا، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ[(٦)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ[(٧)] عَلَيْهِ.

---

(١) البخاري حديث (٢٢٠).

(٢) السجل: هو الدلو الواسع الضخم.

(٣) البخاري حديث (٢١٩)، ومسلم حديث (٢٨٥).

(٤) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١/ ٣٢٥): «وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا، ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه».

(٥) مسلم (ص٢٣٧).

(٦) مَهْ: كلمة زجر، قيل إن معناها اسكت.

(٧) فشنه: أي: فصبه.

بعض أقوال أهل العلم[١] في تأويل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

□ أخرج البخاري[٢] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ.

❊ قال الرازي في «التفسير الكبير»[٣]:

قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الله هو الذي يتولاه، وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، قال أهل اللغة: العفو الفضل، وما أتى من غير كلفة.

إذا عرفت هذا فنقول: الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم، إما أن يجوز إدخال المساهلة والمسامحة فيها، وإما أن لا يجوز.

أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضًا التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

---

(١) في تأويل الآية جملة أقوال أوردنا منها ما يوافق موضوع كتابنا.

(٢) البخاري حديث (٤٦٤٣)، وانظر كلام الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٠٥)، وأخرجه النسائي في «التفسير» حديث (٢١٥)، وأبو داود (٤٧٨٧).

(٣) الرازي (١٥/ ٩٥، ٩٦).

ومن هذا الباب: أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: الآية ١٢٥].

وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز المساهلة والمسامحة فيه، فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف، والعرف، والعارفة، والمعروف هو كل أمر عرف أنه لابد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعرف ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال، لكان ذلك سعيًا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز، ثم إنه إذا أمر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفَّر عنه، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩].

وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٣].

وقال في صفة أهل الجنة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الواقعة: الآية ٢٥].

وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم علمت أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير.

قال عكرمة[(١)]: لما نزلت هذه الآية قال ﷺ: **«يا جبريل ما هذا؟ قال: يا محمد، إن ربك يقول: هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»**.

قال أهل العلم: تفسير جبريل مطابق للفظ الآية، لأنك لو وصلت من

---

(١) هذا مرسل ضعيف.

قطعك، فقد عفوت عنه، وإذا آتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف، وإذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين.

وقال جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وللمفسرين في هذه الآية طريق آخر فقالوا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، أي: ما عفا لك من أموالهم، أي: ما أتوك به عفوًا فخذه، ولا تسأل عما وراء ذلك.

قالوا: كان هذا قبل فريضة الصدقة فلما نزلت آية وجوب الزكاة صارت هذه الآية منسوخة إلا قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، أي: بإظهار الدين الحق، وتقرير دلائله.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، أي: المشركين، قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف، فعلى هذه الطريقة جميع الآية منسوخة إلا قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩].

واعلم أن تخصيص قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] بما ذكره تقييد للمطلق من غير دليل، وأيضًا فهذا الكلام إذا حملناه على أداء الزكاة لم يكن إيجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة منافيًا لذلك؛ لأن آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس ولا يشدد الأمر على المزكي فلم يكن إيجاب الزكاة سببًا لصيرورة هذه الآية المنسوخة.

❁ وقال البغوي في تفسيره عند تفسير هذه الآية:

قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن

آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[١].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن ذكر عدة أقوال السلف.

وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

أي هذه الوصية: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٦].

وقال في هذه السورة الكريمة أيضًا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠].

فهذه الآيات الثلاث في (الأعراف، والمؤمنون، وحم السجدة) لا رابع لهن فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: الآية ٣٤].

---

(١) ونقل ذلك أيضًا غير واحد عن جعفر الصادق، منهم القرطبي وغيره.

ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجانِّ فإنه لا يكفه عنك الإحسان وإنما يزيد هلاكك ودمارك بالكلية فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك.

❋ **وقال القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

❏ فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

❏ ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

❏ وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] الحرص على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

❋ **وقال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسيره»**(١):

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر

---

(١) هو «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرِّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه.

❋ **وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:**

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] أي: مكان الغضب، ليكونوا أقبل للنصيحة.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]، أي: بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير نكير، ولما كان الناصح لغيره كالمعرَّض لعدوانهم ثلَّث بما يحتاج إليه في ذلك، فقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] أي: المصرين على جهلهم فلا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم، واحلم عنهم، واغضُ على ما يسوؤك منهم.

❋ ❋ ❋

مداراة من في خلقه شيء

فأخلاقيات الناس تختلف كما أسلفنا، فمنهم الصالح ومنهم الطالح ومنهم البذيء، ومنهم الكريم ذو الخلق الحسن، وقد كان النبي ﷺ يعامل كُلًّا بما يستحق، وكان ﷺ يداري في كثير من الأحيان بذيء الخلق إما بعطية يعطيها له، وإما بكلمة يداريه بها، وإما بسكوت عنه، ونحو ذلك، وهذا - والله أعلم - حتى لا تتسع رقعة الشر وحتى لا يستشري الفساد، وها هي نماذج من هذه المداراة:

❐ أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ(٢) عَلَى

---

(١) البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم حديث (٢٥٩١).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مسلم»:

قَوْله: «أَنَّ رَجُلًا اِسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: «**اِئْذَنُوا لَهُ، فَلَبِئْسَ اِبْن الْعَشِيرَة، أَوْ بِئْسَ رَجُل الْعَشِيرَة**»، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْقَوْل، فَقُلْت: يَا رَسُول اللَّه، قُلْت لَهُ الَّذِي قُلْت، ثُمَّ أَلَنْت لَهُ الْقَوْل؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَة، إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْزِلَة عِنْد اللَّه يَوْم الْقِيَامَة مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاس اِتِّقَاء فُحْشه**».

قَالَ الْقَاضِي: هَذَا الرَّجُل هُوَ عُيَيْنَة بْن حِصْن، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَام، فَأَرَادَ النَّبِيّ ﷺ أَنْ يُبَيِّن حَاله لِيَعْرِفهُ النَّاس، وَلَا يَغْتَرّ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْرِف حَاله، قَالَ: وَكَانَ مِنْهُ فِي حَيَاة النَّبِيّ ﷺ وَبَعْده مَا دَلَّ عَلَى ضَعْف إِيمَانه، وَارْتَدَّ مَعَ الْمُرْتَدِّينَ، وَجِيءَ بِهِ أَسِيرًا إِلَى أَبِي بَكْر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وَوَصْف النَّبِيّ ﷺ لَهُ بِأَنَّهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَة مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ كَمَا وَصَفَ، وَإِنَّمَا أَلَانَ لَهُ الْقَوْل تَأَلُّفًا لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ عَلَى الْإِسْلَام. وَفِي هَذَا الْحَدِيث مُدَارَاة مَنْ يُتَّقَى فُحْشه، وَجَوَاز غِيبَة الْفَاسِق الْمُعْلِن فِسْقه، وَمَنْ يَحْتَاج النَّاس إِلَى التَّحْذِير مِنْهُ، وَقَدْ أَوْضَحْنَاهُ قَرِيبًا فِي بَاب الْغِيبَة، وَلَمْ يَمْدَحهُ النَّبِيّ ﷺ، وَلَا ذَكَرَ أَنَّهُ أَثْنَى عَلَيْهِ فِي وَجْهه وَلَا فِي قَفَاهُ، إِنَّمَا تَأَلَّفَهُ بِشَيْءٍ مِن الدُّنْيَا مَعَ لِين الْكَلَام. وَأَمَّا (بِئْسَ اِبْن الْعَشِيرَة أَوْ رَجُل الْعَشِيرَة) فَالْمُرَاد بِالْعَشِيرَةِ قَبِيلَته، أَيْ بِئْسَ هَذَا الرَّجُل مِنْهَا. =

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**»، أَوْ «**بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ**»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَهُ

= وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٤):

قال الخطابي: جمع هذا الحديث علمًا وأدبًا، وليس في قول النبي ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

قلت (القائل ابن حجر): وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص، وليس كذلك بل كل من اطلع من حال شخص على شيء وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدًا نصيحته، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي ﷺ أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه المغتر ليكون نصيحة، بخلاف غير النبي ﷺ فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه.

وقال القرطبي: في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى.

ثم قال تبعًا لعياض: والفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى.

وقال عياض: لم يكن عيينة - والله أعلم - حينئذ أسلم، فلم يكن القول فيه غيبة أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحًا، فأراد النبي ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه، وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه، فيكون ما وصفه به النبي ﷺ من جملة علامات النبوة، وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألف له، ثم ذكر نحو ما تقدم.

وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم، والله أعلم.

الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**».

❐ وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أنه قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْبِيَةً[2] وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيَّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا، فَقَالَ: «**خَبَأْتُ هَذَا لَكَ**»، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَة.

❐ وفي رواية في «الصحيح» أيضًا: قَدِمَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْبِيَةٌ، فَقَالَ لِي أَبِي مَخْرَمَةُ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ عَسَى أَنْ يُعْطِيَنَا مِنْهَا شَيْئًا، فَقَامَ أَبِي عَلَى الْبَابِ فَتَكَلَّمَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ قَبَاءٌ، وَهُوَ يُرِيهِ مَحَاسِنَهُ، وَهُوَ يَقُولَ: «**خَبَأْتُ هَذَا لَكَ، خَبَأْتُ هَذَا لَكَ**».

❐ وفي رواية للبخاي[3]: «**وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شَيْءٌ**».

---

(١) البخاري حديث (٢٥٩٩)، ومسلم حديث (١٠٥٨).

(٢) الأقبية: جمع قباء، وهو يلبس فوق الثياب.

(٣) البخاري حديث (٦١٣٢) من طريق ابن أبي مليكة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٨):

المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة، فغلط لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه.

والمداراة: هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى =

❑ وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ: وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

❑ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَغَيْرُ هَؤُلَاءِ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**»(٣).

❑ وأخرج البخاري ومسلم(٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَعْطَى(٥) رَسُولُ اللهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ(٦)، فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ(٧)، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لأُرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «**أَوْ**

= تألفه ونحو ذلك.

(١) البخاري حديث (٦٠٨٨)، ومسلم حديث (١٠٥٧).

(٢) مسلم حديث (١٠٥٦).

(٣) المعنى - والله أعلم -: أنهم ألجئوني واضطروني بإلحاحهم وإلحافهم وفحشهم وكثرة طلبهم إلى أحد أمرين: إما أن أمنعهم فيصفونني بأنني بخيل، وإما أن أعطيهم مع كونهم ليسوا أهلًا، فاخترت أن لا أكون بخيلًا.

(٤) البخاري حديث (٢٧)، ومسلم حديث (١٥٠).

(٥) الذي أعطى هو رسول الله ﷺ.

(٦) أي: أفضلهم عندي.

(٧) ساررته: أي: كلَّمته سرًّا.

مُسْلِمًا»، قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**»، قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ وَاللَّهِ إِنِّي لأُرَاهُ مُؤْمِنًا، قَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**»، فَقَالَ: «**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**».

اتقاء مقالات الناس

وليس من الرياء ولا من العيب أن تتقي مقالات الناس وذمهم ما لم يكن هناك إثم أو ذنب سيرتكب.

قال النبي ﷺ: «**لَا يَتحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[1].

▢ وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَالَلْمُهَاجِرِينَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

---

(١) البخاري حديث (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

ومن هذا الباب: قول النبي ﷺ لحسان لما أراد حسان أن يهجو قريشًا: «**كَيْفَ بِنَسَبِي؟**»:

□ أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عَائِشَةَ واللفظ لمسلم: قالت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اهْجُوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ**»[٢]، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: «**اهْجُهُمْ**»، فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ[٣] أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ[٤]، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ[٥] فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ[٦]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي**»، فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**».

---

(١) البخاري حديث (٣٥٣١)، ومسلم حديث (٢٤٨٩، ٢٤٩٠).

(٢) رشق بالنبل: بفتح الراء، هو الرمي بها، وأما الرِّشق، بالكسر، فهم اسم للنبل التي ترمى دفعة واحدة.

(٣) لقد آن لكم: أي: حان لكم.

(٤) الضارب بذنبه: قال العلماء: المراد بذنبه، هنا: لسانه، فشبه نفسه بالأسد في انتقامه وبطشه إذا اغتاظ، وحينئذٍ يضرب بذنبه جنبيه، كما فعل حسان بلسانه حين أدلعه، فجعل يحركه، فشبه نفسه بالأسد ولسانه بذنبه.

(٥) أدلع لسانه: أي: أخرجه عن الشفتين، يقال: دلع لسانه وأدلعه ودلع اللسان بنفسه.

(٦) لأفرينهم بلساني فري الأديم: أي: لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد.

وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى**»(١).

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا(٢) ... رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ(٣)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي(٤) ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ(٥)

❐ وكذلك ما تقدم من حديث رسول الله ﷺ لما أعطى قومًا عطاءً، ليسوا له بأهل: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**».

❐ وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللهِ لَكَتَبْتُ آيَةَ الرَّجْمِ بِيَدِي(٦).

---

(١) فشفى واشتفى: أي: شفى المؤمنين، واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار مزقها ونافح عن الإسلام والمسلمين.

(٢) هجوت محمدًا برًّا تقيًّا: وفي كثير من النسخ، حنيفًا، بدل تقيًّا، فالبر: الواسع الخير والنفع، وهو مأخوذ من البِر، بكسر الباء وهو الاتساع في الإحسان، وهو اسم جامع للخير، وقيل: البر، هنا بمعنى المتنزه عن المآثم، وأما الحنيف فقيل هو المستقيم، والأصح، أنه المائل إلى الخير، وقيل: الحنيف التابع ملة إبراهيم ﷺ.

(٣) شيمته الوفاء: أي: خلقه.

(٤) فإن أبي ووالده وعرضي: هذا مما احتج به ابن قتيبة لمذهبه أن عرض الإنسان هو نفسه لا أسلافه؛ لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف، وقال غيرُهُ: عرض الرجل أموره كلها التي يحمد بها ويذم، من نفسه وأسلافه، وكل ما لحقه نقص يعيبه.

(٥) وقاء: هو ما وقيت به الشيء، قاله النووي.

(٦) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به، في كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم =

ومن هذا الباب: باب اتقاء مقالات الناس قول الله تعالى في شأن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: الآية ٣].

فلماذا نادى زكريا عليه السلام هذا النداء الخفي؟ ودعا بهذا الدعاء الخفي؟

من العلماء من قال: إن الأصل في الدعاء أن يكون خفيًّا إلا في بعض المواطن التي يحتاج فيها إلى الجهر بالدعاء، وكون الأصل هو الإخفاء لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: الآية ٥٥].

وقالوا: لأن الدعاء الخفي أبعد عن الرياء والسمعة والشهرة وتشويش الحساد وغير ذلك.

ومن العلماء من قال: إنه نادى هذا النداء الخفي لكون دعوته كانت مستغربة عند الناس، فقد يجعل نفسه مجالًا للسخرية إذا دعا بها أمامهم!

إذ كيف يدعو رجل طاعن في السن قد وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وامرأته عاقر - بل طول حياتها وهي عاقر - كيف يدعو بالولد وهو في هذه الحالة!!

إن دعوته تكون مجالًا للسخرية أمام الذين لا يعلمون.

لكن زكريا يعرف ربَّه ويعلم أنه على كل شيء قدير، فمن ثم دعا بهذا الدعاء الخفي، والله أعلم.

= في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم.

قال الحافظ في «الفتح»: فلم يلحقها بنص المصحف بشهادته وحده، وأفصح في العلة في ذلك بقوله: (لَوْلاَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللهِ)، فأشار إلى أن ذلك من قطع الذرائع لئلا تجد حكام السوء سبيلًا إلى أن يدعوا العلم لمن أحبوا له الحكم بشيء.

قلت: والأثر المعلق من طريق سعيد بن المسيب عن عمر، وقد اختلف أهل العلم في سماع سعيد من عمر فنفاه قوم وأثبته آخرون.

❏ وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، عَنِ الْجَدْرِ(٢)؟ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «**إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ**»، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «**فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاؤُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ**».

ويلتحق بهذا الأصل إذا كان شخص ما يرى رأيًا معينًا في مسألة معينة، وهذا الرأي مستغرب عند عموم الناس، فعليه أن يعمل به لكن لا يفتن المسلمين بصنيعه.

❏ ومن ذلك فعل أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أن الوضوء يستحب فيه غسل اليدين إلى الإبطين ويستدل بحديث: «**تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ**»(٣).

ولكن لما كان هذا الفهم بعيدًا وليس له كبير وجهٍ عند الجماهير كان أبو هريرة يخفي وضوءه عن الناس حتى رآه بعضهم، فقال: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَا هُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ».

---

(١) البخاري حديث (٧٢٣٤)، ومسلم (ص٩٧٣).

(٢) المراد به الحِجْرُ، يعني: حِجْر الكعبة الذي يطلق عليه الناس الآن: حِجْر إسماعيل.

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» حديث (٢٥٠) من طريق أَبِي حَازِمٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُّوخَ، أَنْتُمْ هَا هُنَا لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَا هُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «**تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ**».

قلت: والمراد بالحلية: النور والبياض يوم القيامة.

أما إذا كان هناك إثم سيرتكب وذنب سيُقترف فلا وجه لمراعاة كلام الناس ولا للالتفات إليه، بل يترك الذنب ويجتنب الإثم طاعة لله وطاعة لرسوله ﷺ، فطاعة الله ورسوله فوق كل طاعة.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١).

❑ وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

❑ فقد تؤدي مراعاة الناس على حساب الحق إلى النار والعياذ بالله كما صدر من أبي طالب عمِّ رسول الله ﷺ لما قال له النبيُّ ﷺ: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: الآية ٥٦](٢).

❑ وكما صدر من هرقل لما آثر إرضاء الناس على طاعة الله والإيمان به فآل به ذلك إلى الكفر والعياذ بالله، والحديث بذلك في «الصحيحين»(٣).

---

(١) البخاري حديث (٧١٤٥)، ومسلم حديث (١٨٤٠) من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوا، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ وَسَكَنَ غَضَبُهُ وَطُفِئَتِ النَّارُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

(٢) مسلم (ص٥٥).

(٣) البخاري حديث (٧).

وفيه: فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ.

❐ وانظر إلى قول النبي ﷺ: **«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»**(١).

فانظر كيف يصنع الحرصُ على المال والشرف بالدين؟!

إنه يُدمره ويهلكه ويفسده كما يفسد الذئبان الجائعان في زريبة الغنم!!

فإياك ثم إياك أن تحرص على المال والشرف على حساب دينك.

فالحرص على المال قد يحمل الشخص على كسب الحرام وعلى أكل حقوق الناس وعلى الوقوع في الشبهات.

والحرص على الشرف يجعل الشخص يسكت عن الحق ويقع في الرياء ويقع في المداهنة.

* * *

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والترمذي حديث (٢٣٧٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وهو صحيح.

إنزال الناس منازلهم

وإضافةً إلى ما تقدم، فللناس منازل أنزلهم الله إياها، فرفع الله هذا، وخفض هذا، ومنَّ على هذا بالمنصب والجاه، وسلب ذاك المنصب والجاه، ومنَّ على هذا بالمال والبنين ومنع هذا، ووهب لهذا الذكور، ووهب لهذا الإناث، وجعل ذاك عقيمًا.

وكل هذه نعمٌ وابتلاءات من الله يبتلي بها العباد، وقد جعل الله ﷻ بعض العباد لبعض فتنة: غنيهم فتنة لفقيرهم، وفقيرهم فتنة لغنيهم، ضعيفهم فتنة لقويهم، وقويهم فتنة لضعيفهم، وسيدهم فتنة لعوامِّهم، والعوامُّ فتنة للملوك والسادة:

❏ كل هذا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: الآية ٢٠].

❏ وكما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٣٢].

❏ وقال الله ﷻ: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦].

فللغني حق ومنزلة، وللفقير كذلك طريقة في المعاملة، وللقوي حق، وللضعيف حق، وللسيد حق، وللمسود حق، وللحر حق، وللعبد حق،

وللصالح حق، والطالح ينظر في أمره بحسبه.

فجدير بالعبد أن ينظر إلى حقوق العباد فيؤديها إليهم فيجلب لنفسه بذلك رضا الرب ثم محبة العباد، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

❁ وها هي بعض المواقف من رسول الله ﷺ تبيِّن كيف كان عليه الصلاة والسلام ينزِّل الناسَ منازلهم:

❑ فها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأتي بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ، فيقول الرسولُ ﷺ لأبي بكر: «**لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ، لأَتَيْنَاهُ مكْرُمَةً لأَبِي بَكْرٍ**»(١).

❑ وها هو رسول الله ﷺ ينزِّل أبا سفيان منزلتَه باعتباره شيخًا لقريش، فيقول النبيُّ ﷺ في فتح مكة: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**»(٢).

❑ وها هو رسولُنا ﷺ ينزِّل سعد بن معاذ منزلته باعتباره سيدًا للأوس، فيقول عليه الصلاة والسلام للأنصار لما قدم سعدٌ للحكم في يهود بني قريظة: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»(٣)، أو قال: «**خَيْرِكُمْ**».

❑ وانظر كذلك إلى قول رسول الله ﷺ في شأن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٠) بإسناد صحيح من حديث أنس رضي الله عنه.
وفيه: وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ... فذكره.

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري حديث (٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) مسلم حديث (٢٤٠١).

□ وكذلك فانظر إلى مقالة أمير المؤمنين عمر في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبلال: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا»(١).

□ ولما أرسل رسول الله ﷺ رسالته إلى هرقل قال فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**»(٢).

❋ ومن هذا الباب: التجمل للوفود:

فليس كل الناس يقابلون بثيابك المعتادة، بل ينبغي أن تستقبل وفودك وأضيافك في ثياب نظيفة وتظهر البشاشة لهم والترحيب.

ومن ثم قال عمر لرسول الله ﷺ: «ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ»(٣).

---

(١) ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠١٤) بإسناد صحيح.

(٢) البخاري حديث (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

قال النووي رحمه الله في بيان فوائد هذا الحديث: وَمِنْهَا التَّوَقِّي فِي الْمُكَاتَبَة، وَاسْتِعْمَال الْوَرَع فِيهَا، فَلَا يُفْرِط وَلَا يُفَرِّط، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**إِلَى هِرَقْل عَظِيم الرُّوم**»، فَلَمْ يَقُلْ: مَلِك الرُّوم؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْك لَهُ، وَلَا لِغَيْرِهِ إِلَّا بِحُكْمِ دِين الْإِسْلَام، وَلَا سُلْطَان لِأَحَدٍ إِلَّا لِمَنْ وَلَّاهُ رَسُول اللَّه ﷺ، أَوْ وَلَّاهُ مَنْ أَذِنَ لَهُ رَسُول اللَّه ﷺ بِشَرْطٍ، وَإِنَّمَا يَنْفُذ مِنْ تَصَرُّفَات الْكُفَّار مَا تُنْفِذهُ الضَّرُورَة، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَى هِرَقْل فَقَطْ، بَلْ أَتَى بِنَوْعٍ مِنْ الْمُلَاطَفَة فَقَالَ: «**عَظِيم الرُّوم**»، أَي: الَّذِي يُعَظِّمُونَهُ وَيُقَدِّمُونَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّه تَعَالَى بِإِلَانَةِ الْقَوْل لِمَنْ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَام، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: الآية ٤٤].

(٣) البخاري حديث (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ...**» الحديث. =

وذلك لأن الثوب الذي استقبلت به الضيف يكون له وقع في نفس الضيف.

وإذا تذكرك تذكرك به وأنت لابسه وانطبعت في ذهنه صورة عنك وأنت في هذا الثوب، فلتكن إذن الصورة حسنة.

أما جلساؤك المكثرون من مجالستك فهم يرونك في هذا الثوب وفي ذاك، وفي آخر فلا تكاد تثبت لهم إلا صورة شخصك لكثرة ملازمتهم لك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

* وتُراعي أحوال الصغار وأقدارهم كذلك:

❐ قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»[(١)].

❐ وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ[(٣)] عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ[(٤)] مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ[(٥)] إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي.

❐ وأخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[(٦)] من حديث أم المؤمنين

= والشاهد منه: أن رسول الله ﷺ أقرَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على قوله: تجمل للناس يوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، وإنما أنكر فقط حلة بعينها لكونها سيراء من حرير.

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) البخاري حديث (٦١٣٠)، ومسلم مع النووي (٥/ ٢٩٥).

(٣) البنات: هي صور البنات التي يلعب بها الأطفال.

(٤) ينقمعن: أي: يتغيبن ويدخلن وراء الستر.

(٥) يسربهن: أي: يرسلهن.

(٦) البخاري (٥١٩٠)، ومسلم (٨٩٢).

عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ تَسْمَعُ اللَّهْوَ».

❊ ويراعي رسول الله ﷺ أحوال النساء:

☐ ففي «الصحيحين»[1] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ**».

❊ وينظر في حال السفيه كذلك:

فلا تعطه المال يتصرف فيه كيف يشاء بالعبث والإتلاف والإهلاك.

وأيضًا لا يحرم حقه وحظه من الاستمتاع كغيره.

☐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء: الآية ٥].

❊ ❊ ❊

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٥٣٨)، ومسلم (٥/ ١٧٧).

حق الكبير

وللكبير حقٌّ!!

فمن حقه أن يوقَّر وأن يبجل وأن يحترم، بهذا جاءت سنةُ نبينا ﷺ.

❑ قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا**»(١).

فانظر إلى قوله: «**لَيْسَ مِنَّا**» اللفظة التي تستعمل في شأن من يرتكب الكبائر، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّة**»(٢).

فاستعملت لفظة: «**لَيْسَ مِنَّا**» في حق من لم يوقِّر الكبير كما استعملت في حق من لطم الخدود!!

❑ وقال ﷺ: «**أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا**»(٣).

❑ ولما جاء حويِّصة ومحيِّصة إلى رسول الله ﷺ وذهب مُحيِّصة يتكلم، قال له النبي ﷺ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**» يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة(٤).

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٥)، وله طرق.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧)، ومسلم (١٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا حديث (٢٤٦).

قال الحافظ: وقد وصله أبو عوانة في «صحيحه» عن محمد بن إسحاق الصاغاني وغيره، وأخرجه مسلم أيضًا حديث (٣٠٠٣).

(٤) البخاري (٧١٩٢).

□ وقال النبي ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا...**»(١).

فإذا استووا في قراءتهم وعلمهم وهجرتهم فكما أرشد النبي ﷺ فليؤمهم أكبرهم سنًّا.

□ وفي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(٢).

فلما استووا في مجيئهم إلى رسول الله ﷺ وفي علمهم بالسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**».

□ وقال ﷺ: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ**»(٣).

فدلت هذه الأدلة وغيرها أيضًا من الأدلة على تأكيد حق الكبير على الصغير.

وفي الحقيقة إن هذا أدب غفل عنه كثير من إخواننا، نسوا أو تناسوا حق كبار السن!

---

(١) أخرجه مسلم (ص٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري حديث (٦٢٨)، ومسلم حديث (٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري حديث (٦٢٣١).

وقصَّروا في إعطائهم الحق الذي لهم، فلا يمتنع أحدهم من التقدم بالحديث على كبار السن، ولا يمتنع أحدهم من مخاطبته كما يخاطب من هو في سِنِّه، بل ولا يمتنع أحدهم من النيل من الكبير دون أدنى التفات إلى أحاديث رسول الله ﷺ! وفي الحقيقة إن هذا مما يسيء إلى ديننا(١) وإلى سنة نبينا ﷺ، خاصة إذا كان هذا التصرف يصدر ممن ظواهرهم التمسك بسنة رسول الله ﷺ.

فكم سجد هذا الكبير لله من سجدة؟!! وكم هلَّل من تهليلة؟!! وكم سبَّح من تسبيحة؟!!

وكم تبع من جنازة؟!! وكم عاد من مريض؟!!

وكم صبر هذا الكبير على ابتلاء؟!! وكم شكر من نعماء؟!!

فجدير به أن يُحترم، وجدير به أن يوقر وحريٌّ به أن يُبجَّل.

❁ وأنت أيها الكبير:

ضع نفسك في منزلتك التي أنزلك الله إيَّاها.

---

(١) وديننا - والحمد لله - كله محاسن، فما صدر من تصرفات من بعض الأشخاص ذوي الخلق السيىء يجب أن يتحملوه هم، فالدين من أفعالهم بريء والسُّنة من أفعالهم بريئة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وجدير بكل عاقل أن يدرك هذا وأن يعيه.
ونقترب من الحقائق بصورة أصرح فنقول:
قد يكون هناك شخص متبعٌ للسنة مظهرًا وتصدر منه مخالفات في أخلاقياته وتعاملاته مع الناس كأن يكون غشاشًا أو كذابًا أو غادرًا أو آكلًا أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك من التصرفات السيئة التي حرمها شرعنا وحاربها ديننا، فلا ينبغي أن يُتهم ديننا بل المتهم هو الجاني على نفسه، وكذلك لا يتهم أتباع ديننا إنما يتهم مقترف الإثم والسوء منهم، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤] كما قال الله تبارك وتعالى.

فأنت أكبر سِنًّا وأنت أعقل وأنت أكثر خبرة وأكثر تجربة في هذه الحياة، ثم إنك أكثر علمًا وأكثر حلمًا.

هذا هو المفترض فيك أيها الكبير، فلتكن كذلك ولتتخلق بمقتضى ذلك.

عامل الصغير برفقٍ، عامل الصغير بحلمٍ، كن له أبًا حنونًا، وكن له معلمًا رحيمًا.

خذ بيده للخير، أرشده إلى الصواب.

❁ وعلى المرء أن يعرف قدر نفسه وأقدار الناس:

❐ ففي «الصحيحين»[1] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأُقِيمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ فَصَفَّقَ النَّاسُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ الْتَفَتَ فَرَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنِ امْكُثْ مَكَانَكَ فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

فانظر إلى قوله: «مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»!!.

---

(١) البخاري حديث (٦٨٤)، ومسلم حديث (٤٢١).

وكذلك قال عمر[١] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ».

❐ وانظر إلى فقه عبد الله بن عباس وفهم عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو يقول[٢]: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: **«مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَأَعْجَبْتُهُ، فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا، قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُهُ يَنْفُخُ، ثُمَّ أَتَاهُ بِلالٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الصَّلاةَ، فَقَامَ فَصَلَّى، مَا أَعَادَ وُضُوءًا.

❐ وكذلك في «الصحيحين»[٣] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ»**، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: **«هِيَ النَّخْلَةُ»**.

فانظر إلى قوله: «فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ»!!

❐ وفي رواية أخرى: «فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ».

❐ وفي «صحيح مسلم» من حديث سَمُرَة بْن جُنْدُبٍ[٤] قال: «لَقَدْ كُنْتُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٩٨٣) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري حديث (٧٢)، ومسلم (٢٨١١).

(٤) «صحيح مسلم» (ص٦٤٤).

عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي».

مراعاة مناسبات الكلام

فكما قال القائل: لكل مقامٍ مقالٌ.

فلا تأتِ في وقت عرس وتحدث الناس بالموت مستدلًّا بقول النبيِّ ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**»[1]، وتاركًا قوله عليه الصلاة والسلام: «**يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ، فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ**»[2].

❁ ومن مراعاة المناسبات كذلك:

□ قول عليٍّ رضي الله عنه: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً[3]، وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**يَغْسِلُ ذَكَرَهُ**»[4].

فالاستفتاء جائز مشروع وسؤال الشخص عما يعتريه ويحتاج إليه مستحبٌّ ومحمود، لكن ما دام بالإمكان نيل المراد بأسلوب لا يخدش حياء فهو أولى وأليق، فعليٌّ رضي الله عنه متزوج بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، فحياؤه يمنعه من ذكر ما يتعلق بالجماع أمام أبيها صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٢٢٥).

(٣) المذَّاءُ: هو كثير المذي، والمذيُ ماءٌ أبيض رقيق لزج يخرج بشهوة، ولا يخرج متدفقًا، ولا يتبعه فتور، ولا تنقضي بخروجه شهوة، وقد لا يحس الرجل بخروجه وهو في الرجال والنساء، وقال بعض العلماء: إنه في النساء أكثر.

(٤) البخاري حديث (٢٦٩)، ومسلم حديث (٣٠٣).

وأخذ العلماء من ذلك ترك ذكر ما يتعلق بجماع النساء أمام محارمهن لما فيه من خدشٍ لحياء هؤلاء المحارم.

ولكن إذا وجدت مصلحة شرعية في التعريض بذكر ما يتعلق بالجماع أمام النساء فلا بأس.

❏ **ومن ذلك**: أن عمرو بن العاص كان يسأل زوجة ابنه عن حالها مع زوجها، قال عبد الله بن عمرو ﵄[1]: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُذْ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**الْقَنِي بِهِ**»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَصُومُ؟**»، قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟**»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَة، قَالَ: «**صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك، قَالَ: «**صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ**»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِك، قَالَ: «**صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمِ دَاوُدَ، صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً**»، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ.

❏ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ (البخاري): وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلَاثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ.

---

(١) البخاري حديث (٥٠٥٢).

إقالة العثرات والنظر إلى سوابق الناس في الخير

وما من الناس أحدٌ إلا وهو يذنب، وقد دلت جملة من الأدلة على هذا:

❏ قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

❏ وقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٢٨].

❏ وقال عليه الصلاة والسلام: «**فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه**»(١).

❏ وقال عليه الصلاة والسلام: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُه**»(٢).

❏ وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(٣).

فلا تعتقد في شخص من الأشخاص العصمة، فحتى التقي يصدر منه الذنب بل قد تصدر منه الكبيرة، قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣].

---

(١) الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وله شاهد عند ابن حبان (موارد ٢٠٨٢)، والحاكم (١/ ٦٤)، والحديث صحيح لشواهده.

(٢) البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

فذكر من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾[آل عِمران: الآية ١٣٥] .

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٣٥﴾[الزمر: ٣٣ - ٣٥] .

فيا سبحان الله! حتى التقي قد تصدر منه الفاحشة!!

ولكنه رجَّاع!! إنه أوَّاب!! ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عِمران: الآية ١٣٥] .

فإذا أذنب شخصٌ ذنبًا أو وقع في كبيرة من الكبائر فلا تقنطه من رحمة الله ولا تكن عونًا للشيطان عليه، وقد قال النبيُّ ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ، لما قال رجلٌ منهم لرجلٍ شرب الخمر فجُلد: مَالَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، قَالَ عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ**»(١) .

فلا تذهب سيئةٌ اقترفها الرجل أو حتى كبيرةٌ من الكبائر بِكُلِّ حسناته.

فإن الله سبحانه حكمٌ عدلٌ، يضع الموازين بالقسط، وما ربك بظلام للعبيد.

أظنك يا أخي الكريم لا تخالفني في أن رمي المحصنة المؤمنة بالفاحشة كبيرة من الكبائر؟!! قول الرجل عن مرأة صالحة مؤمنة عفيفة تقية: إنها زنت وزنت بفلان، كذبًا وزورًا، لا تخالفني أخي القارئ في أن هذا كبيرة

---

(١) الرواية عند البخاري (٦٧٨١).

من الكبائر، بل موبقةٌ من الموبقات ومُهلكة من المهلكات.

وأنى لك بمخالفتي وقد قال النبيُّ ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «... **وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»(١).

فلذلك لا أراك تخالفني في ذلك!!

ولا أراك تخالفني في أن المرأة إذا ازداد صلاحها وعظم فضلها، كان قذفها أشد إثمًا!!

ثم لا يحل لك أن تخالفني في أن قذف زوجة رسول الله ﷺ، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أعظم القذف على الإطلاق وأشده جُرْمًا، وأعظمه إثمًا!!

ثم كيف إذا لم يأت القاذف ببينة على قذفه؟!!

ثم كيف وقد جاء تكذيب القاذف وجاءت براءة الطيبة الطاهرة عائشة من عند الله في كتاب الله الذي يتلى في المساجد والمحاريب والكتاتيب والطرق والبيوت!!

فحقًّا إن مثل هذا القاذف قد ارتكب جرمًا خطيرًا وإفكًا مُبينًا!!

❐ لقد كان من القاذفين لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مسطحُ بن أُثاثة قريب لعائشة! قريبٌ لأبي بكر والد عائشة!! رجل فقير وأبو بكر ينفق عليه لقرابته

---

(١) البخاري حديث (٢٧٦٦)، ومسلم حديث (٨٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**».

وفقره!!

فانظر كيف قذفها وهي قريبته! وأبوها ينفق عليه، وهو لم يرَ شيئًا، ولم يأت ببينةٍ، وهي عفيفة طاهرة طيبة تقية نقية، وهي زوجة رسول الله ﷺ، ثم يقذفها مسطح ويتهمها برجل صالح، ألا وهو صفوان بن المعطل رضي الله عنه.

ثم من الذي برَّأها!! إنه الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزل براءتها وبيَّن إفك الأفاكين وافتراء الكاذبين عليها.

ومع هذا كله، مع هذه الجرائم التي ارتكبت في حق عائشة وصفوان، وفي حق أبي بكر، وفي حق رسول الله ﷺ، بل وفي حق المسلمين أجمعين بقذف زوجة نبيهم ﷺ، لكن للرجل فضلٌ في باب لا يُهدر وسابقةٌ للخير لا تُنسى، ومعروف ينبغي أن يُذكر.

إن الرجل مسلمٌ!!

إنه مهاجر في سبيل الله!!

إنه بدريٌّ شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ!!

فهو وإن زلَّت قدمُه في مسالة من أعظم المسائل، وارتكب كبيرة من أعظم الكبائر، لكنه لا يبخس حقه ولا يُنسى فضله، ما دامت قد ظهرت براءة أم المؤمنين عائشة على رءوس الأشهاد، واعترف الرجل بذنبه، وأقرَّ بخطئه بل وكذَّبه ربُّه.

ولكن مع ذلك فباب التوبة مفتوح، بل وباب العفو مندوب إليه ومرغبٌ فيه.

❐ قال الله سبحانه وتعالى لعموم المؤمنين، ولأبي بكر رضي الله عنه الذي اتُّهمت ابنتُه

وبرَّأها الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

حقًّا إنها رحمة، إنه عدل وإنصاف وإرشاد إلى الفضل والعفو.

إن الرجل من أولي القربى لأبي بكر، إنه مسكين، إنه مهاجر، ألا فلتعف عنه يا أبا بكر فإنك من أهل الفضل وممن وسَّع الله عليهم.

فاعف يا أبا بكر واصفح يا أبا بكر، ألا تحب أن يغفر الله لك يا أبا بكر!!

ابنتك قد برَّأها الله، فاعف حينئذٍ واصفح!

ترى ماذا كان من الصِّدِّيق أبي بكر قبل نزول الآية الكريمة وبعد نزولها؟

كأي رجل تأخذه الحميّة في الحق ويأخذه الانتصار للمظلوم ومعاقبة الظالم، يقول أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح بعد اليوم! فينزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: الآية ٢٢].

فيقول أبو بكر: والله لا أمنع عن مسطح النفقة أبدًا.

حقًّا إنك مؤمن يا أبا بكر، حقًّا إنك محسن، حقًّا إنك صِدِّيقٌ، فرضي الله عنك.

وهنيئًا لك بعفو الله عنك وبرضوان الله عليك.

هنيئًا لك إذ تُدعى من أبواب الجنة كلها! هنيئًا لك بالفردوس.

هنيئًا لك إذ تدخل عليك الملائكة من كل باب: سلام عليك بما صبرت

فنعم عقبى الدار.

❁ وها هو رجل آخر، هذا حاطب وها هي قصته، وهذا الموقف منه:

إنه حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعفا الله عنه، مسلم مهاجر بدريٌّ شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

❐ أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا**»، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[المُمتحنة: الآية ١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ

(١) البخاري حديث (٤٢٧٤)، ومسلم حديث (٢٤٩٤).

ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

فانظر إلى تصرف رسول الله ﷺ مع هؤلاء الذين لهم سابقة في الخير: كيف عاملهم وتجاوز عن زلاتهم؟!

❐ وانظر إلى تصرفه ﷺ مع العرنيين الذين ما ظهر منهم إلا الغدر والكفر والقتل والخداع، أتوا إلى رسول الله ﷺ المدينة فأسلموا ثم استوخموا المدينة وشكوا بطونهم فأمر لهم رسول الله ﷺ بإبل الصدقة يخرجوا مع راعيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحّوا ارتدوا وكفروا وقتلوا الراعي وسرقوا الإبل؟

هكذا جازوا رسول الله ﷺ، وهكذا كان شكرهم ورزقهم أنهم يكذبون ويرتدون، ويكفرون ويقتلون ويسرقون!!

فترى كيف يُتعامل مع هؤلاء الكفرة الفجرة اللصوص القتلة؟!

تصرف معهم نبينا ﷺ تصرفًا رشيدًا، إنه تصرف مَنْ لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل إلا ما أمره به ربُّه ﷻ، أرسل في إثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ وسَمَّل أعينهم بالمسامير المحماة، ثم تركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون، جزاءً وفاقًا وما ربُّك بظلام للعبيد.

وها هي قصتهم وهذا حديثهم:

❐ أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا فِي الصُّفَّةِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْغِنَا رِسْلًا، فَقَالَ: «**مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِإِبِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»،

(١) البخاري حديث (٦٨٠٤)، ومسلم (١٦٧).

فَأَتَوْهَا فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ الصَّرِيخُ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ فَكَحَلَهُمْ وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَمَا حَسَمَهُمْ، ثُمَّ أُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَمَا سُقُوا حَتَّى مَاتُوا.

ومن هذا الباب: باب معرفة سوابق الناس في الخير ووضعها في الاعتبار عند التعامل معهم: ما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن الأنصار، وقد قدَّم الأنصار لنصرة هذا الدِّين ما لا يخفى على أحد، فلذلك أوصى بهم النبي ﷺ في آخر خطبة خطبها:

❐ ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ مُتَعَطِّفًا مِلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ**»، فَثَابُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ يَقِلُّونَ وَيَكْثُرُ النَّاسُ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا، أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❋ **وهذا نبي الله موسى ﷺ**:

❐ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها!!

❐ ألقى الألواح فتكسرت الألواح على الأرض!!

❐ أخذ برأس أخيه يجرُّه إليه!!

❐ فقأ عين ملك الموت!!

---

(١) البخاري حديث (٩٢٧).

□ ولكنه مع ذلك من أولي العزم من الرسل.

□ صبر صبرًا جميلًا، كما قال رسول الله ﷺ لما أوذي: «**رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَر**»(١).

□ ابتلي بمجابهة فرعون ومواجهته، ذلكم الطاغية فرعون الذي كان يذبح الرجال ويستحيي النساء ويهدد من خالفه أو عصاه بالصلب في جذوع النخل وأن تقطع يده مع رجله من خلاف.

□ أوذي موسى ﷺ أذًى شديدًا من بني إسرائيل.

□ ألقته أمُّه في اليمِّ وهو صغير.

□ دعا إلى الله وإلى سبيله وتوحيده زمنًا طويلًا وكابد فيه غاية المكابدة.

فكل هذه، وغيرها كذلك مناقبُ تُذكر ولا تُغفل، بل هي جبال من الحسنات وبحور من الفضائل تدخل في الاعتبار كما قال القائل:

وإذا ما الحبيب أتى بذنب جاءت محاسنه بألف شفيع

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٤٠٥)، ومسلم حديث (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ[١]، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».
قَالَ: قُلْتُ: لاَ جَرَمَ[٢] لاَ أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا.

---

[١] الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود.

[٢] لاجرم: حقًّا.

❐ فعُفي لموسى عليه السلام عن قتل النفس.

❐ وعُفي له عن إلقاء الألواح.

❐ وعُفي له عن الأخذ برأس أخيه وجرِّه إليه.

وكان عند الله وجيهًا. وكلمه الله تكليمًا.

واصطفاه الله على الناس - أهل زمانه - برسالاته وبكلامه.

❋ واستر على العباد ولا تفضحهم:

❐ ففي فضيحتهم إثم، وفي الستر عليهم أجرٌ وسترٌ من الله عليك يوم القيامة، وعرضهم عرضك وفضيحتهم فضيحة لك، فالمسلمون جسد واحد، فالحذر الحذر من فضيحتهم والتشهير بهم.

❐ قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: الآية ١٩].

❐ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(١).

❐ وقال صلى الله عليه وسلم: **«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٢).

❋ واستر على نفسك ولا تفضحها:

فإذا ابتليت بمعصية فعليك أن تستر على نفسك ولا تتحدث بها ففي الحديث بها إثم، فضلًا عن عدم المعافاة، وفضلًا عن التشهير بنفسك عند

---

(١) مسلم (ص٢٠٠٢) وله لفظ آخر عند مسلم، وكلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لاَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

(٢) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

الناس بما يكون سببًا في صدِّك عن التوبة والإنابة والرجوع إلى الله ﷻ.

❐ فقد أخرج البخاري[١] من حديث أبي هُرَيْرَةَ ﵁ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِن الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ**».

❊ ❊ ❊

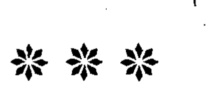
---

(١) البخاري حديث (٦٠٦٩)، ومسلم حديث (٢٩٩٠).






فهرس المواضيع




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

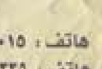


فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

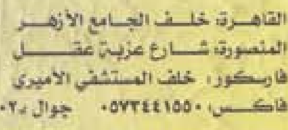
لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الأول

دار ابن رجب — دار الفوائد



دار ابن رجب — دار الفوائد



القاهرة: خلف الجامع الأزهر — هاتف: ٠٢٢٥١٤١٠١٥

المنصورة: شارع عزبة عقل — هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٢٢٥

فارسكور: خلف المستشفى الأميري — هاتف: ٠٥٧٢٤٥٤٤٥٥

فاكس: ٠٥٧٢٤٤١٥٥٠ — جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢٠

ibnragb@gmail.com — www.daribnragb.com





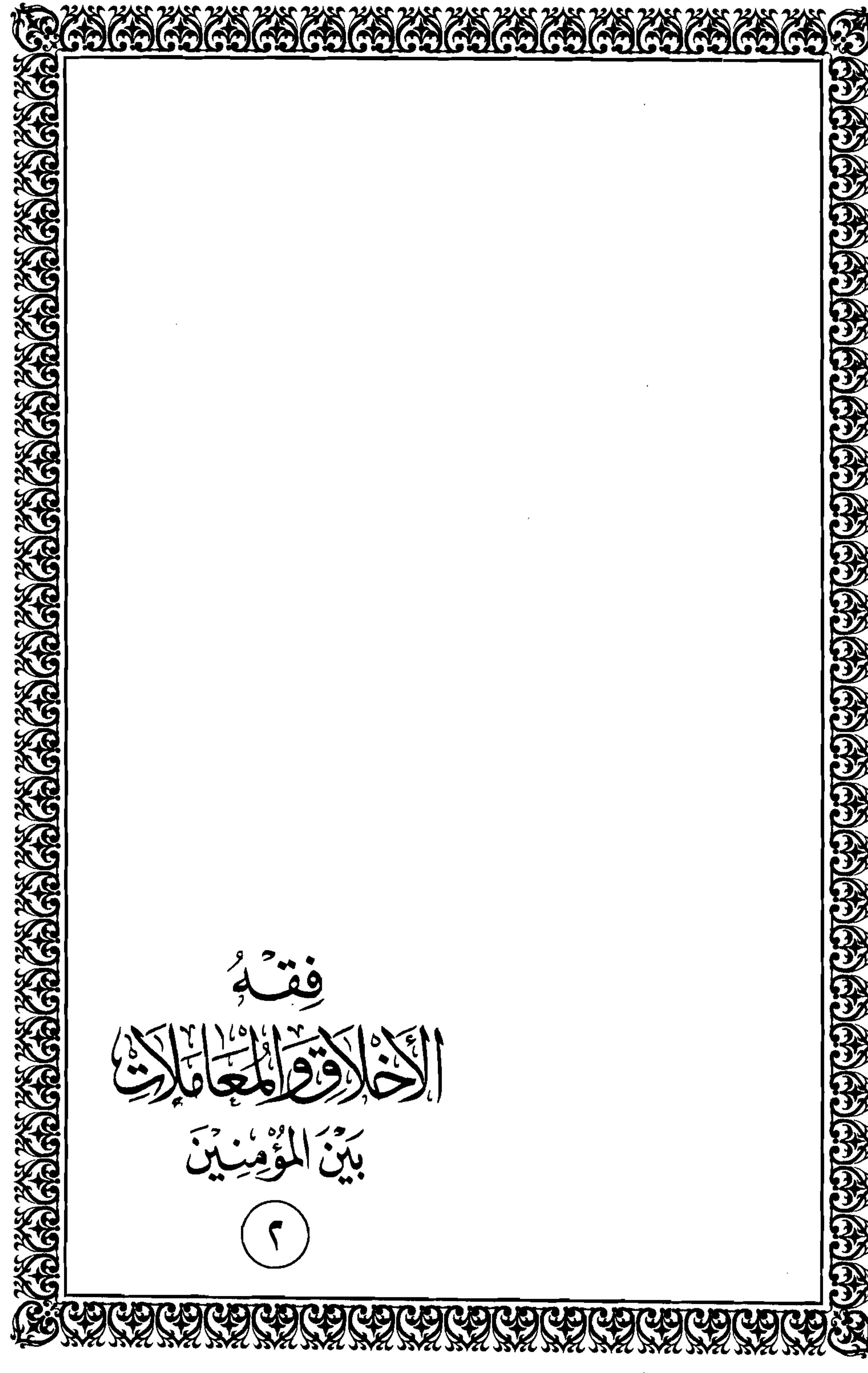
فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الثاني

دار ابن رجب
دار الفوائد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

٢

الطبعة الثالثة

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م

اسم الكتاب: فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين
اسم المؤلف: مصطفى بن العدوي
القطع: ١٧×٢٤سم
عدد الصفحات: ٤١٢ صفحة
سنة الطبع: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٦م

رقم الإيداع: ١٧٩٤١ / ٢٠٠٨

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع دار الفوائد

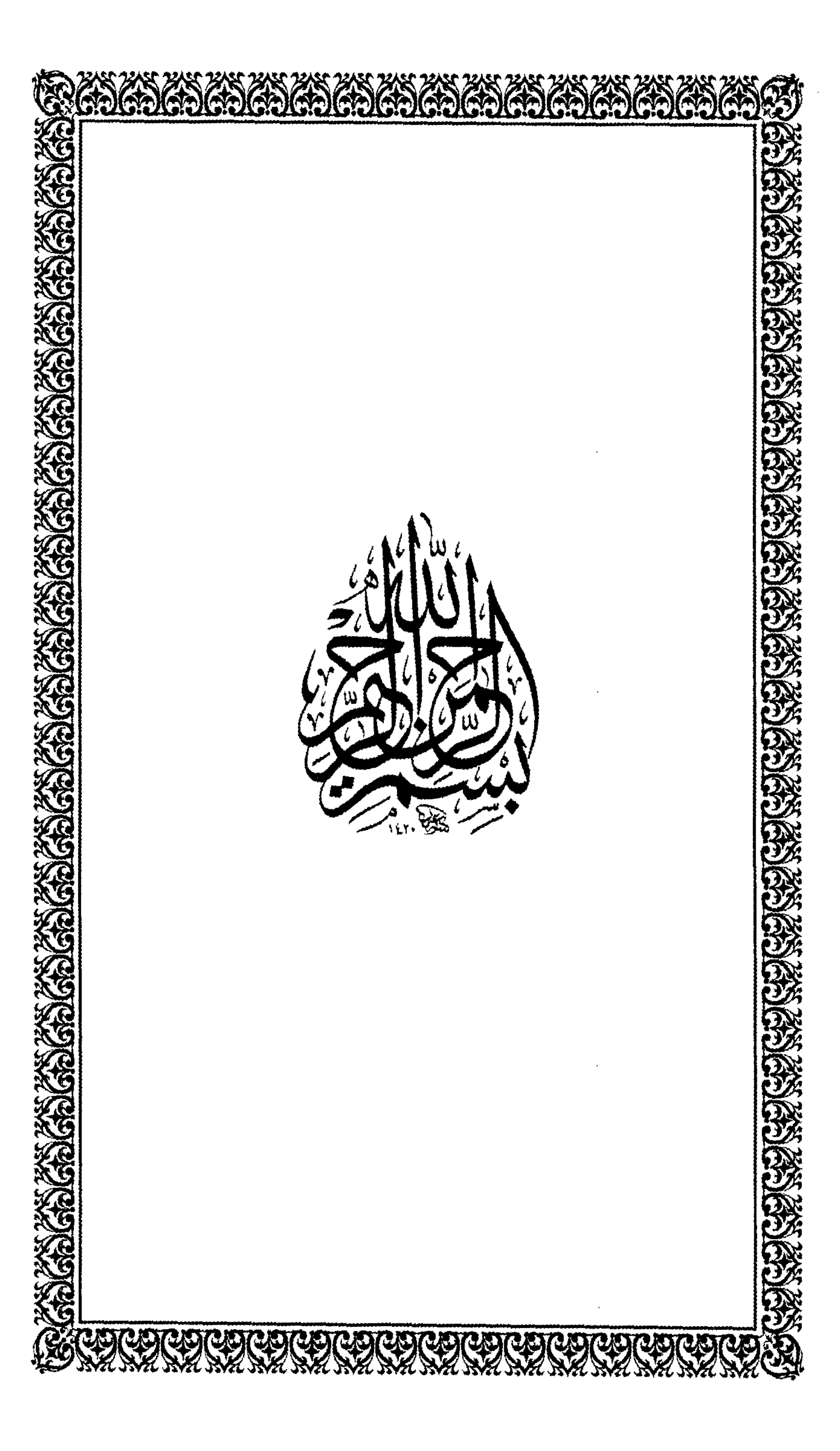
المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٥٤٤٥٥ - جوال: ٠٠٢٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
فرع المنصورة: ٣٣ عزبة عقل - هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٣٣٥
Web site: www.daribnragb.com
Email: ibnragb@gmail.com

فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

فضيلة الشيخ
مصطفى بن العدوى

الجزء الثاني

دار ابن رجب
دار الفوائد


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تهييج مشاعر الناس لفعل الخير

وهذا باب نافع وله أثر طيب وجميل في إثارة الخير في النفوس، وحمل الناس على فعل الخير ولهذا طرق:

فأحيانًا يكون هذا التهييج بالتذكير بفضل المخاطب وفضل آبائه وأجداده وأقاربه؛ كأن تقول للشخص مثلًا: يا بن العلماء، أبوك رجل عالم، وجدك عالم، وبيتكم بيت علم، فأقبل على العلم واحمل لواءه خلفًا لآبائك وأجدادك.

وكأن تقول لمن تريد منه قتال أهل الكفر والعناد: يا بن الشجعان تقدم فبارز، ويا ابن الأبطال المغاوير تقدم فقاتل.

وكأن تقول لمن تريد منه صدقة على الفقراء: يا بن المحسنين تصدق، فجدك الفلاني بنى مسجدًا، وعمك أنشأ مستشفى لعلاج المرضى، وأبوك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا وساهم فيه.

فبمثل هذا تهيج مشاعره لأفعال الخير والبر والمعروف والإحسان.

❊ **ولهذا أدلته من الكتاب العزيز:**

❐ قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرات: ١].

فيا من آمنتم بالله، وصدقتم رسوله، وأقررتم بالبعث وبالحساب وبالجنة والنار، وآمنتم أن القرآن من عند الله، لا تقدموا بين يدي الله ورسوله.

❐ وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: الآية ٣]

أي: يا ذرية القوم الصالحين الذي حملهم الله في الفلك مع نبيهم نوح، اذكروا صلاح آبائكم، فما حمل مع نوح إلا مؤمن، وكونوا شاكرين؛ فإن نوحًا كان عبدًا شكورًا.

❐ ونحوه قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: الآية ٤٧].

فيا أولاد النبي الصالح إسرائيل كونوا صالحين كأبيكم؛ فإني قد فضلتكم على العالمين.

❐ ونحوه قول قوم مريم لمريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ۝٢٨﴾ [مريم: الآية ٢٨].

أي: يا أخت الرجل الصالح هارون، أخوك هارون رجل صالح، وأبوك كذلك كان من الصالحين، ولم يكن امرأ سوء، وأمك كذلك لم تكن زانية، فيجدر بك أن تكوني عفيفة، وأن تكوني مؤمنة، وأن تكوني صالحة، ولا ينبغي لك أن ترتكبي المحرم الصغير فضلًا عن الكبير.

فهكذا يخاطب الناس، يذكروا بما فيهم وما في آبائهم من خير وصلاح، فيحملهم هذا التذكير على إحياء تراث آبائهم وأجدادهم.

أما أن تأتي إلى شخص وتقول له: أبوك فاجر، وجدك لص، وعمك مفسد، وخالك زان، فهل ترى أن مثل هذا يستجيب لك؟!!

أو هل تراه يلين في يديك؟!! أو هل تراه يحبك؟!!

ويقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] في خطابه مع ابن عباس، لما ذهب إليه ابن عباس

---

(١) الدارمي (١/ ١٤١/ ١٤٢).

يطلب منه علمًا: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فيقول ابن عباس هو الآخر: أنا أحق أن آتيك.. فحقًّا إنه أدب!

ونحوه يقول زيد بن ثابت لابن عباس وبنحوه يجيب ابن عباس أيضًا.

يأخذ ابن عباس لزيد بن ثابت رضي الله عنه بالركاب وزيد يقول: تنح يا بن عم رسول الله ﷺ، وابن عباس يقول: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[١].

والصحابة رضي الله عنهم كذلك كانوا يستعملون هذا النوع من أنواع الإثارة.

فانظر إلى حديث ابن عباس مع الخوارج[٢]، وتذكيره لهم بفضل من يحاربونه من طرف خفي بأسلوب رجل واعٍ فاهم ذكي.

قال ابن عباس: ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون[٣] فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا بن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ، وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد؛ لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون، ثم قال لهم: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟

فانظر إلى قول ابن عباس وإثارته نخوة حب رسول الله ﷺ فيهم، وأن الذين يقاتلون هو ابن عم رسول الله ﷺ.

ثم انظر إلى مقالة[٤] ابن عباس لهؤلاء الخوارج؛ إذ كانوا يريدون سبي المؤمنات، فقال لهم: أتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من

---

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١٦٦).

(٢) أخرجه النسائي في «الخصائص» حديث (١٨٥) بسند حسن.

(٣) أي: وقت القيلولة.

(٤) في نفس الحديث السابق.

غيرها وهي أمكم؟!

فحقًّا إنه ذكاء من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

ومن ذلك أن تذكر من تخاطب بصلة تربطك به وتجمعك معه، فيتذكر هذه الصلة، ومن ثَمَّ يلين في يديك - إن أراد الله له ذلك - وقد سلك الأنبياء والفضلاء هذه الطريقة من طرق الخطاب؛ فترى في أقوال كثيرين جدًّا منهم قوله: يا قوم، ويا قوم.

وكذلك قال هارون لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: الآية ٩٤].

وكذلك قال الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ لقومه من قريش: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣]، أي: إلا أن تراعوا القرابة التي بيني وبينكم، وتوادوني بسبب هذه القرابة.

ويقول في شأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ**».

❑ ويوسف عليه السلام يستعمل رابطة المصاحبة في السجن في الخطاب مع سائليه فيقول لهما: ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: الآية ٣٩].

❑ ويقول أيضا: ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١].

❁ وأحيانًا يكون التذكير بمنقبة للناس أو شرف قد حازوه هم أو آباؤهم:

❐ فمن ذلك قول رسول الله ﷺ للعباس يوم حنين: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**» يريد بذلك الأنصار الذين بايعوا تحت الشجرة، والسمرة: الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان.

❐ ففي «الصحيح»[(١)] من حديث العباس رضي الله عنه، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين[(٢)] فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث[(٣)] بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء[(٤)]، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يُركض بغلته[(٥)] قِبَلَ الكفار.

قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع.

وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**»[(٦)] . . . .

---

(١) مسلم (حديث ١٧٧٥).

(٢) حنين: واد بين مكة والطائف، وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا، وهو مصروف كما جاء به القرآن العزيز.

(٣) أبو سفيان بن الحارث: أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول الله ﷺ. قال جماعة العلماء: اسمه هو كنيته، وقال آخرون: اسمه المغيرة.

(٤) على بغلة له بيضاء: كذا قال في هذه الرواية ورواية أخرى بعدها: إنها بغلة بيضاء.
وقال في آخر الباب: على بغلته الشهباء. وهي واحدة، قال العلماء: لا يعرف له ﷺ بغلة سواها، وهي التي يقال لها: دلدل.

(٥) يركض بغلته أي: يضربها برجله الشريفة على كبدها لتسرع.

(٦) أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايع تحتها بيعة الرضوان. ومعناه: ناد أهل =

فقال ابن عباس - وكان رجلًا صيتًا[(١)] . . فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها[(٢)]، فقالوا: يا لبيك! يا لبيك! قال: فاقتتلوا والكفار[(٣)]، والدعوة في الأنصار[(٤)]، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج! فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: **«هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ»**[(٥)]، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه

= بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(١) صيتًا: أي: قوي الصوت. ذكر الحازمي في «المؤتلف» أن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقف على سَلع فينادي عليها غلمانه في آخر الليل، وهم في الغابة، فيسمعهم، قال: وبين سلع والغابة ثمانية أميال. نقلًا عن النووي.

(٢) لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها أي: عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه ﷺ عطفة البقر على أولادها، أي: كان فيها انجذاب مثل ما في الأمَّات حين حنَّت على الأولاد.

قال النووي: قال العلماء: في الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيدًا، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحد، ورشقهم بالسهام، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة، فتقدم أخفاؤهم، فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم، إلى أن أنزل الله سكينته على المؤمنين، كما ذكر الله تعالى في القرآن.

(٣) والكفار هكذا هو في النسخ، وهو بنصب الكفار أي: مع الكفار.

(٤) والدعوة في الأنصار: هي بفتح الدال يعني الاستغاثة والمناداة إليهم.

(٥) «هذا حين حمي الوطيس»: قال الأكثرون: هو شبه تنور يسجر فيه، ويضرب مثلًا =

الكفار، ثم قال: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**» قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيأته فيما أرى، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلًا[١] وأمرهم مدبرًا.

❋ ومن التذكير بالمناقب:

❐ قول ابن عمر رضي الله عنهما لابن جعفر: السلام عليك يا بن ذي الجناحين[٢].

❐ ومن ذلك قول النبي ﷺ[٣] لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله أبو هريرة رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْك؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِك عَلَى الْحَدِيثِ: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**»، وفي رواية: «**من قلبه**».

❋ ❋ ❋

= لشدة الحرب التي يشبه حرها حره. وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه. وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة، إذا حميت لم يقدر أحدٌ أن يطأ عليها، فيقال: الآن حمي الوطيس، وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس، أي: يدقهم قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

(١) فما زلت أرى حدهم كليلًا أي: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

(٢) البخاري (حديث ٣٧٠٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٠)، (٩٩).

ويستحسن تذكير الناس بحسن مدلولات أسمائهم، ومدلولات أشكالهم، وبمدلولات قراباتهم

❑ فقد قال النبي ﷺ: «**أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا**»(١) يريد قبيلتي أسلم وغفار.

❑ وكان الصحابة يقولون لابن عباس: يا بن عم رسول الله، ألا أرسلت إلينا؟(٢).

❑ وتقدم أن الله قال للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٤]، ونحو ذلك.

فإن قدم عليك شخص - مثلًا - يقال له: ناصر، فقل له: جعلك الله من الناصرين لدينه، أو جاءك شخص يقال له: سعد، فقل له: جعل الله قدومك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٤)، ومسلم (حديث ٢٥٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) أخرجه الدارمي (السنن ١/ ١٤١، ١٤٢) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس ﷺ، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان، هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا بن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[١]، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ، فقال: كان هذا الفتى أعقل مِنِّي.

---

[١] من القيلولة.

وقدمك قدم سعد، أو جاءك من يقال له: سهيل، فقل له: سهَّل الله بك الأمور، أو قدم عليك من اسمه محمد، فقل له: ألحقك الله بنبيه محمد ﷺ، ونحو ذلك.

من جاءك وهو أبيض فقل له: اللهم كما بيضت وجهه في الدنيا فبيض وجهه في الآخرة، ومن جاءك وهو أسمر اللون فقل له: حشرك الله مع بلال ابن رباح رضي الله عنه، ومن رأيته طويلًا فقل له: زادك الله بسطة في العلم والجسم، ومن رأيته نحيفًا فقل له: جمعك الله مع ابن مسعود رضي الله عنه، ونحو ذلك من الكلمات الطيبة التي تترك أثرًا طيبًا في النفس، وتذكِّر أيضًا بأئمة الهدى والصلاح من أصحاب رسول الله ﷺ.

* * *

لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين

وينبغي أن يكون المؤمن ذكيًّا كيِّسًا فطِنًا، إذا وقع في خطأ لا يقع فيه مرة أخرى، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»(١).

ففي الحديث تحذيرٌ للشخص من أن يكون مغفلًا أبله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقال أبو عبيد: معناه ولا ينبغي للمؤمن إذا نكب من وجه أن يعود إليه.

قلت (القائل الحافظ): وهذا هو الذي فهمه الأكثر ومنهم: الزهريُّ راوي الخبر، فأخرج ابنُ حبان من طريق سعيد بن عبد العزيز، قال: (قيل للزهري لما قدم من عند هشام بن عبد الملك: ماذا صنع بك؟ قال: أوفى عنِّي دَيْني، ثم قال: يا بن شهاب تعود تُدان؟ قلتُ: لا).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (حديث ٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
قال النووي رحمه الله «**شرح مسلم كتاب الزهد والرقاق**»: «**لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**».
الرواية المشهورة: «لا يلدغ»، برفع الغين. وقال القاضي: يروى على وجهين:
أحدهما: بضم الغين، على الخبر، ومعناه المؤمن الممدوح، وهو الكيس الحازم، الذي لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك.
وقيل: إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا.
والوجه الثاني: بكسر الغين. على النهي أن يؤتى من جهة الغفلة.
قال: وسبب الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر فمنَّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه وأطلقه، فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء ثم أسره يوم أُحُد فسأله المنَّ. فقال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لاَ يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**». وهذا السبب يضعّف الوجه الثاني، وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضر من جهة أن يجتنبها؛ لئلا يقع فيه ثانية.

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

أي: لا يستهزئ قوم بقومٍ، ولا يستخف قوم بقومٍ، ولا يزدرِ قوم قومًا، فإن الاستهزاء بالناس والاستخفاف بهم واحتقارهم وازدراءهم يدخل في الكِبْر، وقد قال النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[(١)]. وفسر النبي ﷺ الكبر بقوله: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**».

قال عدد من العلماء: ومعنى قوله: «**غمط الناس**» أي: احتقارهم وإزدراؤهم.

ففي سخريتك من المؤمنين ظلم لهم!!

وفي سخريتك منهم آثامٌ وذنوب!!

وفي سخريتك منهم ضياع لحسناتك وفوق ذلك غضب الرب عليك.

انتبه إلى مقولة رسول الله ﷺ لأبي ذر لما عيَّر رجلًا بأُمِّه، فماذا قال له رسول الله ﷺ؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[(٢)].

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا وفعله حسنًا، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**».

(٢) البخاري (حديث ٣٠)، ومسلم (حديث١٦٦١)، وفيه: أن أبا ذر قال: إنه كان بيني =

وبوَّب البخاري في «صحيحه» باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

وأورد تحت هذا الباب حديثين:

أحدهما: حديث عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١)، قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس.

الثاني: حديث(٢) عبد الله بن عمر قال النبي ﷺ: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**».

وكذلك يدخل في السخرية من الناس السخرية منهم لذنب فعلوه أو لإثم ارتكبوه وزلت أقدامُهم فيه، وخاصة إذا تابوا من هذا الذنب وأقلعوا عنه.

= وبين رجل من إخوتي كلام، وكانت أمُّه أعجمية فعيَّرته بأمِّه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**». قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه، قال: «**أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ؛ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**».

قلت: وقوله: (من سب الرجال سبوا أباه وأمه)، قال فيه النووي: معنى هذا الاعتذار عن سبه أم ذلك الإنسان، يعني أنه سبني ومن سب إنسانًا سب ذلك الإنسان أبا الساب وأمه، فأنكر عليه النبي ﷺ وقال: هذا من أخلاق الجاهلية، وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه.

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٢)، وفي رواية: ثم وعظهم في الضرطة فقال: «**لِمَ يضحك أحدهم مما يخرج منه**».

(٢) البخاري (٦٠٤٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مرفوعًا وقد تقدَّم.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

فنعم قد يكون المسخور منه خيرًا من الساخر وأفضل عند الله، فإن أكرمكم عند الله أتقاكم.

وقد يكون يوم القيامة أعلى بدرجات من الساخر فالقيامة خافضة رافعة، وكذلك المسخور منها من النساء قد تكون خيرًا من الساخرة.

- قد يكون المملوك خيرًا من مالكه وأقرب إلى الله منه!
- قد يكون المرؤوس خيرًا من رئيسه!
- قد يكون العامل في مؤسسة أو شركة خيرًا من صاحبها ومديرها!
- قد يكون الكاتب في محكمة خيرًا من قضاتها ومستشاريها!
- قد يكون الممرض في مستشفى خيرًا من الأطباء والمديرين!
- قد يكون الفرَّاش وعامل النظافة في مدرسة خيرًا من المدير والناظر والمدرس!
- قد يكون الخادم خيرًا من المخدوم!
- قد تكون الخادمة خيرًا من المخدومة!
- قد يكن الخفير والشرطي الصغير خيرًا من الأمير والوزير واللواء!
- قد تكون من رزقت بالبنات خيرًا وأفضل عند الله من أم الذكور!

فإن الله يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤- ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [البقرة: الآية ٢١٢].

وانظر إلى هذا الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ الذي يضع الأمور في نصابها، والحقائق في مواضعها، والذي يفيد ما أفادته الآية الكريمة:

❐ سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «**أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ**»(١).

❐ وأخرج البخاري(٢) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**».

قلت: وهذا محمول على أن الفقير خيرٌ في دينه من هذا الرجل الذي هو من أشراف الناس.

❐ وفي «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٣).

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٨٣)، ومسلم (حديث ٢٣٧٨).

(٢) البخاري (حديث ٦٤٤٧).

(٣) مسلم (ص١٩٨٧).

واقرأ حديث[1] رسول الله ﷺ: **«رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»**.

❊ **وكذلك فانظر إلى الطفل الذي أنطقه الله في المهد تقريرًا لحقيقة وبيانًا لقاعدة وإثباتًا لأصل:**

□ أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاثَةٌ»** فذكر الحديث وفيه: **«وَبَيْنَا صَبِي يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ[3] وَشَارَةٍ[4] حَسَنَةٍ فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ»**.

قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمُصُّها.

قَالَ: **«وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. وَهِي تَقُولُ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ اللَّهُمَّ: اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ[5]**.

---

(١) مسلم (حديث ٣٦٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. والأشعث: هو الملبد الشعر مغبر غير مدهون ولا مرجل، ومعنى مدفوع بالأبواب: أي مطرود يطرده الناس عن أبوابهم، ويردونه، ولا يحتفون به، ولا يستقبلونه احتقارًا منهم له.
وقوله: **«لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»**. أي: لو حلف على وقوع شيء لأوقعه الله إكرامًا له.

(٢) البخاري (حديث٣٤٦٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

(٣) الفارهة: النشيطة الحادة القوية.

(٤) الشارة: هي الهيئة واللباس.

(٥) (تراجعا الحديث) معناه أقبلت على الرضيع تحدثه، وكانت أولًا لا تراه أهلًا للكلام فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

قَالَتْ: حَلْقَي[١]! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا[٢]، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

فيه أيضًا تحذير النساء من السخرية من بعضهن البعض؛ فهن ناقصات عقل ودين[٣] والسخرية فيهن كثيرة ولذلك جاء تخصيصهن بالذكر أيضًا.

❋ وانظر إلى هذا الوعيد الشديد والتحذير الأكيد من الطعن في الأشخاص:

فلما أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: «حسبك من صفية هكذا» تعني أنها قصيرة، قال رسول ﷺ: **«لقد مَزَجْتِ بكلمة لو مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ البَحْرِ لمُزِج»**[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

أي: لا تعيبوا إخوانكم ولا تطعنوا فيهم، فأنتم وإخوانكم جسد واحد

---

(١) حلقى أي: أصابه الله تعالى بوجع في حلقه.

(٢) مثلها أي: سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

(٣) أخرج البخاري (حديث ٣٠٤)، «ومسلم» (حديث٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»**، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»**.

(٤) الترمذي (حديث ٢٥٠٢) وإسناده صحيح.

وشخص واحد فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، وعُبِّر عن المؤمنين بالنفس كما في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النّور: الآية ١٢].

أي: ظنوا بإخوانهم خيرًا.

*** واجتنب اللعن؛ فإن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة كما قال الرسول ﷺ**(١)

والمعنى عندي - والله أعلم - أن اللعانين لا يشفعون للخلائق يوم القيامة، وأيضًا لا يشهدون على الأمم ولا يستشهد بأقوالهم.

❒ قال النبي ﷺ: «**لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»(٢).

❒ وقال النبي ﷺ: «**وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهوَ كَقَتْلِهِ**»(٣).

❒ وفي «الصحيحين»(٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**».

❒ وفي «الصحيحين»(٥) من طريق المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلاَمِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٢٥٩٨). وأحد ألفاظه اللفظ المذكور، وفي لفظ آخر: «**لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٧)، ومسلم (حديث ١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٦٠٤٥)، ومسلم (حديث ٦١).

(٥) البخاري (حديث ٦٠٥٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «**أَسَابَبْتَ فُلاَنًا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**».

ولما دعا رسول الله ﷺ على قوم ولعنهم نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٢٨].

□ أخرج البخاري[(١)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا**» بعد ما يقول: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: الآية ١١].

أي: لا تتداعوا فيما بينكم، ولا تتنادوا بالألقاب المكروهة التي يتضايق منها الناس ويسوؤهم سماعها، فلا تنادِ الناس إلا بأحب الأسماء إليهم.

ويدخل في التنابز بالألقاب قول الرجل لأخيه المسلم: يا كافر، يا منافق.

أو يقول لمن أسلم: يا يهودي، أو: يا نصراني.

أو يقول: يا كلب، يا خنزير، أو يقول: يا غبي، يا جاهل.

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٦٩).

أو يقول: يا قصير، يا أعور، يا أعرج، إذا كان يكره ذلك.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

□ أخرج الترمذي[١] بإسناد صحيح إلى أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيُدعى فعسى أن يكره، قال: فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

معناه: بئس أن يُسمَّى الرجل كافرًا أو زانيًا بعد إسلامه وتوبته.

وقال بعض العلماء: المعنى أن من لقَّب أخاه بلقب يكرهه، أو سخر منه وعابه فهو فاسق مستحق لاسم الفسق.

فبئس هذا الاسم أن يطلق على الرجل بعد أن كان مؤمنًا.

قلتُ: وقد قال النبي ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ففي الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبَّه بغير حقٍّ بالفسق.

فاتق يا عبد الله السباب والشتم واللمز والتنابز بالألقاب؛ فإن ذلك يُدخلك في عداد الفساق بعد أن كنت في عداد المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

---

(١) الترمذي (٣٢٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: رواه أحمد أيضًا (٥/ ٣٨٠) من طريق أبي جبيرة عن عمومته، وكذلك (٤/ ٦٩).

(٢) البخاري (حديث ٤٨)، ومسلم (حديث٦٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فيه فتحٌ لباب التوبة بعد الوقوع في الخطأ والمحظور.

أي: يا من سخرتم من الناس واحتقرتموهم وازدريتموهم وعبتموهم وطعنتم فيهم، ودعوتموهم بالألفاظ المكروهة؛ فوقعتم في عداد الفساق بسبابكم وطعنكم في إخوانكم وعيبكم لهم، وندائكم لهم بالألفاظ المكروهة والألقاب المذمومة.

وها هو باب التوبة مفتوح لكم للرجوع إلى ربكم والإقلاع عن ذنوبكم، فأقبلوا إلى ربكم وحسِّنوا أخلاقكم.

ومن امتنع وأبى الرجوعَ إلى الله والإقلاعَ عن ذنبه فهذا هو الظالم.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرات: الآية ١٢].

وقال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»(١).

فظُنَّ بالمؤمنين خيرًا.

فهذا أمر ربك ﷻ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النُّور: الآية ١٢].

❋ واجتنب كثيرًا من الظن السيء بالمؤمنين:

فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرات: الآية ١٢].

وانظر لقوله: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

فلم يقُل: اجتنبوا بعض الظن، ولكن قال: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾.

وذلك - والله أعلم - حتى يدخل البعض الذي هو إثم في الكثير المجتنب.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الظن ظنان: أحدهما: إثمٌ، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر: ليس بإثم، وهو أن تظن ولا تتكلم[1]. وقال بعض العلماء في قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرات: الآية ١٢] هو أن تظن بأهل الخير سوءًا، فأمَّا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

وذهب كثير من العلماء إلى أن الظنَّ القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح.

وقال آخرون من أهل العلم: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد والخيانة به محرم، بخلاف من اشتهر عند الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحُجرات: الآية ١٢].

أما التجسس فهو البحث عن عيوب الناس والاطلاع على عوراتهم وما خفي من أمرهم.

فلا تتجسس على الناس[2] ولا تستمع إليهم وهم يفرون منك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي».

(٢) أما التجسس على أهل الريب والفساد لمنع فسادهم، وكذلك التجسس على اللصوص =

فعن هذا التجسس نهاك ربُّك، ومن هذا الاستماع حذرك نبيُّك ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: الآية ١٢].

وقال النبي ﷺ أيضا: «**وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»(٣).

* * *

= لمنعهم من السرقات فكل ذلك جائز لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٥].
وقد أخرج البخاري (حديث ٣٠٣٣)، ومسلم (٢٩٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ فَحُدِّثَ بِهِ فِي نَخْلٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّخْلَ طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، وَابْنُ صَيَّادٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْرَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا صَافِ، هَذَا مُحَمَّدٌ فَوَثَبَ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ**».

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم حديث (٢٥٣٦).

(٢) البخاري (حديث ٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وأما الآنك: فهو الرِّصاص المنصهر.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) بإسناد صحيح من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحُجرات: ١٢] وفصل في الغِيبة

❁ إياك واغتياب المؤمنين والمؤمنات:

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، وإن كان في أخيك ما تقول.

❑ قال رسول الله ﷺ(١): «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

❑ وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرات: الآية ١٢](٢).

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٩).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «التفسير القيِّم»: قول الله تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: الآية ١٢].

هذا من أحسن القياس التمثيلي، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته، كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبًا عن مجلس ذمه كان منزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والطعن، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه. والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه.

ولما كان المغتاب متمتعًا بعرض أخيه متفكهًا بغيبته وذمه متحليًا بذلك، شُبِّه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبًا به شُبِّه بمن يحب أكل لحم =

❋ فإياك أن تُضيع حسناتك ويذهب بها غيرك:

❐ وإياك أن يستهويك الشيطان ويوقعك في الاغتياب، ويُزين لك الخوض في أعراض المسلمين والمسلمات.

❐ وقد قال النبي ﷺ[(١)] يوم النحر: **«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»**.

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[(٢)] كما قال النبي ﷺ.

فاحذر أن تقع في عرض أخيك المسلم: **«فَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»**[(٣)].

❐ وفي «مسند الإمام أحمد»[(٤)] بإسناد صحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال:

= أخيه ميتًا، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه. فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه، ومطابقة المعقول فيه للمحسوس! وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها، أن يحب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟! فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم، وهو أشد شيء نفرة عنه. فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة، أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه، وبالله التوفيق.

(١) البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث١٦٧٩).

(٢) البخاري (حديث ١٠)، ومسلم (٤٠).

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قلت: في إسناده مقال، ولكن لهذه الفقرة منه شواهد. وانظر «سنن أبي داود» (عون المعبود ١٣/ ٢٢٢).

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود (٤٨٧٨).

قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**».

❋ وإذا سمعت أحدًا يغتاب مسلمًا من المسلمين فعليك بالدفاع عن عِرْضِ أخيك المسلم:

❐ فقد ورد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: نال رجلٌ من رجلٍ عند النبي ﷺ فردَّ عليه رجلٌ فقال النبي ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»[1].

❐ وقد تقدم من حديث النبي ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ**» الحديث.

❋ ويدخل في الاغتياب بعض الألفاظ التي ظاهرها السلامة من الاغتياب لكنها تحمل معناه، وتؤدي مؤداه وتُفهم السامعَ الانتقاصَ من المذكور والطعن فيه:

كأن تقول عن شخصٍ مثلًا: الله يهديه (بقصد الطعن فيه وإفهام السامع ذلك).

أو تقول عند ذكره: (الله يعافينا)، أو: (نسأل الله السلامة)، أو: (ربنا يسهل له).

ونحو ذلك مما يحمل إرادة الطعن وإفهام السامع ذلك.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي حديث (٢٠٦).
وانظر تخريجه هناك وهو صحيح وله شاهد عند أحمد (٦/ ٤٤٩- ٤٥٠).

❋ **وهناك من الكلمات كلمات طيبة، ولكنها قد تخرج في وقت يُراد بها شيء من الانتقاص والذَّم فحينئذ يُلام قائلها.**

من ذلك كلمة: (اتق الله) فهي كلمة طيبة.

❐ وقد قالها الله لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية ١].

❐ وقالها الله لعباده المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٠].

❐ وقالها الله لعموم الخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النِّساء: الآية ١].

ولكن لما قال الخارجي لرسول الله ﷺ: اتق الله يا محمد[١]، قال له رسول الله ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِنْ عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي؟!**».

❐ وفي رواية في «الصحيح»[٢] كذلك أن الرجل قال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «**وَيْلَكَ! أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟!**».

فكلمة: (اتق الله) في نفسها كلمة طيبة، ولكن قائلها أراد بها أن الرسول لم يعدل فحينئذٍ غضب الرسول ﷺ، وقال له الذي ذُكر.

❋ ❋ ❋

---

(١) (مسلم مع النووي ٣/ ١٠٩).

(٢) مسلم أيضًا (٣/ ١١٠).

وإيالك والنميمة

والنميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم، ويدخل فيها بعض صور الغيبة؛ كأن تذكر الشخص في غيبته بما فيه مما يسوؤه قاصدًا بذلك الإفساد.

والنميمة من الكبائر.

❋ **وعلى ذلك جملة أدلة:**

❏ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠-١١].

❏ وقال النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» وفي رواية: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**» والنمام هو القتات.

❏ ففي «الصحيحين»[1] من طريق همام بن الحارث قال: كنا جلوسًا مع حذيفة في المسجد، فجاء رجل حتى جلس إلينا فقيل لحذيفة: إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة. إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

❏ وفي رواية لمسلم: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**» من حديث حذيفة أيضًا.

❏ وفي رواية لمسلم من طريق همام أيضًا، قال: كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير، فكنا جلوسًا في المسجد فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (حديث ١٠٥) وفي رواية البخاري: إن رجلًا يرفع الحديث إلى عثمان.

يقول: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».

هذا ويجدر بنا أن ننقل هنا ما ذكره النووي في «شرح مسلم» قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإحياء»: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النميمة مخصوصة بهذا بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء.

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة.

قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:

الأول: ألا يصدقه؛ لأن النمام فاسق.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: ألا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته عنه

فيقول: فلان حكى كذا فيصير به نمامًا ويكون آتيًا ما نهى عنه.

هذا آخر كلام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ.

وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيها مصلحة شرعية، فإن دعت الحاجة إليها فلا مانع منها، وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانًا يفعل كذا ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته.

فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجبًا وبعضه مستحبًّا على حسب المواطن. والله أعلم.

*** وبعد هذه الزواجر عن الغيبة والنميمة:**

هل يليق بك يا عبد الله أن تكون من المغتابين والنمامين؟!

هل يليق بك يا حامل كتاب الله أن تأكل لحم أخيك ميتًا؟!

هل يليق بك يا حامل سنة رسول الله ﷺ أن تذكر أخاك بما يكره؟!

هل يليق بك أيها العاقل أن تضيع حسناتك ويذهب بها غيرك؟!

هل يليق بك يا وارث الأنبياء ويا حامل علمهم أن تأتي يوم القيامة في هذا المنظر الفظيع المخزي؛ أظافرك طويلة ثم هي من نحاس، ثم إنك تُشرِّح بها وجهك وصدرك وجلدك، وتخمش بها وجهك وصدرك وجلدك؟!

إنه حقًّا منظر مخزٍ مهين!!

فاتق الله يا عبد الله، ولا تشوه منظرك بخموش تخمش بها وجهك يوم القيامة؟!!

لا تملأ بطنك بالجيف والنتن من لحوم الأموات؟!!

احذر ثم احذر فإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

❁ مواطن تباح فيها الغيبة:

وتباح الغيبة في بعض المواطن كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» حيث قال: قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعًا حيث يتعين طريقًا إلى الوصول إليه بها كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر.

ويدخل فيه:

تجريح الرواة والشهود.

وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده.

وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود.

وكذا من رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به.

وممن تجوز غيبتهم: من يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة.

ومن الأدلة على ما ذكر ما يلي:

❁ في باب الاستفتاء:

☐ جاءت هند إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي، فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله وهو لا يعلم؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»(١).

---

(١) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ =

فلو كان قولها: (إن أبا سفيان رجل شحيح) فيه اغتياب مذموم لأبى سفيان ما أقرها عليه رسول الله ﷺ، ولكن لما كان الباب باب فتيا لم يمنعها رسول الله من ذكرها زوجها بما يحتاج إليه المقام.

☐ ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرَظِي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَبَتَّ طَلَاقَهَا فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ فَجَاءَتِ النَّبِي ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مَعَهُ إِلاَّ مِثْلُ الْهُدْبَةِ(٢) وَأَخَذَتْ بِهُدْبَةٍ مِنْ جِلْبَابِهَا، قَالَت: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا، فَقَالَ: «**لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ، لاَ حَتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ**»(٣) وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ بِبَابِ الْحُجْرَةِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، قَالت: فَطَفِقَ خَالِدٌ يُنَادِي

= لاَ يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِي إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ، مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ**».

(١) البخاري (حديث ٦٠٨٤)، ومسلم (حديث ١٤٣٣، ص١٠٥٦).

(٢) تعني: الذكر.

(٣) قال النووي رحمه الله: عسيلته: تصغير عسلة، وهي كناية عن الجماع.

شبه لذته بلذة العسل وحلاوته.

وفي «المصباح»: ذاق الرجل عسيلة المرأة وذاقت عسيلته، إذا حصل لهما حلاوة الخلاط ولذة المباشرة بالإيلاج، وهذه استعارة لطيفة شبهت لذة المجامعة بحلاوة العسل، وسمي الجماع عسلًا؛ لأن العرب تسمي كل ما تستحليه عسلًا.

وفي «الأساس»: ومن المستعار العسيلتان في الحديث للعضوين؛ لكونهما مظنتي الالتذاذ، والتأنيث فيه لتأنيث مكبره في الأكثر.

قال الشماخ:

كأن عيون الناظرين يشوقها بها عسل طابت يدا من يشورها

أَبَا بَكْرٍ: أَلاَ تَزْجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قلت: لا شك أن زوجها يكره أن يقال عنه: إنه ما معه إلا مثل الهدبة، لكن لما كان الباب باب استفتاء فلم تمنع من ذكر مثل هذا.

❁ وكذلك في باب الاستشارات:

❐ جاءت فاطمة بنت قيس إلى رسول الله ﷺ تستشيره في شأن من خطبها، وكان قد خطبها معاوية وأبو جهم رضي الله عنهم، فقال النبي ﷺ: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ**».

فوصف الرسول معاوية رضي الله عنه بأنه صعلوك لا مال له، وأبا جهم بأنه لا يضع عصاه عن عاتقه، ثم رشح لها رسول الله ﷺ رجلًا آخر وهو أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فقال: «**انْكِحِي أُسَامَةَ**».

وهذا هو الحديث بذلك:

❐ أخرج مسلم(١) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ(٢)، فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ. فَجَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ**» فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ(٣) فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: «**تِلْكَ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى**

---

(١) مسلم (حديث ١٤٨٠).

(٢) فسخطته: أي: ما رضيت به لكونه شعيرًا، أو لكونه قليلًا.

(٣) تعتد: أي: تستوفي عدتها، وعدة المرأة، قيل: أيام أقرائها، وقيل: تربصها المدة الواجبة عليها.

تَضَعِينَ ثِيَابَكِ **فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي**(١)» قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ**(٢)، **وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ**(٣) **لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**»، فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ: «**انْكِحِي أُسَامَةَ**» قالت: فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ(٤).

وفي باب التحذير والتعريف: تقدم قول النبي ﷺ في الرجل: «**بئس أخو العشيرة**»(٥).

---

(١) فآذنيني: أي: فأعلميني.

(٢) فلا يضع العصا عن عاتقه: فيه تأويلان مشهوران:
أحدهما: أنه كثير الأسفار، والثاني: أنه كثير الضرب للنساء، وهذا أصح، والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب.

(٣) فصعلوك: أي: فقير في الغاية.

(٤) واغتبطت في بعض النسخ: واغتبطت به، ولم تقع لفظ (به) في أكثر النسخ.
قال أهل اللغة: الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد، تقول منه: غبطته بما نال أغبطه - بكسر الباء - غبطًا وغبطة فاغتبط هو كمنعته فامتنع، وحبسته فاحتبس.

(٥) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة ﵂: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ**»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلاَنَ لَهُ الْقَوْلَ! قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟! قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**».
قال النووي ﵀: قال القاضي: هذا الرجل هو عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغتر به من لم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده، ما دل على ضعف إيمانه، وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر ﵁، ووصف النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة =

وقال النبي ﷺ في شأن رجلين: «**مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا**»[١].

وفي رواية أخرى: «**يَا عَائِشَةُ، مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ دِينَنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ**».

❐ وقول النبي ﷺ في شأن الخوارج والرجل الذي قال له: يا رسول الله اعدل: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

❐ وأيضًا ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: عدنا مع رسول الله رجلًا موعوكًا، قال: فوضعت يدي عليه فقلت: والله، ما رأيت كاليوم رجلًا أشد حرًّا، فقال النبي ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ الرَّاكِبَيْنِ الْمُقَفِّيَيْنِ**»[٣]. لِرَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ[٤].

❐ وفي «مسند الإمام أحمد» رحمه الله بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ**»[٥].

= من أعلام النبوة؛ لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول، تألفًا له ولأمثاله على الإسلام. والمراد بالعشيرة قبيلته: أي: بئس هذا الرجل منها.

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٧).

(٢) مسلم (حديث ٢٧٨٣).

(٣) المقفيين: أي: المنصرفين الموليين.

(٤) قال النووي: سماهما من أصحابه لإظهارهما الإسلام والصحبة، لا أنهما ممن نالته فضيلة الصحبة. (نقلًا عن محمد فؤاد).

(٥) أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠).

وفي باب المصالح العامة للمسلمين: ونقل ما يعود بالنفع على عموم المسلمين، كما أشار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده[(١)]، نقل زيد بن أرقم مقولة عبد الله بن أبي ابن سلول: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: الآية ٨] إلى رسول الله ﷺ[(٢)].

وكذلك لما قال رجل في شأن قسمة قسمها رسول الله ﷺ: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله نقل ابن مسعود هذه المقولة إلى رسول الله ﷺ.

وهذا باب يجب أن يفهم بلا إفراط ولا تفريط.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتًا.

قلت: وفي هذا دفاع عن سنة رسول الله ﷺ، ونصح لأمة محمد ﷺ، وتحذير من أهل الشر والباطل والكذب والافتراء.

وإلا لطعن الظالمون والمفترون والكذابون في السنة ولأدخلوا فيها ما

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ ﷺ وصدقهم، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا: مَا قَالُوا، وَكَذَّبَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَصَدَّقَهُمْ فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي وَقَالَ عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَقَتَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: الآية ١] وَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَهَا وَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ**».

ليس منها، وحينئذ يضيع الدين وتذهب معالمه ويختلط الحق بالباطل.

ولا يدخل في الاغتياب: التعريف بالشخص في حالة كون الشخص لا يكره ذلك التعريف الذي تعرفه به، كأن تعرف شخصًا وتقول: (فلان الأعمى) أو (الأعرج)، أو الأفطس، أو (ابن دقيق العيد) لشدة بياضه، أو (ذو اليدين) أي: طويل اليدين، أو القصير، أو الطويل، ونحو ذلك.

ومحل هذا كله إذا كان الشخص المعرف لا يكره ذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: الآية ١، ٢].

فوصفه الله بالأعمى!!

وقال النبي ﷺ: «**أَحَقًّا مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟**»(١).

واشتهر من علماء السلف الأعرج، والأعمش، والأفطس، والحذاء، والأحول.

❋ وحتى الأموات لا تذكرهم إلا بخير:

❐ أخرج النسائي(٢) بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال: «**لاَ تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ**».

❐ وفي «سنن الترمذي»(٣) بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ**

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) النسائي (٤/ ٥٢).

(٣) الترمذي (مع التحفة ١٠/ ٣٩٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروي هذا عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلًا.

صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ»[(١)].

❋ إلا إذا كان الميت إمامًا من أئمة البدع والضلال ويُخشى أن يقتدى به، فحينئذ يجوز سبه وبيان مساوئه، بل ويستحب ذلك، تحذيرًا للأمة:

❏ قال الله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: الآية ٤٢].

❏ وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: الآية ١].

❏ وقال النبي ﷺ[(٢)] **«رَأَيْتُ عَمْرَو بن لِحَيّ يَجُرُّ قُصْبَهُ[(٣)] فِي النَّارِ؛ لأنه أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[(٤)].**

وقد تقدم لهذا الباب مزيد.

❋ ❋ ❋

---

(١) أي: لا تذكروه بسوء.

(٢) البخاري (حديث ٦٤٢٤)، ومسلم (حديث ٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) قصبه: أي أمعاءه.

(٤) السوائب: جمع سائبة.

قال النووي رحمه الله: كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف، وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة، فما ولدت من ذلك من أنثى شقوا أذنها وخلوا سبيلها وحرم ما حرم من أمها وسموها البحيرة.



والشجاعة محمودة ولكن!!

ومن ثم فقد تحلى بها الأنبياء والفضلاء وأُثني على الشجعان والأبطال.

شجاعة في الأقوال والأفعال.

وشجاعة في إلقاء كلمات الحق وفي الصدع بالحق!!

وشجاعة في ميدان القتال وفي مواطن النزال!!

شجاعة في حسم الأمور وفي اتخاذ القرار!!

شجاعة في كل ما يحتاج إلى إقدام!!

فعليك بالتحلي بهذه الخصلة الطيبة والصفة الكريمة التي تحلى بها الأنبياء من قبلك، وتحلى بها أولو العزم من الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام!!

❐ فها هو نبي الله نوح ﷺ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: الآية ٧١].

❐ وها هو الخليل إبراهيم ﷺ يقسم لقومه فيقول: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٥٧].

❐ وينفذ ما وعد به: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٥٨].

❐ ويقول لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٥، ٩٦].

❑ ويقول هو ومن آمن به لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمتحنة: ٤].

❑ وها هو يجابه الطاغية الجبار المستكبر الذي يقول: أنا أحيي وأميت، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، وها هو ذكر ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٥٨].

❑ ها هو الخليل إبراهيم يُلقى في النار ولا يتردد ولا يبالي، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا.

انظر إلى شجاعة الخليل إبراهيم عليه السلام في اتخاذ القرار، بالامتثال لأمر الله.

إنه قرار بتنفيذ ما أمره الله به من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام!

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

❑ وها هو نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، يجابه الطاغية الذي يذبح الأبناء، ويستحيي النساء، ويسخر الرجال، يجابه فرعون المتكبر الذي بلغ به كبره إلى أن يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّازعات: الآية ٢٤].

وبلغت به سفاهته إلى أن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْرِي﴾ [القصص: الآية ٣٨].

❐ يجابهه موسى عليه الصلاة والسلام بكل قوة وبكل حزم، وبالرفق واللين أيضًا كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٤-٤٧].

❐ وانظر إلى طريقته في الخطاب مع فرعون في أول الأمر وفي نهايته: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ١٦-٢٨].

❐ فانظر إلى خطابه مع فرعون وشجاعته مع فرعون وقوته في الحديث مع فرعون!!

❐ بل انظر إلى ما هو أقوى من هذا الموقف وهذا الرد لما قال له فرعون: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٠١].

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٢].

❐ فحقًّا إنها جرأة في الخطاب وشجاعة في المواجهة!!
مع الرفق واللين والثبات واليقين!!

❐ وانظر إلى شجاعة أتباعه من السحرة بعد أن من الله عليهم بالهداية والإيمان.

وانظر إلى ثباتهم وفرعون الطاغية يتهددهم ويتوعدهم بقوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: الآية ٧١].

فماذا قالوا؟ وبماذا أجابوا؟! ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٢-٧٦].

❐ وانظر إلى قولهم في سورة الشعراء: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١].

فحقًّا إنها شجاعة؛ شجاعة من أتباع الرسل، وشجاعة من المؤمنين بالرسل، شجاعة من المصدقين بوعد الله!!

❐ انظر إلى شجاعة موسى عليه السلام وهو يقول لقومه من بني إسرائيل: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢١-٢٥].

❐ وأما عيسى عليه السلام، فها هو يوشك أن ينزل من السماء يقتل الدجال[1] ويقتل الخنزير ويكسر الصليب[2].

❐ وقد أثنى الله سبحانه على عموم أنبيائه بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٧].

❐ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٣٩].

وقد أثنى نبينا محمد ﷺ على نبي الله داود عليه السلام، فقال: «**وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى**»[3].

❐ أما نبينا محمد ﷺ فكان أشجع الناس عليه الصلاة والسلام:

❐ أخرج البخاري ومسلم[4] من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (حديث ٢١٣٧).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (حديث ٣٤٤٨)، و مسلم (حديث ١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٧)، و مسلم (ص٨١٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧).

أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ سَبَقَ الناس إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا**» وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ ما عليه سرج فِي عُنُقِهِ سيف فقَالَ: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ**»[(١)].

❐ وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما[(٢)]: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذى به - يعني النبي ﷺ.

❐ ونحوه عند أحمد من حديث علي رضي الله عنه، قال: كنا إذا احمر البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه[(٣)].

كان ﷺ شجاعًا في أقواله فصدع بالحق وبقول: لا إله إلا الله في وسط كافر مشرك يعبد الأوثان ويعظم الأصنام!!

❐ وناله في سبيل الله ما ناله وهو صابر مقدام شجاع يحتسب الأجر عند الله في كل شيء أصابه، ولا يخشى في الله لومة لائم.

وجاءت شريعته السمحة السهلة اليسيرة مع سماحتها وسهولتها ويسرها تأمر بهذه الخصلة الطيبة، وتحث عليها، وتحذر من الفرار أيما تحذير!!

❐ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

---

(١) أي: وجدت الفرس واسع الخطى سريع الجري.

(٢) أخرجه مسلم (ص١٤٠١).

(٣) أحمد «المسند» (١/ ١٥٦).

❑ وعد النبي ﷺ التولي يوم الزحف من الموبقات[١].

❑ وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية ١٦].

❑ وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: الآية ٤٤].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا.

❋ وكان صلوات الله وسلامه عليه دائم التعوذ من الجبن، يتعوذ بالله من الجبن في جملة مواطن:

❑ ففي «الصحيح»[٢] من طريق مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمس، وذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا** - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ - **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».

❑ وأخرج البخاري[٣] من حديث جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٦٦)، و مسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ**».

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٧٤).

(٣) البخاري (حديث ٢٨٢١).

كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا».

☐ وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»**.

❋ وهكذا تعلم منه أصحابه الشجاعة، واقتبس منه أصحابه الإقدام، وها هي بعض مواقفهم في ذلك:

❋ ها هو أنس بن النضر وهذا طرف من شجاعته:

☐ أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ، يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣].

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٢٣)، ومسلم (حديث ٢٧٠٦).

(٢) البخاري (حديث ٢٨٠٥)، وانظر أيضًا مسلم (حديث ١٩٠٣).

❁ وها هو جعفر، وهذا شيء من شجاعته:

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»، قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ.

❐ وفي رواية[(٢)] عن ابن عمر أيضًا في «صحيح البخاري» أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين[(٣)] بين طعنة وضربة وليس منها شيء في دبره - يعني ظهره.

❁ أما سيف الله خالد بن الوليد:

فأذكر فقط قوله الذي أخرجه البخاري[(٤)]: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية.

وشجاعته رضي الله عنه لا يأتي عليها الحصر.

❐ وذكر بعض أهل العلم أن النصر الذي أحرزه خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم مؤتة، والفتح المذكور في حديث النبي ﷺ قال: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَأُصِيبَ** - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - **حَتَّى**

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٦١).

(٢) البخاري (حديث ٤٢٦٠).

(٣) الذي يظهر لي من الاختلاف في العدد أنه عد مرتين، ففي المرة الأولى اعتد ببعض الضربات في التعداد، وفي المرة الثانية لم يعتد بها أو العكس، والله أعلم.

(٤) البخاري (حديث ٤٢٦٥).

أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»(١).

□ هذا الفتح ذكر بعض أهل العلم أنه انحياز خالد بالجيش بحكمة وذكاء وحفظًا لماء الوجه(٢).

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٧/ ٥١٣):

واختلف أهل النقل في المراد بقوله: «**حتى فتح الله عليه**» هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟

ففي رواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر، عن عروة: فحاز خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه، ثم انصرف بالناس، وهذا يدل على الأول، ويؤيده ما تقدم من بلاغ سعيد بن أبي هلال في الحديث الأول.

وذكر ابن سعد عن أبي عامر: أن المسلمين انهزموا لما قتل عبد الله بن رواحة حتى لم أر اثنين جميعًا، ثم اجتمعوا على خالد.

وعند الواقدي من طريق عبد الله بن الحارث بن فضيل، عن أبيه قال: لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة، وميمنته ميسرة، فأنكر العدو حالهم وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين.

وعنده من حديث جابر قال: أصيب بمؤتة ناس من المشركين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين.

وفي مغازي أبي الأسود عن عروة: فحمل خالد على الروم فهزمهم، وهذا يدل على الثاني أو يمكن الجمع بأن يكونوا هزموا جانبًا من المشركين، وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم، فقد قيل: إنهم كانوا أكثر من مائة ألف فانحاز بهم حتى رجع بهم إلى المدينة.

وهذا السند وإن كان ضعيفًا من جهة الانقطاع والآخر من جهة ابن لهيعة الراوي عن أبي الأسود، وكذلك الواقدي، فقد وقع في «المغازي» لموسى بن عقبة - وهي أصح المغازي كما تقدم - ما نصه: ثم أخذه - يعني اللواء - عبد الله بن رواحة فقتل، ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد فهزم الله العدو وأظهر المسلمين.

قال العماد بن كثير: يمكن الجمع بأن خالدًا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا =

❊ **وهذا أبو دجانة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

❐ أخرج الإمام مسلم[١] في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**»، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا أَنَا. قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**». قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

❊ **أما ثابت بن قيس بن شماس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]:

فها هو يتحنط وينشر أكفانه بين يدي المعركة.

❐ أخرج الطبراني والحاكم بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ونشر أكفانه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر مما صنع هؤلاء، فقتل... الحديث.

❊ **وهذا هو المقداد بن الأسود: وهو ابن عامر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

❐ أخرج الإمام أحمد[٣] بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

= فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى. ثم وجدت في «مغازي ابن عائذ» بسند منقطع أن خالدًا لما أخذ الراية قاتلهم قتالًا شديدًا حتى انحاز الفريقان عن غير هزيمة وقفل المسلمون فمروا على طريقهم بقرية بها حصن كانوا في ذهابهم قتلوا من المسلمين رجلًا فحاصروهم، حتى فتح الله عليهم عنوة، وقتل خالد بن الوليد مقاتلهم فسمي ذلك المكان نقيع الدم إلى اليوم.

(١) مسلم (حديث ٢٤٧٠).

(٢) الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٣٥). وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٧، ٤٥٨) وأخرجه البخاري مختصرًا (٤٦٠٩)، وانظر مزيدًا من التخريج والطرق في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٣٢٤).

لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ أَحَبّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ رَجُلًا فَارِسًا، قَالَ: فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا نَبِيَّ اللهِ، وَاللَّهِ لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

❊ أما عمير بن الحمام رضي الله عنه: فها هو، وهذا يقينه، وتلك شجاعته:

❐ أخرج الإمام مسلم رحمه الله[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ[(٢)]، عَيْنًا[(٣)] يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ[(٤)] فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لاَ أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ.

قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً**[(٥)] **فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ**[(٦)]

---

(١) مسلم (حديث ١٩٠١).

(٢) بسيسة: قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ. قال: والمعروف في كتب السيرة: بَسْبَسْ، وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار، ومن الخزرج، ويقال: حليف لهم.

قلت (القائل النووي): يجوز أن يكون أحد اللفظين اسمًا له، والآخر لقبًا.

(٣) عينا: أي: متجسسًا ورقيبًا.

(٤) عير أبي سفيان: هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره.

قال في «المشارق»: العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات. وقال: ولا تسمى عيرًا إلا إذا كانت كذلك. وقال الجوهري في «الصحاح»: العير: الإبل تحمل الميرة. جمعها: عِيَرَات.

(٥) طلبة: أي: شيئًا نطلبه.

(٦) ظهره: الظهر الدواب التي تركب.

حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ[١] فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**لاَ إِلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**» فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»[٢] فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: بَخٍ بَخٍ[٣]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ[٤] أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ[٥] فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ! قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

❋ وهذا صحابي آخر جليل:

❏ أخرج مسلم رحمه الله[٦] من طريق أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه،

---

(١) ظهرانهم: أي: مركوباتهم.
(٢) حتى أكون أنا دونه: أي: قدامه في ذلك الشيء؛ لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.
(٣) بخ بخ: فيه لغتان: إسكان الخاء، وكسرها منونًا، وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.
(٤) إلا رجاءة: هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة، رجاءة، بالمد ونصب التاء وفي بعضها: رجاء بلا تنوين، وفي بعضها بالتنوين، وكله صحيح معروف في اللغة، ومعناه: والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها.
(٥) قرنه: أي: جعبة النشاب. (قاله النووي).
(٦) مسلم (حديث ١٩٠٢).

قال: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»**(١)، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ(٢) فَأَلْقَاهُ ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ.

وكذلك سائر الأصحاب الأبطال المغاوير: كحمزة أسد الله وعلى وطلحة والزبير وسعد وغيرهم وغيرهم، سيرهم كلها مليئة بالشجاعة ومليئة بالبطولة ومليئة بالرجولة والإقدام.

ولكن على المرء
أن يعرف قوته وقوة خصومه وينظر
متى يقبل ومتى يتوقف عن الإقبال

فصحيح أن الشجاعة محمودة، ولكن الشجاعة لا تقتضي المواجهة في كل الأحوال، فقد يكون التأخر للتفكير وللاستعداد وللانقضاض وللتحرف للقتال أولى في كثير من الأحيان.

بل وقد يكون العفو أولى وأولى.

والإقدام في موطن يحتاج إلى تريث وتأن قد يكون نوعًا من التهور والطيش والإلقاء باليد إلى التهلكة!

وكذلك التأخر في موطن يحتاج إلى إقدام قد يعد نوعًا من الجبن

---

(١) قال النووي: قال العلماء: معناه: إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.

(٢) الجفن: هنا هو الغمد الذي يوضع فيه السيف.

والخذلان!! بل قد يطمع فيك عدوك ويجعل للفاسق عليك سبيلًا.

□ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: الآية ٤٠]

□ وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥١].

وقد قال بعض العلماء في تفسير قول موسى عليه السلام للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: الآية ١٨].

قالوا: إن معناه طائش خائب؛ لأنك تقاتل رجلًا من لا طاقة لك بقتاله.

فقد كان الإسرائيلي بالأمس يقاتل رجلًا من آل فرعون، والملك في البلاد آنذاك للفراعنة، والقوة بأيديهم، بعد الله تبارك وتعالى.

فقد كان الفراعنة يذبحون الأبناء، ويستحيون النساء، ويسومون الإسرائيليين سوء العذاب، ومع هذه الحال من الضعف الذي يعيشه الإسرائيليون يقاتل الإسرائيلي رجلًا قبطيا من آل فرعون!!! ثم يستغيث الإسرائيلي بموسى ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: الآية ١٥].

ولكن ما هو إلا أن مضى يوم وإذا بالإسرائيلي يقاتل قبطيًّا آخر ويستصرخ موسى، ويطلب من موسى النصرة! فحينئذ قال له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: الآية ١٨].

أي: طائش خائب لكونك تتعرض لقتال من لا طاقة لك به وبقتاله!!

ومعنى قريب في قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: الآية ٢١].

ونفس المعنى في قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١].

ومن هذا الباب: حَفْرُ رسول الله ﷺ للخندق، فلو كان في مواجهة هذه الجيوش الجرارة - جيوش الأحزاب المتدفقة على مدينة رسول الله ﷺ - خير لواجههم رسول الله، ولكن لما كان عدد المسلمين لا يكاد يذكر أمام هذه الجيوش الجرارة، أشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فقام عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه رضي الله عنهم بحفر الخندق، والاستعداد من وراء الخندق!!

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى النبي ﷺ ينهال عليه القرشيون بالأذى ولا يستطيع أن يحرك ساكنًا، ولو حرك ساكنًا لقتل!

فابن مسعود موقفه في القرشيين ضعيف!!

❐ وأخرج مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: في نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء!!

❐ وفي رواية أخرى عند مسلم(١) أيضًا عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ

---

(١) مسلم (حديث ٢٤١٣).

ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع! فحدث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢].

ثم إن ابن مسعود ضعيف في بدنه، لا طاقة له بقتال هؤلاء الجبابرة.

❐ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في «مسنده»[(١)] بإسناد صحيح بمجموع طرقه عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

❐ أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ[(٣)] بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ[(٤)] جَزُورِ بَنِي

---

(١) أحمد «المسند» (١/ ٤٢٠، ٤٢١)، انظر شواهده في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» تأليفي (ص٢٣٢).

(٢) البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (حديث ١٧٩٤).

(٣) جزور: أي: ناقة.

(٤) سلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية المشيمة.

فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ، فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ(١) فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِي ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا(٢)، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ(٣) طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ! وَالنَّبِي ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ - وَهِي جُوَيْرِيَةٌ(٤) - فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ(٥) فَلَمَّا قَضَى النَّبِي ﷺ صَلاَتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ(٦) ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ...**».

❁ ويختلف الحال بالنسبة إلى أبي بكر رضي الله عنه:

فأبو بكر رجل من قريش ومن قبيلة لها وضعها من قريش، فمركزه أقوى

---

(١) فانبعث أشقى القوم: أي: بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير وهو عقبة بن أبي معيط، كما صرح به في الرواية الثانية.

(٢) فاستضحكوا: أي: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ثم أخذهم الضحك جدًّا، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.

(٣) لو كانت لي منعة: هي بفتح النون، وحكي إسكانها وهو شاذ ضعيف، ومعناه: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني.
وعلى هذا، منعة جمع مانع. ككاتب وكتبة.
قال الفيومي: هو في منعة، أي: في عز قومه فلا يقدر عليه من يريده.
قال الزمخشري: وهي مصدر مثل الأنفة والعظمة، أو جمع مانع وهم العشيرة والحماة.

(٤) جويرية: هو تصغير جارية، بمعنى شابة، يعني: أنها إذ ذاك ليست بكبيرة.

(٥) تشتمهم: الشتم وصف الرجل بما فيه من إزراء ونقص.

(٦) وإذا سأل: هو الدعاء لكن عطفه لاختلاف اللفظ توكيدًا. (نووي).

من مركز ابن مسعود في أوساط القرشيين، هذا كله فضلًا عن قوة إيمانه وكونه صديقًا، فمن ثم تقدم للدفاع عن رسول الله ﷺ، والمسلمون مستضعفون بمكة.

❐ أخرج البخاري(١) من طريق عروة بن الزبير، قال: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللَّهُ؟!

❁ **وهذا عمرو بن عبسة** رضي الله عنه:

يأتي النبي ﷺ مسلمًا فينصحه النبي ﷺ أن يرجع إلى أهله حتى يسمع بظهور النبي ﷺ فحينئذ يأتي:

❐ أخرج مسلم(٢) في «صحيحه» من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه، قال:

كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٥٦).
(٢) مسلم (حديث ٨٣٢).

قَالَ: «**أَنَا نَبِي**».

فَقُلْتُ: وَمَا نَبِي؟

قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللَّهُ**».

فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟

قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**».

قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟

قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**» (قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ).

فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ.

قَالَ: «**إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلاَ تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**».

قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي.

❋ **ويختلف الحال شيئًا ما بالنسبة إلى أبي ذر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

❐ فأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل جريء، ومن قبيلة غفار، وهي قبيلة كانت مشهورة بقطع الطريق، وموقعها جغرافيا موقع قوي؛ إذ هو طريق التجارة إلى الشام، وقبل هذا إيمان وقر في قلب أبي ذر وفاض على لسانه فلم يستطع كتمانه.

❐ فانظر إلى ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

---

(١) البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

قال: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي.

فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ.

فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضَ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ.

ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟

قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي.

فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**».

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا[1] بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أوجعوه، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قَالَ: وَيْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِتكُمْ إِلَى الشَّام؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ.

❋ وكتنزيل لهذا على واقعنا:

❐ فقد يكون هناك رجل ضخم الجثة قوي البنية ظالم غشوم جاهل عتل جواظ، أتى هذا الرجل الظالم فلطم شخصًا ضعيفًا لطمة وضربه ضربة، فهل ترى أن من الأولى أن يرد هذا الضعيف اللطمة باللطمة في الحال؟!

إنه إن فعل أوشك أن يقتل.

ولأن يلطم لطمة خير من أن يلطم عشر لطمات، فعليه حينئذ أن يفكر بطريقة جيدة في أخذ حقه أو النظر في أمره.

❐ وأيضًا فقد يمر أحد الفضلاء بسوق من الأسواق فيرميه بذيء بكلمة، أو يسبه بمسبة، فإن وقف ورد عليه مسبته، أمطره الآخر بوابل من السباب والشتائم.

فلأن يسمع كلمة واحدة فيها مسبة خير له من أن يسمع مائة كلمة ويُقذف بكل قبيح، فحينئذ ما يسعه إلا التخلق بأخلاق أهل الفضل الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢].

❐ وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣].

(١) أي: لأصرخن بـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

□ وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: الآية ٥٥].

فافهم يا عبد الله، واعقل إن كنت تعقل.

وأيضًا فكما أن المرء عليه أن ينظر في قوته المادية وقوة خصومه، عليه أيضًا أن ينظر في موقفه من نواح أخر، ألا وهو موقفه مع الله ﷻ عند الإقدام على مخاصمة أو قتال فينظر هل هو ظالم أو مظلوم؟!

فإن كان ظالمًا فعليه فورًا أن ينسحب من معركته مع أخيه ويستسلم للحق ويرد المظالم إلى أهلها. فإن المظلوم منتصر إما عاجلًا وإما آجلًا.

□ قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٣].

□ وقال تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج: الآية ٦٠].

وقال تعالى في الحديث القدسي للمظلوم: «**بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**»[(١)].

□ وفي «الصحيحين»[(٢)]: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**».

وعليه أيضًا أن ينظر فيما سيجنيه من وراء معركته مع أخيه، هل سيجني خيرًا من وراء خصومته؟!!

---

(١) ابن ماجه (حديث ١٧٢٥)، وإسناده حسن لشواهده.

(٢) البخاري (مع الفتح ٥/ ١٠٠)، ومسلم (ص٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

هل سيجني ذبًّا عن عرضه وعرض إخوانه؟!!

أم ما الحصاد الذي سيحصده؟!!

فإن كان يأمل أن يحصد حصاد خير ينتفع به في الدنيا والآخرة فحيهلًا، وإن كان سيجني الحصاد المر فعليه حينئذ أن ينتبه وأن يفيق، والله وحده المستعان.

النصح للمسلمين

وهذا من حق المسلم على أخيه، وقد أخذ النبي ﷺ البيعة من بعض أصحابه على النصح لكل مسلم.

❑ ففي «الصحيحين»(١) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

❑ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قلنا: لمن؟ قال: **«لِلَّهِ ولكتابه وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**.

❑ ولما اعتدت بنو إسرائيل في السبت وتجرؤوا على الصيد في اليوم الذي حرم الله فيه عليهم الصيد، وقامت طائفة تنصح قالت طائفة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٤].

قالت الطائفة الناصحة: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٤].

فماذا كان المصير؟!!

---

(١) البخاري (حديث ٥٧)، ومسلم (حديث ٥٦).

(٢) مسلم (حديث ٥٥).

أخذ الله الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، وأنجى الله الذين ينهون عن السوء.

وأهملت الطائفة الثالثة وأهمل ذكرها، فالله أعلم بها هل عذبت أم أنها نجت؟!

فجدير بكل مسلم أن يقدم النصح لإخوانه في بيعه وشرائه وعقوده وأنكحته، وفي سائر أمور الدين والدنيا، ومحل هذا النصح إذا لم يكن سيرتد بفساد أكبر، أما إذا كانت النصيحة يتوقع من ورائها توقعًا شديدًا أنها سترتد بمفسدة أعظم على الناصح، فحينئذ يتوقف الناصح عن تقديم نصحه.

وذلك لأن الله لا يحب الفساد، وقد قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]. قال بعض المفسرين: أي: حيث تنفع الذكرى، والله أعلم.

واحرص على أن لا تجرح أخاك وقت نصحك له، فلا تنصحه في ملأ ولا تفضحه، بل تحين المكان المناسب للنصح وكذلك زمن النصح المناسب، وكذلك الحال المناسب لأخيك؛ كي يستقبل النصح فيه، فلا تنصحه في وقت هو فيه مغضب غضبًا لا يجعله يميز من أمامه، بل تحين الفرص المناسبة ووقت الهدوء التام، ثم استعن بالله، ووجه نصيحتك لأخيك؛ فإنها حينئذ أحرى بالقبول وأقرب إلى النفع، ثم بين لأخيك حرصك عليه ومحبتك له ورغبتك في نفعه، وزهدك فيما عنده من دنيا[١] (إن احتيج إلى ذلك).

---

(١) فإن الناس إذا رأوا منك طمعًا فيما في أيديهم وحرصًا على دنياهم نفروا وزهدوا فيك =

مزيد بيان
لتناسب الأخلاق مع المراقبة والإيمان

❑ نعم ينبغي أن يزداد الإيمان، وأن تزداد مراقبة العبد لربه ﷻ، وليعلم أن الرقابة حوله شديدة محكمة فليراقب هو الآخر ربه ﷻ.

فالأخلاق تتناسب طردًا مع الإيمان بالله والعلم به ومراقبته، فكلما قوي الإيمان بالله وازدادت مراقبة العبد لربه حسن خلقه.

وكلما ضعف الإيمان بالله، وغابت الخشية والمراقبة ساء الخلق، والعياذ بالله.

والأخلاق الحسان دليل في أكثر الأحيان على إيمان صاحبها ومراقبته لمولاه، وسوء الأخلاق دليل على قلة المراقبة وضعف اليقين.

❑ فهل يا ترى هذا الكذاب المخادع يراقب الله ويؤمن أنه يسمع سره ونجواه؟!!

❑ وهل هذا الغادر اللئيم يوقن أن الله يعلم ما في الصدور، ويطلع على النوايا، ويسأل عن العهود والمواثيق؟!!

❑ وهل ترى هذا السارق، وهو يمد يده الأثيمة لسرقة الأموال يؤمن بالله وهو يسرق، وهل تراه يخشى الله ويتقيه؟!!

= وفي قولك.
ومن ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: الآية ٤٦].
وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: الآية ٤٧].
وبنحو ذلك قال عموم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

❐ وهل ترى هذا النمام يستحضر حديث رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»(١)؟!

❐ وهل هذا المتجرئ على اليمين الفاجرة يوقن بقول النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(٢).

❐ وبقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»(٣).

❐ وبقوله عليه الصلاة والسلام: «**الْكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ**»(٤)؟!

❐ وهل هذا الذي يزكي نفسه ويملأ المجالس بتعديد مناقبه وبيان بطولاته يتذكر قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢]؟

❐ وهل هذا البخيل قد أيقن بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩]، وازداد يقينه بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧]؟!

❐ وهل هذا الذي يحب الإكثار من ثناء الناس عليه ويجعل ذلك همه وغايته يوقن بقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: الآية ٥٣]؟!

---

(١) مسلم (حديث ١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (٦٦٧٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.
واليمين الصبر: هي التي يحبس عليها صاحبها بعد العصر حتى يحلف.

(٣) مسلم (حديث ١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٦٦٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

❐ وهل هذا الثرثار كثير الكلام الخائض مع الخائضين يستذكر حديث النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١)؟!

❐ وهل هو بمؤمن جيد الإيمان ذلكم الطعان اللعان الفاحش البذيء؟!! كلا، ثم كلا، ثم كلا!!!

فالإيمان بالله يصد عن كل قبيح، ومراقبة الله تصرف عن كل مكروه وسوء وخلق رديء.

❐ إن الله ﷻ ذكر في كتابه الكريم شخصًا طاغيًا مؤذيًا فقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ٦-١٤].

نعم، لو علم أن الله يراه ما صنع الذي صنع ولا أقدم على الشر والفساد، ونهى العباد عن الصلاة.

نعم، لو علم أن ربه يراه ما كذب ولا تولى، وما مشى بالنميمة، ولا سعى في الأرض بالفساد.

لو أدرك الشخص أن الله يسمع كلامه، ويرى مقامه ما اغتاب العباد وما تلفظ إلا بخير، ولكنه ضعف اليقين! ولكنها الغفلات!.

❋ فلا ينفك الإيمان بالله ولا ينفصل أبدًا عن الأخلاق:

❐ فالإيمان به سبحانه ومراقبته تصد عن الكذب، والزور، والبهتان،

---

(١) البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وعن الغش، والتضليل، والتزوير، وتحمل على الصدق، والوفاء، وقول الحق.

❐ انظر إلى مقولة كعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ولم يكن ثَمَّ سبب يدعوه إلى التخلف، ولم يكن هناك عذر يقعده عن الغزو، اقرأ قوله وهو يقول لرسول الله ﷺ: إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، ولا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك(١).

فما الذي حمل كعبًا على هذا الصدق؟! إنها مراقبة الله، وإنه الخوف من مقام الرب سبحانه؟!

❐ وكذلك ما الذي حمل هذا الذي تأججت في قلبه نار الشهوة، واشتعل جسمه بلهيبها، وبذل الأموال من أجلها على أن يترك تلك الأموال ويطفئ ذلك اللهيب، ويصرف عن تلك الشهوة الجارفة؟ إن الذي صده عن ذلك هو الإيمان بالله ومراقبته له تبارك وتعالى، وهذا الحديث جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم(٢)، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كان قَبْلَكُمْ**» فذكر الحديث، وفيه أن أحدهم قال: «**اللهم إن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كان لي ابْنَةُ عَمٍّ من أَحَبِّ الناس إلي، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عن نَفْسِهَا فَأَبَتْ إلا أَنْ آتِيَهَا**

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حتى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بها فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي من نَفْسِهَا، فلما قَعَدْتُ بين رِجْلَيْهَا، قالت: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ»(١).

□ وصاحبه في المأزق كذلك، ما الذي حمله على تثمير مال أجيره حتى يمتلئ الوادي بالغنم، ثم يرد الغنم إلى الأجير، ولا رقيب آنذاك إلا الله؟!

ففي نفس الحديث السابق: «**اللهم إن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كان لي أَجِيرٌ عَمِلَ لي على فَرَقٍ من أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وإني عَمَدْتُ إلى ذلك الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ من أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ منه بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فقلت له: اعْمِدْ إلى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا، فقال لي: إنما لي عِنْدَكَ فَرَقٌ من أَرُزٍّ، فقلت له: اعْمِدْ إلى تِلْكَ الْبَقَرِ؛ فَإِنَّهَا من ذلك الْفَرَقِ فَسَاقَهَا**».

□ وكذلك ما الذي حمل ثالثهم على القيام بباب والديه حتى بزغ الفجر، واللبن بيديه لا يشرب ولا يسقي بنيه حتى يستيقظ الأبوان الشيخان الكبيران فيشربان؟!

ففي الحديث السابق أيضًا: «**فقال الْآخَرُ: اللهم إن كُنْتَ تَعْلَمُ أنه كان لي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَم لي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وقد رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ من الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ**

(١) وفي «سنن الترمذي» بإسناد ضعيف من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال: ما يبكيك؟ أأكرهتك: قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك، وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبدًا فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غفر للكفل.

حتى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فلم أَزَلْ أَنْتَظِرُ حتى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذلك من خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا» الحديث.

إن الحامل على ذلك كله هو الإيمان بالله، ومراقبته سبحانه، وخشيته في السر والعلن!

ففي الإيمان بالله والتصديق بوعده ووعيده، والاعتقاد بأنه يسمع ويرى تعزية المسلم فيما يلاقيه من جحد الجاحدين وأذى المؤذين وظلم الظالمين.

فتحمله معرفته بالله، ومراقبته إياه، ويقينه بأن الله يسمع ويرى على الصبر على الناس، والإعراض عن الجاهلين، واحتساب الأجر في ذلك كله، ومن ثَمَّ جاءت آيات التسلية لرسول الله ﷺ.

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٧].
- وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].
- وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧، ٢١٨].

فكلها آيات تذكر بأن الله مطلع لا يخفى عليه شيء، فمن ثم يتسلى المسلم المبتلى، ويتعزَّى المصاب، ويستجم فؤاد الحزين!!

فعلى المسلم في كل وقت وحين أن يتذكر أن الله يراه ويسمعه، ويعلم أقواله وأفعاله ونواياه، فبذلك تسمو الأخلاق وتزكو النفوس.

ولذلك كثر التذكير بهذا الأصل في كتاب الله في مواطن لا تكاد

تحصى، وفي ثنايا الأحكام، وفي ثنايا القصص القرآني، وفي ثنايا الإخبار بما هو آت، وفي مطالع السور، وفي أوساطها، وفي أواخرها.

كثر التذكير بأن الله سميع، وأنه عليم، وأنه بصير، وأنه خبير، وأنه رقيب، وأنه قريب، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

وهذه كلها تشير إلى شيء وتدل عليه وتحث على مراعاته، كلها تؤكد هذا الأصل أن الله يرى ويسمع ويبصر، ولا يخفى عليه شيء، فصرفت الآيات، وتعددت الأساليب، وتنوعت الألفاظ حتى يعقلها البشر، وحتى يتذكر من يتذكر، ويتعظ من يخاف وعيد الله جل وعلا، فمن ثم تصلح الأحوال وتستقيم الأخلاق.

❑ فانظر إلى آيات الطلاق وكيف ختمت؟ ختم أغلبها بما يذكرك بمراقبة الله ﷻ:

❑ قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٢٧].

❑ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٣١].

❑ ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

❑ وفي الرضاع تختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٣].

❑ وفي العدد والإحداد تختم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

❐ وفي التعريض بخطبة النساء يقول تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٣٥] .

❐ وفي ختام آية الدين التي هو أطول آية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٨٢] .

❐ وفي التحذير من كتمان الشهادة يقول تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٨٣] .

❐ وفي الحث على الإنفاق والوفاء بالنذر يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٧٠] .

❐ ويقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البَقَرَة: ٢٧٣] .

❐ وفي إبداء الصدقات وإخفائها يقول تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ثم تختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٧١] .

❐ وفي الإخلاص في الإنفاق، يقول الله سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وتختم الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٦٥] .

❐ وفي الإنفاق: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البَقَرَة: الآية ٢٦١] .

❐ وفي بيان المواريث والفرائض في ختام سورة النساء: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[البَقَرَة: الآية ٢٨٢] .

❐ وفي الزجر عن الغش والخداع يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٧٧].

فلو علموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ما خادعوا الناس.

❑ وفي باب اطلاع الله على كيد الكائدين، يقول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٠].

❑ وفي باب الدعاء يقول زكريا عليه السلام: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: الآية ٣٨].

❑ ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦].

❑ وفي عموم الأعمال يقول تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

❑ ويقول: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٩٦].

❑ ويقول: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٩].

❑ ويقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٥].

❋ وانظر إلى التذكير بهذا الأصل في جملة من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فأخبرنا الله سبحانه عن نفسه أنه سميع في جملة مواطن من كتابه العزيز:

❑ ففي عدة آيات يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٤].

❑ ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٨١].

❑ ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: الآية ١٣٧].

❑ وكذلك يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: الآية ٢٠].

❐ ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٧٥].

❐ ويقول سبحانه لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

❐ ويقول سبحانه: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: الآية ٨٠].

❐ ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران: الآية ١٨١].

❐ ويقول سبحانه: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: الآية ١].

❐ وتقول عائشة رضي الله عنها[1]: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ إلى آخر الآية [المجادلة: الآية ١].

* ويبين ﷻ علمه بكل شيء ويصف نفسه بالعليم:

❐ فيقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢].

❐ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٣٣].

❐ وبين سبحانه أنه عليم بالأقوال، فقال سبحانه: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٠٤].

❐ وبالأعمال فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٩].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٦)، والبخاري معلقًا مع الفتح (١٣/ ٣٧٢).

❒ وبالأشخاص: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢].

❒ وبالمتقلبات والمثاوي فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد: الآية ١٩].

❒ وبكيد الكائدين: ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٠].

❒ وبافتراء المفترين قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف: ٧٧].

❒ وهو سبحانه: ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: الآية ١١٧]، و ﴿عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٥]، و ﴿أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: الآية ١١٩]، و ﴿عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٥].

❒ وبكل شيء في السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٨١].

❒ قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَإ: الآية ٣].

❒ وقال لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمَان: الآية ١٦].

* ويبين الله ﷻ إحاطته علمًا بكل شيء:

❒ فقال سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢].

❒ وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النِّساء: الآية ١٢٦].

❒ وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النِّساء: الآية ١٠٨].

❒ وكذلك فهو سبحانه رقيب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: ١].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٢].

❊ والسر والعلن، والجهر والكتمان، والغيب والشهادة كل ذلك عند الله سواء:

وقد تضافرت الآيات التي توضح هذا المعنى وتثبته وتُجليه؛ وذلك حتى لا يغفل عبد ولا يضل ولا ينسى، فلا تكاد تجاوز سورة إلا والتي بعدها تذكر بذلك.

❐ قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣٣].

❐ وقال سبحانه: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة: ٧٧].

❐ وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [آل عِمرَان: ٢٩].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٧].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [النِّساء: الآية ٨١].

❐ وقال سبحانه: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النِّساء: الآية ١٠٨].

❐ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٩].

❐ وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبَة: الآية ٧٨].

❐ وانظر إلى قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قال الله له: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ

قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

❋ وانظر إلى هذه الآيات وتدبرها:

☐ قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ١٠-١١].

☐ وكذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١١٠].

☐ وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: الآية ٧].

☐ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: الآية ٧].

☐ وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

☐ وقوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ﴾ [المُمتحنة: ١].

☐ وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٠].

☐ وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزّخرف: الآية ٨٠].

☐ وقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٣-١٠٤].

☐ وكم من آية فيها عن الله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣].

❏ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النمل: ٧٤].

❏ وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: الآية ٢٦].

❏ وانظر إلى إقرار أهل الإيمان وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤].

❏ وقول الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٣٨].

فهل بعد هذا البيان بيان؟!!

وحثنا ربنا على فعل الخير مذكرًا إيانا بالأصل السابق ألا وهو علمه بهذا الخير:

❏ فقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧].

❏ وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢١٥].

❏ وقال سبحانه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٥٨].

فإذا علم العبد وأيقن أن الله يراه ويعلم عمله، تشجع على فعل الخير والمعروف، فنحن معشر البشر ضعفاء نحتاج إلى تذكير، ونحن - والحمد لله - مؤمنون بالله مصدقون به وبوعده ووعيده، ولكن الإكثار من التذكير بعلم الله بأحوالنا واطلاعه على أفعالنا وإحاطته بأخبارنا، يزيد قلوبنا طمأنينة وأفئدتنا ثباتًا.

❏ ألا ترى إلى الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠][(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نحن** =

☐ وكذلك فاقرأ قول الحواريين: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة:١١٢-١١٣].

☐ وكذلك لما كذِّب الرسول ﷺ من قريش واشتد أذاهم له منَّ الله عليه بالإسراء؛ ليرى عظيم قدرة الله فتهون عليه مصائب الدنيا، ويهون عليه تكذيب قومه له، قال الله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

☐ وتحضرني هنا واقعة لعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه مع عمر رضي الله عنه:

ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا عُمَرَ فِي وَفْدٍ فَجَعَلَ يَدْعُو رَجُلًا رَجُلًا وَيُسَمِّيهِمْ فَقُلْتُ: أَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلَى أَسْلَمْتَ إِذْ كَفَرُوا[(٢)]، وَأَقْبَلْتَ إِذْ أَدْبَرُوا، وَوَفَيْتَ إِذْ غَدَرُوا، وَعَرَفْتَ إِذْ أَنْكَرُوا، فَقَالَ عَدِيٌّ: فَلاَ أُبَالِي إِذًا.

فانظر إلى مقالة عدي: فلا أبالي إذًا. فلما اطمأن عدي إلى أن عمر يتذكر فضائله ولا ينساها اطمأن قلبه وسكن خاطره.

= **أحق بالشك من إبراهيم إذ قال:** ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] ».

(١) البخاري (حديث ٤٣٩٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٠٣): يشير بذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصدقة بعد موت النبي ﷺ وأنه منع من أطاعه من الردة، وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح.

❏ فما ظنك برب العالمين حيث قال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرة: الآية ١٥٨].

❏ وما ظنك برب العالمين: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩].

وأخبرنا الله سبحانه أنه بصير

❏ ففي عدة آيات يصف ربنا نفسه بأنه: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحَج: الآية ٦١].

❏ وبأنه هو: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سَبَإ: الآية ١١].

❏ ويقول سبحانه: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: الآية ١٥].

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: الآية ٦١].

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحُجرات: الآية ١٨].

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥].

❏ ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٠].

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: الآية ٣٩].

❏ ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطُور: الآية ٤٨].

❏ ويقول سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعَام: الآية ١٠٣].

❏ ويقول سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسرَاء: الآية ١٧].

وهو سبحانه الخبير

❑ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٨].

❑ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٤].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٥٨].

❑ وأخبر تعالى عن نفسه أنه: ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: الآية ٣٠]، و ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: الآية ٨٨].

❑ وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٩١].

والآيات في هذا كثيرة جدًّا وإنما فقط ذكرنا أمثلة للتنبيه والتذكير.

❑ وربنا لا يغفل ولا ينام قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٢].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٨].

وكذلك فخائنات الأعين يعلمها الله:

❑ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: الآية ١٩].

❋ وانظر إلى هذه الآيات الكريمة وتدبرها وتأمل ما فيها، حتى تؤمن أن الله معك ويراك في كل وقت وحين، وأن حالك لا يخفى عليه:

❑ قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: الآية ٦١].

❏ وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هُود: الآية ٥].

ولهذه الآية الكريمة سبب نزول، فقد أخرج البخاري(١) من حديث مُحَمَّد بْن عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هُود: الآية ٥]. قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ.

وفي رواية(٢): كَانَ الرَّجُلُ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ فَيَسْتَحِي، أَوْ يَتَخَلَّى فَيَسْتَحِي فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [هُود: الآية ٥].

❏ وكذلك أمعن النظر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

❏ وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: الآية ١٦].

❏ وهاهي امرأة تأتي إلى رسول الله ﷺ تشكو إليه حالها، وما آل إليه أمرها فتسر إليه بالحديث، وعائشة بجوارها لا تسمع، ولكن الله يسمع، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: الآية ١].

---

(١) البخاري (٤٦٨١).

(٢) البخاري (٤٦٨٢).

□ والرسول ﷺ يسر إلى بعض أزواجه بحديث فتخبر به فيطلع الله نبيه ﷺ على إخبارها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: الآية ٣].

❁ وإذا تجولت بين صفحات الكتاب العزيز وجدت ما يؤكد هذا المعنى غاية التأكيد:

□ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: الآية ٤].

□ وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية ٧].

□ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: ٨-٩].

□ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٧].

□ وقال لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: الآية ١٦].

فهل يليق بك بعد ذلك أن تخطو خطوة أو تتحرك حركة تعصي فيها الرب ﷻ أو تؤذي فيها العباد؟!!

هل يليق بك بعد ذلك - إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر - أن تفكر في شر أو تضمر في قلبك حقدًا لأحد؟!!

هل يليق بك أن توسوس في مكروه أو تفكر في إثم أو عدوان؟!!

❋ فلذلك نؤكد أن حسن الخلق لا ينفك عن الإيمان بالله ومراقبته بحال من الأحوال:

نعم، قد يكون هناك كافر حسن السمت، حسن اللقاء عنده تؤدة وهذا جانب حسن من جوانب الأخلاق لكنه إذا دعي - مثلًا - للشهادة على حقٍّ جار في شهادته وظلم، فهو آنذاك (آثم قلبه) أي: فاجر قلبه.

وقد يكون هناك كافر قوَّالًا بالحق، لكنه لا يتورع عن الفاحشة والزنا والاغتياب.

❋ رقابات أخر:

ولتعتقد ولتوقن كذلك أنه ثَمَّ رقابات أخر عليك بعد رقابة الله سبحانه عليك.

❋ فالملائكة تراقب، وترصد حركاتك وأقوالك وأفعالك، وتسجل ذلك، وتكتبه، وتسطره.

❐ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

❐ وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطّارق: الآية ٤].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: الآية ٦١].

❐ وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزّخرف: الآية ٨٠].

❐ وقال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: الآية ١٨].

❋ وكذلك فجوارحك رقيبة عليك شاهدة بما صنعت:

❐ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا

وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البلد:٧-٩].

□ وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤].

□ وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢٣].

□ وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: الآية ٦٥].

□ وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا أَضْحَكُ؟**» قُلْنا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ، قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شهيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ عَلَيْكَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**».

فأنى للعبد بالمخالفة، وأنى له العصيان؛ وأنى له ظلم العباد، والرقابة

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩).

حوله شديدة، والأعمال مسجلة، والأقوال مسطرة، والرب قريب وشهيد وسميع وبصير وعليم وخبير، والملائكة الكرام شهود، والجوارح ناطقة بما صنع؟!!

وهل فيها رفعة لدرجاتك في الآخرة؟!

ادرس هذا جيدًا، واعقله تمامًا، افهمه على وجهه الصحيح.

واتق الله في نفسك، واتق الله في دماء الآخرين، وأعراض الآخرين، وأموال الآخرين.

رسالة إلى مسئول

ولا أعني بالمسئول الملك أو الرئيس أو الأمير أو الوزير أو المدير فحسب بل الكل راع، والكل مسئول عن رعيته، كما قال النبي ﷺ، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه[1]: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئول عن رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسئول عن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ على أَهْلِ بَيْتِهِ وهو مسئول عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ على بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ على مَالِ سَيِّدِهِ وهو مَسْئُولٌ عَنْهُ، ألا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئول عن رَعِيَّتِهِ**».

فإن كنت مسئولًا فهذه رسالتي إليك:

عليك أولا بحمد الله ﷻ على ما منَّ به عليك وأنعم؛ إذ جعلك فوق كثير من خلقه!

فنعمة من الله عليك أن تكون الكلمة ـ بعد أمر الله ـ كلمتك، وأن تكون

(١) البخاري (حديث ٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

أنت المسئول لست بالسائل، وأن تكون أنت المعطي، ويدك هي العليا ولست بالسائل ذي اليد السفلى.

فنعمة من الله عليك حيث جعلك قيِّمًا على العباد، تفصل هذا من العمل، وتكلف ذلك بعمل، فعليك إذن بشكر نعمة الله عليك وإلا سلبت منك تلك النعم، وأصبحت مرؤوسًا بعد أن كنت رئيسًا، وأصبحت الأدنى بعد أن كنت الأعلى، وأصبحت مأمورًا بعد أن كنت أميرًا؛ وذلك كله لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: الآية ٧].

نعم، لئن شكرتم ليزيدنكم الله، وعد الله لا يخلف الله الميعاد، يزيدكم سعة، يزيدكم رضًا، يزيدكم إيمانًا، وراحة للبال.

يزيدكم رفعة في درجاتكم في الآخرة، يزيدكم ثوابًا، يدفع عنكم بلاء، يصرف عنكم سوءًا.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٧] نعم، عذاب الله شديد للجاحد، قد تزال عنه النعمة في الدنيا، فيصبح يقلب يديه على ما أنفق فيها، وقد رآها خاوية على عروشها!

نعم، قد تزال عنه الرياسة ويصبح مرؤوسًا، ويزول عنه الملك ويصبح مملوكًا، وبعد أن كانت يده العليا تصبح يده هي السفلى، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وقد تكون النعمة بين يديه ولكن لا أثر لها في قلبه، ولا صدى لها في فؤاده، قد تكون النعمة التي بين يديه وبالًا عليه، يكون المال بيده وهو مهموم مغموم بهذا المال، خائف عليه، حذر من طمع الناس فيه، ينام مضطرب الفؤاد حيرانًا.

وأبشع من ذلك وأدهى وأمر: هو العذاب الشديد المدخر في الآخرة لمن لم يشكر النعم، ولمن لم يقر بفضل الله عليه!! فعلينا إذًا بالشكر.

❐ ألا ترى أن موسى الكليم عليه الصلاة والسلام يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: الآية ٢٠].

فها هو يحثهم على شكر نعمة الله.

❐ وها هو سليمان النبي الكريم لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: الآية ٤٠].

❐ وها هو أيضًا عليه السلام يقول لما أفهمه الله لغة النمل: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: الآية ١٩].

واعلم أن ما أنت فيه من منصب وجاه إنما هو فتنة لك، فإن الله تبارك وتعالى جعل بعض الناس فتنة لبعض؛ فالراعي فتنة للرعية، والرعية فتنة للراعي، والقوي فتنة للضعيف، والضعيف فتنة للقوي، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والجميل فتنة للدميم، والدميم فتنة للجميل، والكل مبتلى بالآخر، مفتون به.

❐ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠].

❐ وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: الآية ٥٣].

❐ وكما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ

إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزُمَر: الآية ٤٩].

❑ وقال تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: الآية ٣٢].

❑ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥].

فإذا علمت ذلك فاتق الله في منصبك، واتق الله فيمن هم تحت يديك، واتق الله في نفسك.

❑ وتذكر أنك حتمًا مفارق لمنصبك وتارك له، إن عاجلًا أو آجلًا بالموت أو بغيره قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

فعليك بتذكر ذلك، وتذكر أن غيرك ممن قد ماتوا وفارقوا هذه الحياة، تقلدوا منصبًا أعظم من منصبك في دنياهم، فأين أنت من قارون وفرعون وهامان؟! وأين أنت أيضًا من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام؟!

فاعمل ليوم تفارق فيه هذا المنصب، ويزول عنك ملكك، كما قد زال عن غيرك.

وتذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٤].

❑ وتذكر قول الله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾.

❒ وتذكر قول الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: الآية ٢٠].

❒ ثم تذكر حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال(١): قال رسول الله ﷺ «**يُؤْتَى بِأَنْعَم أَهْلِ الدُّنْيَا من أَهْلِ النَّارِ يوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً(٢) ثُمَّ يُقَالُ: يا بن آدَمَ هل رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيقول: لَا والله يا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الناس بُؤْسًا(٣) في الدُّنْيَا من أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ له: يا بن آدَمَ، هل رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لَا والله يا رَبِّ، ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ولا رأيت شِدَّةً قَطُّ**».

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٨٠٧).
(٢) يصبغ صبغة: أي: يغمس غمسة.
(٣) بؤسًا: أي: شدة.

صفات يتحلى بها المسئول

وعلى المسئول أن يتحلى بهذه الصفات:

❋ تقوى الله والورع:

عليه أن يتحلى بتقوى الله وبالورع؛ فهما مفتاح كل خير، والمخرج من كل فتنة، ثم هما مجلبة للأرزاق، وتفريج للكرب، ورفعة في الدرجات، وحط للخطيئات، ومجلبة لحب الخالق والخلق.

❐ قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

❐ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطَّلَاق: الآية ٤].

❐ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٥].

❐ وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٢٩].

❋ القيام بالعدل والقسط بين الرعية:

فعليه أن يقوم بين الناس بالقسط؛ فالإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[(١)]، كما قال رسول الله ﷺ.

❐ وقال النبي ﷺ[(٢)]: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ**...».

(٢) مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا».

❑ وفي «مسند الإمام أحمد»[(١)] بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلاَّ أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلاَمَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

❁ وينبغي أن يتسم المسئول بالشجاعة والنجدة والكرم والشهامة وجميل الأخلاق:

فهل يليق بأب في بيته، وقد سمع فزعًا في البيت أن يقول لزوجته: اذهبي فانظري ماذا يحدث؟!! إنه إن فعل استقر في ذهن امرأته عنه أن به جبنًا، ولكن ليكن هو الأسبق، وليكن هو الأسرع إلى مكان الفزع.

❑ وفي «الصحيح»[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: **«لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا»**، ثُمَّ قَالَ: **«وَجَدْنَاهُ بَحْرًا»** أَوْ قَالَ: **«إِنَّهُ لَبَحْرٌ»**[(٣)].

❑ وفي «الصحيح» أيضًا يقول الصحابة: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ»[(٤)].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٦٧).

(٢) البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) أي: وجدنا الفرس سريعًا.

(٤) أحمد (١/ ١٥٦) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا، ونحوه عند مسلم (ص١٤٠١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به».

❁ وعليك أيها المسئول بالرفق واللين:

□ وذلك لأن النبي ﷺ قد قال: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه، وَمَنْ وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شيئا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(١).

فالأصل في المعاملات مع الرعية هو الرفق بهم ورحمتهم.

□ وقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

□ وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ**»(٢).

ولا يعدل عن الرفق إلى الشدة إلا إذا لم يُجْدِ الرفقُ، وعدم جدواه في الغالب يكون مع قوم يحتاجون إلى شدة لتأديبهم وزجرهم، فحينئذ يستعمل مع هؤلاء ما هو لائق بهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فمن لم يُجْد معه الكتاب والميزان، ومن لم تصلح معه البينات وتصلحه المواعظ، فالحديد له رادع، والشدة له دواء(٣).

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٤).

(٣) وقد قدمنا بابًا في ذلك آنفًا.

❁ وانظر إلى الرفق واللين والحزم والصرامة في آن واحد في قول الصديق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوته:

﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [يوسف: ٥٩-٦٠].

فانظر إلى قوله: ﴿أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٩].

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾[يُوسُف: الآية ٦٠].

❁ الصبر وتحمل الأذى:

فعلى كل راع أن يتحلى بالصبر وتحمل الأذى؛ وذلك لأنه إذا خالف الرعية في شيء مما يهوونه فكثير منهم لا يرضى بالمخالفة فيتجه للطعن والغمز واللمز، إذا لم تمض شهوته وتتحقق رغبته.

فيجد المسئول نفسه بين أمرين: إما أن يمضي لهذا المفتري شهوته ورغبته، وإما أن يقوم بالقسط، ويعمل بما يقتضيه الصالح العام؛ فعليه حينئذ أن يقوم بالقسط ويفعل ما يقربه إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ.

وقد أوذي أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم الذين هم أفضل الخلق وأعدل الخلق بأنواع من الأذى:

❑ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التّوبَة: الآية ٥٨].

❑ وعليه أن يستعين بالصبر والصلاة؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قال في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٣].

❑ وقال الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨].

□ وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: الآية ١٣٠].

ففي الصلاة عون كبير على ما يواجه المسئول من مشاكل، وفي دعاء الرب ﷻ تفريج لكل كربة، ورفع لكل غمة، والمستعان هو الله سبحانه.

❋ وما أحوجك أيها المسئول إلى الخلق الحسن، والطيب من القول، والبشاشة في الوجوه:

فهذه أسباب تجلب لك محبة الخلق ومحبة الخالق، ومن ثَمَّ تستقيم لك أعمالك، فقد توقع جزاء على بعض العمال وأنت تبتسم وتبين له خطأه فيتقبل ذلك منك بارتياح ويصحح خطأه، وعلى النقيض قد تكرم شخصًا وتغدق عليه بالأموال مصحوبًا بجبين مقطب ووجه مكفهر وكلمات لاذعة مؤذية، فيأخذ منك المال ويتسخط عليك، ويدعو عليك بعدم البركة، وقد قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٣].

❋ الحلم والأناة:

وعليك بالحلم والأناة؛ فإنهما صفتان يحبهما الله ﷻ كما قال النبي ﷺ لأشجع عبد قيس.

أما الأناة: فهي التأني في الأمور والقرارات، وعدم التسرع في شيء من ذلك.

وأما الحلم: فهو ترك المعاجلة بالعقوبة، بل تمهل وتريث وتثبت، وإن رأيت الأمر يحتاج بعد ذلك إلى عفو فعليك به، وإن رأيته يحتاج إلى عقوبة فأنزلها بقدرها ولا تتعداها بالزيادة.

□ وقد أثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ

﴿٧٥﴾ [هُود: الآية ٧٥].

❁ وعلى المسئول أن ييسر ولا يعسر:

❐ وبهذا أوصى النبي ﷺ أصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»(١).

❐ وأوصى صلوات الله وسلامه عليه أبا موسى ومعاذًا لما بعثهما إلى اليمن فقال: «**يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفا**»(٢).

❐ وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا**»(٣).

❐ والرسول ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه(٤).

❐ وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»(٥).

❁ وعليك بإكرام العشيرة:

فكم من شخص يتنكر لعشيرته بعد أن يتقلد منصبًا، وكم من شخص يُفني

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٢٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «**دعوه، وهريقوا على بوله سجلًا من ماء – أو ذنوبًا من ماء – فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**».

(٢) البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤).

(٤) البخاري (١٦٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) مسلم (حديث ١٤٧٨).

أبوه عمره من أجله، فيعلمه ويرقيه في المناصب، ثم إذا تقلد منصبًا تنكر لأبويه ولعشيرته، واستكبر عليهم واستعلى، بل ويستحيي أن يذكر أن أباه فلان.

فأين هذا من يوسف الصديق؟ فبعد أن جعله الله على خزائن الأرض، إذا به يستقبل أبويه وإخوته بحفاوة بالغة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ٩٩- ١٠٠].

❋ واتق ذميم الصفات، ومن ذلك الكذب:

فالمسئول لا يكون كذابًا.

«**فالْكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**»(١) كما قال النبي ﷺ، وكلما عظم منصبك عظم إثم كذبك، فالملك الكذاب لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، ولا يكلمه، وله عذاب أليم، كما جاء عن رسول الله ﷺ(٢)، والذي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**».

(٢) عند مسلم (١٠٧)، وقال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله يوم الْقِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ، قال أبو مُعَاوِيَةَ، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**».

يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، كما جاء عن رسول الله ﷺ[١]، ثم إنه بكذبه على الرعية يسقط من أنظارهم ويقابلونه بالازدراء والاحتقار.

❁ ولا يكون المسئول جبانًا كذلك:

فالجبن خصلة ذميمة، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من الجبن، ففي «الصحيح»[٢] من طريق مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: «**اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ من الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيَا** - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ - **وَأَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ**».

❁ وأيضًا فليبتعد المسئول عن البخل والشح:

فمن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟**» قَالَ: **فَيُقَصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُقَصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ، مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقْ - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ - قَالَ وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ - قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى»**.

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٤٧).

البخل[١]، وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسمًا فقلت: والله يا رسول الله لغير هؤلاء كان أحق به منهم، قال: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أو يُبَخِّلُونِي فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**».

* وهذا إثم الوالي الغشاش:

❑ وفي «صحيح البخاري»[٣] من طريق الحسن أن عبيد الله بن زياد[٤] عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**».

❑ وفي رواية: «**ما من وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً من الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وهو غَاشٌّ لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الْجَنَّةَ**»[٥].

* وسيد القوم لا يكون بخيلًا:

❑ أخرج البخاري في «الأدب المفرد»[٦] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟**» قُلْنَا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى أَنَّا نُبْخِلُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟! بَلْ سَيِّدُكُمْ**

---

(١) انظر الحديث المتقدم.
(٢) مسلم (حديث ١٠٥٦).
(٣) البخاري (حديث ٧١٥٠)، ومسلم (ص١٢٥-١٢٦).
(٤) عبيد الله بن زياد: هو أمير البصرة في زمن معاوية وولده يزيد.
(٥) عند البخاري (١٧٥١)، ومسلم (حديث ١٤٢).
(٦) البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦) وإسناده حسن لشواهده، وقد ذُكرتْ له شواهد في حاشية «الأدب المفرد» للبخاري (١/ ٣٥٩) فراجعها إن شئت. وتقدم أيضًا أن أبا بكر رضي الله عنه قال: «وأي داء أدوى من البخل؟».

عَمْرُو بْنُ الْجَمَوحِ» وَكَانَ عَمْرٌو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُولِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ.

❋ **وإياك أن تكون من الذين قال الله فيهم:**

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦].

معاملات الراعي مع الرعية

❋ **بطانة الخير:**

وعليك أيها الراعي ببطانة الخير لا تفارقها ولا تتخل عنها، وإياك وبطانة السوء.

وبطانة الرجل: أهل مشورته، وأهل سره، وهم دخلاؤه في أموره، فلا ينبغي أن يكون هؤلاء إلا من أهل الخير والصلاح.

❏ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾ [آل عمران: الآية ١١٨].

فمعنى الآية الكريمة - والله أعلم بمراده -: يا من آمنتم بالله وصدقتم به وبوعده وبوعيده، وأقررتم بشرعه، وآمنتم برسله، لا تتخذوا مستشاريكم وخاصتكم قومًا من غيركم، فإن هؤلاء إذا كانوا من غيركم، من اليهود أو النصارى أو أهل الشرك لا يقصرون في إغوائكم وإضلالكم وصرفكم عن الحق، ويرغبون دائمًا في حلول المشقة بكم، ونزول المصائب عليكم، ثم

إن البغضاء تظهر من أفواههم تجاهكم، والكلمات التي تحمل معاني الكراهية تخرج من أفواههم وتبدو على شفاههم، وما تخفيه صدورهم أكبر مما تتلفظ به أفواههم.

❑ هذا، وقد قال النبي ﷺ[١]: «**ما بَعَثَ الله من نَبِيٍّ ولا اسْتَخْلَفَ من خَلِيفَةٍ إلا كانت له بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عليه، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عليه، فَالْمَعْصُومُ من عَصَمَ الله تَعَالَى**».

هذا، وقد كانت بطانة رسول ﷺ أفاضل أصحابه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، فكان كثيرًا ما يقول: «**خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر**».

❑ وقد دخل أبو بكر وعمر وعثمان مرارًا، أما علي فهو ابن عمه وزوج ابنته ومشورة رسول الله له ودخول الرسول ﷺ عليه ودخوله على رسول الله ﷺ أكثر من أن يحصى، وكذا سائر أصحابه الفضلاء، وكذا كانت بطانات أصحابه من بعده، فعمر رضي الله عنه من أخص بطانة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

❑ وأما عمر رضي الله عنه فكان أهل مشورته وبطانته من القراء حملة القرآن، فقد أخرج البخاري[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: . . . فذكر الحديث وفيه: وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا.

فبطانة الخير تحض الشخص على الخير وترغبه فيه وتذكره بالله، وبطانة الشر تعينه على الشر وتفتح له أبوابه وتنسيه ذكر الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٤٦٥٢).

□ وأخرج النسائي في «سننه» من طريق القاسم بن محمد(١) قال: سمعت عمتي تقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلِي مِنْكُمْ عَمَلًا، فَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**»(٢).

كن ميمونًا مباركًا

وكن أيها المؤمن ميمونًا مباركًا أينما كنت، وادع الله بذلك، ولا تكن مثيرًا للشرور والفتن والقلاقل، واحرص على ألا تجتنى من ورائك إلا ثمار الخير، وقطوف المودة والمحبة.

واقرأ مقالة رسول الله ﷺ التي قالها لما شفاه الله.

□ قال عليه الصلاة والسلام: «**أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**». وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

---

(١) القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمته هي عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح لشواهده**: أخرجه النسائي (٧/ ١٥٩)، وانظر شواهده عند أبي داود (٢٩٣٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٧٠).

(٣) البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث «فتح الباري» (١٠/ ٢٤١): قوله: «**فَكَرِهْتُ أَنَّ أُثِيرَ عَلَيَّ النَّاسَ فيه شَرًّا**» في رواية الكشميهني «**سُوءًا**» ووقع في رواية أبي أسامة «**أَنْ أُثَوِّرَ**» بفتح المثلثة وتشديد الواو وهما بمعنى، والمراد بالناس التعميم في الموجودين، قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته ضررًا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة، ووقع في رواية ابن نمير: «**عَلَى أُمَّتِي**» وهو قابل أيضًا للتعميم؛ لأن الأمة تطلق على أمة الإجابة وأمة الدعوة، وعلى ما هو أعم، وهو يرد على من زعم أن المراد بالناس هنا لبيد بن الأعصم؛ لأنه كان منافقًا فأراد ﷺ أن لا يثير عليه شرًّا؛ لأنه كان يؤثر الأغضاء عمن يظهر الإسلام ولو صدر منه ما صدر، وقد وقع أيضًا في رواية ابن عيينة =

إخبارك الأصدقاء والأصحاب الذين يحبونك بفضل الله وبنعمه عليك

وهذا باب طيب ونافع في توطيد أواصر المحبة وتدعيم أركانها.

☐ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

ومحل هذا في كثير من الأحيان عند من يحبونك ويرغبون لك في مزيد من الخير، أما عند من يكرهون لك الخير ويحسدونك على ما أنت فيه من النعم فلا، قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: الآية ٥].

☐ وقال النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّثْ بِه إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ**»(١). فإذا جاءتك نعمة من نعم الله، ورزقت برزق من الله، فحدث إخوانك الذين تحبهم ويحبونك، وأدخل عليهم السعادة بذلك، فهم

= «**وكرهت أنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**» نعم، وقع في حديث عمرة عن عائشة: فقيل: يا رسول الله، لو قتلته. قال: «**ما وراءه من عذاب الله أشد**» وفي رواية عمرة: «فأخذه النبي ﷺ فاعترف فعفا عنه» وفي حديث زيد بن أرقم: «فما ذكر رسول الله ﷺ لذلك اليهودي شيئًا مما صنع به ولا رآه في وجهه»، وفي مرسل عمر بن الحكم: فقال له: «**مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟**» قال: حب الدنانير. وقد تقدم في كتاب الجزية قول ابن شهاب: إن النبي ﷺ لم يقتله، وأخرج ابن سعد من مرسل عكرمة أيضًا أنه لم يقتله، ونقل عن الواقدي أن ذلك أصح من رواية من قال: إنه قتله، ومن ثَمَّ حكى عياض في «الشفاء» قولين: هل قتل، أم لم يقتل؟ وقال القرطبي: لا حجة على مالك من هذه القصة؛ لأن ترك قتل لبيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة، أو لئلا ينفر الناس عن الدخول في الإسلام، وهو من جنس ما راعاه النبي ﷺ من منع قتل المنافقين حيث قال: «**لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

(١) البخاري مع «الفتح» (١٢/ ٤٣٠) (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (ص١٧٧٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

يسعدون لسعادتك ويفرحون لفرحك، وهم أيضًا يحزنون لمصابك ويتألمون لأوجاعك فلا تجعل نصيبهم منك الحزن والآلام فقط، ولكن يحزنون من أجلك، فليفرحوا لنعم الله عليك كذلك.

❐ وها هو رسولنا ﷺ يدخل السرور على أصحابه ويأمر بإبلاغهم بما حدث له من نعمة الله عليه في البركة التي حلت بالطعام لما وضع فيه يده صلوات الله وسلامه عليه:

أخرج البخاري(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**إذا جَدَدْتَهُ فَوَضَعْتَهُ في الْمِرْبَدِ آذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ». فجاء ومعه أبو بكر وعمر، فجلس عليه ودعا بالبركة ثم قال: «**ادْعُ غُرَمَاءَكَ فَأَوْفِهِمْ**». فما تركت أحدًا له على أبي دين إلا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقًا: سبعة عجوة وستة لون، أو ستة عجوة وسبعة لون. فوافيت مع رسول الله ﷺ المغرب فذكرت ذلك له، فضحك فقال: «**ائْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا**»، فقالا: لقد علمنا - إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع - أن سيكون ذلك.

فانظر إلى مقولة رسول الله ﷺ: «**ائْتِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَخْبِرْهُمَا**»!! فحقًّا إنه رسول الله ﷺ، نعم المعلم، ونعم المؤدب، ونعم الصاحب، فليدخل السرور على أبي بكر وعمر ليزدادوا يقينًا برسالة نبيهم محمد ﷺ.

فكما أنهما يحزنان لحزنه كذلك فليفرحا بما حل على يديه من البركة، وكذلك فلنكن.

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٩).

لا تنل منك أملك كل يوم الهموم والأحزان، وكذلك أصحابك كل يوم يستمعون منك إلى التشكي والتوجع والآلام، وفي اليوم الذي تتوالى عليك نعم الله لا يعرفون عنك شيئًا! إذا كنت خسرت في التجارة يومًا فقد ربحت فيها أيامًا وأعوامًا! إذا مرضت يومًا فقد عوفيت شهورًا وسنوات!

فحدِّث بنعم الله عليك، وليرَ أثر النعمة عليك، وليرَ محبوك وأصدقاؤك أثر نعم الله عليك، فأهدِ لهم ووسِّعْ عليهم وذكرهم بفضل الله.

وشاورهم في الأمر

❑ فبهذا أمر الله نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

❑ وأثنى الله على عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشّورى: ٣٨].

وقد كان النبي ﷺ يستشير أصحابه فيما يحتاج إلى مشورتهم فيه من الأمور الخاصة والعامة، فلا غنى لولي الأمر عن المشاورة.

ومن المعلوم أن الشخص يستشير أهل الخبرة وأهل الاختصاص في الأمر الذي يحتاج إلى المشورة فيه؛ فلا يستشار الضابط في أمور الطب والهندسة، وكذلك لا يستشار الطبيب في أمور القتال وإعداد العدة، ومدرس اللغة الإنجليزية لا يستشار في أمور الزراعة والحرث وهكذا، فكل يستشار فيما يتقنه ويفهمه ويجيده.

واستشار الرسول ﷺ أصحابه يوم بدر، فلما تكلم المهاجرون ما أصغى إليهم رسول الله ﷺ كثيرًا، إنما كانت استشارته موجهة إلى الأنصار لاعتبارات معينة:

❑ أخرج مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا.

❑ وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح[٢] عن أنس قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر، خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون! ولكن لو ضربت أكباد الإبل حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك.

❑ وفي حديث الإفك[٣] استشار الرسول ﷺ بعض قرابته كعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومحبيه: كأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعض أهل بيته كزينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واستشار أيضًا بريرة لما لها من معرفة بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واستشار عموم أصحابه في شأن المنافقين الذين طعنوا في عرضه وقال لهم: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي قَوْمٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُمْ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**». وكل ذلك في حديث الإفك.

❑ وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة في آية التخيير: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا**

---

(١) مسلم (حديث ١٧٧٩).

(٢) أحمد (٣/ ١٠٥) وله شواهد.

(٣) وقد تقدم تخريجه مرارًا، وهو في «الصحيحين».

فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَسْتَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»[١].

❐ واستشار رسول الله ﷺ عددًا من أصحابه في أسارى بدر[٢].

وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم فكان أبو بكر يستشير أصحابه فيما يشكل عليه، وأما استشارات عمر للصحابة رضي الله عنهم فأكثر من أن تحصى.

❋ ولا يلزم العمل بمشورة كل من أشار عليك، بل تتبين وجه الصواب من ذلك وتعمل به وتتوكل على الله.

وإن استشارهم وأتى له بعضهم بدليل في المسألة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مطابق للمسألة النازلة، أو أتاه بإجماع للمسلمين في هذه المسألة، فلا يسعه الخروج على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يسعه الخروج على الإجماع.

أما إذا كان أمرًا قد تنازع فيه المسلمون فعليه أن يتبين وجه الصواب من ذلك، والأقرب إلى الدليل والأنفع للرعية فيعمل به، والله تعالى أعلى وأعلم.

❋ قبول النصيحة ممن هو أدنى:

وكما قدمنا فينبغي أن يستشير الراعي رعيته، ويعمل بالرأي السديد، ولو كان قائله دونه في الفضل ما دام قد تبين له سداد هذا الرأي.

❐ فالرسول ﷺ أقر أبا هريرة على ما قاله الشيطان في شأن آية الكرسي،

---

(١) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: . . . فلما أسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأَسْرَى؟**...».

وأن الله يحفظ قارئها حتى يصبح(١).

□ والرسول ﷺ منع أصحابه من قولهم: ما شاء الله وشاء محمد، ومن قولهم: والكعبة، لما جاءه اليهود وقالوا: إنكم تشركون وتنددون(٢)... الحديث.

□ ولما جاء الحبر اليهودي إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع... الحديث، وفيه: فضحك النبي ﷺ ...(٣)، قال ابن مسعود: تصديقًا لخبر الحبر.

□ وفي «مسند» الإمام أحمد(٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال: حدثني أبي قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَأَصَابَ

---

(١) في البخاري معلقًا مع «الفتح» (٤/ ٤٨٧) من حديث أبي هريرة، وفيه: أن الشيطان قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**».

(٢) أخرجه النسائي في «السنن» (٧/ ٦) بإسناد صحيح من حديث قتيلة - امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ - أَنَّ يَهُودِيًّا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «**وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**» وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ. وأخرجه أيضًا في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١، ٣٧٢).

(٣) وتمام الحديث: وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِخَبَرِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٧].

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٧، ٤١٨).

النَّاسَ مَخْمَصَةٌ، فَاسْتَأْذَنَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نَحْرِ بَعْضِ ظُهُورِهِمْ، وَقَالُوا: يُبَلِّغُنَا اللَّهُ بِهِ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ هَمَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي نَحْرِ بَعْضِ ظَهْرِهِمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ بِنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا جِيَاعًا رِجَالًا؟ وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَدْعُوَ لَنَا بِبَقَايَا أَزْوَادِهِمْ فَتَجْمَعَهَا، ثُمَّ تَدْعُوَ اللَّهَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُبَلِّغُنَا بِدَعْوَتِكَ. أَوْ قَالَ: سَيُبَارِكُ لَنَا فِي دَعْوَتِكَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِبَقَايَا أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُجِيئُونَ بِالْحَثْيَةِ مِنَ الطَّعَامِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ، وَكَانَ أَعْلاَهُمْ مَنْ جَاءَ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، فَجَمَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ، ثُمَّ دَعَا الْجَيْشَ بِأَوْعِيَتِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْتَثُوا، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وِعَاءٌ إِلاَّ مَلَؤوهُ، وَبَقِيَ مِثْلُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: **«أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهَا إِلاَّ حُجِبَتْ عَنْهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

❏ وقد قبل النبي ﷺ مشورة عمر لما أشار عليه بألا يخبر الناس أن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وذلك حتى لا يتكل الناس.

❁ وإقرار الحق نوع من أنواع العدل، والله سبحانه يقول:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [المائدة: الآية ٨].

❏ وانظر إلى هذا الحديث الذي أخرجه أحمد(١) بسند حسن من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه أنها قالت: أَتَتْ سَلْمَى مَوْلاَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوِ امْرَأَةُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْتَأْذِنُهُ عَلَى أَبِي رَافِعٍ قَدْ

---

(١) أحمد (٦/ ٢٧٢).

ضَرَبَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي رَافِعٍ: «**مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟**» قَالَ: تُؤْذِينِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِمَ آذَيْتِيهِ يَا سَلْمَى؟**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آذَيْتُهُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ أَحْدَثَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا رَافِعٍ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَحَدِهِمُ الرِّيحُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَقَامَ فَضَرَبَنِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: «**يَا أَبَا رَافِعٍ إِنَّهَا لَمْ تَأْمُرْكَ إِلاَّ بِخَيْرٍ**».

من نستأجر؟
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾

فهكذا ينبغي أن يكون الأجراء، وهكذا ينبغي أن تختار العمالة، فينبغي أن تراعي فيهم القوة والأمانة، وهذه جملة من الأدلة على ذلك:

❐ قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القَصَص: الآية ٢٦]. فوصفته بوصفين: القوة والأمانة.

❐ وهذا العفريت من الجن الذي عرض على سليمان عليه السلام أن يأتي بالعرش يقول: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النَّمل: ٣٩]. فوصف نفسه بالوصفين أيضًا: القوة والأمانة.

❐ ويقول ربنا تبارك وتعالى في شأن سفيره جبريل عليه السلام: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢٠-٢١] فوصفه بالقوة في قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [التكوير: الآية ٢٠] وبالأمانة كما في قوله: ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: الآية ٢١].

❐ وقال تبارك وتعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القَصَص: الآية ١٤].

فجمع بين القوة في قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القَصَص: الآية ١٤].

وبين الحكم والعلم والإحسان في قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: الآية ١٤] وهذه تتضمن الأمانة أيضًا.

❐ وفي شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص:٤٥-٤٦].

❐ فقوله تعالى: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ [ص: الآية ٤٥] يخبر بقوتهم.

❐ وقوله: ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: الآية ٤٥] يتضمن العلم والفهم والأمانة خاصة إذا ضم إليه قوله: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ [ص: الآية ٤٦] أي: خصصناهم بخاصية وهي كثرة تذكر الدار الأخرى، فهذا التذكر يتطلب منهم الأمانة والدين.

❐ وقوله تعالى في شأن يوسف ﷺ أيضًا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يُوسُف: الآية ٢٢].

❐ وقول ملك مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يُوسُف: ٥٤].

❐ وكذلك قول يوسف ﷺ عن نفسه لما طلب العمل على خزائن الأرض زكى نفسه بشيئين فقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٥٥] فقوله: ﴿حَفِيظٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥] يتضمن الأمانة، وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥] يتضمن القوة والقدرة على العمل.

❋ وهذا يجرنا إلى شيء ألا وهو:

توضيح معنى القوة المصاحبة للأمانة:

أي قوة هذه؟ وما المراد به؟ فلإيضاحها أقوال:

إن المراد بالقوة: القوة الملائمة والمناسبة للعمل الذي يكلف به الشخص:

❐ فقوة العامل المكلف لحمل أشياء، والسعي في أمور الذهاب والإياب والدفاع والهجوم ونحو ذلك تكمن في بدنه، فيختار لها العامل قوي البدن.

❐ وقوة العالم تكمن في حفظه وذكائه وقوة استنباطه، وإنزال الفتاوى في منازلها، ووضع الأمور في نصابها.

❐ وقوة الطبيب تكمن في قدرته على تشخيص المرض ووصف العلاج المناسب له.

❐ وقوة الطباخ في البيت تكمن في جودة الطهي.

❐ وقوة المدرس تكمن في حصيلته العلمية وقدرته على إفهام الطلاب.

❐ وقوة المهندس تكمن في حسن تخطيطه ومهارته في التنفيذ.

❐ وقوة الفلاح تكمن في بدنه وفي معرفته بالزراعة والحرث ورعاية الماشية.

❐ وقوة الأمير في الحرب تكمن في بدنه أيضًا وفي علمه بفنون الحرب وفي شجاعته.

❐ وكل صانع تكمن قوته في معرفته بصنعته ومهارته فيها.

❐ وكل عالم يكمن علمه في تخصصه الذي يقوم بتدريسه وتعليمه، وهكذا كل الأعمال.

فليست القوة المرادة هي القوة البدنية في كل الأحوال؛ وذلك لأن

احتياجات الناس تختلف وتتنوع، وكذلك قدراتهم تختلف وتنوع:

❐ فابن مسعود رضي الله عنه رجل نحيف البدن لكنه[١] من أعلم الصحابة بالتفسير.

❐ وخالد سيف سله الله على المشركين[٢]، ومع ذلك رواياته للأحاديث قليلة جدًّا لا تكاد تذكر.

❐ وأبو ذر رجل قوال بالحق جريء فيه، فما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر[٣]، ومع ذلك هو مع الإمارة ضعيف.

---

(١) أخرج البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.

وفي رواية أخرى عند البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) من طريق شقيق بن سلمة قال: خطبنا ابن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ما سمعت رادًّا يقول غير ذلك.

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (١/ ٤٢٠، ٤٢١) عن ابن مسعود أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

(٢) قال رسول الله ﷺ في شأن خالد، كما في «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (٥/ ٢٩٩): «**اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ**». وانظر أيضًا البخاري (٤٢٦٢).

(٣) أخرج الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢) بإسناد صحيح لغيره من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**». والغبراء: هي الأرض، والخضراء: السماء، والله أعلم. وانظر: «المنتخب» لعبد =

قال النبي ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إني أراكَ ضعيفًا، وإنِّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثْنَيْنِ ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**».

❐ وهأنذا أؤيد مقالتي هذه بهذا الكلام الطيب الرائع الجميل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، من كتابه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، قال رحمه الله: والقوة في كل ولاية بحسبها: فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها؛ فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من رمي وطعن وضرب، وركوب وكر وفر، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا وَارْكَبُوا وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، وَمَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**» وفي رواية: «**فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا**» رواه مسلم[(١)].

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه

= ابن حميد (بتحقيقي) رقم (٢٠٩).

(١) الحديث باللفظ المشار إليه لم أقف عليه في مسلم، والذي في مسلم الفقرة الأخيرة منه: «**مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى**». من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا (١٩١٩).

وعند مسلم أيضًا (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠] **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**».

أما الحديث - بلفظ قريب من المشار إليه - فقد أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٢٣) وغيرهم، وفي إسناده بعض كلام.

الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل من حكم على الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٤].

ولهذا قال النبي ﷺ: «**الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ: فَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِخِلاَفِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ**». رواه أهل السنن(١).

والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين أو حكم بينهما، سواء كان خليفة، أو سلطانًا، أو نائبًا، أو واليًا، أو كان منصوبًا ليقضي بالشرع، أو نائبًا له، حتى يحكم بين الصبيان في الخطوط، إذا تخايروا، هكذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وهو ظاهر. اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، ولهذا كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اللهم أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة». فالواجب في كل ولاية، الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدها أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررًا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينًا.

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: وانظر: «سنن أبي داود» (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، الحاكم (٤/ ٩٠) فقد أخرجوه من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ قريب.

كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، أحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه، وضعفه على المسلمين، يُغزى مع القوي الفاجر.

وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**»(١)، وروي: «**بأقوام لا خلاق لهم**»(٢)، فإذا لم يكن فاجرًا، كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين، إذا لم يسد مسده.

ولهذا كان النبي ﷺ يستعمل خالد بن الوليد على الحرب، منذ أسلم، وقال: «**إِنَّ خَالِدًا سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**»(٣). مع أنه أحيانًا كان قد يعمل ما ينكره النبي ﷺ. حتى إنه ـ مرة ـ رفع يده إلى السماء وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَ خَالِدٌ**»(٤) لما أرسله إلى بني جذيمة فقتلهم، وأخذ أموالهم بنوع شبهة، ولم يكن يجوز ذلك، وأنكره عليه بعض من كان معه

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (حديث ٣٠٦٢)، ومسلم (حديث ١١١ص ١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حنينًا فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**» قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِلاَلًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**».

(٢) رواه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٦٠٦) بإسناد فيه ضعف لكنه يصح لشواهده.

(٣) **صحيح لشواهده**: وقد تقدم معناه.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

من الصحابة، حتى وداهم النبي ﷺ وضمن أموالهم، ومع هذا فما زال يقدمه في إمارة الحرب؛ لأنه كان أصلح في هذا الباب من غيره، وفعل ما فعله بنوع تأويل.

وكان أبو ذر رضي الله عنه أصلح منه في الأمانة والصدق، ومع هذا فقد قال النبي ﷺ: «**يا أَبَا ذَرٍّ، إني أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ على اثْنَيْنِ ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيم**» رواه مسلم(١). فنهى أبا ذر عن الإمارة والولاية؛ لأنه رآه ضعيفًا، مع أنهُ قد روي: «**مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصَدَقَ لَهْجَةٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**»(٢).

وأمر النبي ﷺ مرة عمرو بن العاص، في غزوة ذات السلاسل(٣) استعطافًا لأقاربه الذين بعثه إليهم، على من هم أفضل منه. وأمر أسامة بن زيد رضي الله عنه لأجل ثأر أبيه.

ولذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة، مع أنه كان قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان.

وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ما زال يستعمل خالدًا في حرب أهل الردة، وفي فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى، فلم يعزله من أجلها، بل عَتَبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه؛ لأن المتولي الكبير، إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغي أن يكون خلق نائبه

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٢٨٤).

يميل إلى الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة؛ فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين، ليعتدل الأمر.

ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه يؤثر إنابة خالد، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤثر عزل خالد وإنابة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه؛ لأن خالدًا كان شديدًا كعمر بن الخطاب، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر، وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه، ليكون أمره معتدلًا، ويكون بذلك من خلفاء رسول الله ﷺ الذي هو معتدل حتى قال النبي ﷺ: **أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، أَنَا نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ**»[1]، وقال: «**أنا الضَّحوك القَتَّال**»[2]، أمته وسط، قال الله تعالى فيهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ [الفتح: الآية ٢٩] وقال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥٤].

ولهذا لما ولي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما صارا كاملين في الولاية، واعتدل منهما ما كان ينسبان فيه إلى أحد الطرفين في حياة النبي ﷺ، من لين أحدهما وشدة الآخر، حتى قال فيهما النبي ﷺ: «**اِقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»[3]. وظهر من أبي بكر من شجاعة القلب، ففي قتال أهل الردة

---

(١) في «صحيح مسلم» (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء قال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**».
ولفظة: «**نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ**» وفي رواية: «**الْمَلَاحِمِ**» عند أحمد (٤/ ٣٩٥) و(٥/ ٤٠٥)، والترمذي في «الشمائل» (حديث ٣٦٨) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، وهي صحيحة بمجموع طرقها، وانظر: «كنز العمال» (١١/ ٤٦٢، ٤٦٣).

(٢) قوله: «**أنا الضحوك القتال**» لم أقف عليه مسندًا، وقد ذكره ابن تيمية رحمه الله هنا بلا سند، وكذا ذكره ابن كثير رحمه الله بلا سند (٢/ ٤٠٢) عند تفسير قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾ [التوبة: الآية ١٢٣].

(٣) **في إسناده ضعف**: وقد أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، (٣٨٠٥) بأسانيد فيها ضعف.

وغيرهم ما برز به على عمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وإن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قدم الأمين، مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها، وحفظها، فلابد فيه من قوة وأمانة، فيولى عليها شادٍ قوي يستخرجها بقوته، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته، وكذلك في إمارة الحرب، إذا أمر الأمير بمشاورة أولي العلم والدين جمع بين المصلحتين، وهكذا في سائر الولايات إذا لم تتم المصلحة برجل واحد، جمع بين عدد، فلابد من ترجيح الأصلح، أو تعدد المولَّى، إذا لم تقع الكفاية بواحد تام.

ويقدم في ولاية القضاء، الأعلم الأورع الأكفأ، فإن كان أحدهما أعلم، والآخر أورع قدم فيما قد يظهر حكمه ويخاف في الهوى الأورع، وفيما يدق حكمه، ويخاف فيه الاشتباه: الأعلم، ففي الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَيُحِبُّ الْعَقْلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ»**(١).

ويقدمان على الأكفأ، إن كان القاضي مؤيدًا تامًّا، من جهة والي الحرب، أو العامة.

ويُقدم الأكفأ إن كان القضاء يحتاج إلى قوة وإعانة القاضي أكثر من حاجته إلى مزيد العلم والورع؛ فإن القاضي المطلق يحتاج أن يكون عالمًا عادلًا قادرًا، بل وكذلك كل والٍ للمسلمين، فأي صفة من هذه الصفات

---

(١) لم أقف عليه، وقد عزاه بعض أهل العلم إلى أبي نعيم في «الحلية» من حديث عمران بن حصين، وضعف إسناده.

نقصت، ظهر الخلل بسببه، والكفاءة: إما بقهر ورهبة، وإما بإحسان ورغبة، وفي الحقيقة فلابد منها.

وسئل بعض العلماء: إذا لم يوجد من يولى القضاء، إلا عالم فاسق، أو جاهل دين، فأيهما يقدم؟ فقال: إن كان الحاجة إلى الدين أكثر لغلبة الفساد، قدم الدين، وإن كانت الحاجة إلى العلم أكثر لخفاء الحكومات، قدم العالم، وأكثر العلماء يقدمون ذا الدين، فإن الأئمة متفقون على أنه لابد في المتولي أن يكون عدلًا أهلًا للشهادة، واختلفوا في اشتراط العلم: هي يجب أن يكون مجتهدًا، أو يجوز أن يكون مقلدًا، أو الواجب تولية الأمثل فالأمثل كيفما تيسر؟ على ثلاثة أقوال، وبسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة، إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال، حتى يكمل في الناس ما لابد لهم منه، من أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر السعي في وفاء دينه، وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها؛ فإنه لا يجب تحصيلها؛ لأن الوجوب هناك لا يتم إلا بها.

والمهم في هذا الباب معرفة الأصلح، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية، ومعرفة طريق المقصود، فإذا عرفت المقاصد والوسائل تم الأمر، فلهذا لما غلب على أكثر الملوك قصد الدنيا دون الدين، قدموا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد، وكان من يطلب رياسة نفسه، يؤثر تقديم من

يقيم رياسته». انتهى كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ وهل لصاحب العمل أن يستأجر كافرًا[(١)] للعمل عنده؟

الذي يظهر أن ذلك جائز عند الضرورة، إذا كان عندهم قوة على العمل وأمانة فيه، وقد استأجر رسول الله ﷺ رجلًا كافرًا ليدله على الطريق في أثناء هجرته صلوات الله وسلامه عليه:

❐ ففي «الصحيح»[(٢)] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها ذكرت حديث الهجرة وفيه: وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مَنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا. وَالْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

❐ وفي «الصحيح»[(٣)] أيضًا من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا.

❁ ولا تستكبر ولا تستعلِ على من هم تحت يديك، ولا تبغ الفساد في الأرض، فما بك من نعمة فمن الله، والله لا يحب كل مختال فخور.

فلا تحب من الناس أن يتمثلوا لك قيامًا عند دخولك وخروجك.

❐ فإن النبي ﷺ قال: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٤/ ٥١٧): قال ابن بطال: عامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من المذلة لهم.

(٢) البخاري (حديث ٢٢٦٣).

(٣) البخاري (حديث ٢٢٨٥).

النَّارِ»[١].

☐ وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه لما صلوا خلفه قيامًا[٢] وهو جالس: «**إن كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ، يَقُومُونَ على مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ، فلا تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ؛ إن صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا**»[٣].

❁ وإياك أن تتبع المعروف الذي تصنع مع الناس بكلمات تفسده وتذهب بثوابه:

☐ فقد قال الله تعالى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٣-٢٦٤].

☐ وقال النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[٤].

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي) (٤١٣)، وابن أبي شيبة «المصنف» (٨/ ٣٩٨)، وغيرهم من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وإن كان لهذه المسألة، فقه فقد صلى النبي ﷺ في آخر عمره جالسًا والصحابة خلفه قيام.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٤١٣) من حديث جابر رضي الله عنه وفيه: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا فلما سلم قال: . . فذكر الحديث.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

❊ واحذر غاية الحذر من ظلم العباد:

ففي الغالب أن من يتولى أمرًا من الأمور، ويشعر بعدم رقابة أحد من البشر عليه أنه يميل ويجنح إلى إمضاء شهواته ورغباته، وقد يقع في أثناء ذلك بل في كثير من الأحيان ظلم للعباد، فليحذر العبد حينئذ غاية الحذر من الظلم:

❐ وبذلك جاءت وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن فقال له: «**واتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا ليس بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**»[(١)]، فدعوة المظلوم مستجابة فاحذرها.

وفي وصية أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أيضًا:

❐ ففي «صحيح البخاري»[(٢)] من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيًّا عَلَى الْحِمَى فَقَالَ: يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَلى الْمُسْلِمِينَ[(٣)]، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ.

و«**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يوم الْقِيَامَةِ**»[(٤)] كما قال النبي ﷺ.

❐ وقد حرم الله الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرمًا، كما قال ﷻ في الحديث القدسي: «**يَاعِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلىَ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ**

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، ومسلم (ص٥٠ ترتيب محمد فؤاد).

(٢) البخاري (حديث ٣٠٥٩).

(٣) أي: اكفف عن ظلمهم.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُواْ»[(١)].

☐ وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى: الآية ٤٢].

☐ وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧].

❋ واقرأ هذه الآية الكريمة وتدبرها:

☐ قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: الآية ١١٢].

والله ليس بغافل عما يعمل الظالمون:

☐ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

ولا نتحرج من تكرار التذكير بقصة سعد وسعيد رضي الله عنهما.

❋ أما سعد فهذا حديثه:

☐ أخرجه البخاري[(٢)] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تعالى.
(٢) البخاري (حديث ٧٥٥).

أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رِجَالًا - إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

❁ وهذا أيضًا سعيد:

❑ أخرج مسلم[1] من حديث هشام بن عروة عن أبيه: أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ.

❑ وفي رواية لمسلم: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ

(١) مسلم (ص١٢٣١).

قَبْرَهَا فِي دَارِهَا».

قَالَ: فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ: تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَتْ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

❐ وفي «الصحيحين»[١] من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

❐ وعند البخاري ومسلم[٢] من طريق محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه أنه كانت بينه وبين أناس خصومة، فذكر لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت: يا أبا سلمة، اجتنب الأرض؛ فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

❐ ومن حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٣] قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

❁ وهناك قصاص للمظالم يوم القيامة:

❐ أخرج البخاري[٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ من النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كانت بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا، حتى إذا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لهم بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بيده لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ في الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كان في الدُّنْيَا**».

---

(١) البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (ص١٢٣١).
(٢) البخاري (٢٤٣٥)، ومسلم (ص ١٦١٢).
(٣) البخاري (٢٥٥٤).
(٤) البخاري (حديث ٢٤٤٠).

□ وفي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَتَ له مَظْلَمَةٌ لأحد من عِرْضِهِ أو شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه الْيَوْمَ قبل أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إن كان له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لم تكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ من سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه»**.

□ وفي «صحيح مسلم»[٢] قال النبي ﷺ: **«لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»**.

فإياك ثم إياك أن تظلم أجيرًا أو تبخسه حقه أو تمنعه من راتبه.

❁ وأعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه:

□ فبهذا أمر رسول الله ﷺ[٣]، ثم إن الأجير في حاجة إلى طعام وشراب هو وأولاده فكيف تحجب عنه أجره وتمنعه من زاده؟!

ثم إنه ستؤدى المظالم إلى أهلها حتمًا إن عاجلًا أو آجلًا، وكلما تأخرت وأنت قادر على السداد فأنت آثم، وعرضك محل للطعن، قال النبي ﷺ: **«لَيُّ الْوَاجِدِ ظُلْمٌ يُحِلُّ عِرْضَهُ عُقُوبَتَهُ»**[٤].

□ وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ: **«مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»**[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) قد تقدم.

(٣) **صحيح**: له عدة طرق عن رسول الله ﷺ في كل منها مقال، وأمثلها ما رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (حديث ٣٠١٤) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: **«أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»**.

(٤) أخرجه أبو داود (حديث ٣٦٢٨) بإسناد حسن من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه مرفوعًا.

(٥) البخاري (٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

❁ وانظر إلى هذا المستوى الرفيع من مستويات حفظ الحقوق وعدم أكل أجور العمالة:

❐ ففي «الصحيحين» في قصة الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على غارهم صخرة، قال أحدهم متوسلًا بعمله الصالح: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِن أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ**»[1].



(١) البخاري (٣٤٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وقد تقدم.

□ وفي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»**.

ولصاحب الحق مقال كما قال النبي ﷺ[(٢)]، فإذا أخطأت في حق شخص أو نلت منه أو بخسته حقه، فنال منك ووقع في عرضك، فلتصبر عليه ولتتجاوز عنه فإنك أنت المخطئ، فاتجه باللوم لنفسك قبل أن تلوم الناس، وصحح أخطاءك قبل أن تلتمس عفو الناس.

❋ محاسبة العمال وتفقد أحوال الرعية:

وذلك من أجل صلاح العمل وحسن سيره وصلاحه.

وأيضًا ففي محاسبة العمال عون لهم على أنفسهم، ثم إن نصرة الظالم تكون بمنعه من الظلم.

وقد كان الأنبياء يفعلون ذلك:

□ فهذا نبي الله سليمان ﷺ يتفقد أحوال الرعية ويصفُّهم ويرتبهم، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: الآية ١٧].

أي: يرد أولهم إلى آخرهم، فيكونون في صفوف كُلّ في الصف الذي له.

□ ويتفقد الطير فيقول: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ

---

(١) البخاري (٢٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُل يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»**.

مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: ٢٠، ٢١].

❑ فانظر إلى حزمه ﷺ وهو يقول: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: الآية ٢١].

❑ وانظر إلى قوله تعالى - لما أتى الهدهد متأخرًا معتذرًا -: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: الآية ٢٧]، فليست كل الأعذار مقبولة، فهناك حجج واهية ومرفوضة.

❑ وانظر كذلك إلى الحزم في قوله تعالى في شأن الجن: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سَبَإ: الآية ١٢].

❑ وها هو سليمان يتابع العمل بنفسه، ويراقب الجن في عملهم وهم ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سَبَإ: الآية ١٣]، وهو يتابع العمل بنفسه وهو متكئ على عصاه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سَبَإ: الآية ١٤].

فكذلك فليكن صاحب العمل في عمله رحيمًا حازمًا، ينظر متى يؤاخذ العامل ومتى يعفو عنه، ينظر إلى من تغيب عن العمل، هل لتغيبه سبب أو أنه مهمل متهاون في أداء عمله؟ فينزل الرحمة منزلها، وينزل العفو منزله، وينزل المؤاخذة منزلتها، والموفق من وفقه الله.

❑ وذو القرنين يقول الله له: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

❑ فيقول: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

❐ وها هو رسول الله ﷺ يحاسب عماله الذين أرسلهم على بعض البلاد، ففي «الصحيح»(١) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ.

❐ وللحديث سياق آخر مطول أخرجه البخاري ومسلم(٢) وفيه: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: **«فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ** - ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ - **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا»**.

❐ وكان النبي ﷺ يتفقد أحوال أصحابه كذلك ويسأل عن سبب تخلفهم، كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه(٣)، ففيه: أن النبي ﷺ قال وهو جالس في القوم بتبوك: **«مَا فَعَلَ كَعْبٌ»**.

❋ ولا تطع من تحت يديك في كل ما يريدون وتحقق لهم كل ما يهوون:

بل يطاعوا في الحق ويُقرُّوا عليه، ويُخالفوا في الباطل ويستنكر عليهم، وكل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) البخاري (حديث١٥٠٠).

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٣) البخاري (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

❁ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]:

«فليس حسن النية بالرعية والإحسان إليهم، أن يفعل ما يهوونه ويترك ما يكرهونه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: الآية ٧١]، وقال تعالى للصحابة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحُجرات: الآية ٧].

وإنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا، ولو كرهه من كرهه، لكن ينبغي له أن يرفق بهم فيما يكرهونه، ففي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه**»[(٢)] وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»[(٣)].

وكان عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: والله إني لأريد أن أُخرج لهم المُرَّة من الحق، فأخاف أن ينفروا عنها، فأصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيا، فأخرجها معها، فإذا نفروا لهذه، سكنوا لهذه.

وهكذا كان النبي ﷺ، إذا أتاه طالب حاجة، لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول.

وسأله مرة بعض أقاربه، أن يوليه على الصدقات، ويرزقه منها، فقال: «**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»[(٤)]، فمنعهم إياها وعوضهم من

---

(١) «السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية».

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) انظر: «صحيح مسلم» (حديث ١٠٧٢).

الفيء.

وتحاكم إليه علي، وزيد، وجعفر، في ابنة حمزة، فلم يقض بها لواحد منهم، ولكن قضى بها لخالتها، ثم إنه طيب قلب كل واحد منهم بكلمة حسنة، فقال لعلي: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»(١)، وقال لجعفر: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»(٢)، وقال لزيد: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا**»(٣).

فهكذا ينبغي لولي الأمر في قسمه وحكمه، فإن الناس دائمًا يسألون ولي الأمر ما لا يصلح بذله من الولايات، والأموال والمنافع والجود، والشفاعة في الحدود وغير ذلك، فيعوضهم من جهة أخرى، إن أمكن، أو يردهم بميسور من القول، ما لم يحتج إلى الإغلاظ، فإن رد السائل يؤلمه، خصوصًا من يحتاج إلى تأليفه، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ [الضحى: الآية ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾ [الإسراء: الآية ٢٦]، إلى قوله: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء: الآية ٢٨].

وإذا حكم على شخص فإنه قد يتأذى، فإذا طيب نفسه بما يصلح من القول والعمل كان ذلك من تمام السياسة، وهو نظير ما يعطيه الطبيب للمريض من الطيب الذي يسوغ الدواء الكريه، وقد قال الله لموسى عليه السلام لما أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: الآية ٤٤].

□ وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما - لما بعثهما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥١) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

إلى اليمن: «**يَسِّرَا، وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا، وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا، وَلاَ تَخْتَلِفَا**»[(١)].

وبال مرة أعرابي في المسجد فقام أصحابه إليه فقال: «**لا تُزْرِمُوهُ**». أي: لا تقطعوا عليه بوله، ثم أمر بدلو من ماء فصب عليه[(٢)].

❐ وقال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»[(٣)].

والحديثان في «الصحيحين».

وهذا يحتاج إليه الرجل في سياسة نفسه وأهل بيته ورعيته، فإن النفوس لا تقبل الحق إلا بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها، فتكون تلك الحظوظ عبادة لله وطاعة له مع النية الصالحة، ألا ترى أن الأكل والشرب واللباس واجب على الإنسان؟ حتى لو اضطر إلى الميتة وجب عليه الأكل عند عامة العلماء، فإن لم يأكل حتى مات دخل النار، لأن العبادات لا تؤدى إلا بهذا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولهذا كانت نفقة الإنسان على نفسه وأهله مقدمة على غيرها، ففي «السنن» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَصَدَّقُوا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، عِنْدِي دِينَارٌ، فقَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ**»، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ**» قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ**»، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ**» قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «**أَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: وقد تقدم.

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٩١)، وغيره من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن =

☐ وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ على مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ على أَهْلِكَ؛ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الذي أَنْفَقْتَهُ على أَهْلِكَ»**.

☐ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»**.

وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]. أي: الفضل.

وذلك لأن نفقة الرجل على نفسه وأهله فرض عين، بخلاف النفقة في الغزو والمساكين، فإنه في الأصل: إما فرض على الكفاية، وإما مستحب، وإن كان قد يصير متعينًا إذا لم يقم غيره به، فإن إطعام الجائع واجب». انتهى كلام شيخ الإسلام.

ولا تكلف الرعية فوق طاقتهم

☐ فإن الله ﷻ قد قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

☐ وفي «الصحيح»[(٣)] من طريق المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه

= أبي هريرة مرفوعًا، وفي رواية ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة كلام، وقد قال النبي ﷺ لزينب امرأة ابن مسعود: **«زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ عَلَيْهِ»**.

(١) أخرجه مسلم (٩٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٦) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

(٣) البخاري (حديث ٣٠)، و(حديث ٦٠٥٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُم الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**».

❐ وقد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على أصحابه فيلقن بعضهم عند أخذها... فيما استطعت.

بل، ولما أمر النبي ﷺ رجلًا يؤم قومه، قال له: «... **وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ**».

❐ أخرج أبو داود[١] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال: يا رسول الله، اجعلني إمام قومي، قال: «**أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ، واتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا**».

وأخرج عبد بن حميد[٢] في «المنتخب» من حديث عمرو بن حريث رضي الله عنه عن أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْرًا فِي مَوَازِينِكَ**».

❐ وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**»، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**».

---

(١) أبو داود (حديث ٥٣١) بإسناد صحيح.

(٢) «المنتخب» (١/ ٢٥٨) (بتحقيقي).

(٣) البخاري (حديث ٢٥١٨)، ومسلم (حديث ٨٤).

❁ وللراعي أن يختبر الرعية للاطلاع على مدى صبرهم:

□ قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

❁ وله أن يختار منهم الأفضل:

□ قال سليمان عليه السلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠].

❁ وله أن يشترط على من يصحبه شروطًا:

□ قال الخضر لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٠].

❁ مراعاة سوابق الناس في الخير:

فلسبق الناس في الخير اعتبار، فمن كان صالحًا على الدوام وله سابقة في الخير وزلت قدمه في أمر من الأمور، فمثل هذا تقال عثرته وتغفر زلته، وقد قدمنا بابًا في ذلك من قبل، وهذا مزيد:

□ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٤].

فمن ذلك قول النبي ﷺ في شأن الأنصار، وذلك لما لهم من سابقة في الخير:

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❐ وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❐ وقوله ﷺ لعمر في شأن أهل بدر: «... **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(٣)].

❋ واحذر تتبع العورات:

❐ فقد أخرج أبو داود[(٤)] بإسناد صحيح عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّكَ إِنِ تَتَبَّعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**».

لكن إن اشتهر شخص بالشر والفساد فلك أن تتبع الشر والفساد كي تزيله وتمنعه، فإن الله لا يحب الفساد.

❐ وهذا رسول الله ﷺ يتتبع ابن صياد للوقوف على شره والتمكن من

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٠٠).

(٢) البخاري (حديث ٣٨٠١)، ومسلم (حديث ٢٥١٠).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) **إسناده صحيح**: وقد أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

إزالته، ففي «الصحيح»[(١)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ ومعه أبي بن كعب قبل ابن صياد فحدث به في نخل، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وابن صياد في قطيفة له فيها رمرمة، فرأت أم صياد رسول الله ﷺ فقالت: يا صاف هذا محمد، فوثب ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: **«لَوْ تَرَكتِهِ بَيَّنَ»**.

المسئولون والشفاعات

وعلى المسئول أن ينظر في مسألة الشفاعات، وهي توسطات الناس لديه فيقبل المشروع منها ويرفض المحرم.

فقبوله للشفاعات يجبر خواطر الناس، ومن ثَم تسير أعماله في طريقها سيرًا صحيحًا ويجلب له محبة الناس.

❐ وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»[(٢)].

❐ أما الشفاعات المحرمة فترد ولا تقبل، وقد قال النبي ﷺ لأسامة لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ يا أسامة؟»**[(٣)].

---

(١) البخاري (٣٠٣٣)، ومسلم (٢٩٣١).

هذا، وقد أخرج أبو داود (١٣/ ٢٣٤) «عون المعبود» بإسناد صحيح عن زيد بن وهب قال: أتي ابن مسعود، فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرا، فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به.

(٢) البخاري (٦٠٢٨)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. =

❁ واحذر الرشوة، وارفض الهدية إذا كانت رشوة عن الدين:

❐ فها هو سليمان عليه السلام يرد الهدية في حال كونها رشوة عن الدين، قال تعالى في شأن ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٣٥-٣٧].

ثم إن هذه الرشوة تفسد عليك العمل وتعطل عليك المصالح وتوغر ضدك الصدور، فضلًا عما فيها من إهدار لحقوق كثير من العباد، فضلًا عما فيها من سخط الرب تعالى.

وقد تقدم قول الرسول ﷺ لابن اللتبية لما جاء إلى رسول الله ﷺ وكان قد أرسله على الصدقات، فرجع فقال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّكَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يُهْدَى لَكَ**..»[1]!!

❁ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2]:

«ولا يجوز أن يؤخذ من الزاني أو السارق أو الشارب أو قاطع الطريق ونحوهم مال تعطل به الحدود، ولا لبيت المال ولا لغيره، وهذا المال المأخوذ لتعطيل الحد سحت خبيث، وإذا فعل ولي الأمر ذلك، فقد جمع فسادين عظيمين أحدهما: تعطيل الحد، والثاني: أكل السحت، فترك الواجب وفعل المحرم.

= وقد قدمنا بابًا في الشفاعات، فليراجع.

(١) انظر: البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) في كتابه «السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية».

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٦٣] وقال تعالى عن اليهود: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: الآية ٤٢]، لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة التي تسمى البرطيل، وتسمى أحيانًا الهدية وغيرها.

ومتى أكل السحت ولي الأمر، احتاج أن يسمع الكذب من شهادة الزور وغيرها، وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش - الواسطة - الذي يمشي بينهما. رواه أهل السنن[1].

□ وفي «الصحيحين»: أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، فقال صاحبه - وكان أفقه منه -: نعم يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي، فقال: «**قل**»، فقال: إن ابني كان عسيفًا في أهل هذا - يعني أجيرًا - فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، وإني سألت رجالًا من أهل العلم أخبروني أن على ابني

---

(١) أخرج أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (حديث ١٣٣٧)، وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي».
وله شاهد عند الترمذي (١٣٣٦) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، فالحديث صحيح بمجموع طرقه.
وله شاهد ثالث عند أحمد (٥/ ٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا.
ولفظة: (الرائش) عند أحمد (٥/ ٢٧٩) وفي سندها الليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، وثَمَّ أوجه أخرى للضعف فيها، والله أعلم.
قال الخطابي رحمه الله في تعليقه على «سنن أبي داود»: الراشي: المعطي، والمرتشي: الآخذ، وإنما يلحقهما العقوبة معًا إذا استويا في القصد والإرادة، فرشا المعطي لينال به باطلًا ويتوصل به إلى ظلم، فأما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو يدفع عن نفسه ظلمًا فإنه غير داخل في هذا الوعيد.

جلد مائة وتغريب عام، وإن على امرأة هذا الرجم، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْمِائَةُ وَالْخَادِمُ رَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُيَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَاسْأَلْهَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**» فسألها فاعترفت فرجمها(١).

ففي هذا الحديث، أنه لما بُذلَ من المذنب هذا المال، لدفع الحد عنه، أمر النبي ﷺ برد المال إلى صاحبه، وأمر بإقامة الحد، ولم يأخذ المال للمسلمين من المجاهدين والفقراء وغيرهم.

وقد أجمع المسلمون على أن تعطيل الحد بمال يؤخذ أو غيره لا يجوز، وأجمعوا على أن المال المأخوذ من الزاني، والسارق، والشارب، والمحارب، وقاطع الطريق ونحو ذلك لتعطيل الحد: مال سحت خبيث.

وكثير مما يوجد من فساد أمور الناس، إنما هو لتعطيل الحد بمال أو جاه، وهذا من أكبر الأسباب التي هي فساد أهل البوادي والقرى والأمصار من الأعراب، والتركمان، والأكراد، والفلاحين، وأهل الأهواء: كقيس، ويمن، وأهل الحاضرة من رؤساء الناس وأغنيائهم وفقرائهم، وأمراء الناس ومقدميهم وجندهم، وهو سبب سقوط حرمة المتولي، وسقوط قدره من القلوب، وانحلال أمره، فإذا ارتشى وتبرطل على تعطيل حد، ضعفت نفسه أن يقيم حدًّا آخر، وصار من جنس اليهود الملعونين.

وأصل البرطيل هو الحجر المستطيل، سميت به الرشوة، لأنها تُلْقِمُ المرتشي عن التكلم بالحق، كما يلقمه الحجر الطويل، كما جاء في الأثر:

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(إذا دخلت الرشوة من الباب، خرجت الأمانة من الكوة)، وكذلك إذا أخذ مالًا للدولة على ذلك، مثل هذا السحت الذي يسمى: التأديبات.

ألا ترى أن الأعراب المفسدين إذا أخذوا مالًا لبعض الناس، ثم جاؤوا إلى ولي الأمر فقادوا إليه خيلًا يقدمونها له أو غير ذلك، كيف يقوي طمعهم في الفساد، وتنكسر حرمة الولاية والسلطنة، وتفسد الرعية؟ وكذلك الفلاحون وغيرهم، وكذلك شارب الخمر، إذا أُخذ فدفع ببعض ماله، كيف يطمع الخمارون؟ فيرجون إذا أمسكوا أن يفتدوا ببعض أموالهم، فيأخذها ذلك الوالي سحتًا، لا يبارك فيها والفساد قائم.

وكذلك ذوو الجاه، إذا أحْمَوْا أحدًا أن يقام عليه الحد، مثل أن يرتكب بعض الفلاحين جريمة، ثم يأوي إلى قرية نائب السلطان أو أمير، فيحمي على الله ورسوله، فيكون ذلك الذي حماه ممن لعنه الله ورسوله، فقد روى مسلم في صحيحه(١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا**»، فكل من آوى محدثًا من هؤلاء المحدثين، فقد لعنه الله ورسوله.

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «**إن مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ في أمره**»(٢)، فكيف بمن منع الحدود بقدرته ويده، واعتاض

---

(١) عند مسلم (١٩٧٨) من حديث على رضي الله عنه مرفوعًا قال: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**».
وعند مسلم أيضًا (١٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلاَ صَرْفٌ**».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧) من طرق يحيى بن راشد عن ابن عمر مرفوعا، وقد أعل بالوقف كما أشار إليه الحافظ بن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٢/ ٨٧) كتاب الحدود باب =

عن المجرمين بسحت من المال يأخذه؟! لا سيما الحدود على سكان البر، فإن من أعظم فسادهم حماية المعتدين منهم بجاه أو مال، سواء كان المال المأخوذ لبيت المال أو للوالي سرًّا أو علانية، فذلك محرم جميعه بإجماع المسلمين، وهو مثل تضمين الحانات والخمر، فإن من مكن من ذلك، أو أعان أحدًا عليه بمال يأخذه منه، فهو من جنس واحد.

والمال المأخوذ على هذا شبيه بما يؤخذ من مهر البغي، وحلوان الكاهن، وثمن الكلب، وأجرة المتوسط في الحرام الذي يسمى: القواد، قال النبي ﷺ: «**ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَحُلْوَانُ الْكَاهِنِ خَبِيثٌ**» رواه البخاري[(١)].

فمهر البغي الذي يسمى: حدور القحاب، وفي معناه ما يعطاه المخنثون الصبيان من المماليك أو الأحرار على الفجور بهم، وحلوان الكاهن مثل حلاوة المنجم وغيره، على ما يخبر به من الأخبار المبشرة بزعمه، ونحو ذلك.

وولي الأمر إذا ترك إنكار المنكرات، وإقامة الحدود عليها، بمال يأخذه، كان بمنزلة مُقدم الحرامية، الذي يقاسم المحاربين على الأخيذة،

= كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، فقد قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأخرجه ابن أبي شيبة من وجه آخر أصح منه عن ابن عمر موقوفا، ثم أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بعض الشواهد للمرفوع، والشواهد التي أشار إليها هو وغيره فيها ضعف، والله أعلم.

(١) الذي في البخاري (٥٧٦١) وفي مواطن أخر من حديث أبي مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي.
وعند مسلم في المساقاة من حديث رافع ابن خديج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا (١٥٦٨): «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث».

وبمنزلة القواد الذي يأخذ ما يأخذه ليجمع بين اثنين على فاحشة، وكان حاله شبيهًا بحال عجوز السوء امرأة لوط التي كانت تدل الفجار على ضيفه، التي قال الله تعالى فيها: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [هود: الآية ٨١].

فعذب الله عجوز السوء القوادة، بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث، وهذا لأن هذا جميعه أخذ مال للإعانة على الإثم والعدوان، وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، فإذا كان الوالي يُمكِّنُ من المنكر بمال يأخذه، كان قد أتى بضد المقصود، مثل من نصبته ليعينك على عدوك، فأعان عدوك عليك! وبمنزلة من أخذ مالًا ليجاهد به في سبيل الله، فقاتل به المسلمين!

يوضح ذلك: أن صلاح العباد والبلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: الآية ٧١]، وقال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: الآية ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا

ﭐﻟَّﺬِﻳﻦَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: الآية ١٦٥]. اهـ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

❐ ولا تكن دائم التكليف للرعية، ودائم إصدار الأوامر! بل خلل ذلك بإدخالك عليهم ما يسعدهم، وأخبرهم بما يجلب عليهم السعادة والسرور، بكلمات طيبة وبمكافآت مالية، وبترقيات في الدرجات للمجدين والمجتهدين، وخذ بيد الضعفاء منهم لما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

❋ وإذا أرسلت نائبًا عنك إلى قوم فأرسل إليهم من يحبونه:

فإن ذلك أدعى إلى قبول قوله وتنفيذ أمره وإجابة طلبه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ إذ أرسل عثمان إلى أهل مكة عند بيعة الرضوان للتفاوض مع أهل مكة؛ لكون عثمان كان عزيزًا عليهم.

قال ابن عمر رضي الله عنهما[(١)] في بيان سبب تخلف عثمان رضي الله عنه عن بيعة الرضوان: وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**».

❋ وينبغي أن يحرض المسئول على الآخرة ونجاة الرعية من النار:

فهذا أهم من صلاحهم في الدنيا، وقد كان النبي ﷺ يحرص على ذلك.

❐ ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) أخرج ذلك البخاري (حديث ٤٠٦٦).

(٢) البخاري (حديث ١٤٧٨)، ومسلم (حديث ١٥).

مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَوْ مُسْلِمًا**». قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَوْ مُسْلِمًا**». قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَوْ مُسْلِمًا، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**».

❐ وأخرج البخاري[1] من حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بمال - أو سبي - فقسمه، فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين تركوا عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ**»، فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حمر النعم.

❊ ومن الأدب مع الخدم:

❐ أخرج البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ**»[3].

---

(١) البخاري (حديث ٩٢٣).

(٢) البخاري (٢٥٥٧).

(٣) وفي رواية البخاري (٥٤٦٠): «**فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَعِلاَجَهُ**»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: =

وقد أخرج مسلم[١] في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**». فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**» قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ، مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ**» قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدًا.

❊ ولا تضرب الخدم والعمال على الوجوه، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك:

□ ففي الصحيح[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**».

□ وأخرج مسلم[٣] من طريق عُمَيْرٍ مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ قَالَ: أَمَرَنِي مَوْلَايَ أَنْ أُقَدِّدَ لَحْمًا، فَجَاءَنِي مِسْكِينٌ فَأَطْعَمْتُهُ مِنْهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ مَوْلَايَ فَضَرَبَنِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَدَعَاهُ. فَقَالَ: «**لِمَ ضَرَبْتَهُ**»، فَقَالَ يُعْطِي طَعَامِي بِغَيْرِ أَنْ آمُرَهُ، فَقَالَ: «**الأَجْرُ بَيْنَكُمَا**».

❊ وفي باب تأديب الخدم:

احذر الضرب الشديد، واحذر اللطم على الوجوه كما قدمنا.

= «**فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ**» أي: عند الطبخ، و«**وَعِلَاجَهُ**» أي: عند تحصيل آلاته، وقبل وضع القدر على النار، ويؤخذ من هذا في معنى الطباخ حامل الطعام لوجود المعنى فيه، وهو تعلق نفسه به، بل يؤخذ منه الاستحباب في مطلق خدم المرء ممن يعاني ذلك.

(١) مسلم (حديث ١٦٥٩).

(٢) البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢).

(٣) مسلم (حديث ١٠٢٥).

❐ ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: **«اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»**. فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: **«اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»** قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: **«اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ، مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»** قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

❐ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] كذلك من حديث مُعَاوِيَة بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلاَّ خَادِمٌ وَاحِدَةٌ فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ **«أَعْتِقُوهَا»**. قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: **«فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا، فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا»**.

❐ وعند مسلم[(٣)] كذلك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه دعا بغلام له فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا، قال: فأنت عتيق، قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال: ما لي فيه من الأجر ما يزن هذا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ ضَرَبَ غُلامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»**.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (١٦٥٩).

(٢) مسلم (حديث ١٦٥٨).

(٣) مسلم (ص ١٢٧٩).

مضاعفة الثواب أو العقاب حسب القرائن

فعلى حسب أحوال الأشخاص تتنزل الجزاءات، فمن عنده قدرة وذكاء وحصل منه تقصير متعمد في عمله فهذا يعاقب، أما العاجز قليل القدرة ضعيف الحيلة فلا يؤاخذ إلا بقدر طاقته وقدر استطاعته.

وضعيف الهمة إذا أتى يومًا بما ينم عن اجتهاد ونشاط يجازى أكثر من غيره؛ مساعدة له لرفع همته.

❁ **وقد دلت نصوص الشريعة على ما ذكرناه:**

❐ فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(١).

❐ فالزنى له عقوبة، لكنه إذا صدر من شيخ فعقوبته الأخروية عليه أشد، وذلك لأنه يفترض في الشيخ الإعراض عن هذا، والانكفاف عنه لكبر سنه ولمعرفته بسنن الله في الحياة، وسنن الله في العصاة، فمن ثم غلظت العقوبة له.

❐ وكذلك هذا الملك الكذاب ليس هناك ما يدعوه إلى الكذب، فالرعية كلها رعيته، وهو الذي يأمر فيهم وينهى، وليس هناك متسلط عليه، بل هو المتسلط، ومن تحت يده بالنسبة إليه ضعفاء، فإذا كذب، حيث لا داعي للكذب، وغش الضعفاء، ضوعف له حينئذ العذاب وشدد عليه فيه.

❐ وكذلك المستكبر، فالكبر مذموم، ولكن إذا صدر هذا الاستكبار

(١) مسلم (حديث ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

والتعالي على الخلق من رجل فقير يعول أولادًا، فإثمه حينئذ أشد.

☐ومن ذلك قول الله ﷻ في شأن نساء نبيه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣١].

فقد من الله ﷻ عليهن بالزواج من رسول الله ﷺ- وهذه نعمة من أعظم النعم - إذ جعلهن أمهات للمؤمنين، فمن شكرت هذه النعمة وعملت بمقتضى هذا الشكر يؤتها الله أجرها مرتين.

وفي المقابل من لم تشكر هذه النعمة، وتجرأت وأتت بفاحشة مبينة - وحاشاها من ذلك - ضوعف لها العذاب ضعفين.

☐من ذلك مضاعفة أجر الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بالنبي ﷺ كما قال النبي ﷺ **«ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ»** (١).

☐ومن ذلك أيضًا تخفيف العقوبة ـ عقوبة الزنا ـ عن الإماء، فالإماء لسن كالحرائر، فمن عنده أمة لا يجب عليه أن يقسم لها كما يقسم للحرة، بل إن شاء جامعها وإن شاء ترك.

---

(١) الحديث في «الصحيحين» (البخاري ٥٠٨٣)، ومسلم (١٥٤) واللفظ لمسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا.

فلكونهن في هذا الباب لسن كالحرائر، ولاعتبارات أخرى يعلمها الله، خففت عنهن عقوبة الزنا، فقال سبحانه في شأنهن: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النِّساء: الآية ٢٥].

مبدأ الثواب والعقاب والتشجيع والتوبيخ

فأنت في حاجة أيها المسئول إلى إكرام المجد المجتهد في عمله، وإنزال العقوبة بأهل الكسل والإهمال.

□ فهذا نبي الله سليمان ﷺ يقف متكئًا على عصاه يتابع أحوال العمالة والعمال، ولا يفرط ولا يقصر في مسئوليته، قال الله ﷻ في شأن الجان الذين يعملون لسليمان ﵇: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٣-١٤].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سَبَإ: الآية ١٤].

فلم يحمله ملكه على الانغماس في الشهوات والملذات وترك المصالح والأعمال! وقبل هذه الآيات يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سَبَإ: الآية ١٢].

والعقوبات تردع عن ارتكاب الجنايات، ومن ثم شرعت العقوبات، وهذا من الواضح والمعلوم:

□ وقد ذكر الله السارق والسارقة، فقال سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ٣٨].

□ وذكر الله المظاهر من زوجته فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة: الآية ٢].

□ ثم ذكر الله عقوبة هذا المظاهر فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ [المجادلة: الآية ٣]، فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ [المجادلة: الآية ٣] أي: تزجرون به، فمن علم أنه إذا ظاهر من امرأته سيحرر رقبة قيمتها (على سبيل المثال) خمسة آلاف جنيه، سينزجر - إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر - عن الظهار، ومن أيقن أن يده ستقطع إذا سرق انكف بلا شك عن السرقة.

❋ ثم إنك في حاجة إلى إكرام المحسن والمجد والمجتهد، ومكافأة المثيب:

□ فهذا رسولنا ﷺ يشجع أصحابه المجاهدين بأنواع من التشجيع، فيقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ**»(١).

□ ويشجع بكلمات طيبة أيضًا فيقول: «**كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ،**

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣١٤٢)، ومسلم (ص١٣٧٠-١٣٧١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة[١]، قال: فرأيت رجلًا من المشركين قد علا رجلًا من المسلمين[٢]، فاستدرت إليه حتى أتيته =

---

[١] جولة: أي: انهزام وخيفة ذهبوا فيها، وهذا إنما كان في بعض الجيش، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا، والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة، وسيأتي بيانها في مواضعها، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يقال: انهزم النبي ﷺ، ولم يرو أحد قط أنه انهزم بنفسه ﷺ في موطن من المواطن، بل ثبتت الأحاديث الصحيحة بإقدامه وثباته ﷺ في جميع المواطن.
[٢] وقد علا رجلًا من المسلمين: يعني: ظهر عليه وأشرف على قتله، أو صرعه وجلس عليه لقتله.

وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»(١).

❏ ويقول في شأن خالد: «إِنَّ خَالِدًا سَيْف سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ»(٢).

❊ ❊ ❊

= من ورائه، فضربت على حبل عاتقه[١]، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت[٢] ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقال: ما للناس؟ فقلت: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله ﷺ فقال: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ[٣] بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**»[٤] قال: فقمت، فقلت: من يشهد لي[٥]؟ ثم جلست، ثم قال مثل ذلك، فقال: فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال ذلك الثالثة، فقمت فقال رسول الله ﷺ: «**ما لك يا أبا قتادة؟**». فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله، سلب ذلك القتيل عندي، فأرضه من حقه، وقال أبو بكر الصديق: لا ها الله، إذن[٦] لا يعمد[٧] إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله فيعطيك سلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**[٨]، **فأعطه إياه**» فأعطاني.

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٠٧).

(٢) **صحيح**: وقد تقدم.

[١] على حبل عاتقه: هو: ما بين العنق والكتف.

(٢) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شدة كشدة الموت، ويحتمل قاربت الموت.

[٣] له عليه بينة: أي: بينة على قتله، أي: شاهد، ولو واحدًا.

[٤] فله سلبه: هو ما على القتيل ومعه من ثياب وسلاح ومركب وجنيب يقاد بين يديه.

[٥] من يشهد لي: أي: بأني قتلت رجلًا من المشركين، فيكون سلبه لي.

[٦] لا ها الله: لا والله.

[٧] لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ، أي: لا يقصد ﷺ إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل في سبيله، وهو أبو قتادة، بإعطاء سلبه إياك.

[٨] صدق: أي: أبو بكر الصديق.

التثبت من الأخبار

وينبغي أن يتثبت الشخص من الأخبار التي تصله عن إخوانه أهل الإيمان.

فالشائعات تنتشر في أوساط أهل الصلاح، شائعات لا أصل لها ولا أساس، تجد من يروجها، ويتلقاها عنه آخرون بالبث والنشر والإفشاء.

ألا ترى أن خير القرون وأصحاب الرسول ﷺ تفشت في كثير منهم تلكم المقولة الخبيثة والفرية العظيمة، ألا وهي قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الطيبة الطاهرة، ورميها بصفوان بن المعطل السلمي، وكان الذي تولى كبر هذه الفرية: عبد الله بن أبي بن سلول وتلقاها عنه صحابة كان في كثير منهم فضل ولهم سوابق خير في الدفاع عن رسول الله ﷺ: كمسطح بن أثاثة الذي شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وكحسان بن ثابت الذي كان ينافح ويدافع بشعره عن رسول الله ﷺ! وكحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش رضي الله عنهما!

وها هو حديث آخر يوضح كيف أن الصحابيات كن يتحدثن فيما بينهن بأمور لا أصل لها ولا أساس:

❐ فها هي أم حبيبة تعرض على رسول الله ﷺ أختها كي يتزوجها فيتعجب من ذلك رسول الله ﷺ فيقول لها: «**أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكَ؟**». فتقول: لست لك بمخلية (أي: لست لك بتاركة، ولا مفارقة) ولكن أحب من شاركني في خير أختي، فيقول لها النبي ﷺ: «**إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي**» فتقول: فإنا نتحدث يا رسول الله أنك ستنكح زينب ابنة أم سلمة!! فيقول عليه الصلاة والسلام: «**بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟!**». فتقول أم حبيبة: نعم يا رسول الله، فيقول

عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهَا لَوْ لَمْ تكُنْ رَبِيبَة فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ: أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ: ثُوَيْبَةُ**».

❏ وها هو نص الحديث بذلك:

❏ أخرج البخاري[1] من حديث أم حبيبة رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ «**وَتُحِبِّينَ**». فَتَقُولُ: نَعَمْ، لَسْتُ بِمُخْلِيَةٍ وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّ ذَلِكَ لاَ يَحِلُّ لِي**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: «**بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ تكُنْ فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ، وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ**».

فانظر إلى تحدثهن بأحاديث بناء على ظنونهن، أحاديث ليس لها أساس ولا أصل.

وأحيانًا يكون للحديث أساس لكن يتوسع فيه ويزاد عليه ما ليس منه، فإذا رددته إلى أصله تبين لك الصحيح منه من السقيم.

❏ ومن ذلك أن النبي ﷺ آلى من نسائه: (أي أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا) واعتزلهن عليه الصلاة والسلام في مشربة له، فتحدث الناس بذلك، وزادوا فيه أن النبي ﷺ طلق أزواجه، إلى أن جاء عمر رضي الله عنه واستأذن على رسول الله ﷺ وسأله: هل طلقت نساءك يا رسول الله؟ فقال: «**لَا**». فكبر عمر، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

---

(١) البخاري (حديث ٥١٠٧).

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: الآية ٨٣].

وها هو الحديث بذلك[١]:

□ أخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِي اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ: لأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ؟ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ[٢]. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لاَ يُحِبُّكِ وَلَوْلاَ أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ. فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ[٣] فِي الْمَشْرُبَةِ[٤] فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ[٥] الْمَشْرُبَةِ مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ[٦] عَلَى نَقِيرٍ[٧] مِنْ خَشَبٍ، وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٧٩).

(٢) عليك بعيبتك: المراد عليك بوعظ ابنتك حفصة، قال أهل اللغة: العيبة، في كلام العرب، وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته بها.

(٣) خزانته: الخزانة مكان الخزن، كالمخزن، وما يخزن فيه يسمى خزينة.

(٤) المشربة: قال في «المصباح»: بفتح الميم والراء الموضع الذي يشرب منه الناس، وبضم الراء وفتحها الغرفة.

(٥) أسكفة: هي عتبة الباب السفلى.

(٦) مدل رجليه: أي مرسلهما.

(٧) نقير: أي على شيء من خشب نقر وسطه حتى يكون كالدرجة، قال النووي: هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ، وذكر القاضي أنه بالفاء بدل النون وهو فقير =

وَيَنْحَدِرُ، فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحُ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا. وَرَفَعْتُ صَوْتِي فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنِ ارْقَهْ[(١)] فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا[(٢)] فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ[(٣)] مُعَلَّقٌ قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ[(٤)] قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟! فَقَالَ: «**يَا بْنَ الْخَطَّابِ، أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا**». قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ

= بمعنى مفقور، مأخوذ من فقار الظهر، وهو جذع فيه درج.

(١)أن ارقه: أي أشار إلي رباح بالصعود إلى المشربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم، ف (أن) تفسيرية، و(ارقه) أمر من الرقي، والهاء في آخره للسكت، وفي الكلام حذف تقديره: فرقيت فدخلت.

(٢)قرظًا: القرظ ورق السَّلَم يدبغ به.

(٣)أفيق: هو الجلد الذي لم يتم دباغه، وجمعه أفق، كأديم وأدم، وقد أفق أديمه يأفقه.

(٤)فابتدرت عيناي: أي: لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي.

وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ. وَأَحْمَدُ اللَّهَ. بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم: الآية ٥].

□ وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِي ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ «**لاَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ**». فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ(١) عَنْ وَجْهِهِ وَحَتَّى كَشَرَ(٢) فَضَحِكَ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا ثُمَّ نَزَلَ نَبِي اللَّهِ ﷺ وَنَزَلْتُ فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ(٣) بِالْجِذْعِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، قَالَ «**إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ**». فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ.

ونزلت هذه الآية: ﴿**وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾**﴾ [النساء: الآية ٨٣]، فكنت أنا

---

(١) تحسر الغضب: أي: زال وانكشف.

(٢) كشر: أي: أبدى أسنانه تبسمًا، ويقال: أيضًا في الغضب.

وقال ابن السكيت: كشر وبسم وابتسم وافترّ، كله بمعنى واحد، فإن زاد قيل: قهقه وزهزق وكركر.

(٣) أتشبث: أي مستمسكًا بذلك الجذع، الذي هو كالسلم للغرفة، قاله النووي.

استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله ﷻ آية التخيير. اهـ.

فالشائعات والأراجيف تنتشر في أوساط الناس بصورة سريعة بل في غاية السرعة انتشار النار في الهشيم.

ومن ثَمَّ استعملها أهل النفاق للنيل من المؤمنين ولتفتيت وحدتهم وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم، ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٦٠].

❁ وجاءت نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة تحث على الظن الحسن بالمؤمنين وتأمر بالتثبت من الأخبار بشأنهم:

□ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: الآية ٦][1].

---

(١) **قلت**: وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: الآية ٦]، آثار، في أسانيد كل منها مقال، والبعض يحتج بها بمجموع طرقها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **«التفسير القيم»**:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: الآية ٦] نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق - بعد الوقعة - مصدقًا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان: أنهم يريدون قتله، فهابهم، ورجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلي، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَمَّ أَنْ يَغْزُوَهُمْ فَبَلَغَ الْقَوْمَ رُجُوعُهُ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْنَا بِرَسُولِكَ، فَخَرَجْنَا نَتَلَقَّاهُ وَنُكْرِمُهُ وَنُؤَدِّي إِلَيْهِ مَا قَبِلْنَاهُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ، فَبَدَا لَنَا فَخَشِينَا أَنَّهُ إِنَّمَا رَدَّهُ مِنَ الطَّرِيقِ كِتَابٌ جَاءَهُ مِنْكَ لِغَضَبٍ غَضِبْتَهُ عَلَيْنَا =

□ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: الآية ٩٤].

□ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٢].

□ وقال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: الآية ١٢].

□ وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا

= وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَاتَّهَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَيْهِمْ خُفْيَةً فِي عَسْكَرٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُخْفِيَ عَلَيْهِمْ قُدُومَ قَوْمِهِ، وَقَالَ لَهُ: «**انْظُرْ فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِهِمْ فَخُذْ مِنْهُمْ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَرَ ذَلِكَ فَاسْتَعْمِلْ فِيهِمْ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكُفَّارِ**». فَفَعَلَ ذَلِكَ خَالِدٌ، وَوَافَاهُمْ فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَذَانَ صَلَاتَيِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَأَخَذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ وَلَمْ يَرَ مِنْهُمْ إِلَّا الطَّاعَةَ وَالْخَيْرَ، فَانْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَنَزَلَت الآيَة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: الآية ٦].

النبأ: هو الخبر الغائب عن المخبر، إذا كان له شأن.

والتبين: طلب بيان حقيقته، والإحاطة بها علمًا.

وها هنا فائدة لطيفة: وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة! وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه، عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر، فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته.

وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري، وفسقه من جهات أخر، فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته، ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة، ولا سيما من فسقه من جهة الكذب: فإن كثر منه وتكرر بحيث يغلب كذبه على صدقه فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته، وإن ندر منه مرة أو مرتين ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمه الله.

وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٣- ١٧].

❑ وقال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»(١).

وكثير من الناس لا يتعمدون الكذب ولكنهم ينقلون الأحداث بالمعاني، وينقلون ألفاظًا بمعانيها التي استقرت في أذهانهم، فيخطئون في النقل ويتحرف معهم الكلم عن مواضعه، فينبغي أن ينظر الشخص أيضًا في أحوال النقلة من هذا الجانب، جانب ضبط الأحداث وإتقان النقل.

وهذا يحدث كثيرًا حتى في بعض النقلة الذين ينقلون حديث رسول الله ﷺ بالمعنى، فضلًا عن عوام الناس، فمثلًا حديث: «**النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاث: الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ**»، والصحيح في لفظه: «**الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ**»(٢)، بلفظ «**المسلمون**» بدلًا من «**الناس**» ولا شك أن المعنى يختلف.

وكذلك حديث: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»(٣) رجح كثير من أهل العلم(٤) أن الصواب فيه: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ**

(١) البخاري (حديث ٥١٤٣)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وانظر التفصيل في هذا في «إرواء الغليل» (١٥٥٢) فقد استفاض في إيضاح ذلك هناك الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، وكذلك فتخريج الحديث هناك.

(٣) الحديث بلفظ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» عند البخاري في صحيحه (٥٧٢٧).

(٤) انظر شيئًا من هذا في كتاب «التتبع» (ص١٢٦) للدارقطني رحمه الله.

بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»[١] والفرق بين اللفظين واضح.

فإذا كان هذا يقع في حديث رسول الله ﷺ، فمن باب أولى أن يقع في أحاديث الناس ونقولات الناس.

ما حملك على ما صنعت؟!

كلمة ينبغي أن تكون شعارًا يرفعه المؤمن إذا فعل أخوه المؤمن شيئًا مشينًا أو إذا كان قاضيًا يقضي بين العباد!!

وهي كلمة قالها الرسول ﷺ لحاطب لما أرسل رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمر رسول الله ﷺ[٢].

❏ وقد ذكر بعض العلماء أن سبب قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: الآية ٢٤]، وهو أن داود عليه السلام قضى للخصم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر.

❏ قال تعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [ص: ٢١-٢٤].

وإذا جاءك شخص صالح بخبر فهل لك أن تتثبت؟ أم تقبله فورًا؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٨٢)، ومسلم (حديث ٧٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) قصة حاطب قد تقدمت.

الظاهر - والله أعلم - أننا في الأصل نقبله لصلاح هذا الرجل وعدالته، أما إذا كان الخبر مستغربًا، أو كان الرجل قد انفرد بالخبر عن الناس، أو أن الخبر يعارض أشياء ثوابت عندك مدعمة بأدلتها، أو كان الرجل بينه وبين قوم شحناء ونقل خبرًا عنهم، أو إذا كان هذا الصالح متسرعًا في تلقي الأخبار ونشرها، إلى غير ذلك من الأسباب، فلك حينئذ أن تتثبت وأن تطلب المزيد من القرائن والأدلة، فقد يكون هذا الرجل الصالح هو في نفسه، مغفلًا في نقل الأخبار وغير ضابط لها، وقد يكون نقل خبره عن رجل غير موثوق فيه، وقد يكون حمله ما يحمل البشر على تحريف الخبر أو نقله بالمعنى وأضر بالنقل لما نقله بالمعنى إلى غير ذلك من الأسباب الداعية إلى التثبت، وعلى ذلك بعض الأدلة:

فرسول الله ﷺ لما صلى الظهر ركعتين وقام رجل يقول له: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟**» وفي رواية أخرى: «**أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟**» وفي رواية ثالثة: «**أَحَقٌّ مَا يَقُولُ؟**». وها هو الحديث بذلك:

□ أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي[(٢)] إما الظهر وإما العصر، فسلم في ركعتين، ثم أتى جذعًا في قبلة المسجد فاستند إليه مغضبًا، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يتكلما، وخرج سرعان الناس قُصرت الصلاة، فقام ذو اليدين[(٣)] فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ

(١) البخاري (حديث ١٢٢٧)، ومسلم (حديث ٥٧٣).

(٢) العشي: قال الأزهري: العشي عند العرب ما بين زوال الشمس وغروبها.

(٣) ذو اليدين: هو رجل كان في يديه طول.

يمينًا وشمالًا فقال: «**مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟**» قالوا: صدق، لم تصل إلا ركعتين، فصلى ركعتين وسلم ثم كبر ثم سجد ثم كبر فرفع ثم كبر وسجد ثم كبر ورفع، قال: وأُخبرت عن عمران بن حصين أنه قال: وسلَّم.

قال ذو اليدين: بل وقد حدث شيء من ذلك يا رسول الله، فلما رأى النبي ﷺ إصرار ذي اليدين على مقولته، قال لأصحابه: «**أَحقًّا مَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟!!**».

❐ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ذكره أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخبر النبي ﷺ في الاستئذان: «**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ**»، قال لأبي موسى: لتأتيني على هذا ببينة أو لأوجعتك ضربًا[١] حتى ذهب أبو موسى وأتى بمن يشهد له.

❐ورسولنا ﷺ أيضًا لما بلغه عن الأنصار خبر يوم حنين جمعهم وسألهم عن الخبر الذي نقل عنهم.

وثَمَّ جملة وقائع في هذا الباب تفيد ما ذكرناه من أنه قد يكون هناك ما يدعو إلى التثبت من خبر الرجل الصالح أيضًا، إن احتاج الأمر إلى ذلك.

وليس هذا من باب رد خبر الواحد، فخبر الواحد العدل الضابط مقبول بشروطه المعروفة في كتب المصطلح.



---

(١) **صحيح**: وقد تقدم.

احذر الغضب

فإنه مذموم، وهو من الشيطان:

❐ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢].

قال بعض أهل العلم في تفسيرها: وإما يغضبنك من الشيطان غضب.

❐ وفي الصحيحين[١] من حديث سليمان بن صرد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فذكر الحديث.

❐ وفي «مسند الإمام أحمد» عن النبي ﷺ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»[٢] ولذلك جاءت وصية النبي ﷺ بترك الغضب والابتعاد عنه.

❐ ففي الصحيح[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ

---

(١) البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم واللفظ له (حديث ٢٦٠١).

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٦) من حديث عطية السعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا، وإسناده ضعيف.

(٣) البخاري (حديث ٦١١٦).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ **«فتح الباري» (١٠/ ٥٢٠):**

وقال بعض العلماء: خلق الله الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم؛ =

أَوْصِنِي، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**».

❑ وفي «مسند الإمام أحمد»(١) بإسناد صحيح عن الأحنف بن قيس عن عم يقال له: جارية بن قدامة السعدي أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ**»، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لاَ تَغْضَبْ**».

❑ وأخرج الإمام أحمد في مسنده(٢) بسند صحيح عن رجل من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**». قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا

= لأن البشرة تحكي لون ما وراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فيصفر اللون حزنًا، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن، كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب واستحالة الخلقة، حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر؛ لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أولى شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد، وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضًا في الفعل بالضرب أو القتل وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه ويلطم خده وربما سقط صريعًا وربما أغمي عليه، وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «**لاَ تَغْضَبْ**». من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء مفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني.

(١) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧٣).

الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

❑ وقال النبي ﷺ[(١)]: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[(٢)] إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**».

فجاهد نفسك يا عبد الله في كظم غيظك، فإن الله أثنى على الكاظمين الغيظ، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣٤].

فتجرع جرعات من الغيظ وتناولها تناولًا تكون سببًا في شفائك بإذن الله، وسببًا في ادخار الأجر والثواب لك بإذن الله.

❑ وقد قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٦-٣٧].

والغضب وإن كان مذمومًا في الجملة إلا أن منه الغضب المحمود وهو الغضب إذا انتهكت حرمات الله، فلا يلام من غضب لانتهاك حرمات الله، بل هو غضب محمود كما أسلفنا، وقد غضب النبي ﷺ في جملة مواطن نذكر منها ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) الصرعة: بضم الصاد المهملة وفتح الراء الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته.

والمعنى أنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعًا، بل من يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول (قاله النووي).

❐ أخرج البخاري(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال ما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**».

❐ وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: «**لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟**» فَذَكَرَهُ فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ....**» الحديث.

❐ وفي صحيح مسلم(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: هجَّرْتُ(٤) إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلاَفِهِمْ فِي الْكِتَابِ**».

❐ وكذلك غضب نبي الله موسى عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ...**﴾ [الأعراف: الآية ١٥٠].

(١) البخاري (حديث ٢٠).
(٢) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (حديث ٢٣٧٣).
(٣) مسلم (حديث ٢٦٦٦).
(٤) هجرت: أي: بكرت.

❐ وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ...﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقد غضب الصحابة في جملة مواطن[١] وكذلك التابعون وأتباعهم، فلا يذم الغضبان إذا كان غضبه لله وفي حق، والله أعلم.

❋ ولا تصدر قرارًا وقت غضبك ولا وقت تعبك ولا إرهاقك:

وكما أسلفنا، فإن الغضب من الشيطان، فعليه لا ينبغي أن يصدر الشخص قرارًا في وقت غضب، فإنه في الغالب قرار يحضره الشيطان.

❐ وقد ورد في حديث: «**إِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ**»[٢].

❐ والغضب فضلًا عن كونه من الشيطان، فإنه يحدث نوعًا من الإغلاق على العقل، فيمنع العقل من التصرف الصحيح الرشيد، ومن ثم رأى عدد من أهل العلم أن طلاق الغضبان غضبًا شديدًا لا يقع، واستدل بعضهم بحديث: «**لاَ طَلاَقَ وَلاَ عَتَاقَ فِي غَلاَقٍ**»[٣].

وإن كان الحديث فيه كلام، والإغلاق أيضًا قد فسره كثير من العلماء

---

(١) راجعها في كتاب «المنتخب من فقه الغضب» لأخينا في الله أحمد العيسوي حفظه الله وشفاه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٣-٣٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص٣٧٩)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، لكن ذكر له الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ شاهدًا عزاه لابن شاهين في «الفوائد»، وحكم على إسناده بالحسن.

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٩٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا، وفي إسناده ضعف، وقد تكلمت عليه في كتابي «جامع أحكام النساء».

بالإكراه، إلا أن آخرين فسروه بما يغلق على العقل ويمنعه من التصرف الذي يتصرفه في أحواله الطبيعية المعتادة، وجعلوا من ذلك الغضب الشديد.

❑ واستدلوا أيضًا بأن موسى ﷺ ألقى الألواح، وهي بمنزلة المصحف لما غضب على قومه غضبًا شديدًا لعبادتهم العجل، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ...﴾ [الأعراف: الآية ١٥٠].

ومع ذلك كله لم يعاتبه ربه.

فكما أسلفنا فإن الشخص إذا أصدر قرارًا وقت الغضب، فإنه يصدره ويقرره في وقت يحضر الشيطان، ويصدره أيضًا في وقت العقل ليس مستجمعًا لقواه منه، فحينئذ يصدر القرار طائشًا بعيدًا عن الحق والصواب في كثير من الأحوال.

ولذلك قال النبي ﷺ: **«لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهْوَ غَضْبَانُ»**(١).

---

(١) البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله **«فتح الباري» (١٣/ ١٣٧)**:

قال المهلب: سبب هذا النهي أن الحكم حالة الغضب قد يتجاوز بالحاكم إلى غير الحق فمنع، وبذلك قال فقهاء الأمصار، وقال ابن دقيق العيد: فيه النهي عن الحكم حالة الغضب لما يحصل بسببه من التغير الذي يختل به النظر، فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه.

قال: وعداه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به تغير الفكر كالجوع والعطش المفرطين وغلبة النعاس وسائر ما يتعلق به القلب تعلقا يشغله عن استيفاء النظر، وهو قياس مظنة على مظنة وكأن الحكمة في الاقتصار على ذكر الغضب لاستيلائه على النفس وصعوبة مقاومته بخلاف غيره، وقد أخرج البيهقي بسند ضعيف عن أبي سعيد رفعه، لا يقضي =

وانظر إلى هذا المعني في حديث سلمان مع حذيفة ﵄ ودقق النظرْ فيه:

❐ أخرج أبو داود(١) في «سننه» من طريق عمرو بن أبي قرة قال: كان حذيفة بالمدائن، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة، فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة، فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان فما صدقك، ولا كذبك، فأتى حذيفة سلمان وهو في مبقلة(٢) فقال: يا سلمان، ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ فقال سلمان: إن رسول الله ﷺ كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه، ويرضى فيقول في الرضا لناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورِّث رجالا حب رجال ورجالًا بغض رجال، وحتى توقع اختلافا وفرقة؟ ولقد علمت أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي - فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ - فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلاَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». والله لتنتهينَّ أو لأكتبن إلى عمر.

قال النووي ﵀(٣): ويلتحق بالغضب كل حال يخرج الحاكم فيها عن

= القاضي إلا وهو شبعان ريان». وقول الشيخ وهو قياس مظنة على مظنة صحيح وهو استنباط معنى دل عليه النص، فإنه لما نهى عن الحكم حالة الغضب، فهم منه أن الحكم لا يكون إلا في حالة استقامة الفكر، فكانت علة النهي المعنى المشترك وهو تغير الفكر، والوصف بالغضب يسمى علة بمعنى أنه مشتمل عليه فألحق به ما في معناه كالجائع، قال الشافعي في «الأم»: أكره للحاكم أن يحكم وهو جائع أو تعب أو مشغول القلب، فإن ذلك يغير القلب.

(١) أبو داود (حديث ٤٦٥٩).

(٢) المبقلة: هي مزرعة البقول.

(٣) «شرح مسلم» كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان.

سداد النظر واستقامة الحال كالشبع المفرط والجوع المقلق والهم والفرح البالغ ومدافعة الحدث وتعلق القلب بأمر ونحو ذلك، وكل هذه الأحوال يكره له القضاء فيها خوفًا من الغلط.

قلت (القائل مصطفى): وعلى ذلك فعلى الشخص إذا كان يريد إبرام أمر من الأمور وإصدار قرار من القرارات والبت في مسألة من المسائل أن يتريث ولا ينفعل عند إصدار القرار، بل يتأنى ويصبر ويراجع نفسه ويستخير الله ﷻ، ثم يستشير أهل الخبرة والاختصاص، ثم يتوكل على الله ويصدر القرار الذي وفق إليه في وقت من الهدوء التام، وحينئذ يكون القرار موفقًا في أغلب الأحوال بتوفيق الله، ولا يصاحبه الندم، بل يصاحبه الرضا بقضاء الله ما دمت قد استخرت الله فيه وأخذت بالأسباب واستشرت المخلوقين.

وليس الغضب فحسب، كما أسلفنا، بل كما أشرنا كل حالة تخرج صاحبها عن حد الاعتدال كأن يكون الشخص متعبًا مُرْهَقًا مثلًا، فلا ينبغي أن يعطي وعودًا وعهودًا ويجيب عن أسئلة ويقضي أقضية وقت تعبه وإرهاقه، ونسوق هنا واقعة حدثت لما بلغ النبي ﷺ مقتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة ﭫ:

❑ أخرج البخاري[(١)] من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: لَمَّا جَاءَ قَتْلُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَجَعْفَرٍ وعبد الله بْنِ رَوَاحَةَ جَلَسَ النبي ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ. وَأَنَا أَطلع مَنْ شَقِّ الْبَابِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ. وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: قَدْ نَهَيْتَهُن، وَذَكر أَنَّهُ لَمْ يُطِعْنَهُ، فَأَمَرَهُ الثَّانِيَةَ أَنْ يَنْهَاهُنَّ فَذَهَبَ الرَجُلُ ثُمَّ أَتَى

---

(١) البخاري (١٣٠٥).

فَقَالَ: والله لَقَدْ غَلَبنني. أَوْ غَلَبْنَنَا. فَزَعَمْتُ أَنْ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ**». فَقُلْتُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَكَ، فَوَ الله مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، ومَا تَرَكْتُ رَسُولَ الله ﷺ مِنَ العَنَاء.

فها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الفاضلة الفقيهة، لما رأت قرار رسول الله ﷺ: «**فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ**». صدر منه في وقت تعب وإرهاق، قامت ومنعت الذاهب أن يذهب إلى النساء وأقرها رسول الله ﷺ، فلم ينهها عليه الصلاة والسلام.

وكذلك الشخص إذا كان مسافرًا، فقد يعتريه التعب والإرهاق في بعض أوقات سفره، «**فالسفر قطعة من العذاب**»[1] كما قال رسول الله ﷺ، وقد تعتريه أمور أخر وهو خارج بلاده، فلا يستطيع أن يضبط القرار في كثير من الأحيان كما يضبطه في بلده، فالأولى له حينئذ، إذا كان بوسعه تأخير القرار أن يؤخر إصدار القرار إلى أن يرجع إلى بلاده.

وها هنا نسوق واقعة حدثت وأراد عمر رضي الله عنه أن يتكلم فيها في أثناء سفره، فانظر إلى الواقعة وإلى إشارة الصحابة لعمر رضي الله عنه:

❑ أخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أقرئ رجالًا من المهاجرين منهم: عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلًا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر

---

(١) البخاري (٣٠٠١)، ومسلم (١٩٢٧).

(٢) البخاري (٦٨٣٠).

إلا فلتة فتمت.

فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم.

قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وألا يعوها، وألا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلتُ الرَّواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلًا قلت لسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر علي وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله!

فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

أما بعد: فإن قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن

خشي ألا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي:

إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: ألا ترغبون عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم - أو: إن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم - ألا ثم إن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**».

ثم إنه قد بلغني أن قائلًا منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلانًا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.

وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا

معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم ألا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلًا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم - معشر المهاجرين - رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر - وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي ولا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوَّل إلي نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

قال عمر: والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلًا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادًا! فمن بايع رجلًا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يُقتلا.

قول النبي ﷺ: «لا تسأل الإمارة»

❐ وفي الصحيحين[1] من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ»**.

❐ وفي الصحيح[2] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ»**.

* * *

---

(١) البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) البخاري (٧١٤٨).

وقد يسوغ للشخص أن يسألها، ومحل ذلك إذا كان حاله كيوسف الصديق في زمانه، فقد قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: الآية ٥٥].

وفقه ذلك: إذا وجد أن الفساد سينتشر ويدب.

قول النبي ﷺ «إنا لا نولي هذا من سأله»

❐ وفي الصحيحين[١] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: «**إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ**».

❊ وثم أبواب أخر يحتاج إليها كل راع وكل مسئول، قد قدمنا ذكرها:

❐ فمن ذلك: تقوى الله ﷻ، وسؤاله صلاح الرعية والتوفيق والسداد في معاملتها.

❐ ومن ذلك: مراعاة أحوال الرعية ومعرفة طبائعها ومعرفة قدراتها.

❐ ومن ذلك: إنزال الناس منازلهم ومعرفة أقدارهم.

❐ ومن ذلك: مداراة من في خلقه شيء.

❐ ومن ذلك: إقالة العثرات خاصة عثرات من اشتهروا بالصلاح.

❐ ومن ذلك: جبر الخواطر وتطييبها.

❐ ومن ذلك: الحرص على الإصلاح بين الرعية وعدم إثارة الفتن والقلائل بينهم.

❐ ومن ذلك: التخلق بجميل الأخلاق واتقاء الفحش والتفحش والسيئ من الأخلاق، وثم أبواب أخر، وكما ذكرت فهذه أبواب قد طرقتها فيما سبق ثم إن المعصوم من عصمه الله تبارك وتعالى.

---

(١) البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

دعاء الله بالتأليف بين الرعية

❁ **وعليه أن يدعو الله بالتأليف بينه وبين الرعية، وبين الرعية أنفسهم كذلك:**

□ فهذا أمر مرده ومرجعه إلى الله، لا يملكه إلا هو، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

والصلح خير

□ على المسئول أن يصلح بين رعيته ويؤلف بينهم ويوفق قدر جهده واستطاعته، فالمصلحون بين الناس يؤتيهم الله أجرًا عظيمًا، نعم، والصلح خير، كما قال الله تبارك وتعالى.

وإن كانت الآية الكريمة: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٨](١)، نزلت في سبب مخصوص، لكن العبرة بعموم. .

---

(١) أما سبب نزول الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: الآية ١٢٨]، فها هو سبب نزولها، وها هي بعض أقوال العلماء فيها:

أما سبب نزولها: فقد أخرج البخاري (٥٢٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا. . .﴾ قالت: وهي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها، فتقول له: أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حل من النفقة عليَّ والقسمة لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٨] وها هي بعض أقوال أهل العلم:

أورد ابن جرير الطبري رحمه الله جملة آثار تشهد لهذا المعنى الوارد عن عائشة رضي الله عنها، وقال =

. . . .

= هناك (٩/ ٢٦٧): يعني بذلك جل ثناؤه: وإن خافت امرأة من بعلها يقول: علمت من زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ يعني: استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعًا بها عنها، إما لبغضه، وإما لكراهة منه بعض أسبابها: إما دمامتها، وإما سنها وكبرها أو غير ذلك من أمورها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يعني: انصرافًا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ وهو أن تترك له يومها، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه لذلك وتستديم المقام في حباله والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ يعني: والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتمسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق.
أما قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ فالذي اختاره ابن جرير أن المعنى به هو: أحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة.
ثم قال: و﴿الشُّحَّ﴾ الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها، فتأويل الكلام: وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن، والشح بذلك على ضرائرهن، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ فإنه يعني: وإن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم، إذا كرهتم منهم دمامة أو خلقا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وتتقوا الله فيهن بترك الجور منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم من القسمة له، والنفقة والعشرة بالمعروف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول: فإن الله كان بما تعملون في أمور نسائكم أيها الرجال من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف، والجور عليهن فيما يلزمكم لهن ويجب ﴿خَبِيرًا﴾ يعني عالمًا خابرًا، لا يخفى عليه منه شيء، بل هو به عالم، وله محصٍ عليكم حتى يوفيكم جزاء ذلك، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.
أما ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: فإذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها، فلا حرج عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: من الفراق، وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: الصلح عند المشاحة خير من الفراق، وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ جملة آثار ثم قال: ولا أعلم في ذلك خلافًا أن المراد بهذه الآية هذا، والله أعلم. =

الألفاظ كما هو معلوم.

إذن فالصلح خير كما قال ربنا سبحانه.

خير من الفتن والمشاكل والقلاقل!

خير من الضغائن والعداوات والأحقاد!

خير من القطيعة والبغي والتدابر والتلاعن!

خير من الطلاق وخير من الفراق وخير من الشقاق!

❋ والتدابر والتباغض والتحاسد والتهاجر والتقاطع والشحناء، كل ذلك مذموم وممقوت:

❑ ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**[(٢)] **فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ**

= ثم قال رحمه الله: وقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وإن تتجشموا مشقة الصبر على ما تكرهون منهن وتقسموا لهن أسوة أمثالهن فإن الله عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

وأورد القرطبي رحمه الله نحوًا مما تقدم وقال: قال علماؤنا: وفي هذا أن أنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة بأن يعطي الزوج على أن تصبر هي، أو تعطي هي على أن يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء، فهذا كله مباح.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ إخبار بأن الشح في كل أحد، وأن الإنسان لا بد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره، يقال: شح يشح (بكسر الشين) قال ابن جبير: هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها أيامها، وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها، وقال ابن عطية: وهذا أحسن، فإن الغالب على المرأة الشح بنصيبها من زوجها، والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة.

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث٢٥٦٣).

(٢) إياكم والظن: المراد النهي عن ظن السوء، قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه، دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك، ومراد الخطابي أن المحرم في الظن ما =

تَجَسَّسُوا(١)**، ولا تَنَافَسوا**(٢)**، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَباغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا**(٣)**، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»**(٤).

□ وفيهما(٥) أيضًا من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث»**.

□ وفيهما(٦) أيضًا من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ يَحِلُّ لِمسلم أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»**.

□ وفي «صحيح مسلم»(٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ

= يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به.

(١) ولا تحسسوا ولا تجسسوا: قال العلماء: التحسس: الاستماع لحديث القوم، والتجسس: البحث عن العورات، وقيل: هو التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

(٢) ولا تنافسوا: المنافسة والتنافس معناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به، ونافسته منافسة، إذا رغبت فيما رغب فيه، وقيل: معنى الحديث: التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها.

(٣) التدابر: المعاداة لأن كل واحد منهما يولي صاحبه دبره.

(٤) وكونوا عباد الله إخوانًا: أي كونوا يا عباد الله إخوانًا أي: تعاشروا وتعاملوا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير، ونحو ذلك، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال، قاله النووي.

وفي بعض الروايات: «ولا تهجَّروا» أي: لا تقولوا القول المهجور وهو القول القبيح.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩).

(٦) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

(٧) مسلم (حديث ٢٥٦٥).

قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ[١] فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ[٢] حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

آيات تحث على الصلح وترغب فيه

❑ ومن ثَمَّ تضافرت النصوص التي تحث على الصلح وترغب فيه وتبين عظيم أجر المصلحين:

❑ قال الله ﷻ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

❑ وقال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: الآية ١].

❑ وقال سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء: الآية ١١٤].

* * *

---

(١) شحناء: أي: عداوة وبغضاء.

(٢) أنظروا هذين: أي: أخروهما.

سعي النبي ﷺ في الإصلاح

❋ **وكان النبي ﷺ يسعى للإصلاح بين الناس جاهدًا في ذلك:**

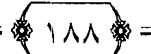
❏ ففي الصحيح[(١)] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن ناسًا من بني عمرو ابن عوف كان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم، فحضرت الصلاة ولم يأت النبي ﷺ، فأذن بلال بالصلاة ولم يأت النبي ﷺ، فجاء إلى أبي بكر فقال: إن النبي ﷺ حبس وقد حضرت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس... الحديث.

❏ وفي «صحيح البخاري»[(٢)] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحِ بَيْنَهُمْ**».

❋ ❋ ❋

(١) البخاري (حديث ٢٦٩٠).

(٢) البخاري (حديث ٢٦٩٣).



وحث النبي ﷺ على الصلح

❑ فأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ[(٢)] بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ**».

❋ وانظر كيف اقترن الوصف بالسيادة مع الإصلاح بين المسلمين؟!

❑ وذلك فيما ذكره[(٣)] النبي ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عظيمتين مِنَ الْمُسْلِمِينَ**».

هذه الطائفة المصلحة المباركة تأتي يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، كما جاء في «صحيح مسلم»[(٤)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[(٥)].

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٧)، ومسلم (حديث ١٠٠٩).

(٢) المراد بالعدل هنا الإصلاح، وقيل: الإصلاح بالعدل.
وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بباب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم.
قال الحافظ في «الفتح»: قال ابن المنير: ترجم على الإصلاح والعدل ولم يورد في هذا الحديث إلا العدل، لكن لما خاطب الناس كلهم بالعدل وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم كان عدل الحاكم إذا حكم وعدل غيره إذا أصلح، وقال غيره: الإصلاح نوع من العدل.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٢٩).

(٤) مسلم (حديث ١٨٢٧).

(٥) ما ولوا: أي: من كانت لهم عليهم ولاية.

❁ طائفة ترتفع درجاتها يوم القيامة، وتفوق بعملها الصائم المتنفل والقائم المتنفل:

❐ ففي سنن أبي داود[(١)] وغيره بإسناد صحيح عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ**».

❁ والطائفة المصلحة طائفة صبرت على ما أصابها من الخصوم أثناء الإصلاح وبعد الإصلاح:

❐ فمن توابع قول الحق: أذى يصدر من الناس فتحملته هذه الطائفة؛ ابتغاء وجه الله وطلبًا لثوابه، وسعيًا في مرضاته، ومن ثم أوصى الله هذه الطائفة بالصبر وذكرها بحسن عاقبته:

❐ قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: الآية ١٧].

❐ وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

فحقًّا إن كل من يسلك مسالك الإصلاح بين الناس يناله في كثير من الأحيان شيء من أذاهم، وشيء من الطعن فيه والغمز واللمز والاتهامات الباطلة، فجدير به أن يتحمل، وحري به أن يصبر، ولزامًا عليه أن يستعين

(١) أبو داود (حديث ٤٩١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٩١)، والترمذي (حديث ٢٠٥٩) وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد (٦/ ٤٤٤-٤٤٥).
والمراد بالحالقة: الذنب الكبير والمصيبة الكبرى التي تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر.

بالله ويصبر، ولا يفر من الإصلاح، ولا يتَّبع الأمثال الباطلة التي تخذل المصلحين عن سعيهم في الإصلاح.

ومن حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإصلاح

❁ وانظر إلى حرص الصحابة رضي الله عنهم على الصلاح وسعيهم للوصول إليه:

❐ أخرج البخاري[1] من طريق عوف بن مالك بن الطفيل - هو ابن الحارث وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لأمها -: أن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله عليَّ نذر ألا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدًا ولا أتحنث إلى نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث. وهما من بني زهرة. وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم. ولا تعلم أنه معهما ابن الزبير. فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥).

التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

❁ ومن ثم لزم أن يكون في المؤمنين طائفة مصلحة، قوالة بالحق تقضي بالحق وتهدي بالحق وبه تعدل:

❐ قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨١].

طائفة تضحي بأوقاتها، بل وبأموالها للإصلاح بين الناس ودفع الشرور عنهم.

طائفة تسهر الليالي وتخطو الخطوات للإصلاح بين الناس وتقريب الوجهات المتنافرة المتباعدة، فيدفع الله بهذه الطائفة الشر عن عموم المسلمين.

مطلب هذه الطائفة ومبتغاها وجه الله، لا تصلح إلا لوجهه سبحانه وابتغاء مرضاته، ثم لدفع الشرور عن الناس.

❁ ❁ ❁

الرخصة في الكذب من أجل الإصلاح

*** وانظر كيف رخص رسول الله ﷺ لهذه الطائفة في الكذب من أجل الإصلاح:**

❏ أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**».

فسبحان الله! قد يتكلم شخص بكلمة في حق شخص آخر غائب، ويأتي رجل فينقل الكلمة بتمامها لمن قيلت في حقه لا يزيد ولا ينقص، ويأتي آخر فيقلب الكلمة رأسًا على عقب ويقول لمن قيلت في حقه: ما قال فلان فيك إلا الخير إنه أثنى عليك خيرًا وقال كذا وكذا!

فيا ترى من المحق؟ هل من نقل الكلام بتمامه وتسبب في الإفساد والقطيعة؟ أم من كذب في حديثه ونقل الكلام على وجه يصلح به بين الناس؟

الذي يظهر - والله أعلم - أن الأخير على الحق، وهذا ما أفاده الدليل ورجحه، فانظر كيف أن الأول نقل نقلًا صحيحًا، ولكن أخطأ وسعى بالوشاية والنميمة والقطيعة؟!!

وكيف أن الثاني نقل غير الحقيقة، لكن قصده الإصلاح بين الناس فكان سعيه مشكورًا؟!!

---

(١) البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (حديث ٢٦٠٥).

* وانظر كيف رفع الله الحرج عن هذه الطائفة المصلحة:

❑ فقد نهى ربنا ﷻ من أقسم على الامتناع من الإصلاح عن المضي في يمينه فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٢٤].

فكما أن من أقوال العلماء في تفسير هذه الآية: لا تستكثروا من الأيمان بالله فتعرضوا اسم الله للابتذال بكثرة اليمين به، فإن كثرة الحلف بالله نوع من الجرأة عليه، وأيضًا فإن كثرة الأيمان يقع معها الحنث في اليمين وعدم الوفاء به.

فكما أن بعض المفسرين قالوا بذلك، فقد قال كثير منهم أيضًا: لا تجعلوا الله حاجزًا ومانعًا لما حلفتم عليه، وذلك أن أحدهم - مثلًا - كان يقسم ألا يفعل بعض أنواع المعروف من صلة رحم أو إصلاح بين الناس أو إحسان إلى الآخرين، فإذا طولب بفعل هذه الأبواب من أبواب الخير، تعلل بأنه أقسم بالله! فنهاهم الله ﷻ عن المضي في القطيعة وعن الامتناع عن سائر أنواع البر بسبب اليمين، فكأن معنى الآية: لا تجعلوا اليمين بالله حائلًا بينكم وبين فعل الخير: بل كفروا عن الأيمان وافعلوا الخير، والله أعلم.

* * *

تنازل أصحاب الحقوق عن شيء من حقوقهم للإصلاح

*** واعلم أنه يجوز في الصلح أن يتنازل صاحب الحق عن شيء من حقه أو عن حقه كله، ويجوز للمصلح أن يحث أحد الطرفين على التنازل عن حقه أو بعض حقه:**

❏ فمثلًا: لرجل على آخر مبلغ ألف جنيه وجاء يطالبه به وتعسر الآخر فحينئذ يجور للمصلح أن يحث صاحب المال على التجوز عن بعض ماله فيقول له مثلًا: اقبل خمسمائة وتجوَّز عن الباقي، ويكون الحق قد سقط كاملًا عن المدين، وثواب الدائن مدخر عند الله ﷻ.

❏ ففي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها[(١)] قالت: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ[(٢)] فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ «**أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللهِ[(٣)] لاَ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ[(٤)]**؟». فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ[(٥)].

وفيهما أيضًا[(٦)] من حديث كَعْب بْن مالِك رضي الله عنه أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٥)، ومسلم (حديث ١٥٥٧).
(٢) يطلب منه الرفق.
(٣) الحالف.
(٤) الذي أقسم ألا يفعل المعروف، وهو التخفيف والرفق.
(٥) أي: قد خففت عنه يا رسول الله فليختر ما شاء.
(٦) البخاري (حديث ٢٧٠٦)، ومسلم (حديث ١٥٥٨).

دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ فِي بَيْتِه، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ[١] حُجْرَتِهِ فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، فَقَالَ: «**يَا كَعْبُ**» فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ فَاقْضِهِ**».

❐ وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو عند مسلم[٣] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ[٤] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ[٥] يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِم، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ**» فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يا رَسُولَ الله، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ[٦]؟! فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ[٧]، ثُمَّ قَالَ: «**يَا زُبَيْرُ، اسْقِ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ**»[٨]

---

(١) سجف الغرفة: أي: سترها.
(٢) البخاري (حديث ٢٧٠٨).
(٣) مسلم (حديث ٢٣٥٧).
(٤) في شراج الحرة: هي مسايل الماء، وأحدها شرجة، والحرة هي: الأرض الملسة، فيها حجارة سود.
(٥) سرح الماء: أي: أرسله.
(٦) أن كان ابن عمتك: بفتح الهمزة، أي: فعلت هذا لكونه ابن عمتك.
(٧) فتلون وجه نبي الله: أي: تغير من الغضب لانتهاك حرمات النبوة وقبح كلام هذا الإنسان.
(٨) الجدر: بفتح الجيم وكسرها، وهو الجدار، وجمع الجدار جدر، ككتاب وكتب، وجمع الجدر جدور، كلفس وفلوس، ومعنى يرجع إلى الجدر أي: يصير إليه، والمراد بالجدر أصل الحائط، وقيل، أصول الشجر، والصحيح الأول، قاله النووي.

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥].

❑ ومثال لذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٨]، وجاء في «صحيح البخاري»(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هذه الآية: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل. فنزلت هذه الآية في ذلك.

❁ ولكنهم إذا اصطلحوا على شيء يخالف كتاب الله عز وجل فالصلح مردود:

❑ دل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنهما، أَنَّهُمَا قَالاَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلاَّ قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ(٣)، فَقَالَ الْخَصْمُ الآخَرُ، وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ(٤): نَعَمْ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٠١).

(٢) البخاري (حديث ٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم (حديث ١٦٩٧، ١٦٩٨).
وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا الحديث بباب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود.

(٣) أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله: معنى أنشدك: أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي، وقوله: بكتاب الله: أي: بما تضمنه كتاب الله.

(٤) وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه، ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها، ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: الآية ١] بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك الله، فإنه من جفاء الأعراب.

وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ**»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا[(١)] عَلَى هَذَا[(٢)]، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ[(٣)] مِنْهُ بِمِئَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ[(٤)] وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ[(٥)] إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا**».

قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

❊ فالحاصل أن في الصلح بين المؤمنين خيرًا، وسعي الساعي فيه محمود ومشكور، فبادر بفعل الخير: فمن المستحب المبادرة إلى فعل الخير، وقد دلت على ذلك جملة نصوص:

---

(١) عسيفًا: العسيف هو الأجير، وجمعه عسفاء كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

(٢) على هذا: يشير إلى خصمه، وهو زوج مزنية ابنه، وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(٣) فافتديت: أي: انقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية، وكأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني لها، فأعطاه ما أعطاه.

(٤) الوليدة والغنم رد: أي: مردودة، ومعناه يجب ردها إليك، وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

(٥) واغد يا أنيس: قال الإمام النووي رضي الله تعالى عنه: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيعرفها بأن لها عنده حد القذف فتطالب به أو تعفو عنه، إلا أن تعترف بالزنى فلا يجب عليه حد القذف بل يجب عليها حد الزني، وهو الرجم لأنها كانت محصنة، فذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنى، فأمر النبي ﷺ برجمها، فرجمت، ولابد من هذا التأويل لأن ظاهره أنه بعث لإقامة حد الزنى، وهذا غير مراد؛ لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقر به الزاني استحب أن يلقن الرجوع. من تعليق محمد فؤاد.

□ قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣].

□ وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: الآية ٤٨].

□ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦١].

فالعبد قد يقبل على فعل الخير ثم يمسك ويتردد شيئًا ما فيصرفه الشيطان عن هذا الفعل وتشغله الدنيا بزخارفها على الإقدام على أعمال البر.

فقد يكون بين شخص وآخر خصومة، وينشرح صدره في وقت ما للصلح إذا تذكر فائدة الصلح وما فيه من الخير والأجر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٨]، وكما قال سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، قدم وتذكر الأحاديث الواردة في ذم التشاحن والتهاجر والتدابر.

فإذا علم العبد ذلك كله انشرح صدره وأقبل على فعل الخير، وقال في نفسه: لأذهبن إلى فلان من الناس الذي خاصمته، فلأصلحن ما بيني وبينه، ثم ما يلبث أن يتكاسل، فما هي إلا مدة يسيرة إلا ويأتيه الشيطان فيذكره بمساوئ أخيه وبسلبيات أخيه، فتحتمله الحمية الجاهلية فيترك الصلح.

فإذا فتح الله لك يا عبد الله بابًا إلى الخير فبادر بالدخول فيه ولا تؤخر أعمال البر ولا تتردد فيها.

ترى ما الذي خلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، انظر إلى ما حكاه كعب عن نفسه في غزوة تبوك... قال كعب(١): فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئًا،

---

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك، إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو(١)، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي.

❋ فأقبل على الصلح وأنت تملك أمرك، قبل أن يخرج الأمر من يدك وتفرض عليك الأمور فرضًا.

وافعل الخير وأنت تملك أمرك، فهذا خير لك من أن تفعله وأنت مغلوب عليه وعلى فعله، بل وقد يحال بينك وبين فعله بالكلية.

❐ قال النبي ﷺ للأعرابي الذي جاءه أسيرًا، لما قال له الأعرابي: يا محمد إني مسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلاحِ**»(٢).

---

(١) تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٢) مسلم (١٦٤١) من حديث عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ[١]، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكَ**». فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي؟ وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ[٢]؟ فَقَالَ. إِعْظَامًا لِذَلِكَ: «**أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ**». ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**». قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «**لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ**[٣] **أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ**».

---

[١] العضباء ناقة نجيبة كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ (نووي).

[٢] يعني: الناقة.

[٣] أي: لو قلتها قبل الأسر لفزت.

وليس مرادي تأخير الصلح وفعل الخير إلى أن تكون في مركز قوي، ولكن مرادي أنك ما دمت في مركز طيب فبادر بالصلح وفعل الخير حتى يعظم لك الأجر ويكمل لك الثواب، ثم إن تقدير الناس لك يزداد قبل أن تفعله في موقف يقل فيه أجرك، بل قد يذهب فيه ثواب عملك، ويقل توقير الناس لك ويطعنوا في عملك؛ لكونك عملته في موقف ضعف.

فهل ترى أن من أسلم بعد الفتح - فتح مكة - كمن أسلم قبل الفتح؟ كلا، بل لا يستوون.

❑ قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: الآية ١٠].

❑ وقد قال النبي ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١)، أي: بادروا بالأعمال قبل أن تأتي فتن كفتن الليل المظلم تحول بينكم وبين فعل الخير.

قال النووي رحمه الله: معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة والمتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

❁ فبادر بالصلح يا عبد الله، وادفع بالتي هي أحسن السيئة:

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٤].

---

(١) مسلم (حديث ١١٨).

صل من قطعك واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك، ولا تنشئ المشاكل، ولا تختلق المشاحنات، ولا تتسبب في العداوات والبغضاء.

بالصلح تنام وأنت قرير العين هادئ البال، بالصلح تحظى بعفو الله عنك، بالصلح تقطع على شياطين الإنس وشياطين الجن وساوسهم ووشاياتهم، بالصلح تأمن يوم القيامة، بالصلح تتخفف من الأوزار والأحمال والأثقال.

وتنجو من القيل والقال والمؤامرات وسهر الليالي للتبييت للأعداء ولاتقاء شرهم ومكرهم كذلك، كل ذلك بإذن الله، فعليك بالصلح، وعليك بالعفو، وعليك بالصفح، والله يحب المحسنين.

❁ الصلح بين المسلمين والكفار:

أما الصلح بين المسلمين والكفار فهو في أصله جائز بضوابطه الشرعية:

❐ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦١].

❐ وقد صالح النبي ﷺ[(١)] المشركين في صلح الحديبية المشهور.

❐ وفي سنن أبي داود[(٢)] بإسناد صحيح من حديث ذي مخبر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ...**» الحديث.

❐ وأخرج البخاري[(٣)] من حديث عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في

---

(١) انظر: البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) «سنن أبي داود» (حديث ٤٢٩٢).

(٣) البخاري (حديث ٣١٧٦).

غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم. فقال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ**» فذكر الحديث وفيه: «**ثُمَّ هُدْنَةٌ تكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ**[١] ...» الحديث، ولكن هذا الصلح يكون بضوابطه الشرعية وحسب حاجة المسلمين[٢].

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠]

❐ فإلى هذا الأدب أرشدنا ربنا ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠].

أي: إذا كان المدين معسرًا فنظرة: أي: فإمهال إلى أن ييسر الله له ويرزقه.

فاحمد الله يا عبد الله أن جعلك الله دائنًا ولست مدينًا، وأن جعل يدك هي العليا ولم يجعلها السفلى، وجعلك أنت الطالب ولست المطلوب.

فهموم الدَّيْنِ ثقيلة على العباد، تلجئهم إلى أن يُحَدِّثُوا فيكذبوا وأن يَعِدُوا فيخلفوا، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»[٣].

---

(١) بنو الأصفر: هم الروم.

(٢) ولن أستطرد في إيراد ما يتعلق بهذا هنا؛ لأن الكتاب موضوعه فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين.

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٢/ ٣١٧)، ومسلم (٥/ ٨٧) من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**». فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**».

تضطرهم مطالبات أصحاب الديون إلى الهرب من بيوتهم، وإلى مشاكل مع أهلهم وذويهم.

فكم من رجل مدين قد أرقه الدين، وأقلق مضجعه، ومنعه من الفراش، ومنعه من التلذذ بزوجته الحلال! وكم من بيت عائله مدين قد قلب البيت كله إلى بكاء وهموم مطالبات أصحاب الديون! وكم من مدين لا يجد لقمة العيش في بيته، ولا ما يسد به رمقه!!

فكن رحيمًا بالمدينين، وخفف عنهم وأنظرهم، وأمهلهم إلى أن ييسر الله عليهم السداد لك ولغيرك، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تحث على ذلك:

وها هو الرسول ﷺ يشير على أصحابه بالتخفيف عن المدينين:

□ ففي «الصحيحين»[1] من حديث كَعْبِ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ وَنَادَى: **«يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يا كعب»** فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُمْ فَاقْضِهِ»**.

□ وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ[2] الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهْوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) البخاري (حديث ٤٧١)، ومسلم (حديث ١٥٥٨).

(٢) أي: يطلب منه أن يضع عنه شيئًا من الدين.

فقَالَ «**أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لاَ يَفْعَلُ الخَيرَ؟**» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ[1].

❊ وها هي طائفة من الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل إنظار المعسر:

❏ أخرج مسلم[2] من حديث أبي اليسر صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ**».

❏ وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ. قَالُوا: تَذَكَّرْ. قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ - قَالَ - قَالَ اللَّهُ ﷻ: تَجَوَّزُوا**».

❏ ونحوه من حديث أبي مسعود[4] عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ**».

❏ وأخرج مسلم[5] من طريق عبد الله بن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني معسر، فقال: آلله؟ قال: آلله، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ**

---

(١) أي: فليختر ما يشاء يا رسول الله، والحديث عند مسلم (حديث ١٥٥٧).

(٢) مسلم (حديث ٣٠٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦١).

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦٣).

الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

☐ وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

☐ وأخرج أحمد بإسناد حسن[٢] من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ»**.

قال: ثم سمعته يقول: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»**.

قال: **«لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»**.

ولا أقول لك بدد أموالك وأتلفها، واتركها للسفاحين وآكلي أموال الناس بالباطل يأكلونها، ولكن الرحمة الرحمة بالضعفاء والفقراء.

أقول لك أخي الكريم: حافظ على أموالك، وأنفق في مواطن الخير وأبواب المنافع وطرق الصلاح، ولا تضيع الأموال في الباطل، فإن الله تعالى قد كره لنا إضاعة المال:

☐ أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الذي كتبه إلى معاوية، لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول الله ﷺ فكتب: كان النبي ﷺ ينهي عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٠).

(٣) البخاري (حديث ٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص ١٣٤١).

طالبْ بحقك واسع وراء تحصيله خاصة من المليء المماطل والغني المراوغ الطماع.

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٥].

أي: قائمًا بالملازمة والمطالبة بالدين الذي لك عنده.

❋ **وأنت أيضًا أيها المدين:**

❐ بادر بسداد ما عليكم من ديون، فإنك مطالب بها في الآخرة فضلًا عن الدنيا، فإذا وسَّع الله عليك فقم بسداد الدين ولا تأكل أموال الناس بالباطل، فإنهم يأخذون منك ذلك حسنات يوم القيامة.

❐ اذكر جيدًا وتذكر قول النبي ﷺ: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ**»(١).

❐ تذكر جيدًا أن النبي ﷺ أتي بجنازة فسأل: «**هل على صاحبها دين؟**» فلما قالوا: نعم، سأل: «**هل ترك لدينه وفاء؟**» فلما قالوا: لا، قال: «**انطلقوا فصلوا على صاحبكم!!!**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٢٨٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ أتي بجنازة فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «**هل عليه دين؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل ترك شيئا؟**» قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتي بجنازة أخرى فقالوا: يا رسول الله صلِّ عليه، قال: «**هل عليه دين؟**» قيل: نعم، قال: «**فهل ترك شيئًا**» قالوا: ثلاثة دنانير فصلى عليها، ثم أتي بالثالثة: فقالوا: صلِّ عليها، قال: «**هل ترك شيئًا**» قالوا: لا، قال: «**فهل عليه دين؟**» قالوا: ثلاثة دنانير، قال: «**صلوا على صاحبكم**»، قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول الله وعلى دينه، فصلى عليه.

☐ تذكر أن النبي ﷺ قال في شأن المفلس: «**مِنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وقَدْ أَكَلَ مَالَ هَذَا، فيأخذ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ أُخِذَ مِنْ سيئاتهم فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(١).

☐ تذكر قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

☐ واعلم أن حقوق المؤمنين ستؤخذ منك، إن عاجلًا أو آجلًا قال النبي ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(٢).

☐ وفي «صحيح البخاري»(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخيه مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**».

تذكر أن مماطلتك وأنت تقدر على السداد ظلم يحل عقوبتك ويحل عرضك كما قال النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»(٤).

---

(١) حديث المفلس عند مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا لفظه: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢).

(٣) البخاري (حديث ٢٤٤٩).

(٤) البخاري (حديث ٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

❐ وفي رواية عند أبي داود(١) بإسناد حسن من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ**».

فلا يسول لك الشيطان ويزين لك المماطلة، فإنك لا تدري لعلك تموت ولا يسدد عنك أولادك ولا ورثتك!!

لا يحملنك الشيطان على أن تقول: إن صاحب المال ثري فلا عليَّ أن آكل أمواله!! انتبه فإن هذا من عمل الشيطان.

لا تأخذ أموال الناس تريد إتلافها، فمن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله.

استعن بالله واحرص على سداد الدين وسل ربك العون، فمن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه:

❐ أخرج البخاري(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**».

* * *

(١) أبو داود (حديث ٣٦٢٨).

(٢) البخاري (حديث ٣٣٨٧).

أثر الايمان بالقدر على حسن الخلق وعلى المعاملات مع المؤمنين

سبق أن بينا أن هناك ارتباطًا وثيقًا واتصالًا قويًا بين حسن الخلق والإيمان بالله ﷻ، وأن هذا يتناسب طردًا فكلما قوي الإيمان بالله وازداد حسنت الأخلاق وسمت.

وكذلك لسائر أركان الإيمان تأثير في حسن الخلق، وقد قدمت شيئًا من أثر الإيمان باليوم الآخر على حسن الخلق من قبل، وأشير هنا إشارة سريعة إلى أثر الإيمان بالقدر على حسن الخلق وعلى التعاملات مع المؤمنين.

فالإيمان بالقدر يورث طمأنينة للقلب وهدوءًا للبال واستقرارًا للنفس وشجاعة وإقدامًا وإقرارًا للحق وإبطالًا للباطل.

□ وأما كون الإيمان بالله يورث هدوءًا للقلب وراحة للبال، فكما قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: الآية ١١].

□ وكما قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

فإذا كان الشخص هادئ القلب مستريح البال انعكس ذلك على تعاملاته مع الناس، ففرق بين من يتعامل مع الناس وهو قلق مضطرب، خائف، وجل، وبين من يتعامل معهم وهو هادئ القلب مستريح البال، فالأخير يتخذ قرارات صحيحة ورشيدة، والأول أمره دومًا في شتات!

❐ وانظر إلى أهل الكفر وشأنهم في صلح الحديبية مع النبي ﷺ، كما ورد في سورة الفتح، فيقول الله سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: الآية ٢٦](١).

وفي المقابل انظر إلى شأن رسول الله ﷺ وشأن المؤمنين كما ذكره الله بقوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: الآية ٢٦].

❐ وانظر إلى ما آلت الأمور، فالحمد لله كانت العاقبة للتقوى، مع أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان يأبى ويرفض أشد الإباء والرفض ما يصدر من الكفار آنذاك، ولكن كما قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

❐ وانظر إلى هذه الحسرة التي جعلها الله في قلوب الكافرين لما جهلوا الأمر كفروا بالقدر، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٦].

فإذا أيقن المرء بذلك وأيقن أن الأمور مقدرة وأيقن في باب الرزق بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ: ٣٩].

---

(١) وكان من صورة هذه الحمية الجاهلية وانعكاساتها أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يمحو (بسم الله الرحمن الرحيم) ويكتب: (باسمك اللهم)، ويمحو (محمد رسول الله) ويكتب بدلًا منها (محمد بن عبد الله) وأصروا على ذلك أيما إصرار، فأجابهم إلى ذلك رسول الله ﷺ وهو هادئ القلب مستقر النفس، وكان في ذلك الخير كل الخير.

فحينئذ سيقدم على إطعام المساكين وإكرام الأضياف وإعانة المحتاجين، وسيُكتسى حينئذ بخلق الكرم ذلك الخلق القويم، فيحمده الخالق ويحمده الخلق كذلك.

❏ وكذلك لو علم أن خزائن كل شيء بيد الله سبحانه ومنتهى الأمور إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: الآية ٧].

❏ وكما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: الآية ٢١].

فحينئذ لن يذل نفسه كبير إذلال أمام الناس وسيحفظ ماء وجهه عندهم، وكذلك فلن يرزأهم في مالهم فإن الناس في العادة يكرهون السائل ويحبون المعطي، وقد قال النبي ﷺ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**»[(١)].

❏ وإذا علم المسلم أن الذكاء والعلم والفهم كل ذلك مقدر، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

❏ وكما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: الآية ١١٣].

❏ وكما قال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

❏ وكما قال الله سبحانه في شأن طالوت: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه مرفوعًا، وكذا أخرجه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وله عدة طرق أخرى في «الصحيحين» وغيرها عن رسول الله ﷺ.

❑ وكما في الآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤].

❑ وكما قال الله سبحانه في شأن الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٥].

❑ وقد قال الخضر لموسى عليه السلام: «**يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لاَ تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ**»(١).

❑ وقد قال النبي ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»(٢) وفي رواية: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(٣). وفي ثالثة: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»(٤).

فإذا علم المسلم ذلك، وفهم الأذكياء والمهرة في أعمالهم أن ما هم فيه من ذكاء وما بهم من مهارة وما حازوه من تفوق ودرجات، كل ذلك من الله تعالى، إذا علموا ذلك؛ تواضعوا لخلق الله وخفضوا لهم الجناح وذكروا أن الذي أعطاهم قادر على سلب نعمه منهم كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: الآية ٨٦]. فحينئذ سيسألون ربهم دوام نعمه ويتعوذون من زوالها وسيحسنون إلى خلق الله شكرًا لنعم الله، وسيتواضعون للخلق أيما تواضع.

❑ وإذا علم الشخص أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: الآية ٥١].

---

(١) البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥، ٧٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٢٨) بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

❑ وكما قال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١].

❑ وكما قال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ﴾ [الحديد: الآية ٢٢].

إذا علم ذلك كله؛ تكلم بالحق ولم يخش في الله لومة لائم، وأنكر المنكر، وأمر بالمعروف، ودخل في عداد الشجعان البواسل فأحبه الخلق بعد حب الخالق له.

❑ وإذا علم العبد أن الأرزاق مقدرة، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣٠-٣١].

❑ وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٣].

❋ والمَلَكُ يؤمر بكتب رزق العبد وهو في بطن أمه:

❑ وقال النبي عليه الصلاة والسلام لأم حبيبة: «**قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّام مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ**»(١).

❑ وإذا علم أن خزائن كل شيء بيد الله:

❑ كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: الآية ٢١].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٦/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

❐ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: الآية ٧].

❐ وأن إليه المنتهى في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: الآية ٤٢].

فإذا علم المسلم ذلك تواضع لله ولم يستكبر على الخلق، وأيضًا لم يذل نفسه للخلق ولم ينزل حاجاته بهم ولم يرزؤهم في أموالهم وأشيائهم.

وكذلك لو أدرك أن الذنوب مقدرة، فلن يعير الذين أذنبوا وتابوا من ذنوبهم ورجعوا عنها، وكذلك لم يعير الذين أخطأوا خطأ غير متعمد.

❐ فلما غُلب بلال لم يعاتبه رسول الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ(٢) سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى عَرَّسَ(٣) وَقَالَ لِبِلاَلٍ: «**اكْلأْ لَنَا اللَّيْلَ**»(٤)، فَصَلَّى بِلاَلٌ مَا قُدِّرَ لَهُ. وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلاَلٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ(٥). فَغَلَبَتْ بِلاَلًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ. فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلاَ بِلاَلٌ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «**أَيْ بِلاَلُ!**»، فَقَالَ بِلاَلٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! يَا رَسُولَ اللَّهِ) بِنَفْسِكَ. قَالَ: «**اقْتَادُوا**»، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا. ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَمَرَ

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٨٠).

(٢) قفل: أي: رجع.

(٣) عرس: أي: نام.

(٤) اكلأ لنا الليل: أي: احرسه واحفظه.

(٥) مواجه الفجر: أي: مستقبل الفجر.

بِلاَلًا فَأَقَامَ الصَّلاَةَ. فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ: «**مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**». فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

❊ ولا يعير شخص ارتكب ذنبًا ثم تاب منه:

☐ فقد أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَ أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟**»، فقال النبي ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

☐ وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة. قال رسول الله ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢١]؟ **قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً!** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

☐ وإذا أيقنت المرأة أن لها ما قدر لها حسنت أخلاقها، ولم تسأل زوجها طلاق ضرتها، قال النبي ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لاِمْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٤)، ومسلم (حديث رقم ٢٦٥٢).

صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»(١).

وكذلك إذا واعد الشخص رجلًا موعدًا وجلس في انتظاره ثم حال بين هذا الرجل وبين الوفاء بموعده حائل خارج عن إرادته وجاء يشكو عذره إلى أخيه، فمن كان مؤمنًا بالقدر سيرضى وسيعلم أنه ما فاته شيء كتبه الله له، فحينئذ سيقل عتابه ولومه وتثريبه على أخيه بل وسيطيب خاطره ويطمئن قلبه على ما قد فات.

❐ وكذلك لو أيقن الشخص أن الذرية مقدرة وأن الإنجاب والعقم من الله ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

إذا أيقن بذلك لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولرضي بما قسمه الله له، ولم ينفعل على أولاد الناس، وكذلك لم يفخر على الناس إذا كان قد رزق بالذكور أو الإناث.

❐ وهكذا في سائر الأبواب، فللإيمان بالقدر أثر حميد على تصرفات الشخص وعلى تعاملاته مع الناس، وعلى صبره عليهم والتماسه المعاذير لهم والإبقاء على المودة والمحبة بينه وبينهم، والموفق من وفقه الله ﷻ والمهتدي من هداه الله.

* * *

(١) البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (١٤١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وصل الرحم وأثره على التعاملات مع الأقربين والأبعدين

لصلة الرحم انعكاس على التعاملات مع الأقارب والأرحام، فليس من وصل أرحامه كمن قطعهم.

فصلة الأرحام - فضلًا عما فيها من ثواب وخير وبركة - تنعكس على التعاملات مع الأقربين، بل ومع عموم الناس، فإنها أيضًا تلين الجانب وتجعل كلام من وصل ونُصْحَ مَنْ نَصَحَ أدعى للقبول والامتثال.

وقد ذكر العلماء ذلك عند تناولهم لحديث رسول الله ﷺ: «**وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا**».

فالرحم شبهت بالجلد الذي إذا ترك يابسًا صعب عليك وشق عليك تحريكه، أما إذا بللته بالماء، وتابعت ذلك، سهل عليك وأصبح لينا في يديك، وهكذا الرحم، فإذا كنت تصل أقرباءك وتهدي إليهم وتتفقد أحوالهم وتسأل عنهم، وتشاركهم أحزانهم وأفراحهم، فإنهم والحال هذه يستمعون إليك إذا حدثتهم، ويقبلون منك إذا نصحتهم، لعلمهم بحنوك عليهم وشفقتك بهم وحرصك على وصالهم.

أما إذا هجرتهم وقطعتهم فإنهم لا يعبأون بك ولا يلقون لقولك بالًا، ولا يعيرون نصحك اهتمامًا، فبهذا يظهر شيء من فضل من وصل.

ولا يقف أثر وصل الأرحام على التعاملات مع الأرحام فحسب، بل يمتد هذا الأثر إلى التعاملات مع عموم المؤمنين، بل مع عموم الناس.

فابتداء من أحبه الخالق حبب فيه خلقه، ومن أبغضه الخالق بغضه إلى

العباد، وثواب وصل الرحم يجازي الله به ويثيب الله عليه بما ينعكس أثره على التعاملات مع الناس، فيصلح الله للعبد أحواله ويسدده في أقواله وأفعاله جزاء بما أحسن ووصل.

وفي المقابل فإن قاطع الرحم يعاقب، وقد تكون العقوبة في نفسه أو فيمن حوله؛ فيسوء تصرفه مع الناس فيجهل على هذا، ويسب هذا، ويشتم هذا بما يجر عليه شرًّا وسوءًا بين الناس، فقد قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ تُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ عُقُوبَتَهُ فِي الدنْيا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَصَاحِبِهِ يَوْمَ القِيامَة: مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»**[1].

❑ هذا؛ وَلِوَصْلِ الرحم تأثير من وجه آخر على التعاملات مع الناس:

فالناس إذا رأوك واصلًا للرحم أحبوك وكان قولك حريًّا بالقبول عندهم وكان ثناؤهم العطر عليك سببًا في توفيقك في معاملاتك معهم، أما إذا دعوتهم لأمر وأنت قاطع للرحم، وقد استقر في أذهانهم السوء تجاهك. فيقولون: ما بال هذا يدعونا إلى الخير وهو قاطع لرحمه؟!! ما باله يحثنا على المعروف وهو بعيد عنه؟ فيصاحب ذلك ازدراء منهم لك وتسخط منهم عليك وحذر منهم عند التعامل معك.

فإذا أتاك شاب مثلًا عاقًّا لوالديه أو قاطعًا لرحمه ومؤذيًا لهم، جاء هذا الشاب ليخطب ابنتك، فهل ستبادر بتزويجه أم أنك ستتريث وتراجع نفسك مرة، بل مرات؛ في شأنه؟ والغالب أنه سيكون مرفوضًا عند أهل الفضل والصلاح. فكيف يزوج رجل من أهل الصلاح ابنته من قاطع للرحم

---

(١) **صحيح**: وسيأتي إن شاء الله.

وملعون في كتاب الله، وعلى لسان رسول الله ﷺ؟!

❁ **ويجدر بنا هنا أن نُذَكِّرَ ببعض الوارد في الحث على صلة الأرحام**[١].

❑ قال الله تبارك وتعالى مثنيًا على أولي الألباب:

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢٠-٢١].

❑ وقال سبحانه حاثًّا على إيتاء الأقربين حقوقهم:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: الآية ٣٨].

❑ وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: الآية ٣٦].

❑ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٨٣].

❑ وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

❑ وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ**[٤] **لَهُ فِي أَثَرِهِ،**

---

(١) ليس مرادي هنا الاستقصاء في إيراد ما يتعلق بصلة الأرحام، إنما قصدي إيراد ما يتعلق منها بموضوع الكتاب، وهو «فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين».

(٢) البخاري (٦١٣٨).

(٣) البخاري (حديث ٥٩٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٥٧).

(٤) ينسأ: أي: يؤخر.

فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١].

□ وأخرج البخاري[٢] ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فقال: ما يأمر؟ يعني النبي ﷺ: فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

ولما قال رسول الله ﷺ لخديجة رضي الله عنها: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**». وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ - خَبَرَ الْوَحِي -: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[٣].

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت أمورًا كنت أتحنث[٥] بها في الجاهلية من صلة[٦] وعتاقة وصدقة، هل كان لي فيها من أجر؟ قال حكيم: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ**».

وفي «الصحيحين»[٧] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعًا أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ماله، ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أرب ماله**»، فقال النبي ﷺ: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ**

---

(١) أثره: أي: أجله.

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٠)، ومسلم (ص ١٧٧٣).

(٣) البخاري (حديث رقم ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

(٤) البخاري (٥٩٩٢)، ومسلم (١٢٣).

(٥) أتحنث: أتعبد.

(٦) في رواية البخاري (١٤٣٦): ومن صلة رحم.

(٧) البخاري (حديث ٥٩٨٣)، ومسلم (ص ٤٣).

بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

❁ قول النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ»:

وفي الصحيح[١] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ**[٢]**، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**».

❁ وصل من قطع:

□ وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي! فقال: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**[٤] **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ**[٥] **عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

❁ وحتى الرحم الكافرة توصل ما دامت ليست هناك مفسدة:

□ وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم

---

(١) البخاري (٥٩٩١).

(٢) المعنى، والله أعلم: ليس الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من وصله، أي: ليس هو الذي يكافئ من وصله بأن يصله كما وصله، ولكن الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من قطعه، والله أعلم. وقال الحافظ في «الفتح»: هم ثلاث درجات: مواصل، مكافئ، وقاطع، فالواصل من يَتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يَتفضل.

(٣) مسلم (حديث ٢٥٥٨).

(٤) المَلُّ هو الرماد الحار، ومعنى تسفهم الملَّ أي: تطعمهم الرماد الحار.

(٥) الظهير: المعاون.

مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

❑ وقد أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قَدِمتْ وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**».

❑ وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان: الآية ١٥].

❑ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن الكريم قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: فمكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [العنكبوت: الآية ٨] وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان: الآية ١٥] الحديث.

❑ وعند البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠) في عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (٣/ ٤١) وأبو داود (١٦٦٩).

(٢) مسلم (حديث ١٧٤٨).

(٣) البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٥) والزيادة عند البخاري، وهي معلقة، وقد ذكر الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٢٢) من وصلها.

النبي ﷺ جهارًا غير سر يقول: «**إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي فُلاَنًا - لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**» وفي زيادة من طريق عنبسة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس - كما عند البخاري - عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ: «**وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا**» يعني: أصلها بصلتها.

□ وفي «الصحيحين»[1] أن عمر كسا أخًا له مشركًا - كان بمكة - حلة أهداها رسول الله ﷺ لعمر.

□ ولكن كما قدمنا إذا كانت هذه الصلة ستجلب فسادًا ويحدث معها منكر من المنكرات، فحينئذ تترك هذه الصلة إلى أن يطمأن إلى إبعاد الفساد وإزالة المنكر، بمعنى: إذا كانت صلة الرحم الكافرة سيأتي من ورائها شر وفساد في الدين فحينئذ تتقى هذه الصلة دفعًا للفساد فالله لا يحب الفساد.

□ وإذا كان وصل الرحم عمومًا سيجلب شرًّا وفسادًا، كأن تذهب إلى أقربائك ويحدث مع هذا الذهاب خلوة بنساء لسن لك بمحارم، فحينئذ تُتقى هذه الخلوة، وتتم الصلة بوجه آخر من وجوه الصلة والإحسان: كإرسال هدية مثلًا أو اتصال هاتفي أو ترسل إليهم تقرؤهم السلام.

أما قاطع الرحم فماذا عساه أن ينتظر؟!

---

(١) أخرج البخاري (٢٦١٢)، ومسلم (حديث ٢٠٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد. فقال: يا رسول الله! لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك! فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**». ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حلل. فأعطى عمر منها حلة. فقال عمر: يا رسول الله! كسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا**» فكساها عمر أخًا مشركًا بمكة.

هل ينتظر ثوابًا من الله ﷻ على قطيعة رحمه؟!!

هل ينتظر ثناءً عطرًا من الناس؟!!

هل ينتظر لين الجانب من الخلق؟!!

كلا، بل فلينتظر عقابًا على قطع رحمه!

لينتظر لعنات على فساده في الأرض!

أما يخشى هذا القاطع أن يُصمَّه الله ويُعمي بصره؟!

فلينتظر هذا القاطع جفاء وغلظة من الناس، ولينتظر انفضاضًا للناس من حوله لفظاظته وغلظ قلبه، وليبشر بما يسوؤه.

❁ وفضلًا عما ذكر فإن قطع الرحم كبيرة من الكبائر:

فإلى هؤلاء الذين أطغاهم الثراء وأعماهم المال وغرتهم كثرة النعيم، وحملهم الاستغناء على الطغيان والإعراض وقطع الأرحام، نسوق هذه النصوص الرادعة بما تحمله من وعيد وتحذير وبيان كبير الجرم الذي هم فيه بقطعهم للأرحام:

❑ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

❑ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: الآية ٢٥].

❑ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٧].

❑ وأخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكِ**. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمّد: الآية ٢٢]».

❑ وفي «الصحيح»[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ: «**إن الرَّحِمُ شُجْنَةٌ**[(٣)] **من الرحمن، فقال الله: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**».

❑ وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، واللفظ لمسلم قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**».

❑ وفي «الصحيحين»[(٥)] من حديث جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[(٦)].

❑ وأخرج أبو داود والترمذي[(٧)] وابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٧)، ومسلم (حديث ٢٥٥٤).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: . . . وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة.

(٤) البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

(٥) البخاري (حديث ٥٩٨٤)، ومسلم (حديث ٢٥٥٦).

(٦) المراد بالقاطع: قاطع الرحم.

(٧) أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه =

بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**».

فليتق الله امرؤ في رحمه، وليصل ما قد قطع، وليعط من قد منع وليستدرك ما قد فات.

❐ ولا يقف الثناء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: الآية ٢١] على من وصلوا الأرحام، فالآية الكريمة وإن كان المراد بها. عند جمهور المفسرين. وصل الأرحام، لكن يدخل فيها أيضًا عموم الواصلين لما أمر الله به أن يوصل، فيدخل فيها من وصل الأخوة الإيمانية بينه وبين عموم إخوانه المؤمنين، ويدخل فيها من وصلوا الإيمان بالعمل الصالح، ويدخل فيها من آمن بعموم الأنبياء والمرسلين ولم يفرق بين أحد منهم، ويدخل فيها من آمن بعموم الكتب المنزلة من عند الله ﷻ، كما قال بعض السلف الصالح رحمهم الله - وإن كان كما قدمنا - وصل الأرحام داخل بالدرجة الأولى في هذه المذكورات، وكذلك وصل الأخوة الإيمانية.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ**»(١). فينبغي أن توصل الأخوة الإيمانية كما ينبغي أن توصل الأرحام.

وقد ذَكَّرَنَا الله ﷻ بهذا الأصل في جملة مواطن:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

= (٤٢١١).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: الآية ١].

□ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: الآية ١٣].

وهذا كله كي يتعاطف الناس فيما بينهم، ويبذل غنيهم من ماله لفقيرهم، ويبذل قويهم من قوته لضعيفهم، ويبذل عالمهم من علمه لجاهلهم، وهذا أيضًا كي تتقوى ما بينهم من وشائج وصلات وينمو ما بينهم من محبة ووئام.

مواساة الناس ومشاركتهم في مصائبهم

المواساة باب له عظيم الأثر في توطيد العلاقات وجلب المودة ونشر المحبة بين العباد.

وتطلق في الأصل على المداواة والإصلاح والعلاج، فكأن المواسي يعالج المواسَى ويداويه ويخفف عنه ما هو فيه.

وتكون المواساة بالمشاركة والمعاونة والمساهمة لتخفيف ما حل بأخيك المسلم.

ولهذا صور: فأحيانًا تكون المواساة بالمال، وأحيانًا تكون بالجاه والشفاعات، وأحيانًا تكون بالبدن والخدمة، وأحيانًا تكون بالنصيحة والإرشاد، وأحيانًا تكون بالدعاء والاستغفار، وأحيانًا تكون بالتوجع والتألم لما أصيب به المسلم، وأحيانًا تكون بالتسرية عنه وإذهاب الهموم والأحزان وإدخال السرور والفرح عليه، وَثَمَّ صور أخر للمواساة.

والقاعدة العامة لها والضابط الإجمالي: أن يكون المرء في حاجة أخيه.

❁ والمواساة دليل على الإيمان وثمرة من ثمراته:

فكلما قوي الإيمان قويت المواساة، وكلما ضعف ضعفت المواساة، ولذلك كان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه.

وكان فضلاء أصحابه أعظم الناس مواساة له ومن بعده.

وكان للأنصار فضل على من سواهم بمواساتهم لرسول الله ﷺ ولإخوانهم المهاجرين.

❐ ومن أبواب المواساة عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتعزية من مات له ميت، ومعاونة الضعيف، والسداد عن المدين شيئًا من ديونه، والمساهمة في حل مشاكل العباد، وجبر الخواطر وإقالة العثرات، ونحو ذلك.

وها هي بعض المباحث في ذلك، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله:

المواساة بالمال

وهي من أعظم أنواع المواساة، فمن أجلِّ المقاصد التي شرعت لها الزكاة: مواساة الفقراء والمساكين والسائلين والغارمين ونحوهم، فإذا كان بأخيك المسلم فقر أو مسكنة أو حلت به جائحة اجتاحت ماله وذهبت به، فقم إلى جواره بشيء من مالك تعوضه شيئًا مما أصابه وحل به، وتخفف عنه شيئًا مما ألم به.

واعلم وأيقن أن الله ﷻ سيثيبك على هذا، وسيرضى عنك به وسيرضيك وسيهيؤك لأعمال الخير وسيشرح صدرك لها:

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧].

☐ وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١].

☐ وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمّل: الآية ٢٠].

☐ واعلم أيضًا أن الله ﷻ سيخلف عليك، فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩].

☐ وفي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

☐ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ**(٣)**، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَك، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَك، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ**».

☐ وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٤).

☐ وليكن إنفاقك هذا ولتكن مواساتك هذه ابتغاء مرضات الله ﷻ، قال

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٥٢)، ومسلم (حديث ٩٩٣).
(٢) مسلم (حديث ١٠٣٦).
(٣) وقع عند الحاكم (٢/ ١٥٠) يقول الله: يا ابن آدم.
(٤) البخاري (حديث ١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: الآية ٩].

❐ وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٩].

❋ طائفة من أحاديث النبي ﷺ تحث على المواساة:

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ**».

❐ وفي «صحيح مسلم»[(٢)] عن أبي هريرة يبلغ به[(٣)]: «**أَلاَ رَجُلٌ يَمْنَحُ أَهْلَ بَيْتٍ نَاقَةً تَغْدُو بِعُسٍّ[(٤)] وَتَرُوحُ بِعُسٍّ إِنَّ أَجْرَهَا لَعَظِيمٌ**».

❐ وعن أبي هريرة[(٥)] رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ أنه نهى.. فذكر خصالاً وقال: «**مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً غَدَتْ بِصَدَقَةٍ وَرَاحَتْ بِصَدَقَةٍ صَبُوحِهَا[(٦)] وَغَبُوقِهَا[(٧)]**».

❐ وفي الصحيح[(٨)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أن رسول الله

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٣١).
(٢) مسلم (حديث ١٠١٩).
(٣) أي: يبلغ به النبي ﷺ.
(٤) العس: هو القدح الكبير، ومعنى تغدو بعس وتروح بعس: أي: أنها تحلب ملء إناء كبير صباحًا وملء إناء كبير مساء.
(٥) أخرجه مسلم (١٠٢٠).
(٦) الصبوح: هو ما حلب من الناقة بالغداة.
(٧) الغبوق: هو ما حلب منها بالعشي.
(٨) البخاري (حديث ٢٦٢٩).

قَالَ: «**نِعْمَ الْمَنِيحَةُ**[١] **اللِّقْحَةُ**[٢] **الصَّفِيُّ**[٣] **مِنْحَةً، وَالشَّاةُ الصَّفِيُّ تَغْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوحُ بِإِنَاءٍ**[٤]».

□ وفي «الصحيحين»[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**».

□ وعند مسلم[٦] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا قال: قال النبي ﷺ: «**طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**»[٧].

□ وأخرج البخاري ومسلم[٨] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٥/ ٢٤٣):
والمنيحة بالنون والمهملة وزن عظيمة، هي في الأصل العطية، قال أبو عبيد: المنيحة عند العرب على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه صلة فتكون له، والآخر أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زمنًا ثم يردها، والمراد بها في أول أحاديث الباب هنا عارية ذوات الألبان ليؤخذ لبنها ثم ترد هي لصاحبها.

(٢) اللقحة: هي الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

(٣) الصفي: هي الغزيرة اللبن.

(٤) أي: تحلب إناء بالغداة وإناء بالعشي.

(٥) البخاري (حديث ٥٣٩٢)، ومسلم (حديث ٢٠٥٨).

(٦) مسلم (حديث ٢٠٥٩).

(٧) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٩/ ٥٣٥):
قال المهلب: المراد بهذه الأحاديث الحض على المكارم والتقنع بالكفاية، يعني: وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية، وإنما المراد المواساة، وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضًا بحسب من يحضر.

(٨) البخاري (حديث ٣٥٨١)، ومسلم (حديث ٢٠٥٧).

أصحاب الصُّفَّةِ[١] كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ**».

❐ وأخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له. قال: فجعل يصرف بصره[٣] يمينًا وشمالًا. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ**[٤] **فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ**».

قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

فهل هناك في زماننا من يفعل نحو ذلك؟!

هل من رجل صالح وسع الله عليه وعنده سيارات أن يدخل سرورًا على أسرة مسلمة ويعطيها سيارة يكتسب عائلها منها؟!!

هل من رجل من هؤلاء الذين وسع الله عليهم بصنوف الأراضي (أرض بناء وأرض فضاء وأرض تزرع) هل له أن يعطي أحدًا أرضًا يزرعها يعول بها

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح ٦/ ٥٩٥): والصُّفَّةُ مكان في مؤخرة المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى لهم ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

(٢) مسلم (حديث ١٧٢٨)، وأبو داود (حديث ١٦٦٣).

(٣) قوله: فجعل يصرف بصره، وفي رواية أبي داود (يصرفها). وفي التعليق هناك: والأقرب أن الناقة أعجزها السير فأراد أن يرى النبي ﷺ ذاك فيعطيه غيرها.

(٤) فضل ظهر: أي: زيادة ما يركب على ظهره من الدواب.

فقراء ممتثلًا حديث رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ»**؟!!(١).

هل من صاحب عقارات يؤجرها يأتي عليه شهر فيقول للمستأجرين: عفوت لكم عن إيجار هذا الشهر؟!

هل من طبيب يأتيه مريض فقير فيتجاوز له عن قيمة الكشف(٢)؟!! وهل من صيدلي يتجاوز للفقير عن قيمة الدواء؟!!

❋ **ومن المواساة:**

وضع شيء من الدين عن المدين وإمهال المدين إلى أن يوسع الله عليه، وقد قدمنا بابًا في ذلك.

❏ ومن ذلك قول النبي ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»**(٣).

❏ وقول النبي ﷺ: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»**(٤).

❏ وفي «الصحيحين»(٥) من حديث كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ وَنَادَى: **«يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يا كعب»** فَقَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٢)، ومسلم (ص ١١٧٧).

(٢) ولا يحتسب هذا من زكاة المال كما يفعله فريق من الأطباء.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٦).

(٥) أخرجه البخاري (٤٧١)، ومسلم (حديث ١٥٥٩).

لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُمْ فَاقْضِهِ»**.

❐ وعلى هذا حث رسول الله ﷺ غرماء جابر، حثهم صلوات الله وسلامه عليه على وضع جزء من الدين الذي لهم:

أخرج البخاري(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا فاشتد الغرماء(٢) في حقوقهم، فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا(٣) . . . الحديث.

❐ وأبو قتادة رضي الله عنه يتحمل الدين عن رجل قد مات:

أخرج البخاري(٤) من حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أُتِيَ بِجِنَازَةٍ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا.

فَقَالَ: **«هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»** قَالُوا: لاَ. قَالَ: **«فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟»** قَالُوا: لاَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجِنَازَةٍ أُخْرَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: **«هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»** قِيلَ: نَعَمْ، قَالَ: **«فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟»** قَالُوا: ثَلاَثَةَ دَنَانِيرَ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِالثَّالِثَةِ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا، قَالَ: **«هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟»** قَالُوا: لاَ، قَالَ: **«فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟»** قَالُوا: ثَلاَثَةُ دَنَانِيرَ، قَالَ: **«صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»**، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَعَلَيَّ دَيْنُهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ.

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٠١).

(٢) الغرماء: هم أصحاب الحقوق.

(٣) في بعض روايات البخاري (٢٣٦٩) أن هذا الغريم كان يهوديًّا.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٢٢٨٩).

❋ وليُواسِ من أصيب بخسارة في ماله، فحتى المسألة تحل لمثل هذا:

☐ وأخرج مسلم(١) من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحمَّلتُ حمالة(٢). فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها. فقال: «**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهِ**». قال: ثم قال: «**يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ(٣)، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ(٤) فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ(٥)- أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ(٦) - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ(٧) حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ(٨) لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٤٤).

(٢) تحملت حمالة: الحمالة هي المال الذي يتحمله الإنسان، أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين. كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك.

(٣) حتى يصيبها ثم يمسك: أي: إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين، ثم يمسك نفسه عن السؤال.

(٤) ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله: قال ابن الأثير: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة. واجتاحت: أي: هلكت.

(٥) قوامًا من عيش: أي: إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة.

(٦) سدادًا من عيش: القوام والسداد، بمعنى واحد. وهو ما يغني من الشيء وما تسد به الحاجة. وكل شيء سددت به شيئا فهو سداد. ومنه: سداد الثغر، وسداد القارورة، وقولهم: سداد من عوز.

(٧) فاقة: أي: فقر وضرورة بعد غنى.

(٨) حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: أي: يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته فاقة. والحجا، مقصور وهو العقل، وإنما قال ﷺ: من قومه لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه.

يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا[١] سُحْتًا».

❋ وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة للمواساة بالمال، بل وإيثار إخوانهم على أنفسهم:

وقد كان الأنصار رضوان الله عليهم أعظم حظًّا وأوفر نصيبًا من هذه المواساة وثوابها.

❏ قال الله تبارك وتعالى مثنيًا عليهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ[٢] يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: الآية ٩].

❋ وهذا مثل رائع من أمثلة مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين:

❏ أخرج البخاري[٣] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلاَّ وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ ثُمَّ تَابَعَ

---

(١) سُحْتًا يأكلها صاحبها: فيه إضمار: أي أعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا. والسحت هو الحرام. نقل ذلك عن النووي رحمه الله من ترتيب محمد فؤاد رحمه الله.

(٢) فالذين تبوؤوا الدار والإيمان هم الأنصار.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٨٠).

الْغُدُوَّ ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ **«مَهْيَمْ»** قَالَ: تَزَوَّجْتُ. قَالَ: **«كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟»** قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ.

❐ وفي رواية في «الصحيح»(١) أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. . .

❋ وهذا أيضًا مثل رائع من أبي الدحداح:

❐ أخرج عبد بن حميد بإسناد صحيح(٢) من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَإِنَّمَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ»**.

فَأَبَى فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي فَاجْعَلْهَا لَهُ وَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَمْ مِنْ عَذْقٍ رداحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»**، قَالَهَا مِرَارًا قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ، أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٨١).

(٢) «المنتخب» (حديث ١٣٣٢ بتحقيقي) وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٢٧١).

❁ ومن مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين أيضًا:

❐ ما ورد في «الصحيح»[(١)] من حديث أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «**لاَ**». فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَؤُونَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ قَالَ: «**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**».

❐ وأخرج البخاري[(٢)] من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقطع لهم البحرين. فقالوا: لا. إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «**إِمَّا لَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثْرَةٌ**».

❁ وواست الأنصار رسول الله ﷺ خير مواساة وحفظ لهم رسول الله ﷺ تلك المواساة وكافأهم عليها وأوصى بهم خير وصية:

❐ أخرج الإمام أحمد[(٣)] في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ﵄: أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى: «**مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي ﷻ وَلَهُ الْجَنَّةُ**»؟ فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يرحل من مضر أو من اليمن أو زور صمد فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله ﷻ يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله ﷻ له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لا يبقى دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم بعثنا الله ﷻ فائتمرنا واجتمعنا

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٢٥).

(٢) البخاري (حديث ٣٧٩٤).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٣٢٩) وسنده حسن.

سبعون رجلًا منا، فقلنا: حتى متى نذر رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فدخلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة فقال عمه العباس: يا بن أخي إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس رضي الله عنه في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث. فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك. قال: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، والنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لاَ تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِم، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ**» فقمنا نبايعه، فأخذ بيد أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله عز وجل، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر عند الله، قالوا: يا سعد بن زرارة، أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه رجلًا رجلًا يأخذ علينا بشرطه العباس ويعطينا على ذلك الجنة.

وأخرج أحمد(١) في «مسنده» بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ أَوْ وَادِيَ الأَنْصَارِ، وَلَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ**». قال أبو هريرة: وما

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٩).

ظلم بأبي وأمي، لقد آووه ونصروه، أو واسوه ونصروه.

□ وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟**». كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: «**مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ؟**» قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: «**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**».

□ وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم فتح مكة - وأعطى قريشًا -: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار، قال: فقال: «**مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ**» - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: هو الذي بلغك. قال: «**أَوَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بُيُوتِكُمْ، لَوْ سَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُمْ**».

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).
(٢) البخاري (٣٧٧٨)، ومسلم (٧٣٥).

❁ وواست الأنصار رسول الله ﷺ بأنفسها:

❐ أخرج الإمام أحمد رحمه الله[١] بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضي الله عنه فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن لو ضربت أكباد الإبل حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك.

❁ ومن حفظ رسول الله ﷺ للمعروف الذي قدمته الأنصار:

❐ أخرج البخاري[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❐ وما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❐ وفي رواية للبخاري[٤] من حديث أنس أيضًا قال: مر أبو بكر

---

(١) «المسند» (٣/ ١٠٥).

(٢) البخاري (حديث ٣٨٠٠).

(٣) البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠).

(٤) البخاري (حديث ٣٧٩٩).

والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا. فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر. ولم يصعده بعد ذلك اليوم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

❐ وقال رسول الله ﷺ: «**لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**»(١).

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»(٢).

❐ وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحَبَّ الأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ الأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**»(٣).

❐ وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**»(٤).

❋ **والمهاجرون كذلك لم يحرموا هذا الفضل ولم يتخلفوا عنه:**

❐ فها هو أبو بكر رضي الله عنه يواسي رسول الله ﷺ بنفسه وبماله، وحفظ له رسول الله ﷺ تلك المواساة:

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٤)، ومسلم (حديث ٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠١) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

❐ أخرج أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناد حسن[(١)] من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»**. قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»**. قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

❐ وأخرج البخاري من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال[(٢)]: كنت جالسًا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: **«أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»**، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك فقال: **«يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»** ثلاثًا، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين) فقال النبي ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي»** فما أوذي بعدها.

❐ وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[(٣)] بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجًا، أَوْ قَالَ: زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ - أُرَاه**

---

(١) أبو داود (حديث ١٦٦٢).

(٢) البخاري (حديث ٣٦٦١).

(٣) «المسند» (٢/ ٣٦٦).

قَالَ -: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ يَا مُسْلِمُ هَذَا خَيْرٌ هَلُمَّ إِلَيْهِ»، فَقَالَ: أبو بكر: هذا رجل لا تودي عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ إلاَّ مَالُ أَبِي بَكْرٍ**» قال: فبكى أبو بكر وقال: وهل نفعني الله إلا بك؟! وهل نفعني الله إلا بك؟! وهل نفعني الله إلا بك؟!

❑ وخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها قد واست رسول الله ﷺ أيضًا، وحفظ لها رسول الله ﷺ معروفها وجميلها:

❑ أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاء الملك فقال: اقرأ، قال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ؛ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[العلق: الآية ١-٣]» فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ

---

(١) البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**». قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ.

❏ ومن حفظ رسول الله ﷺ المعروف لخديجة رضي الله عنها ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها ما يسعهن.

❁ وقد أثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين لمواساة بعضهم بعضًا.

❏ أخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا(٣) فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ**

---

(١) البخاري (٣٨١٦)، ومسلم (٢٤٣٥).

(٢) البخاري (حديث ٢٤٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٠٠).

(٣) أرملوا: أي: فني طعامهم، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من شدة فقرهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: الآية ١٦] أي: ألصقته المسكنة بالتراب.

عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

ففي هذا الحديث منقبة وفضيلة للأشعريين لما تخلقوا به من الإيثار والمواساة.

❋ ولهذا الفعل أصل عن رسول الله ﷺ:

❏ ففي «الصحيح»[1] من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خَفَّتْ أزواد القوم وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم فأذن لهم، فلقيهم عمر، فأخبروه فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟ فدخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نَادِ فِي النَّاسِ فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ**»، فبسط لذلك نطع وجعلوه على النطع، فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**».

فهذه خصلة من كريم الخصال، أن يتعاون الناس فيما بينهم ويجود كل منهم بما عنده، ثم يقتسمون ذلك بالسوية فيما بينهم.

وقريب من هذا الفعل والصنيع ما يفعله الصبيان في بلادنا مصر مما يطلقون عليه اسم (الغديوة) فيأتي كل منهم بما استطاع من طعام ثم يأكلون معًا.

وقريب الشبه منهم ما يفعله الكبار إذا دعا أحدهم إخوانه، ففي أثناء مجيء بعضهم يأتي ومعه بعض الطعام في حالة رفع الكلفة فيما بينهم، ثم يأكل الجميع من المتيسر.

---

(١) البخاري (٢٤٨٤).

مواساة الضعفاء والفقراء

فهؤلاء لهم حق كبير من المواساة وحظ كبير منها.

□ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٤].

□ وقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: الآية ٢٨].

□ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: الآية ٨].

□ وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عَائِذِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلاَلٍ فِي نَفَرٍ. فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِي ﷺ فَأَخْبَرَهُ: فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لاَ. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ. يَا أُخَيَّ!

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٠٤).

مواساة النزلاء والغرباء وأبناء السبيل

❐ فلابن السبيل حق، قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ...﴾ [البقرة: الآية ١٧٧].

فإذا كان هناك رجل غريب قد نزل ببلدتك وحل بها واستأجر مسكنًا، فلا شك أنه يكون في الغالب منكسرًا لغربته وقلة معارفه وانعدام أقربائه، فينبغي أن يواسى مثل هذا، وأن يتجاوز له عن بعض زلله وأن يستضاف ويزار الحين بعد الحين تعويضًا له عن أقاربه وأصدقائه الذين تركهم ببلاده، وإعطاء له حقه الذي شرعه الله له، وإحسانًا إليه كما أمر الله.

وإذا كان الغريب والنزيل الذي نزل عليك إنما ترك أهله وأوطانه لطلب العلم الذي يتقرب به إلى الله ﷻ فينبغي أن يكرم وأن يواسى، لا أن يجهل عليه ويقال له: من أتى بك أيها الغريب إلى هذا المكان!

❐ وقد قال رب العزة ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

❐ وقال نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ١١٤].

❊ ❊ ❊

ومن المواساة الزيارة في الله

ولزيارة المسلمين أثر عظيم في تطييب القلوب والترويح عن النفوس وتخفيف المصائب والأحزان، فضلًا عما فيها من الأجر العظيم والثواب العميم.

❑ قال الله سبحانه في الحديث القدسي: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ**»(١).

❑ وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ**(٣) **اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ**(٤) **مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟**(٥) **قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**».

❋ ومن ثم كان النبي ﷺ يزور أصحابه ويزورونه:

فكان يزور أبا بكر ويكثر من ذلك.

❑ قالت أم المؤمنين عائشة ﵂(٦): لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: وقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٩-٢٣٣) من حديث معاذ ﵁ مرفوعًا، وله شاهد عند أحمد (٤/ ٣٨٦) من حديث عمرو بن عبسة أيضًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٣) أرصد رجلا: أي: أقعده يرقبه وينتظره.

(٤) المدرجة: هي الطريق.

(٥) تربها: أي: تقوم بإصلاحها.

(٦) البخاري (حديث ٣٩٠٥).

الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ بكرة وعشيًّا[(١)] فذكرت الحديث.

*** وكان يزور أم سليم رضي الله عنها:**

□ أخرج مسلم[(٢)] من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِي ﷺ لاَ يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِ إِلاَّ أُمِّ سُلَيْم، فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: **«إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي»**.

*** وكان يزور أم أيمن رضي الله عنها:**

□ ففي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء. فجعلا يبكيان معها.

*** وللزيارة آداب وأخلاق[(٤)] ينبغي أن يتخلق بها الزائر:**

منها وقت الزيارة، فلا يزور القوم في وقت تشق عليهم الزيارة فيه، وقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

---

(١) بوب البخاري لهذا الحديث (رقم ٦٠٧٩) بباب: هل يزور صاحبه كل يوم، أو بكرة وعشيًّا؟ وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩): وكأن البخاري رمز بالترجمة إلى توهين الحديث المشهور: «زر غبًّا تزدد حبًّا»، وقد روي من طرق أكثرها غرائب، لا يخلو واحد منها من مقال.. ثم تكلم عليها هناك، فراجع كلامه إن شئت.

(٢) مسلم (حديث ٢٤٥٥).

(٣) مسلم (حديث ٢٤٥٤).

(٤) وسيأتي لها مزيد - إن شاء الله - في أبواب الضيافة.

❏ وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾ [النور: ٥٨].

❏ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣].

❏ وهذا باب تختلف فيه أحوال الناس، فتراعى أحوال الناس وأوقات أعمالهم وأوقات راحتهم، وما هو الوقت المناسب للزيارة الذي لا يؤثر على راحة المزور، ولا يضيع فريضة من فرائض الله ﷻ.

وسيأتي - إن شاء الله - في أبواب الاستئذان أن المستأذن يستأذن ثلاثًا، فإن أذن له وإلا انصرف؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، فَلْيَرْجِعْ**».

وإن قيل له: ارجع، فليرجع؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: الآية ٢٨].

❊ زيارة الرجال للنساء:

❏ وتشرع زيارة الرجال للنساء إذا كانت هناك مناسبات تدعو لذلك، وهذا مشروط بأمن الفتنة، وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ كان يزور أم سليم ويزور أم أيمن، وسيأتي أنه زار أم السائب، وقد زار أبو بكر وعمر أم أيمن ﭫ[1]، وكان سهل بن سعد في طائفة من أصحابه يزورون عجوزًا كل

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم، وقد تقدم قريبًا.

جمعة[١].

❁ **ومحل هذا كله انتفاء الخلوة، وأمن الفتنة:**

فلا يزورنَّ شاب من الشباب شابة من الشابات ويخلو بها؛ فإن مجرد زيارته لها فتنة عظيمة له ولها، وأما الخلوة بها فهي محرمة[٢]، وكذلك مصافحتها فهي محرمة لقوله ﷺ: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ**»[٣].

❁ **وإذا ذهب رجلان فأكثر إلى بيت صاحب لهما فلم يجداه ووجدا امرأته، فهل للزوجة أن تدخلهم؟**

❒ إذا كانت الزوجة لا تعلم من حال زوجها كراهية لدخولهم، فلا مانع من أن تدخلهم ما داموا مجموعة (أكثر من واحد) وما دامت الخلوة لن تتحقق، وقد دل على ذلك ما يلي:

❁ **أولًا: ذهاب رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى بيت رجل من الأنصار:**

فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا. فقال لها

---

(١) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة تجعل على أربعاء في مزرعة لها سلقًا، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير تطحنها فتكون أصول السلق، وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، وكنا نتمنى الجمعة لطعامها ذلك. البخاري (حديث ٩٣٨).

(٢) وسيأتي لذلك مزيد - إن شاء الله - في أبواب الاستئذان.

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١١) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا.

رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**». قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب... الحديث(١).

□ ودل على ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلاَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ**»(٢).

*** وينبغي أن يوقَّر صاحب البيت في بيته فهو سلطان بيته:**

□ وإذا حضرت صلاة من الصلوات وأنت تزور شخصًا، فصاحب البيت أحق بالإمامة، وذلك لما أخرجه مسلم(٣) في «صحيحه» من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا(٤) وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ(٥) وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ(٦) إِلاَّ بِإِذْنِهِ**».

---

(١) وسيأتي في أبواب التكلف للضيف بتمامه إن شاء الله.

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ١٧).

(٣) مسلم (حديث ٦٧٣).

(٤) سلمًا: أي: إسلامًا.

(٥) ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه: معناه أن صاحب البيت والمجلس وإمام المجلس أحق من غيره. وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل منه. وصاحب المكان أحق فإن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده. وإن كان ذلك الذي يقدمه مفضولًا بالنسبة إلى باقي الحاضرين؛ لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف يشاء.

(٦) تكرمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به.

❊ ولا تشق على صاحب البيت عند زيارته:

❐ فلصاحب البيت أن يعرض للزائر بالانصراف كي يخرج الضيف إذا أخذ حقه من الضيافة.

❐ أخرج البخاري ومسلم عن ابن شهاب: قال: أخبرني أنس بن مالك أنه قال: كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فخدمت رسول الله ﷺ عشرًا حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وقد كان أبي بن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش: أصبح النبي ﷺ بها عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج وخرجت معه كي يخرجوا فمشى رسول الله ﷺ ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن رسول الله ﷺ أنهم خرجوا فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه، حتى دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يتفرقوا، فرجع النبي ﷺ ورجعت معه حتى بلغ عتبة حجرة عائشة، فظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فأنزل آية الحجاب، فضرب بيني وبينه سترًا(١).

❊ ❊ ❊

(١) قال ابن بطال: فيه أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل بيت غيره إلا بإذنه، وأن المأذون له لا يطيل الجلوس بعد تمام ما أذن له فيه؛ لئلا يؤذي أصحاب المنزل ويمنعهم من التصرف في حوائجهم، وفيه أن من فعل ذلك حتى تضرر به صاحب المنزل، أن لصاحب المنزل أن يظهر التثاقل به وأن يقوم بغير إذن حتى يتفطن له. اهـ.

ومن المواساة عيادة المريض

فهي أعظم أجرًا، وزيارتهم أسن وأوكد وأثرها في القلوب أوقع وأطيب.

❐ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ**». قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جَنَاهَا**»(١).

❐ وفي «الصحيحين»(٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «قَالَ أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ. وَنَهَانَا عَنْ: آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْقَسِّيِّ، وَالإِسْتَبْرَقِ».

❊ وبين النبي ﷺ أن عيادة المريض حق للمسلم على أخيه:

❐ ففي «الصحيحين»(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**».

❐ وفي رواية لمسلم(٤) عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**». قيل: ما هن يا رسول الله؟! قال: «**إِذَا لَقِيتَهُ**

---

(١) الحديث رواه مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٥٦٨ ص١٩٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا. وقوله (جناها) أي: ثمرها.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٣) البخاري (حديث ١٢٤٠)، ومسلم (حديث ٢١٦٢).

(٤) مسلم (ص ١٧٠٥).

فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ[١]**، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

❑ وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ**».

❋ وقد كان النبي ﷺ يعود أصحابه:

❑ أخرج مسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ: إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه. ثم أدبر الأنصاري. فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟**» فقال: صالح. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ**»؟ فقام وقمنا معه، ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص، نمشي في تلك السباخ[٤] حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله، حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه.

❑ ويقول الله ﷻ يوم القيامة: «**يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**»[٥].

---

(١) فشمته: المراد بتشميت العاطس: القول له: يرحمكم الله.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٩).

(٣) مسلم (حديث ٩٢٥).

(٤) السباخ: هي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ** =

* وانظر إلى هذا الفضل في عيادة المريض:

❐ ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**». قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

* **ومن مقاصد زيارة المريض مواساة أهله أيضًا، ومن ثم شرعت زيارة المغمى عليه مع أنه لا يدري بمن زاره.**

ولزيارة المغمى عليه من الفوائد أيضًا: الدعاء له، واغتنام الأجر بزيارته، فضلًا عما في ذلك من مواساة أهله.

أخرج البخاري[2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مرضت مرضًا فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أغمي عليَّ، فتوضأ النبي ﷺ ثم صب وضوءه عليَّ فأفقت فإذا النبي ﷺ . . .

* عيادة الرجال للنساء:

كما قدمنا أنه تجوز زيارة الرجال للنساء، فكذلك عيادة الرجال لهن عند

= **عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟**».

(١) مسلم (حديث ١٠٢٨).

(٢) البخاري (٥٦٥١).

مرضهن، فهي جائزة مشروعة بشرط أمن الفتنة كما قدمنا.

أخرج مسلم(١) في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب. فقال: **«مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟(٢)»** قالت: الحمى، لا بارك الله فيها. فقال: **«لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»**.

❁ وتشرع زيارة المرأة للرجل المريض(٣) كذلك، إذا لم تكن هناك خلوة ولا يتوقع من تلك الزيارة شر أو فساد:

❏ فها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزور بلالاً رضي الله عنه. ففي «صحيح البخاري»(٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما. قالت: فدخلت عليهما قلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبِّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلالا إذا أقلعت عنه يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يومًا مياه مجنة ... وهل تبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا**

---

(١) مسلم (حديث ٤٥٧٥).
(٢) تزفزفين: أي: تتحركين حركة شديدة، أي: ترتعدين.
(٣) ومحل ذلك - كما أسلفنا مرارًا -: إذا كانت الفتنة مأمونة.
(٤) البخاري (حديث ٥٦٥٤).

الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ».

❋ ويستحب نصح المريض عند عيادته والدعاء له وإرشاده إلى ما فيه مصلحة له في دنياه وأخراه.

❏ أخرج مسلم في «صحيحه» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ**». قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! لاَ تُطِيقُهُ. أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ. أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ؟**». قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.

❋ وينبغي أن تحث المريض على الصبر:

❏ أخرج البخاري ومسلم(١) من طريق عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء. أتت النبي ﷺ قالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**». قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف. فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها.

وليذكر المريض بالدعاء، وبقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠].

وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٦].

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٧٧)، ومسلم (حديث ٢٥٧٦).

وكذلك بقول النبي ﷺ[١]: «**لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**».

※ وذكِّر المريض بأنه لا يجوز له أن يدعو على نفسه بالموت من أجل المرض:

❑ ففي «الصحيحين»[٢] من طريق قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبعًا. قال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

❑ وفيهما[٣] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**».

❑ وعند البخاري[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**وَلاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**».

❑ وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٥] قال: قال رسول الله

---

(١) أخرج مسلم (٢٠٩٦).
(٢) البخاري (حديث ٦٣٤٩)، ومسلم (٢٦٨١).
(٣) البخاري (حديث ٦٣٥١)، ومسلم (حديث ٢٦٨٠).
(٤) البخاري (حديث ٥٦٧٣).
(٥) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُم الْمَوْتَ وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلاَّ خَيْرًا**».

❋ وليرشد المريض إلى الأنفع له في دينه ودنياه:

❐ أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ، في حجة الوداع، من وجع أشفيت منه على الموت[٢]. فقلت: يا رسول الله! بلغني ما ترى من الوجع. وأنا ذو مال. ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة. أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «**لاَ، الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ. إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**[٣]**، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**». قال: قلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي[٤]؟ قال: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ**[٥] **فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يُنْفَعَ بِكَ أَقْوَامٌ**[٦] **وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ**[٧]**، وَلاَ تَرُدَّهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٩)، وانظر مسلم (حديث ١٦٢٨) واللفظ له.

(٢) أشفيت منه على الموت: أي: أشرفت معه على الموت.

(٣) يتكففون: يسألون الناس بأكفهم.

(٤) مراده: أنه خشي أنه يموت بمكة وقد هاجر منها، أو خشي أن يبقى بمكة بعد انصراف رسول الله ﷺ عنها.

(٥) المراد بالتخلف هنا: طول العمر والبقاء في الحياة بعد موت جماعات من أصحابه.

(٦) هذا الحديث من المعجزات: فإن سعدًا رضي الله عنه عاش حتى فتح العراق وغيره. وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم. وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم. وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم، من الكفار ونحوهم.

(٧) أي: أتمها ولا تبطلها ولا تردهم على أعقابهم بترك هجرتهم ورجوعهم من مستقيم =

عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ ابْنُ خَوْلَةَ[١].

قال: رثي له رسول الله ﷺ من أن توفي بمكة[٢].

فالمريض ينبغي أن يُواسى، يُواسى بعيادته وزيارته كما قدمنا، ويواسى بالدعاء له كذلك، فقد كان النبي ﷺ يدعو للمرضى عند عيادتهم، ومن صور هذا الدعاء ما يلي:

❑ ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا[٤] أو أوتي به إليه، قال ﷺ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**».

❑ وأخرج البخاري[٥] من طريق عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: اللهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا[٦].

= حالهم المرضية.

(١) البائس: هو الذي عليه أثر البؤس، وهو: الفقر والقلة.

(٢) قال العلماء: هذا من كلام الراوي، وليس من كلام النبي ﷺ. بل انتهى كلامه ﷺ بقوله: «**لكن البائس سعد ابن خولة**». فقال الراوي، تفسيرًا لمعنى هذا الكلام: إنه يرثيه النبي ﷺ ويتوجع له ويرق عليه لكونه مات بمكة. واختلفوا في قصة سعد بن خولة. فقيل: لم يهاجر من مكة حتى مات بها. وذكر البخاري أنه هاجر وشهد بدرًا ثم انصرف إلى مكة ومات بها. وذكر ذلك النووي ونقل أقوالًا أخر، (انظر: ترتيب محمد فؤاد وتعليقه على مسلم).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٥)، ومسلم (حديث ٢١٩١).

(٤) في بعض الروايات: «**مسحه بيمينه ثم قال...**» الحديث.

(٥) البخاري (حديث ٥٧٤٢).

(٦) لا يغادر سقما: أي: لا يترك أثرًا للمرض إلا وذهب به.

❏ وعند البخاري[١] من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول: «**امْسَحِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ أَنْتَ**».

وأخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: «**بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ**»

❊ ويواسي المريض بتذكيره بالأجر والثواب من الله إن هو صبر على ما ابتلاه الله به واحتسب، وأن ما هو فيه من مرض إنما هو ابتلاء من الله ﷻ، ثم هو كفارات للذنوب والخطايا ومحو للأوزار والآثام:

❏ فعند البخاري[٣] من حديث ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ دخل على رجل يعوده، فقال: «**لاَ بَأْسَ**[٤] **طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، فقال: كلا، بل هو حمى تفور على شيخ كبير حتى تزيره[٥] القبور، قال النبي ﷺ: «**فَنَعَمْ**[٦] **إِذًا**».

❏ وفي «الصحيحين»[٧] من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله:

---

(١) البخاري حديث (٥٧٤٤).

(٢) مسلم (مع النووي ١٤/ ١٧٠).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٦٢).

(٤) طهور: أي: أن المرض يكفر الخطايا.

(٥) تزيره القبور: أي: تحمله على الزيارة بغير اختياره.

(٦) أي: أن الأمر كما ظننت ما دمت أبيت أن تكون طهورًا، وهذا يحتمل أن يكون دعاء عليه، أي: فلكونك لم تقبل أن تكون طهورًا فليكن كما أردت.

(٧) البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (١٩٩٢).

«مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا».

❏ وفي «صحيح مسلم»[(١)] من طريق الأسود قال: دخل شباب من قريش على عائشة، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خر على طنب فسطاط[(٢)]، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب. فقالت: لا تضحكوا. فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»**.

❏ وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: **«مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ[(٤)] وَلاَ نَصَبٍ[(٥)] وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ[(٦)] إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»**.

❏ وفي «صحيح مسلم»[(٧)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: **«قَارِبُوا[(٨)] وَسَدِّدُوا[(٩)]، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ**

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٢).

(٢) طنب: الطنب: هو الحبل، والفسطاط: هو الخباء، فطنب الفسطاط هو الحبل الذي يشد به الخباء.

(٣) البخاري (حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٧٣).

(٤) الوصب: الوجع الملازم الثابت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصَّافات: الآية ٩].

(٥) النصب: التعب.

(٦) يهمه: يغمه.

(٧) مسلم (حديث ٢٥٧٤).

(٨) قاربوا: توسطوا واقتصروا، فلا تغلوا ولا تقصروا.

(٩) سددوا معناه: اقصدوا السداد، وهو الصواب.

كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا[١] **أَوِ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»**.

❏ وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبد الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ**[٣]». قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: «**لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**».

❏ وفي «الصحيح»[٤] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ**[٥] **مِنْهُ**».

❏ وكذلك قال النبي ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ**»[٦].

❏ وعند البخاري[٧] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**». يريد عينيه.

---

(١) النكبة: هي العثرة.

(٢) مسلم حديث (٢٥٧٥).

(٣) تزفزفين: تتحركين حركة شديدة (ترتعدين).

(٤) البخاري (حديث ٥٦٤٥).

(٥) قال بعض أهل العلم: معناه: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها.

(٦) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٩)، وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي (٢٣٩٦) مرفوعًا ولفظه: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**».

(٧) البخاري (حديث ٥٦٥٣).

* ذكِّر المريض بأن حال المؤمن في الدنيا يدور بين الصبر والشكر، كما قال بعض أهل العلم: إن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، وقد قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٥]. فمن شأن المؤمن أنه صبار شكور، صبار على ما يصيبه من بلاء ومرض وأذى، وشكور للنعماء، فهذه حاله دائمًا كما قال الرسول ﷺ[(١)]: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

❐ وفي البخاري ومسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لاَ تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلاَءُ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ، لاَ تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ**[(٣)]».

❐ وفي «الصحيحين»[(٤)] من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ**[(٥)] **مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيجَ. وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ**[(٦)]**، عَلَى أَصْلِهَا لاَ يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٩).
(٢) البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨٠٩).
(٣) تستحصد: تنقلع مرة واحدة.
(٤) البخاري (حديث ٥٦٤٣)، ومسلم (حديث ٢٨١٠).
(٥) الخامة: هي الغضة اللينة من الزرع.
(٦) المجذية: هي الثابتة المنتصبة.

وليذكر كذلك بسير أهل الفضل والصلاح الذين ابتلاهم الله ﷻ واشتد بلاؤهم، ولكنهم صبروا واحتسبوا ذلك عند الله ﷻ.

□ أخرج الترمذي(١) وغيره بإسناد حسن من طريق مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

وقد ذكرنا الله سبحانه بنبيه أيوب ﷺ، فقال سبحانه: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

فجعل الله أمر نبيه أيوب عليه السلام ذكرى للعابدين، فذكّر الناس به ذكرهم بحديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه أبو يعلى(٢) بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ كَانَ فِي بَلائِهِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلاَّ رَجُلانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَعْلَمُ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ فَيَكْشِفُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ**

(١) الترمذي (حديث ٢٣٩٨) وله شواهد يصح بها، وانظر «المستدرك» للحاكم (١/ ٤٠)، والترمذي (حديث ٢٣٩٩).
(٢) أبو يعلى (٣٦١٧).

الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لاَ أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلاَّ فِي حَقٍّ، قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْم أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنِ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: الآية ٤٢]، فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَلَقِيَتْهُ يَنْتَظِرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلاَءِ وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ، أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ».

□ وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدًا أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ.

□ وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكًا شديدًا[(٣)]. فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**». قال: فقلت: ذلك، أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ**

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٦)، ومسلم (حديث ٢٥٧٠).

(٢) البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) الوعك: هو الحمى.

حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

فإذا ذهبت إلى مريض تعوده فذكره بابتلاءات الآخرين كي تهون عليه مصابه: وكذلك فذكِّر صاحب أي ابتلاء بما ابتلى الله به الآخرين في أجسادهم وأسماعهم وأبصارهم، فإنك إذا دخلت مستشفى لكسر في رجلك تدخل وأنت تصيح وتظن أن لا أحد في الدنيا في مثل ما أنت فيه من الألم، ثم ما هي إلا لحظات حتى تنظر من حولك، فترى جرحك لا يساوي شيئًا من جروح الآخرين، ولا واحد بالمائة من جروح الآخرين، ثم ما هي إلا لحظات أخر حتى يدخل عليك من كسرت رجلاه، بل ومن كسرت أيضًا يداه مع رجليه.

ثم يأتي بعد ذلك شخص مهشم الرأس مقطع الأوداج قد فقئت له عين بل عيناه، فحينئذ تضحك من نفسك إذا جئت تصيح فسترى نفسك بالنسبة إلى من حولك في تمام النعمة، نعمة تحتاج إلى شكر أمام ابتلاءات الآخرين!!!

❋ وهل تطعم طعامًا أو تشرب عند مريض إذا عدته؟

ليس في هذا خبر ثابت عن رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه، والمدار في ذلك على حال المريض، فرب مريض يشق عليه طول جلوس الأضياف عنده، ويشق عليه كذلك إحضار الطعام لهم، فمثل هذا لا يشق عليه بطول الجلوس ولا بتناول الطعام عنده، ورب مريض يستأنس بزيارة الأضياف والإخوان له ويسعد بقدومهم إليه، فمثل هذا ينبغي أن يفعل معه ما يدخل عليه السرور.

❋ وكذلك ثم صور أخر لمواساة المريض:

كأن تذهب معه إلى الأطباء وتداوم السؤال عنه والاطمئنان عليه ولو

بالهاتف، وكذلك كأن تتحمل عنه قيمة الدواء في بعض الأوقات أو تأتيه بهدية عند زيارتك له، وكذلك ترشده إلى طبيب ماهر أو تشفع له عند صديق من الأطباء، فكلها صور من صور المواساة تحمد عند أهل الفضل، وتستحسن عند أهل الإحسان، وما يجحد ذلك إلا كل كفور!

❁ ومن حضرته الوفاة فيذكر كذلك بجميل فعاله وبأنه مقبل على رب رحيم:

كما في قصة مقتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١] ففيها: جاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة...

وأخرج البخاري[٢] من طريق ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس على عائشة - قبيل موتها - وهي مغلوبة قالت: أخشى أن يثنى علي، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له.

فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت. قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسيًا منسيًّا[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) البخاري (حديث ٤٧٥٣).

(٣) في بعض روايات الحديث عند أحمد (١/ ٢٧٦)، وفي «فضائل الصحابة» (١٦٣٩) من الزيادة: وأنزل الله براءتك من السماء، جاء به الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله يذكر الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار. وإسنادها حسن.

مواساة من مات له ميت

فالموت مصيبة من كبرى المصائب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦]. فليواس من مات له ميت بالوقوف بجانبه عند هذه المصيبة للتخفيف عنه، ويكون ذلك أحيانًا بتذكيره بالله، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥]. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٤].

وأحيانًا أخر بتذكيره بتقوى الله والصبر على المصاب والاحتساب كما قال النبي ﷺ للمرأة التي رآها تبكي على ميت لها عند قبر: «**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**».

❐ وليذكر أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

❐ وكذلك فليذكر بما أخرجه مسلم[(١)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيُّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ. ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت:

---

(١) مسلم (حديث ٩١٨).

إن لي بنتًا وأنا غيور، فقال: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**».

❐ وفي رواية لمسلم[(١)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: ما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه: رسول الله ﷺ.

❁ ثم إن أهل الميت قد يكونون في حاجة إلى شيء من التعليم والتوجيه والإرشاد، ففي الذهاب إليهم نفع من هذا الباب كذلك:

❐ أخرج مسلم[(٢)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**». قالت: فلما مات أبو سلمة، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات. قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**». قالت: فأعقبني الله من هو خير لي منه محمد ﷺ.

❁ وها هو أبو بكر رضي الله عنه يواسي المسلمين في وفاة رسول الله ﷺ ويحثهم على الصبر ويحضهم عليه ويذكرهم بالله عز وجل:

❐ أخرج البخاري[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أقبل أبو بكر رضي الله عنه

---

(١) مسلم (ص٦٣٣).
(٢) مسلم (حديث ٩١٩).
(٣) البخاري (حديث ١٢٤١، ١٢٤٢).

على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتيمم النبي ﷺ. وهو مسجى ببرد حبرة. فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله، ثم بكى فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين: أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، قال أبو سلمة: فأخبرني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكلم الناس، فقال: اجلس، فأبى، فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمال إليه الناس وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] الحديث.

❋ ومن صور المواساة تذكير أهل الميت بشيء من فضل هذا الميت:

❐ أخرج البخاري(١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «**وَيْحَكِ! أَوَهَبِلْتِ! أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**».

---

(١) البخاري (حديث ٣٩٨٢).

※ ولتجتهد مع أهل الميت، بل تنوب عنهم في إحضار الكفن ومستلزماته، أو توكيل من يقوم بذلك، ولتصنع لهم طعاما كما ورد عن رسول الله ﷺ: «اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا»(١).

ولتشهد معهم الجنازة ولتقم معهم على دفن الميت والدعاء له والاستغفار، ولتقم بتعزيتهم أيضًا لتخفيف الآلام والأحزان عنهم.

وهذا باب في التعزية

فالتعزية من المواساة أيضًا، وبها يخفف الله الأحزان، ويذهب الله الهموم، فكم من كلمة صدرت من رجل جاء يعزي أهل الميت أذهب الله بها همومًا وغمومًا، وكان لها عظيم الأثر في تهدئة أهل الميت والتسرية عنهم، فلذلك ولغيره شرعت التعزية.

❏ وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وكما قدمنا فالتعزية تحمل كلمات طيبة بها يطمئن أهل الميت، وها هو بعض الوارد في ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٦١٠) والحاكم (١/ ٣٧٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وجعفر بن سارة من أكابر مشائخ قريش - وهو كما قال شعبة: اكتبوا عن الأشراف فإنهم لا يكذبون، وقال الذهبي صحيح.

قلت (القائل مصطفى): والقواعد تقتضي أن خالد بن سارة مجهول، لكن قد ورد في «الصحيحين» من طريق عروة، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن»**. أخرجه البخاري ومسلم (٢٢١٦).

❐ أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لها أو ابنًا لها في الموت، فقال للرسول: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنْ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**». فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها. قال: فقام النبي ﷺ، وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم. فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة. ففاضت عيناه. فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**».

❐ وأخرج الإمام أحمد[2] في «مسنده» بإسناد صحيح من حديث عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا استعمل عليهم زيد بن حارثة، وإن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة. فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، ففتح الله عليه. وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ**». فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثًا

---

(١) البخاري (حديث ١٢٨٤)، ومسلم (حديث ٩٢٣).

(٢) «المسند» (١/ ٢٠٤).

أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «**لاَ تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ادْعُوا لِي ابْنَيْ أَخِي**». قال: فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: «**ادْعُوا لِي الْحَلاَّقَ**»، فجيء بالحلاق، فحلق رءوسنا، ثم قال: «**أَمَّا مُحَمَّدٌ، فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي**». ثم أخذ بيدي فأشالها، فقال: «**اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ**». قالها ثلاث مرات. قال: فجاءت أمنا، فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له، فقال: «**الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

☐ وأخرج النسائي[1] بإسناد حسن من طريق معاوية بن قرة عن أبيه قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه. فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ، فقال: «**مَا لِي لاَ أَرَى فُلاَنًا**»؟ قالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: «**يَا فُلاَنُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ، أَوْ لاَ تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ**». قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي. قال: «**فَذَاكَ لَكَ**».

❁ وإذا وجدت عند أهل الميت ما يستدعي الإنكار أو الإرشاد فلتفعل ما يستدعيه المقام مع عدم إحداث منكر أعظم.

فإذا وجدت صياحًا وعويلًا ونياحة ولطم خدود أو شق جيوب فذكر بالآتي، إن رأيت أن الذكرى تنفع:

---

(١) النسائي (٤/ ٥٩).

❑ أخرج البخاري[1] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**».

❑ وذكرهم بأن رسول الله ﷺ[2] بريء من الصالقة والحالقة والشاقة وذكرهم أيضًا ـ إن رأيت المقام يحتمل ذلك ـ بحديث النبي ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**». وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[3].

❋ ومن مواساة أهل الميت تذكيرهم بثواب الصبر إن هم صبروا واحتسبوا:

❑ أخرج البخاري[4] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاَثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**».

❑ وفي «الصحيحين»[5] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك

---

(١) البخاري (حديث ١٢٩٤).

(٢) مسلم (مع النووي ٢/ ١١٠). والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.
والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة.
والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

(٣) مسلم (حديث ٩٣٤).

(٤) البخاري (١٢٤٨).

(٥) البخاري (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣).

فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. قال: «**اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**». فاجتمعن. فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله. ثم قال: «**مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**». فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ**».

☐ وفي «الصحيحين»[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ، إِلاَّ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ**»[٢].

☐ وفي رواية لمسلم؛ أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لاَ يَمُوتُ لإِحْدَاكُنَّ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ إِلاَّ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ**». فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «**أَوِ اثْنَيْنِ**».

☐ وعند مسلم[٣] من طريق أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان. فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: «**نعم، صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ**[٤] **الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ**[٥] **ثَوْبِكَ هَذَا، فَلاَ يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ: فَلاَ يَنْتَهِي**[٦] **- حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**». وفي

---

(١) البخاري (حديث ١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢).

(٢) تحلة القسم: هي تحلة قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

(٣) مسلم (حديث ٢٦٣٥).

(٤) دعاميص: واحد دعموص، أي: صغار أهلها، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه. أي: أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها.

(٥) بصنفة: هو طرفه. ويقال لها أيضًا: صنيفة.

(٦) يتناهى: ينتهي: أي: لا يتركه.

رواية سويد قال: حدثنا أبو السليل، وحدثنيه عبيد الله بن سعيد، حدثنا يحيى (يعني ابن سعيد) عن التيمي، بهذا الإسناد. وقال: فهل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم.

❏ وعند مسلم كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال[1]: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها. قالت: يا نبي الله! ادع الله له. فلقد دفنت ثلاثة. قال: «**دَفَنْتِ ثَلاثَةً؟**» قالت: نعم. قال: «**لَقَدِ احْتَظَرْتِ[2] بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ**».

❏ ذكر من مات له ولد بقول رسول الله ﷺ[3]: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ[4] فِيكُمْ؟**» قال: قلنا: الذي لا يولد له. قال: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا**». قال: «**فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ[5] فِيكُمْ؟**» قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: «**لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣٦).

(٢) احتظرت: أي: امتنعت بمانع وثيق، وأصل الحظر المنع.

(٣) مسلم (حديث ٢٦٠٨).

(٤) قال النووي رحمه الله: الرقوب: أصل الرقوب، في كلام العرب، الذي لا يعيش له ولد، ومعنى الحديث: إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه. ويكون له فرطًا وسلفًا.

(٥) الصرعة: أصله في كلام العرب، الذي يصرع الناس كثيرًا. ومعنى الحديث: إنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم. وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من يملك نفسه عند الغضب. فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته، بخلاف الأول.

❑ وذكرهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥].

❑ وبقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٤].

❑ وبقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُمَر: الآية ٣٠].

❑ وبقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

* ومن صور تعليم أهل الميت:

❑ أخرج مسلم(١) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره(٢). فأغمضه ثم قال: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**(٣)». فضج ناس من أهله. فقال: «**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**». ثم قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ**(٤) **وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ. وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**».

* ومن صور إرشاد أهل الميت:

❑ ما أخرجه مسلم(٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة(٦)، لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد

---

(١) مسلم (حديث ٩٢٠).
(٢) شق بصره: أي: حضره الموتُ وصار ينظر إلى شيء لا يرتد إليه طرفه.
(٣) تبعه البصر: أي: نظر إليه أين تذهب.
(٤) الغابرين: أي: الباقين.
(٥) مسلم (حديث ٩٢٢).
(٦) معناه: أنه من أهل مكة ومات بالمدينة.

تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد[١] تريد أن تسعدني[٢]، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: «**تُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ**» مرتين. فكففت عن البكاء فلم أبك.

❐ وأخرج البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ[٤] مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ[٥] إِلاَّ الْجَنَّةُ**».

❐ وأخرج النسائي[٦] بإسناد صحيح عن معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا أتى النبي ﷺ ومع ابن له: فقال له: «**أتحبه؟**» فقال: أحبك الله كما أحبه. فمات ففقده. فسأله عنه فقال: «**مَا يَسُرُّكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إلا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى يَفْتَحُ لك**».

❐ وله طريق آخر عند النسائي[٧] عن معاوية بن قرة عن أبيه أيضًا قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: «**مَا لِي لاَ أَرَى**

(١) الصعيد هو: عوالي المدينة.
(٢) تسعدني: تساعدني في البكاء والنوح.
(٣) البخاري (٦٤٢٤).
(٤) صفيه، الصفي هو الحبيب المصافي كالأخ والابن ونحو ذلك.
(٥) احتسبه: أي: صبر وطلب ثواب فراقه من الله ﷻ.
(٦) النسائي في «السنن» (٤/ ٢٣).
(٧) النسائي (٤/ ١١٨)، وهو صحيح لما قبله.

فُلاَنًا». قالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: **«يَا فُلاَنُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ، أَوْ لاَ تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ»**. قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي. قال: **«فَذَاكَ لَكَ»**.

❐ وأخرج أحمد[١] بإسناد حسن عن بعض أصحاب النبي ﷺ يقول: **«إِنَّهُ يُقَالُ لِلوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ، حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا. قَالَ: فَيَأْتُونَ. قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ[٢] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا. قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ»**.

❐ وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة زوج النبي ﷺ؛ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع النساء لذلك، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة[٤] فطبخت، ثم صنع ثريد، فصبت التلبينة عليها. ثم قالت: كلن منها. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«التَّلْبِينَةُ مَجَمَّةٌ[٥] لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ»**.

---

(١) أحمد (٤/ ١٠٥).

(٢) احبنطأ الرجل: أي: انتفخ جوفه، واحبنطأ: أي: امتنع، وقيل: هو المتغضب المستبطئ.

(٣) البخاري (حديث ٤٥١٧)، ومسلم (حديث ٢٢١٦).

(٤) التلبينة: هي حساء يصنع من دقيق ونخالة، وربما جعل فيها عسل.

وقال الهروي وغيره: سميت تلبينة تشبيهًا باللبن لبياضها ورقتها.

(٥) مجمة: أي: تريح الفؤاد وتزيل عنه الهم وتنشطه.

*** والرسول ﷺ يواسي ابنته فاطمة رضي الله عنها لما استشعر الموت:**

أخرج مسلم(١) في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارَّها. فبكت. ثم سارَّها فضحكت؟ فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت. ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت.

❐ وفي رواية لمسلم(٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِي ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ. فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الأُولَى، فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لاَ أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي. فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ. قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ**

---

(١) مسلم حديث (٢٤٥٠).

(٢) مسلم (١٩٠٤).

الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ». قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ.

❁ والمقصود من التعزية تسلية أهل المصيبة، وقضاء حوائجهم وتعليمهم إن احتاجوا إلى تعليم:

ولا تحد التعزية بثلاثة أيام؛ فحديث: «**لا عزاء بعد ثلاث**». ضعيف.

وقد أمهل النبي ﷺ آل جعفر أن يأتيهم بعد قتل جعفر ثم أتاهم، الحديث.

وهذا متوقف على أحوال أهل الميت، فإذا كانت أحوالهم تستدعي التعزية ولو بعد ثلاث فليُعزوا بعد ثلاث، وإن كانت التعزية بعد ثلاث تجدد عليهم الأحزان فتركها حينئذ أولى.

وليست للتعزية صيغٌ معينة يجب لزومها ولا يجوز تخطيها، بل يُعزي الشخص بما يظن أنه يُسري عنه ويخفف عنه الأحزان، وقد قدمنا بعض ذلك في الأحاديث السابقة.

ومما ورد عن السلف من صيغ التعزية[1] أن تقول: أعظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم الله ميتكم.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: ويستحب تعزية جميع أهل المصيبة كبارهم وصغارهم ويخص خيارهم والمنظور إليه من بينهم ليستن به غيره، وذا الضعف منهم عن تحمل المصيبة لحاجته إليها، ولا يعزي الرجل الأجنبي شواب النساء مخافة الفتنة.

---

(١) ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٥٤٤).

(٢) «المغني» (٢/ ٥٤٤).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: والتعزية من حين موت الميت في المنزل والمسجد وطريق القبور وبعد الدفن ومتى عزى فحسن، فإذا شهد الجنازة أحببت أن تؤخر التعزية إلى أن يُدفن الميت إلا أن يرى جزعًا من المصاب، فيعزيه عند جزعه. ويعزي الصغير والكبير والمرأة إلا أن تكون امرأة شابة ولا أحب مخاطبتها إلا لذي محرم، وأحب لجيران الميت أو ذي قرابته أن يعملوا لأهل الميت في يوم الموت وليلته طعامًا يُشبعهم، فإن ذلك سُنةٌ وذكر كريم وهو من فعل أهل الخير قبلنا وبعدنا، لأنه لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ**»[٢].

ثم قال الشافعي: وأحب لقيِّم أهل الميت عند المصيبة أن يتعاهد أضعفهم عن احتمالها بالتعزية بما يظن من الكلام والفعل أنه يسليه ويكف من حزنه.

❐ وكان الشافعي قبل ذلك قد قال:

قد عزي قومٌ من الصالحين بتعزية مختلفة، فأحب أن يقول قائل هذا القول[٣]. ويترحم على الميت ويدعو من خلفه.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ **عما يتعلق بالتعزية:**

---

(١) «الأم» (١/ ٢٧٨).

(٢) تقدم.

(٣) أورد الشافعي قبل هذا حديثًا ضعيف الإسناد جدًّا، ففي إسناده القاسم بن عبد الله بن عمر وهو متروك.

ومتن هذا الحديث: لما توفي رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية سمعوا قائلًا يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجو؛ فإن المصاب من حُرم الثواب.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٨٠).

فأجاب: التعزية مستحبة، ففي «سنن الترمذي» عن النبي ﷺ: «**مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ**»[١]. وأما قول القائل: ما نقص من عمره زاد في عمرك فغير مستحب، بل المستحب أن يدعي له بما ينفع مثل أن يقول: أعظم الله أجرك وأحسن عزاك وغفر لميتك.

مواساة الأرامل والأيتام

ومن أعظم من يحتاج إلى مواساة: الأرامل والأيتام.

فَقَدْ فَقَدَ هؤلاء عزيزًا عليهم... وقائمًا كان يقوم بأمرهم ويدبر شئونهم بعد الله تعالى.

فقدوا هذا الذي كان يهمه أمرهم ويسعى في قضاء حوائجهم ويفرح لفرحهم ويسعد لسعادتهم ويحزن لحزنهم.

فقدوا عائلهم الذي كان يعولهم ويُرَبِّيهم، ويدفع عنهم السوء المكروه بإذن الله ويدافع عنهم وينافح.

فقدوا من كان يدخل عليهم بالهدايا والإتحافات، ويقابلهم بالمعانقات والابتسامات.

فهذه طفلة كانت دائمًا تقول - إذا سمعت صوته -: أبي قد جاء، أبي قد جاء، وهذا طفل آخر يجري مستقبلًا أباه مُرَحِّبًا به مهتشًّا بشوشًا، وتلك زوجة تنتظر منه الحنان وترفع إليه أمر بيتها وأولادها، وتبث إليه بشجونها وأحزانها، وتفرح بابتساماته وتسعد بمقدمه، ففجأة فقد هؤلاء عائلهم

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (١٠٧٣) وغيره، وفي إسناده علي بن عاصم، وقد استنكر هذا الحديث عليه.

الوحيد من البشر، فحرموا هذا الحنان وانقطعت عنهم وجوه ذلك الإحسان، فمن ثم احتاجوا إلى مواساة، واحتاجوا إلى مداواة، ولذلك فقد تواردت نصوص الكتاب والسنة، تحث على إكرام اليتيم والإحسان إلى الأرامل، وترغب في صلتهم ومواساتهم وتحذر من أذاهم وقهرهم غاية التحذير.

❁ وهذا بعض الوارد في ذلك:

❐ أخرج البخاري[(١)] من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ[(٢)] فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**»، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى.

❐ وأخرج مسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ[(٤)] أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**»[(٥)].

❐ وقال تعالى في بيان مصارف الإنفاق: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾**﴾ [البقرة: الآية ٢١٥].

---

(١) البخاري (٦٠٠٥).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ٨٣٣) طبعة الشعب: كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوةٍ وتأديب وتربية وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية.

(٣) مسلم (٢٩٨٣).

(٤) أما قوله: «**له أو لغيره**» فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وعمته وخالته وخاله وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًّا، قاله النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

☐ وجعل الله إيتاء المال للأيتام ونحوهم من أصول البر قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧].

☐ بل ومن المواثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل الإحسان إلى الأيتام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة: الآية ٨٣].

☐ وجعل الله لليتامى قسطًا من الفيء، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الحشر: الآية ٧].

☐ ونصيبًا من الغنيمة... قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: الآية ٤١].

☐ وهذا ثناءٌ حسنٌ من رسول الله ﷺ على نساء قريش لحنوهن على الأيتام.

☐ أخرج البخاري(١) ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ(٢) عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ**

(١) البخاري (حديث ٥٠٨٣)، ومسلم (٢٥٢٧).

(٢) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٣٨٨): معناه: أحناهن وأرعاهن، وقال رحمه الله: والحانية على ولدها التي تقوم عليهم بعد يتمهم فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية، ونقل ذلك عن الهروي.

قلت: ومما يؤيد هذا التأويل سبب ورود هذا الحديث عند مسلم، وفيه أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت ولي عيال، فقال رسول الله =

وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ».

❏ وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت ولي عيالٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ....**» الحديث.

❏ وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، وفي بعض الروايات: «**أَو كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ**»[2].

❏ وفي أخرى (على الشك من بعض الرواة): «**كَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ**»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ**»[4].

❏ والإحسان إلى الأيتام يبقى للشخص في ذريته، وكذلك الإساءة إليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً

= ﷺ: «**خير نساء ركبن الإبل...**» الحديث.

وليس هذا التفسير - أعني تفسير الحانية بأنها التي لا تتزوج - على إطلاقه فالأمر يختلف من امرأة لأخرى، وقد تزوج النبي ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها ولها أولاد، فإذا تزوجت المرأة الثيب ولها أولاد رجلًا طمعًا في حفظه - بعد حفظ الله عز وجل - لأولادها فلا يخدش ذلك في حنوها على أطفالها، والله تعالى أعلم.

(١) البخاري حديث (٦٠٠٧)، ومسلم حديث (٢٩٨٣).

(٢) انظر: البخاري (٦٠٠٦).

(٣) انظر: البخاري (٦٠٠٧).

(٤) البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (ص ٧٢٩).

ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: الآية ٩].

❐ وقال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

❋ وبين سبحانه أن من أسباب اقتحام العقبة وتجاوزها بخير وسلام الإحسان على الأيتام:

❐ فقال سبحانه: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد: ١١-١٨].

❋ ولا يُنصح الضعيف بتولي مال اليتيم:

❐ وبهذا أوصى النبيُّ ﷺ أبا ذر، فقال له: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**»(١).

❋ وجاءت النصوص صريحة تنهى عن ظلم الأيتام وتحذر من إيذائهم غاية التحذير:

❐ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: الآية ٩].

❐ وقال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ

---

(١) مسلم حديث (١٨٢٦).

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ١٧-٢٦].

❊ ومن أخص صفات المكذبين بالدين أنهم يظلمون الأيتام ويقهرونهم:

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

❊ وحذر الله أشد التحذير من أكل أموال اليتامى ظلمًا:

❐ وبين رسول الله ﷺ أن ذلك من السبع الموبقات.

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٠].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: الآية ٢].

❐ وقال النبي ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ**»(١).

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (٢٧٦٦).

مواساة المطلقة

وتلك المطلقة التي كُسر خاطرها بتطليقها ينبغي أن تواسى ويُجبر كسرها من مطلقها ومن الناس أيضًا.

❏ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٤١].

❏ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٣٦].

❏ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٧].

فهكذا ينبغي أن يجبر خاطر المطلقة وأن تُواسى من قِبَل زوجها ومن قبل الناس، كذلك فلتذكَّر بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٣٠].

فليقل لها إذا طلقت وانتهت معيشتها مع زوجها: لعل في هذا الطلاق خيرًا، لعلك ترزقين بذرية صالحة من رجل آخر، لا تذهب نفسك حسرات على الزوج الذي ذهب ولا تجزعي جزعًا على الأولاد فالله يتولاهم، والله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

فمثل هذه الكلمات الطيبة تصبرها وتخفف عنها شيئًا من الأحزان، هذا

مع الدعاء لها بالتوفيق والسداد، وأن يعوضها ربها خيرًا من الذي فقدت، ولا يمنع من أن تبحث لها عن زوج صالح ما دمت تراها على خيرٍ وصلاح.

صور أخرى للمواساة

❐ وليذكِّر من لم يرزق الولد بقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

❐ وليذكِّر بيحيى عليه السلام إذ يقول الله فيه: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٣٩].

❐ وليذكَّر من رزق بالبنات أن هناك من لم يرزق بالذرية أصلًا لا بنين ولا بنات، ليُخبَر أيضًا بأن نبينا ﷺ رُزق بالبنات ومات أبناؤه الذكور في صغرهم!!

❐ ومن وُلد له ولدٌ معاق فليذكر بأن سليمان عليه السلام ولد له نصف إنسان!!

❐ وليذكر من رُزق بولد غويٍّ بولد نوح، حتى لا تذهب نفسه حسراتٍ على ولده.

❐ وليذكَّر من خسر خسارة فادحة بخسائر الآخرين التي هي أعظم وأفدح.

❐ وليُذكَّر من كذبه قومه بأن أبا لهب عم رسول الله كذب النبي ﷺ!!

❐ وليذكَّر من مات له ميت بمصابه في رسول الله ﷺ وبمصائب الناس في أمواتهم.

❐ ذكِّر من اتهم ظلمًا وزورًا بأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اتهمت ظلمًا

وزورًا، وقبلها الصديقة مريم عليها السلام، قال لها قومها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم: الآية ٢٧].

وكذلك فالصِّدِّيق يوسف عليه السلام، اتهم هو الآخر، وكذلك موسى ﷺ وغيرهم وغيرهم وغيرهم، ودائمًا كانت العاقبة للتقوى، ودائمًا النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، ومع العسر يسر.

❁ وهذا أيضًا من التسلية والمواساة:

❐ أخرج مسلم رحمه الله في «صحيحه»[(١)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: دخلَ أبو بكر يستأذنُ على رسول الله ﷺ جالسًا حوله نساؤه واجمًا ساكتًا قال: فقال: لأقولن شيئًا أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فوجأت عنقها؟ فضحك رسول الله ﷺ، وقال: **«هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ»**، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فَقُلْنَ: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّه ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين ثم نزلت عليهس هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٨]، حتى بلغ: ﴿لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لاَ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»**. قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلاَ عَلَيْهَا الآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: **«لاَ تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلاَّ أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»**.

---

(١) مسلم حديث (١٤٧٨).

تذكير الناس بأحوال غيرهم لتخفيف المصائب والأهوال عليهم

وهذا باب له أثره في تهوين المصائب على الناس وتخفيف أحزانهم، وقد وردت له جملة أدلة في الكتاب والسنة.

□ قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: الآية ٣٥].

□ وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: الآية ٣٤].

□ وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾.

□ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٠٤].

□ وقال سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤﴾ [فاطر: الآية ٤].

□ وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩﴾ [القمر: الآية ٩].

□ وقال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت وحزنت وبكت في الحج وقالت: أيرجع كل أصحابك بحجة وعمرة وأرجع بحجة فقط؟ فقال لها النبي ﷺ: «**إِنَّ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ**».

ومن ذلك القول المشهور المنسوب للخنساء تهون على نفسها مصابها بأخيها:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن أُعزي النفس معهم بالتأسي

وصل ومواساة من كان أحباؤك يصلوه

ومن برِّك بآبائك وأصدقائك أن تواسي وتصل من كان آباؤك وأصدقاؤك يصلونهم ويواسونهم، فإذا كان أبوك مثلًا قبل موته يصل أهل بيت ويتصدق عليهم ويحسن إليهم، فلا شك أنهم بموته فقدوا عزيزًا عليهم، فقم بما كان أبوك يفعل، وصِلْ من كان أبوك يصل.

❐ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ مَوْتِه**»[(١)].

وقد امتثل ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فأخرج مسلم[(٢)] من طريق عبد الله ابن دينار، عن عبد الله بن عمر: أن رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلَّم عليه عبدُ الله، وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله؛ إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وُدًّا[(٣)] لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**».

❐ وفي رواية أخرى عند مسلم[(٤)] أيضًا من طريق ابن عمر أيضًا: أنه كان

---

(١) كل ذلك عند مسلم (ص ١٩٧٩) حديث (٢٥٥٢).
(٢) كل ذلك عند مسلم (ص.١٩٧٩) حديث (٢٥٥٢).
(٣) ودًّا: أي: صديقًا من أهل مودته ومحبته.
(٤) كل ذلك عند مسلم (ص ١٩٧٩) حديث (٢٥٥٢).

إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه[١]، إذا ملَّ ركوب الراحلة وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يومًا على ذلك الحمار إذ مرَّ به أعرابي، فقال: ألست ابن فلان ابن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة، وقال: اشدد بها رأسَك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنَ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلى**»، وإن أباه كان صديقًا لعمر.

❑ وعند أبي يعلى[٢] بإسناد صحيح عن أبي بردة قال: أتيت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال: هل تدري لم أتيتك؟ قال: قلتُ: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ**»، وإنه كان بين أبي عُمر وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ فأحببت أن أصل ذلك.

❑ ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته[٣].

❑ وقوله: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[٤].

❑ **ومن هذا الباب**: قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فقد كان النبي ﷺ يزورها».

---

(١) يتروح عليه: أي: يستريح عليه.

(٢) أبو يعلى (٥٦٦٩).

(٣) البخاري حديث (٣٧١٣).

(٤) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).

فقد فقدت أم أيمن رضي الله عنها أعزَّ شخص عليها وهو رسول الله ﷺ الذي كان يزورها ويتفقد أحوالها، وكانت تُدَلُّ عليه وتصخب عليه وتذمَّرُ عليه[١].

فلما فقدت أم أيمن رسول الله ﷺ أراد أبو بكر أن يذهب مع عمر لتعويض شيء عن هذا الذي قد فُقِد، وذلك بزيارتهما لأم أيمن رضي الله عنها.

❐ ومن ذلك قول رسول الله ﷺ[٢]: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وها هو ابن عمر رضي الله عنهما يرى ابنًا لأسامة بن زيد، وأسامة هو الحِبُّ ابنُ

---

(١) في «صحيح مسلم» حديث (٢٤٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه، فناولته إناءً فيه شراب قال: فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يُرِدْهُ فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه.

وقولها: «تصخب عليه»: أي: تصيح وترفع صوتها إنكارًا لإمساكه عن الطعام والشراب.

وقولها: «تذمر عليه». أي: تتذمر وتتكلم بالغضب، وذكره النووي.

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًّا[١] - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين**[٢]: **أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**». فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركُم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

---

[١] خمًّا: اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة، فيقال: غدير (خم) قاله النووي.

[٢] ثقلين: قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما. قاله النووي.

الحِبِّ، أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ وأبوه من قبله حب رسول الله ﷺ، فماذا فعل ابن عمر مع محمد بن أسامة؟! نتركك مع هذه الرواية.

❐ أخرج البخاري[1] من طريق عَبْدِ اللهِ بْنُ دِينَارٍ قَالَ: نَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا وَهْوَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى رَجُلٍ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: انْظُرْ مَنْ هَذَا؟ لَيْتَ هَذَا عِنْدِي! قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ. قَالَ: فَطَأْطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ وَنَقَرَ بِيَدَيْهِ فِي الأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَحَبَّه.

❐ وأخرج البخاري[2] أيضًا من طريق حرملة مولى أسامة بن زيد أنه بينما هو مع عبد الله بن عمر إذ دخل الحجاج بن أيمن فلم يتم ركوعه ولا سجوده، فقال: أعِدْهُ، فلما ولَّى قال ابن عمر: من هذا؟ قلتُ: الحجاجُ بن ايمن ابن أم أيمن، فقال ابنُ عمر: لو رأى هذا رسول الله ﷺ لأحبه، فذكر حبه ما ولدته أمُّ أيمن.

❐ وأخرج ابن سعد في «الطبقات»[3] من طريق زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب فضَّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة ابن زيد على عبد الله بن عمر، فقال عبد الله بن عمر: فقال لي رجل فضَّل عليك أميرُ المؤمنين من ليس بأقدم منك سنًّا ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد، قال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين، فضلت عليَّ من ليس هو بأقدم مني سنًّا ولا أفضل منِّي هجرة،

---

(١) البخاري (٣٧٣٤).

(٢) البخاري حديث (٣٧٣٧).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١/ ٤٩).

ولا أشهد من المشاهد ما لم أشهد! قال: ومن هو؟ قلتُ: أسامة بن زيد، قال: صدقتَ لعمر الله، فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر، فلذلك فعلت.

❐ **ومن ذلك**: حفظ رسول الله ﷺ حق خديجة بعد موتها لأصدقائها وإحسانه إلى أقربائها:

❐ أخرج مسلم(١) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِي ﷺ إلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**». قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**».

المواساة بتذكير الناس بالأجر الأخروي

فكل المصائب تهون ما دام المآل إلى جنات النعيم؛ تلك الجنان التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

تلك الجنان التي يورثها الله من عباده من كان تقيًّا، ويأتيهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا.

ذكِّر من ابتلي بجزاء من صبر، وهوِّن عليه مصائب الدنيا.

❐ فقد قال النبيُّ ﷺ(٢): «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا**

---

(١) مسلم (ص ١٨٨٨).

(٢) أخرجه مسلم حديث (٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

❏ **ومن ذلك**: أن النبي ﷺ كان إذا دخل على مريضٍ يعوده قال له: «**لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»(١).

ومن المواساة
أن تشارك إخوانك أحزانهم

فلا يكونون في هم وحزن وبكاء لألم حل بهم، وأنت تضحك وتبتسم ولا تبالي بما هم فيه من هموم وأحزان!! فالمسلم أخو المسلم يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويسعد لسعادته.

❏ ألا ترى أن النبي ﷺ قد قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

❏ وفي رواية: «**الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**»(٣).

❏ وفي رواية ثالثة: «**الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٥٦).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) مسلم (٢٥٨٦).

(٤) مسلم (٢٥٨٦).

□ وذكر النبي ﷺ من أهل الجنة: «... **وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ**»(١).

□ وكذلك فانظر إلى فعل عمر رضي الله عنه لما قبل الرسول ﷺ الفدية من أسارى بدر، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٧، ٦٨].

□ أخرج مسلم في «صحيحه»(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَى؟**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا بْنَ الْخَطَّابِ**». قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**». شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِي اللَّهِ ﷺ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) مسلم حديث (١٧٦٣).

كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: الآية ٦٩] فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

فإذا كان في بيت جيرانك مصيبة موت أو أية مصيبة وعندك مناسبة سعيدة فلا تظهر سعادتك أمام إخوانك، فإن هذا يزيدهم همًّا إلى ما هم فيه من هموم وأحزانٍ.

فإذا كان لك ولد نجح في الاختبارات وابن الجيران رسب فيها، فلتراع مشاعر إخوانك، ففي هذا نوع مواساة، والموفق من وفقه الله.

وانظر إلى أثر تهنئة طلحة بن عبيد الله لكعب بن مالك لما تاب الله على كعب، وذلك في قصة الثلاثة الذين خلفوا، قال كعب: فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجل فرسًا، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته بشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيرُه، ولا أنساها لطلحة... الحديث[١].

❊ وثم محاولة يائسة قام بها ملك غسان يواسي بها كعب بن مالك لما هجره رسول الله ﷺ والمسلمون، شاهدي من ذكرها أن المواساة كانت

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

معلومة ومعروفة حتى عند غير المسلمين:

❏ ففي «الصحيحين» من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة توبته: قال: فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام[١]، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابًا من ملك غسان. وكنت كاتبًا، فقرأته فإذا فيه:

«أما بعد... فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك».

قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء، فتياممت[٢] بها التنور فسجرتها[٣] بها.

❏ **ويلحق بالمواساة: قول الرسول ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»[٤]:**

فلما كان الراكب قد نال شيئًا من التعالي لكونه راكبًا كان من حق الماشي عليه أن يبدأه الراكب بالسلام، وفي هذا - فيما أرى - نوع من التوازن، فالراكب في الغالب يشعر بنوع من التعالي على من يمشي، فحتى تتزن الأمور ينبغي أن يسلم الراكب على الماشي، وعلى هذا فتقاس الأمور.

وبعد هذا العرض لأبواب المواساة فجدير بالمسلم أن يحرص عليها،

---

(١) نبطي: النبط هم فلاحو العجم.

(٢) تياممت: قصدت

(٣) سجرتها: أي: أحرقتها.

(٤) البخاري (حديث ٦٢٣٢)، ومسلم (حديث ٢١٦٠).

ففيها أجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى، وفيها تقوية لعلاقات الشخص بإخوانه المؤمنين، ومن ثم فهي - كما قدمنا - سبب في جلب مودتهم وكسب محبتهم، ثم إن فيها وقايةً من شح النفس، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩] ثم إن الشخص بهذه المواساة يؤكد حسن ظنه بالله سبحانه وتعالى، ويؤكد ثقته بوعد الله ﷻ فضلًا عما فيها من ترويح عن المسلمين وتفريج كربات المكروبين، وقضاء حوائج المحتاجين وإشاعة روح الأخوة وإماتة الأحقاد والضغائن، وهذا كله يعود بالخير على الشخص نفسه وعلى عموم المسلمين وأيضًا على بلاد المسلمين.

باب في الاستئذان

والاستئذان من الآداب التي يجب أن يتأدب بها المسلم مع الناس:

❐ قال الله تبارك وتعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٧: ٢٩].

❁ وللاستئذان آدابٌ ينبغي التأدب بها:

من ذلك أن الاستئذان ثلاثٌ، فإذا استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لك فانصرف.

❐ ففي «صحيح البخاري»[(١)] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه كان

(١) البخاري (حديث ٦٢٤٤).

إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[١]، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[٢].

والمراد بالسلام في هذا الحديث سلام الاستئذان كما هو واضح في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ**». فقال: والله لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت

(١) وهذا في باب التعليم، إذا كان المتعلم لم يفهم إلا بالتكرير، أو في باب التنبيه على أمر من الأمور المهمة، كما في قول النبي ﷺ: «**ألا هل بلغت؟**» (ثلاثًا).
أخرجه البخاري (٦٧٨٥)من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة..**» فذكر الحديث وفيه: «**فإن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت**» (ثلاثًا).
بل قد يزيد الشخص على الثلاث إن احتاج الأمر إلى ذلك، كما في قول النبي ﷺ: «**ألا وقول الزور**». فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٩): واختلف فيمن سلم ثلاثًا فظن أنه لم يسمع، فعن مالك له أن يزيد حتى يتحقق، وذهب الجمهور وبعض المالكية إلى أنه لا يزيد اتباعًا لظاهر الخبر، وقال المازرى: اختلفوا فيما إذا ظن أنه لم يسمع، هل له أن يزيد على الثلاث؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، وقيل: إذا كان الاستئذان بلفظ السلام لم يزد، وإن كان بغير لفظ السلام زاد.

(٣) البخاري حديث (٦٢٤٥)، ومسلم حديث (٢١٥٣).

عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم: ولو سلَّم وظن أنه لم يُسمع فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية وثالثة، ولا يزيد على الثالثة.

❋ ومن آداب الاستئذان أيضًا:

﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ﴾ [النور: الآية ٢٨] أي: إن لم يأذن لك صاحب في الدخول، وقال لك: ارجع، فرجوعك خير لك، لما فيه من امتثال لأمر الله ﷻ، ثم إنك قد تواجه بما تكره، أو تجد في البيت شيئًا يكره صاحب البيت اطلاعك عليه، فإذا اطلعت عليه أثمت.

فللبيوت أسرار، والنفوس ليست مهيأة لاستقبال الأشخاص في كل وقت.

قد يكون صاحب البيت مغضبًا، قد يكون في ضيق وهم وحزن، قد لا يكون في البيت شيء يكرمك به، قد يكون مريضًا... إلى غير ذلك من الأعذار المانعة لاستقبال الناس.

عليك حينئذ إن قيل لك: ارجع، فترجع وأنت راضٍ، فهذا أمر الله ﷻ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: الآية ٢٨].

❋ ولا يكن في صدرك حرج:

❐ فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦].

❐ وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥]

والاستئذان إنما جعل من أجل البصر، فالرجل إذا دخل بغير إذن لرأى بعض

العورات التي يكره أصحاب البيت أن ترى.

❁ **ولذلك جاءت الأوامر بغض البصر:**

❐ قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النُّور: الآية ٣٠].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النُّور: الآية ٣١].

فإذا نظرت في بيت قوم بغير إذنهم فقد خالفت الأوامر الواردة بالاستئذان، وأيضا ما امتثلت أمر الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النُّور: الآية ٣٠].

❐ وقد قال رسول الله ﷺ: فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»[(١)] بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«إذا دخل البصر فلا أذن»**.

فلا معنى للاستئذان إذا أمكنت النظر من الدخول!

❐ وقد أخرج البخاري ومسلم[(٢)] في «صحيحيهما» من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلًا اطلع من جُحْرٍ في حُجَر النبي ﷺ، ومع النبي مدرى يحك به رأسه فقال: **«لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»**.

❐ وقال النبي ﷺ: **«لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ»**[(٣)].

---

(١) البخاري «الأدب المفرد» (١٠٨٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٢٤١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢/ ٢٤٣)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٨).

وأورد هنا ما ذكرته في كتاب «فقه التعامل بين الزوجين» مما يتعلق بهذا الموطن:

ذكرت هناك أن الله سبحانه وتعالى أرشد الأبوين إلى أدب رفيع وهو تعليم أبنائهما =

❁ كراهية قول المستأذن أنا :

ويكره لك إذا استأذنت فقيل : من أنت؟ أن تقول : أنا (دون ذكر اسمك) ولكن قل : (أنا فلان).

☐ وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد الله ﵄ قال : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ ، فَقَالَ : «**مَنْ ذَا؟**» فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : «**أَنَا أَنَا**» . كَأَنَّهُ كَرِهَهَا .

= المميزين الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا عليهما في هذه الأوقات الثلاثة التي هي مظنة انكشاف العورات وخلع الثياب وهي :
من قبل صلاة الفجر .
حين تضعون ثيابكم من الظهيرة .
من بعد صلاة العشاء .
فالغالب أن الرجل وزوجته يتكشفان في هذه الأوقات ، وهي أوقات مظنة للجماع ، فأمر الأبوين أن يعلما الأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم الاستئذان عليهما في هذه الأوقات الثلاثة ، فقد يدخل الولد أو تدخل البنت على أبويهما في هذه الأوقات ، فيجدا الوالدين على حالة يكرها أن يُريا عليها من التكشف أو الجماع أو نحو ذلك ، فيخرج الولد وتخرج البنت وقد ارتسمت في أذهانهما المناظر التي رأوها من أمهما وأبيهما فيتلوث فكرهما ، ويخرج الطفل يبحث عن طريقة لتطبيق ذلك الذي رآه من أمه وأبيه ، فيطبق ذلك مع جارته ومع زميلته بل ومع أخته ، في بيوت الذين لا يتحفظون ، ولا يفرقون بين الأبناء في المضاجع ، طفل ينام بجوار أخته ، ويرى من أمه وأبيه منظرًا مثيرًا فكيف يصنع مع أخته؟!! إن الشيطان حريص على الفساد فقد يقوده إلى الفساد والرذيلة مع أخته .
فديننا دين نظيف يحفظ تصورات الأطفال نظيفة ، ويحفظ عقولهم نظيفة ، ويحفظ أفئدتهم وألسنتهم كذلك نظيفة ، ألا فليمتثل المسلم والمسلمة لأوامر الله ﷻ وأوامر نبيه ﷺ ، ولتتحفظ الأم في سيرها في البيت أمام أولادها المراهقين ، فلا تتبرج تبرجًا زائدًا أمام بنيها فالشيطان يزين لهم الحرام ، وكذلك فليتحفظ الوالد ولا يمشي في البيت بثياب تثير بناته ، كهذا الذي يمشي بالسروال القصير في البيت أو يمشي بالكلوت (الشورت القصير جدًّا) داخل البيت فيحدد هذا الشورت وهذا السروال عورته أمام بناته ويقودهن ذلك إلى طريقة لا تحمد عقباها .

(١) البخاري (حديث ٦٢٥٠)، ومسلم (حديث ١٢٥٥).

□ **قلت**: وكراهية النبي ﷺ لقول: (أنا) في هذا الموطن محتملة لأمور:

أحدها: أن كلمة: (أنا) لم يقع بها التعريف الكافي، فاحتيج إلى ذلك الاسم حتى لا يقع الالتباس والاشتباه.

والثاني: أنه لم يقدم السلام بين يدي كلمة (أنا)، فكان من الأولى أن يقول: السلام عليكم، أنا فلان.

الثالث: أن كلمة (أنا) فيها نوع من الكبر(١)، كأنه قال: أنا الذي لا أحتاج إلى ذكر اسمي أو نسبي، فأنا معروف مشهور، نقله الحافظ ابن حجر(٢) عن ابن الجوزي، وقال: وتعقبه مغلطاي بأن هذا لا يتأتى في حق جابر في مثل هذا المقام، وأجيب بأنه ولو كان كذلك فلا يمنع من تعليمه ذلك لئلا يستمر عليه ويعتاده، والله أعلم.

قلت (القائل مصطفى): وهذا يجرنا إلى شيء ألا وهو إن كان المستأذن معروف الصوت وصوته لا يلتبس بصوت غيره ولا يشتبه به، فهل له أن يقول: أنا، عند استئذانه؟!!

---

(١) وليس هذا على إطلاقه، وكذلك قول العامة عند قولهم: (أنا) أعوذ بالله من كلمة (أنا) فمحمل هذا إذا كان الشخص رأى في نفسه الكبر والعجب، أما في حالة عدم وجود الكبر والعجب، فلا بأس بقول: أنا، وقد قال النبي ﷺ: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**». مسلم (١٧٧٦)، والبخاري (٢٣١٧).
وقال النبي ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» مسلم (حديث ٢٢٧٨).
وقال علي رضي الله عنه: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» مسلم (ص ١٤٤١).
وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «خذها وأنا ابن الأكوع» (ص ١٤٣٦).
وفي الباب أحاديث وآثار أخر.

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٨).

ظاهر الحديث يفيد الكراهة، لكن للقول الآخر القائل بالجواز وجه أيضًا، والله أعلم.

❁ صور للاستئذان:

□ أخرج أبو داود[(١)] في «سننه» بإسناد صحيح عن ربعي قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو بيت فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «**اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاِسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟**» فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل.

وفي «مسند الإمام أحمد» بإسناد حسن[(٢)] إلى كلدة بن الحنبل أَنَّ صَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ بِلَبَأٍ[(٣)] وَجِدَايَةٍ[(٤)] وَضَغَابِيسَ[(٥)]، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الْوَادِي، قَالَ: فَدَخَلْتُ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ، فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ؟**».

❁ ومن آداب الاستئذان أيضًا ألا تستقبل الباب بوجهك:

□ فقد ورد[(٦)] عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ: «أن النبي ﷺ إذا

---

(١) أبو داود (٥/ ٣٦٩).
(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤١٤).
(٣) هو ما يأتي من البقرة أو الجاموسة بعد الولادة من اللبن.
(٤) الجداية: من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة.
(٥) الضغابيس: صغر القثاء.
(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٥١٣ رقم ١٠٧٨) بإسناد صحيح لشواهده، وله شاهد عند أبي داود من طريق طلحة عن هزيل قال: جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب، وفي رواية: مستقبل الباب، فقال له النبي ﷺ: «**هكذا عنك** =

أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يمينًا وشمالًا، فإن أذن له وإلا انصرف».

❋ وهل رسول الرجل إلى الرجل إذنه؟!

بمعنى إذا أرسلت رجلًا يستدعي لك آخر، فهل يلزم إذا جاء الآخر عنده أن يستأذن أم أن إرسالك إليه للحضور يعد إذنًا له في الدخول؟!!

الذي يظهر لي من ذلك - والله تعالى أعلم - أن الحكم يختلف باختلاف المقام: فإذا أرسلت رجلًا إلى آخر كي يحضره وطالت مدة إحضاره وتأخر فعليه أن يستأذن، فقد تكون حالة المرسل تغيرت ووضعه اختلف، أما إذا كان المرسل أرسل شخصًا إلى آخر وأحضره في الحال فهذا - والله أعلم - لا يلزم معه جديد استئذان.

اللهم إلا إذا كان الوضع يحتاج إلى استئذان أيضًا،فالمسألة تقدر بقدرها.

وكذلك مكان المُرسِل وهل هو جالس في بيته أم في مجلس عام للقضاء؟

كل ذلك يدخل في الاعتبار، وقد جاءت الأدلة تفيد ما قررته، والله أعلم.

❋ وها هي بعض الأدلة على ذلك:

❏ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[النور: ٢٧].

= أو هكذا، فإنما الاستئذان من النظر» أبو داود (٥/ ٣٦٧).

□ وقال النبي ﷺ: «**رَسُولُ الرَّجُلِ إِلَى الرَّجُلِ إِذْنُهُ**»(١).

□ وفي «صحيح البخاري»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت مع رسول الله ﷺ فوجدت لبنًا في قدح فقال: «**أَبَا هِرٍّ، الْحَقْ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ**» قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأُذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا!!

❋ وإياك أن تستمع إلى حديث قوم وهم يكرهون استماعك أو يفرون منك:

□ أخرج البخاري(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**(٤)، **وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**».

وإذا دعاك شخص إلى بيته فذهبت وصحبك أقوام فاستأذن لهم من صاحب البيت، فقد يكون في حاجة إليك في أمر خاص، أو تكون ظروفه في البيت لا تسمح باستقبال أكثر من شخص أو تكون نفسياته لا تتحمل، أو غير ذلك.

فعليك حينئذ أن تستأذن إذا صحبك شخص إلى بيت من دعاك، كما فعل الرسول ﷺ إذ قال لمن دعاه: «**إِنَّ هَذَا قَدِ اتَّبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِلَّا**

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٧٦) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ٣١).

(٣) البخاري (مع الفتح ٢١/ ٤٢٧)، وأشار البخاري إلى اختلاف وقع في سند هذا الحديث، فبعض الرواة جعله من حديث ابن عباس، وبعضهم جعله من حديث أبي هريرة، انظر «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي حديث ٥٩٩).

(٤) وهذا له فقه متسع يأتي في محله إن شاء الله.

رَجَعَ».

□ أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رجل من الأنصار، يقال له: أبو شعيب، وكان له غلام لحام[٢] فرأى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع، فقال لغلامه: ويحك! اصنع لنا طعامًا لخمسة نفر؛ فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة، قال: فصنع، ثم أتى النبي ﷺ فدعاه خامس خمسة واتبعهم رجل فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «**إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ**». قال: لا، بل آذان له يا رسول الله!

□ وأخرج مسلم في «صحيحه»[٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جارًا لرسول الله ﷺ فارسيًّا كان طيب المرق، فصنع لرسول الله ﷺ ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ فَقَالَ: «**وَهَذِهِ**». لِعَائِشَةَ فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ**» فَعَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَهَذِهِ**». قَالَ: لاَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ**». ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَهَذِهِ**». قَالَ: نَعَمْ، فِي الثَّالِثَةِ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ[٤]، حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ.

لكن إذا كان لك دلال على الداعي الذي دعاك وتعرف من ظروف بيته ومن أخلاقياته أنه لا يتضايق من مجيئك بأضياف، فلك في هذه الحالة أن تصطحب الأضياف وإن لم تستأذن، دل على ذلك ما فعله الرسول ﷺ لما

---

(١) البخاري (حديث ٥٤٦١)، ومسلم (حديث ٢٠٣٦).

(٢) لحام: أي: يبيع اللحم.

(٣) مسلم (حديث ٢٠٣٧).

(٤) أي: يمشي كل واحدٍ منهما في إثر صاحبه.

دعاه أبو طلحة، فقال ﷺ لأصحابه: «**قُومُوا إِلَى أَبِي طَلْحَةَ...**».

□ ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي، وَرَدَّتْنِي[(٢)] بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**أَلِطَعَامٍ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**». قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتِ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي، مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟!**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[(٣)] لَهَا فَأَدَمَتْهُ[(٤)] ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**». فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**». فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**». وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ.

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٨١)، ومسلم (حديث ٢٠٤٠).
(٢) ردتني: أي: جعلت بعضه رداءً على رأسي.
(٣) العكة: وعاء صغير من جلد للسمن خاصة.
(٤) آدمته وأدمته: أي: جعلت فيه إدامًا، وهو الطعام الذي يؤكل مع الخبز.

❐ وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن عبد الله ﵄ قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا[٢] فَانْكَفَأْتُ[٣] إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا[٤] فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ[٥] دَاجِنٌ[٦]، فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **«يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُم سُوْرًا[٧] فَحَيْهَلًا[٨] بِكُمْ»**، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ»**. فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ: بِكَ، وَبِكَ[٩] ....

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٩).

(٢) الخمص: خلاء البطن من الطعام.

(٣) انكفأت: أي: رجعت.

(٤) جراب: هو: وعاء من جلد.

(٥) بهيمة: تصغير بهمة، وهي الصغير من أولاد الضأن، قال الجوهري: وتطلق على الذكر والأنثى الشاة والسخلة الصغيرة من أولاد المعز.

(٦) داجن: الداجن ما ألف البيوت.

(٧) سورًا: بضم السين وإسكان الواو، غير مهموز، هو الطعام الذي يدعى إليه، وقيل: الطعام مطلقًا، وهي لفظة فارسية.

(٨) فحيهلا: بتنوين هلا، وقيل: بلا تنوين، على وزن علا، ومعنى حيهل: عليك بكذا أو ادع بكذا، وهكذا قاله أبو عبيد وغيره، قيل: معناه أعجل به، وقال الهروي: معناه هات وعجل به.

(٩) بك وبك: أي: ذمته ودعت عليه، وقيل: معناه بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم =

فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لي(١) فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينتنا فَبَصَقَ فِيها، وَبَارَكَ ثمَّ عَمَدَ إلَى بُرْمَتِها فَبَصَقَ فِيْهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ**(٢) **وَلاَ تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ! لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا(٣) وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ(٤) كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا - أو كما قال الضحاك - لَتُخْبِزُ كَمَا هُوَ(٥).

❐ وإذا علمت من حال صاحب البيت أن ظروفه لا تسمح، وإمكانياته لا تساعده لاستقبال آخرين معك فلا تحرجه أصلًا، وكذلك إذا علمت أنه يريدك في مسألة خاصة.

❋ وإذا دخل الشخص بيتًا بعد أن استأذن، هل له أن يتجول ببصره في البيت هنا وهناك، وأن يقلب في هذا، ويفتش في هذا، أم أنه يسكن في مكانه؟

في هذه المسألة تفصيل، حاصله - والله أعلم -: أن من البيوت ما قد هيئ وأعد للأضياف، ولا يتحرج صاحب هذا البيت من اطلاع الأضياف على ما فيه والنظر إلى ما قد حواه، ومن البيوت بيوت لم تُهيأ ولم تعد لهذا، وصاحبها يكره من الداخل أن يتجول ببصره هنا وهناك أو يفتش في هذا وذاك.

فعلى الشخص حينئذ أن ينظر إلى طبيعة البيت الذي دخله، وإلى سجية

= وقيل: معناه جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك.

(١) قد فعلت الذي قلت لي: معناه أني أخبرت النبي ﷺ بما عندنا، فهو أعلم بالمصلحة.

(٢) واقدحي من برمتكم: أي: اغرفي، والمقدح: المغرفة يقال: قدحت المرق أقدحه غرفه.

(٣) تركوه وانحرفوا: أي: شبعوا وانصرفوا.

(٤) لتغط: أي: تغلي ويسمع غليانها.

(٥) كما هو: يعود إلى العجين.

الأشخاص الذين استضافوه، وهل هناك عورات ستكشف؟

❐ وها هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد استأذن ودخل على رسول الله ﷺ قال: فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رِمْلِ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟! فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «لَا». فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ... فذكر الحديث، وفيه: فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «نَعَمْ». فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ إِلاَّ أُهُبًا ثَلاَثَةً فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ... الحديث(١).

❊ ويشرع الاستئذان على الأم وعلى الأخت، وكذلك على البنت أيضًا خشية أن تراهما عريانتين فيسوؤهما ذلك، وقد تحدثك نفسك بالسوء، والعياذ بالله، ويتشوش عليك فكرك ويتسلط عليك شيطانك.

❐ ومن ثَمَّ أخرج البخاري في «الأدب المفرد»(٢) بإسناد صحيح عن عطاء قال: سألت ابن عباس فقلت: أستأذن على أختي؟ قال: نعم، فأعدت فقلت: أختان في حجري وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما؟! قال: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين؟! ثم قرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨] قال: فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث.

❐ قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٦٨)، ومسلم (ص١١١٢، ١١١٣) واللفظ له.
(٢) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٦٣).

﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [النُّور: الآية ٥٩].

قال ابن عباس: فالإذن واجب على الناس كلهم.

❐ وأخرج البخاري[1] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح عن علقمة قال: جاء رجل إلى عبد الله قال: أأستأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها.

❐ وعنده أيضًا[2] بإسناد صحيح عن مسلم بن نُذَير قال: سأل رجل حذيفة فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره.

* * *

(١) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٥٩).

(٢) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٦٠)، وقد صحح أسانيد هذه الآثار الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ «فتح الباري» (١١/ ٢٧).

إكرام الضيف

وإكرام الضيف من جميل الخصال، وكريم الفعال، ومن أخلاق الأنبياء عليهم السلام، والبخل من مساوئ الأخلاق وذميم الصفات، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩]، واعلم أن: ﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: الآيات ٣٦، ٣٧] إكرام الضيف خصلة كريمة تحلى بها الأنبياء وحث عليها المرسلون، وتخلق بها المؤمنون، وخاصة إذا كان هذا الإكرام ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وامتثالًا لأمره واتباعًا لهدي رسله عليهم الصلاة والسلام.

❁ هذا هو الخليل إبراهيم عليه السلام أتاه أضيافه فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ حنيذٍ[(١)]:

❐ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: الآيات ٦٩- ٧١].

❐ وقال الله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) وستأتي بعض آداب الضيافة المستنبطة من هذه الآيات قريبًا، إن شاء الله.

ﭐلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [الذاريات: الآيات ٢٤- ٣١].

وها هو الخليل ينصح ولده إسماعيل عليه السلام بفراق زوجته لما وجدها ساخطةً بخيلةً غير محسنة لاستقبال الأضياف:

❑ ففي «الصحيح»[(١)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتخفى أثرها على سارة... فذكرت الحديث وفيه: وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بِشرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهدٍ وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك. فطلقها.

❑ ويوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لإخوته: ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٩] وقوله: ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [يُوسُف: ٥٩] أي: خير من أكرم الأضياف وأحسن إليهم وأجلسهم أحسن المجالس، وأطعمهم أحسن الطعام.

❑ ولوط ﷺ يغتم غمًّا شديدًا للمكروه الذي يراه سيصيب الأضياف،

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٤).

فيقول لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

بل وانظر إليه وهو يعرض على القوم أن يتزوجوا ببناته حماية لجناب الأضياف وحفاظًا عليهم، فيقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: الآية ٧٨].

❐ **ونبينا ﷺ كذلك يكرم الأضياف قبل البعثة وبعدها:** فقد جبل رسول الله ﷺ على هذه الخصلة الطيبة أيضًا، فتصفه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما رجع إليها وقد جاءه الوحي بحراء - فتقول: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[(١)].

❐ **وصاحبه أبو بكر كذلك:**

وأبو بكر الصديق لما خرج مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق... الحديث[(٢)].

❋ ويحث نبينا محمد ﷺ على إكرام الضيف:

❐ ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(١).

❐ وفيهما(٢) أيضًا من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه جَائِزَتَهُ**»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يَوْم وَلَيلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليك(٣)، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

❐ وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «... **وَإِنَّ لِزَوْرِكَ(٤) عَلَيْكَ حَقًّا**»(٥).

❐ ويقر النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «**وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(٦).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًّا، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٢) البخاري (٦٠١٩) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨)(ص ١٣٥٢).

(٣) نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩) عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البر على ما بحضرته يومًا وليلةً، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٤) الزور: هو الضيف، يقال: هؤلاء زور.

(٥) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم(حديث ١١٥٩)

(٦) أخرجه الترمذي (٢٤١٣)بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه وفيه: أن سلمان قال =

□ وأخرج أحمد(١) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال: «**مَا مِنَ النَّاسِ مَثَلُ رَجُلٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمَثَلُ رَجُلٍ بَادٍ فِي غَنَمِهِ يَقْرِي ضَيْفَهُ وَيُؤَدِّي حَقَّهُ**».

❁ واقرأ هذا الحديث فلعلك تنتفع به:

□ أخرج مسلم(٢) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ أسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**».

❁ وانظر إلى هذا المثل الرائع من أمثلة الإيثار والكرم:

□ أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ

= لأبي الدرداء رضي الله عنهما: إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك، فقال له: «**صدق سلمان**». وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨، ٦١٣٩).

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١١).

(٢) مسلم حديث (٢٥٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٨٨٩)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤). =

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ**». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**».

❋ وإلى هذا المثل أيضا:

❐ أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت ألزم النبي ﷺ لشبع بطني، حين لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلانٌ ولا فلانة، وألصق بطني بالحصباء، وأستقرئ الرجل الآية - وهي معي - كي ينقلب بي فيطعمني، وخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب: ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكة[2] ليس فيها شيء، فنشتقها، فنلعق ما فيها».

= هذا الرجل هو أبو طلحة رضي الله عنه كما في رواية مسلم.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٣٢): في حديث أنس عند ابن أبي الدنيا «فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان».

(١) البخاري (٥٤٣٢).

(٢) العُكة: وعاء من جلد يوضع فيه السمن.

❊ وإكرامك للأضياف يجلب لك محبة الله ﷻ؛ لامتثالك أمره وطاعتك لرسله عليهم الصلاة والسلام:

ثم هو أيضًا يجلب لك محبة المخلوقين، وثناءً حسنًا عطرًا فيهم، ولا تظن أن إكرامك للضيف سيسبب لك الفقر، وسيذهب بمالك، ولكن احتسب الأجر والثواب عند الله، وأيقن بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩].

فلا تخش من فقرٍ ولا تتحرج من ضيف فالبركة من الله سبحانه، وطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية(١)، كما قال رسول الله ﷺ.

❊ وانظر إلى هذه القصة وتبين ما فيها من خير وبركة:

□ أخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي، وَرَدَّتْنِي(٣) بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**أَلِطَعَامٍ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) بهذا السياق أخرجه مسلم (حديث ٢٠٥٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.
وفي «الصحيحين» البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**».

(٢) البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٣) ردتني ببعضه: أي: غطتني ببعضه (أي: جعلت بعضه رداءً لي).

لِمَنْ مَعَهُ «**قُومُوا**». قَالَ: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي، مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْم!**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً(١) لَهَا فَأَدَمَتْهُ(٢) ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ.

* والنفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها ولم يحسن إليها:

فهذا كليم الله موسى ﵇ لما نزل هو والخضر قرية ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾، قال موسى ﵇ للخضر لما أقام الجدار بلا أجر من أهل القرية البخلاء: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] فهذا جزاء البخيل! لا يكرم الناس فلا يكرم هو الآخر.

وقد يقول قائل: إن الخضر بنى الجدار مع بخل أهل القرية عليه وعلى موسى! فنجيب: إن بناء الخضر الجدار فيه منع لهؤلاء البخلاء من مالٍ كانوا سيستحوذون عليه، فقد كان تحت الجدار مال لأيتام سيسطو عليه هؤلاء البخلاء إذا لم يبن الجدار كما قال الخضر: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ

---

(١) العكة: وعاء صغير من جلد، يوضع فيه السمن.

(٢) أدمته: أي: جعلت فيه إدامًا.

أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: الآية ٨٢] .

❋ وحتى الضيف الكافر له حق:

◘ وذلك لأن أحاديث النبي ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

إلى غير ذلك من الأحاديث، ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلمًا، بل فيها الإطلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(١).

أما حديث: «**لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِي**»(٢).

فابتداء في إسناد هذا الحديث - عندي - ضعف.

وعلى فرض تحسينه فهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحبة تقتضي طول الملازمة، فلا ينبغي أن تكثر من مجالسة الفجار ولا الكفار والأشرار ولا ينبغي أن يكونوا من بطانتك ولا من خاصتك، كما قال تعالي: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ**﴾ [آل عمران: الآية ١١٨] أي: لا تتخذوا مستشارين ولا أصدقاء ولا أحبابًا من غيركم تفشون إليهم بأسراركم وتستشيرونهم في أموركم وتبتغون عندهم النصيحة فإنهم: ﴿**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾، أي: لا يقصرون في إغوائكم وإضلالكم ﴿**وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ**﴾، أي: رغبوا وأحبوا نزول المشقة والعسر بكم.

وقد حمل بعض أهل العلم قول النبي ﷺ: «**وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ**» -

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (٣/ ٣٨)، وغيرهم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا، وفي إسناده ضعف، وله طرق أخرى ضعيفة أيضًا.

في حال صحته - على طعام الوليمة والدعوة[١] دون طعام الحاجة، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، والأسير إنما يكون من الكفار.

❐ هذا، وقد أخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ ضافه ضيف، وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعىً وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»**.

❋ ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام؛ وذلك لأن النبي ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقبل النبي ﷺ دعوتها[٣]:

وانظر إلى عظيم حق الضيف في هذه الأحاديث:

❐ أخرج البخاري[٤] من حديث عقبة بن عامر قال: قلنا للنبي ﷺ: إنك

---

(١) وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله، وحتى طعام الدعوة إن كان يقصد به تأليف القلوب والدعوة إلى الخير والبر والإسلام؛ فلا بأس بإطعام الكافر منه، بل ويستحب في مثل ذلك إطعامه، والله أعلم.

(٢) مسلم (حديث ٢٠٦٣)، وانظر البخاري (٥٣٩٣، ٥٣٩٤، ٥٣٩٥، ٥٣٩٦)، ومسلم (٢٠٦٠، ٢٠٦١، ٢٠٦٢، ٢٠٦٤)، ففي هذه الطرق قول رسول الله ﷺ: **«المؤمن يأكل في معىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»**.

(٣) انظر: البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(٤) البخاري (حديث ٢٤٦١)، ومسلم (١٧٢٧)، وقد استدل بهذا الحديث من يرى أن =

تبعثنا فننزل بقوم لا يقروننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ**».

❐ وقد أورد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في كتاب المظالم من «صحيحه» مشيرًا بذلك - فيما يبدو لي - إلى أن رب البيت إذا لم يكرم الضيف فقد ظلمه؛ إذ قد أورده تحت باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه.

❐ وأخرج أحمد[1] بسند حسن من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ**».

❐ وأخرج أبو داود[2] بإسناد صحيح من حديث المقدام بن معد يكرب (أبي كريمة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ اقْتَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**».

فأفادت هذه الأحاديث أن للضيف حقًّا، حتى إن من لم يكرم ضيفه ويعطيه حقه فللضيف أن يأخذ منه بقدر ضيافته.

ولما نزل أصحاب رسول الله ﷺ بقوم فلم يقروهم ولم يكرموهم واحتاج أهل القرية من يعالج سيدهم فماذا كان؟!

❐ أخرج البخاري في «صحيحه»[3] من حديث أبي سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

= الضيافة واجبة، بينما ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبي ﷺ: «**جائزته يوم وليلة**» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضل.

(١) أحمد (٢/ ٣٨٠).

(٢) أبو داود (٣٧٥٠).

(٣) البخاري (حديث ٥٧٣٦).

أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يقروهم، فبينما هم كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ؟ أَوْ رَاقٍ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**».

وأخذ من هذا الحديث أن للضيف أن يطلب من القوم قدر قراه وأن يطلب منهم أن يضيفوه، وقد قال تعالى في شأن موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: الآية ٧٧].

❁ والناس مع الأضياف على قسمين:

قسم منهم: تغمرهم السعادة، ويظهر عليهم أثر الفرح والسرور بمقدم الضيف عليهم، فتعلو وجوههم البشاشة، وينطلق من أفواههم الكلم الطيب، وتخرج عبارات الترحيب التي تنم عما في صدورهم من حب وتقدير وامتنان وترحيب.

فقد علم هؤلاء أن خيرًا قد ساقه الله إليه، فقاموا بضيافته حق قيام.

أيقن هؤلاء بحديث النبي ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

وأيقنوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ

(١) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (٢٣٨٣).

﴿ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ: الآية ٣٩].

فجدير بهؤلاء أن يُكرموا هم الآخرون، وأن يجازوا بالإحسان إحسانًا، وأن تخرج من الضيف كلمات طيبة في شأنهم ودعوات صالحة لهم في حضورهم وعند غيابهم، فالإحسان جزاؤه الإحسان، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٠].

جدير بالضيف أن يصطحب معه هدية لهم، وأن يجازيهم ولو بكلمة: جزاكم الله خيرًا.

❁ وقسم آخر:

يكتئبون ويغتمون عند حلول الضيف بهم، تنزل بهم الكربات إذا رأوا ضيفًا قادمًا، فيظهر الضيق ويبدو التبرم ويظهر الحزن على الوجوه.

وكما قال القائل:

رأيت الفضل متكئًا ... يناغي الخبز والسمكا
فقطب حين أبصرني ... ونكس رأسه وبكى
فلما أن حلفت له ... بأني صائم ضحكا

وقال آخر:

إن كنت تطمع في كلامه ... فارفع يمينك عن طعامه
سيان كُسِرَ رغيفه ... أو كُسِرَ عظم من عظامه

فنعوذ بالله من البخل، ونعوذ بالله من البخلاء.

فلا تكن يا عبد الله محشورًا في عداد هؤلاء البخلاء.

هل يليق بك أن يقال عنك: بخيل؟! هل ترضى بهذا الوصف؟!

قد لا تبالي بكلام الناس، ولكن هل أنت محمود عند الله مع بخلك؟!

هل أنت ممتثل أمر رسول الله ﷺ وأنت شحيح بخيل؟!

كلا، فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه(١): «وأي داء أدوى من البخل».

وقد ورد أن النبي ﷺ قد قال ذلك أيضًا، وسيأتي إن شاء الله.

فحقيق بهذه الخصلة أن تتفشى بين المؤمنين، وجدير بها أن تنتشر في أوساط الصالحين لما لها من عظيم الأثر في توطيد أواصر المحبة بين المؤمنين وتدعيم العلاقات بينهم.

فهنيئًا له من أكرم الأضياف، وأطعمهم، وقابلهم بالبشاشة، والابتسامات، قال النبي ﷺ: «**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢).

هنيئًا له من أدخل السرور على أضيافه، فخرجوا من عنده مثنين عليه وعلى أهله، وداعين له ولأهله بالبركة وسعة الأرزاق قائلين لهم: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**».

قائلين لهم: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ**».

هنيئًا له من جاد بما عنده، وأعطى مما وسع الله عليه بنفس طيبة وبنفس سعيدةٍ منشرحة لامتثالها أمر الله بإكرام الضيف!!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٣)، وأحمد (٣/٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

□ ولكن، كما قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطَّلَاق: الآية ٧].

إذن فلا يتحرج الفقير من مجيء ضيف إليه وحلول إخوانه به: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦].

□ فليكرم الضيف بما تيسر، وقد قال النبي ﷺ: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**»(١).

□ وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ**»(٢).

فالإكرام بما تيسر، والجود بالموجود.

إكرام بلا إسراف، وجودٌ بلا تبذير.

مع حسن خلق، وطلاقة وجه، وبشاشة وابتسامة في كل الأحوال.

* توديعٌ مع كلماتٍ طيبة وعبارات تدل على المحبة والصفاء:

خطوات قليلة تمشيها مع ضيفك مودعًا له ومشعرًا إياه بحفاوتك به واهتمامك من أجله، هذه الخطوات لا تعلم مدى تأثيرها على أخيك وضيفك! كلمات التوديع لها وقع جميل وأثر طيب على قلب أخيك المسلم!

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسن شاة..**».

مزيدٌ من فقه الضيافة وآدابها

* هل الضيافة واجبة؟

بالنسبة إلى ما يتعلق بوجوب الضيافة من عدمه:

فابتداءً أجمع العلماء على إن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وقد قدمنا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمة الله في ذلك.

ثم اختلفوا في وجوب ذلك من عدمه:

فذهب جمهور العلماء(١) إلى أن الضيافة مستحبة وليست بواجبة، ومن أدلتهم على عدم الوجوب قول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قِيلَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ**...».

قالوا: (أي: الذين ذهبوا إلى عدم الوجوب)، والجائزة (وهي العطية والهبة والصلة) ليست بواجبة، فكما أن الجائزة ليست بواجبة فكذلك الضيافة ليست بواجبة.

واستدلوا أيضًا باقتران إكرام الضيف بإكرام الجار في الحديث، فكما أن إكرام الجار ليس بواجب عندهم، فكذلك إكرام الضيف ليس بواجب عند عامة أهل العلم، لقوله ﷺ: «**الضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّام، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ**». والجائزة العطية والصلة التي أصلها على الندب، (القرطبي ٩/ ٤٣).

أما الذين قالوا بالوجوب فاستدلوا بالأحاديث التي قدمنا ذكرها

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليست (أي: الضيافة).

كحديث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(١).

❏ وقول النبي ﷺ: «**وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(٢).

❏ وقول سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «وإن لضيفك عليك حقًّا»(٣).

❏ وما أخرجه البخاري من حديث عقبة بن عامر وفيه: «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَم يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ**»(٤).

❏ وبحديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ اقْتَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**»(٥).

❏ ونحوه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ**»(٦).

❏ هذا، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله قولًا موجزًا جامعًا في ذلك وقد قدمناه، فقال: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًّا.

* * *

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) **كلها صحيحة**: وقد تقدمت.

مسألة التكلف للضيف

تقدم شيء مما يتعلق بهذه المسألة، وهذا مزيد بيان، وبالله التوفيق: وردت في هذه المسألة جملة من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها:

❑ من ذلك قوله تعالى في شأن خليله إبراهيم لما أتاه الأضياف: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٢٦] وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: الآية ٦٩].

❑ وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة ذهاب

(١) مسلم (٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**». قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا**». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلاَنٌ؟**». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِي فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ[١] فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ[٢]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ! وَالْحَلُوبَ**»[٣]. فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ[٤] يَوْمَ الْقِيَامَةِ! أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**».

[١] العذق: هو الغصن من النخل، وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب.

[٢] المدية: هي السكين.

[٣] الحلوب: ذات اللبن، فعول بمعنى مفعول، كركوب ونظائره.

[٤] «لتسألن عن هذا النعيم» أما السؤال عن هذا النعيم، فقال القاضي عياض: المراد السؤال عن القيام بحق شكره، والذي نعتقده أن السؤال هنا، سؤال تعداد النعيم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها. لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة.

رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى الأنصاري، ففيه أن الأنصاري انْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا. . . الحديث.

ففي هذه النصوص ما يفيد أن الضيف يفعل له ما هو خارج عن اعتياد أهل البيت، وذلك لأن الخليل عليه السلام أتى بالعجل الحنيذ من أجل الأضياف، وأبو التيهان ذبح من أجل الأضياف فلا شك أن في هذا نوعًا من التكلف، أضف إلى ذلك العمومات الواردة في الحث على إكرام الضيف التي قدمنا ذكرها.

أما ما ورد في معرض المنع، وهو حديث: «**نُهِيَ عن التَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ**» فابتداءً، فهذا الحديث في أسانيده مقال[1].

---

(١) وقد أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٩٨)، وغيرهم من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا، وفي أسانيده مقال، وهو عندي ليس بثابت، وقد صححه بعض العلماء منهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٩٢)، (٢٤٤٠) وكما أسلفت ففي تصحيحه لهذا الحديث عندي نظر، وفضلًا عن ذلك فمعارضه أقوى منه، ثم إنه قد وردت في بعض طرقه زيادة، فقد روي بلفظ: «**لا يتكلفن أحد للضيف ما لا يقدر عليه**».

وقد بوب البخاري في «صحيحه» في كتاب باب صنع الطعام والتكلف للضيف، وأورد فيه حديث أبي جحيفة في قصة مؤاخاة الرسول ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، وفيه فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا (أي: لسلمان) (حديث ٦١٣٩) وقال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٢١١): وأشار بذلك إلى حديث يُروى عن سلمان في النهي عن التكلف للضيف، أخرجه أحمد وغيره بسند لين.

ثم في حالة تحسينه عند من حسَّنوه فهو محمول على التكلف الذي هو فوق الطاقة الذي يحمل صاحبه على الاستدانة والإغراق في الديون، أما ما دون ذلك فلا بأس به فهو محمود لما قدمناه.

ثم إن الأضياف يختلفون من ضيف إلى آخر، فليس الضيف الذي أتى من دولة بعيدة كالضيف الذي هو لك جار، وليس الضيف ذو القدر والعلم والوقار الذي يندر قدومه كالضيف الذي يحل بك على الدوام، ولا شك أن هذه مسائل توضع في الاعتبار، والله أعلم.



الاجتماع على الطعام

وإن شئت أن تأكل مع الأضياف أكلت، وإن شئت أن تتركهم يأكلوا وحدهم أكلوا، وإن شاؤوا فرادى، وإن شاؤوا أكلوا مجتمعين، وإن كان الاجتماع أقرب إلى البركة، ومن أدلة ما ذكرنا ما يلي:

❑ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النُّور: ٦١] أي: مجتمعين أو متفرقين.

❑ وقول النبي ﷺ: **«طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ»**[١] الحديث.

❑ وقد كان النبي ﷺ في كثير من الأحيان يُدخل الصحابة على الطعام عشرة عشرة[٢].

أما حديث: **«اجْتَمَعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ... يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»**.

فالراجح عندنا ضعفه.

وكما قدمنا فيجوز لك أن تقدم الطعام للضيف وتقبل على عملك، ومحل هذا إذا كان الضيف لا يتأثر بذلك:

❑ وقد دل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ غُلاَمًا أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى غُلاَمٍ لَهُ خَيَّاطٍ فَأَتَاهُ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ وَعَلَيْهِ دُبَّاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَتَبَّعُ

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) انظر البخاري (حديث ٥٤٥٠).

(٣) البخاري (٥٤٣٥)، ومسلم (٢٠٤١).

الدُّبَّاءَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَجْمَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: فَأَقْبَلَ الْغُلاَمُ عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ أَنَسٌ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَنَعَ مَا صَنَعَ.

وقد يكون مع الأضياف من هو يستحي، ومنهم من هو جريء فقد يأكل الجريء حق الحيي، وخاصة إن كان في الطعام نوع جيد مرغوب، فلك حينئذ أن تقسم عليهم الجيد المرغوب لكل قطعة منه:

□ دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِئَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ؟**» فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ نَحْوُهُ فَعُجِنَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ(٢) طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً، أَوْ قَالَ: أَمْ هِبَةً؟**». فقَالَ: لاَ، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً فَصُنِعَتْ، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ(٣) الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى.

قال: وَايْمُ اللهِ مَا فِي الثَّلاَثِينَ وَالْمِئَةِ إلاَّ قَدْ حَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً(٤) مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا، إِيَّاهُ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ.

قال: وجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ، وَشَبِعْنَا، وفَضَلَ الْقَصْعَتَينِ، فَحَمَلْهُ عَلَى الْبَعِيرِ، أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٦١٨) ومسلم (حديث ٢٠٥٦).
(٢) مشعان: أي: منتفش الشعر ومتفرقه.
(٣) بسواد البطن: أي: بالكبد.
(٤) الحزة هي: القطعة من اللحم وغيره.

وهذه جملة أخرى من آداب الضيافة

ذكرها العلماء عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ [هود: ٦٩، ٧١].

❋ **فمن هذه الآداب ما يلي:**

❋ **تعجيل الضيافة وتقديم الطعام على وجه السرعة:**

لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: الآية ٦٩].

أي: فما أبطأ وما تأخر بل أسرع وأتى بالعجل الحنيذ.

فلا ينبغي أن تترك الضيف يتلوى من الجوع والعطش ويزهد في مجلسك، بل قد يستئذنك للخروج من عندك، أو يخرج بلا استئذان! فعليك أن تبادر بتقديم ما تيسر عندك على وجه السرعة، ثم ما تلاه شيئًا فشيئًا إن لم يتيسر لك تقديم الجميع دفعة واحدة.

❋ **ومنها مباشرة خدمة الضيف بنفسك بتقريب الطعام له ودعوته إليه:**

لقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: الآية ٢٧].

❋ **ومنها الملاطفة في الكلام:**

لقوله تعالى: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: الآية ٩١].

وقد قال الصحابي الذي نزل عليه رسول الله ﷺ: ما أحد أكرم أضيافًا

مني[١].

* ومنها تقديم أطيب وأفضل ما عندك:

لقول الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٢٦]، ولم يقل: بعجل هزيل ولا ضعيف.

* ومنها الاهتمام بجودة الطهي:

فإبراهيم عليه السلام جاء بعجل حنيذ، أي: مشوي.

* ومنها اهتمام الزوجة أيضًا بأضياف زوجها:

فقد قال فريق من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ [هود: الآية ٧١].

أي: قائمة على خدمة أضياف زوجها، وعلى ذلك جملة أمثلة أخرى.

وقد كان هناك عروس تخدم أضياف زوجها على عهد رسول الله ﷺ[٢].

* ويجوز لك أن ترسل أضيافك إلى غيرك من إخوانك المسلمين:

كي يضيفوهم إذا لم يكن عندك ما تضيفهم به، أو إذا كان هناك عذر آخر:

□ دل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى،

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) انظر البخاري (٥٥٩٧)، ومسلم (حديث ٢٠٠٦).

(٣) البخاري (حديث ٣٧٩٨)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤).

فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِك حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِك لاَ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ**». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، وقد تقدم هذا مطولاً.

❐ وفي «الصحيحين» من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا نَاسًا فُقَرَاءَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَلاَثَةٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ بِسَادِسٍ**»(١).

❋ وثم استضافات مذمومة ينبغي أن لا تقبل عليها ولا تشهدها ولا تدعو إليها:

❐ فلا تدعُ أهل بدعة إلى طعام لإحياء بدعتهم، فإن ذلك نوعًا من التعاون على الإثم والعدوان، وأيضًا فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٨].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٤٠].

❐ وكذلك لا تدع قومًا يتآمرون على فعل منكرٍ من المنكرات في بيتك.

❐ وينبغي أن تتجمل للأضياف، وتستقبلهم في جميل الثياب وحسن المنظر.

---

(١) البخاري (حديث ٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم (حديث ٢٠٥٧).

وقد قال عمر لرسول الله ﷺ - لما رأى على رجل حلةً من إستبرق - يا رسول الله، اشتر هذه، فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك[١].

وإذا كان بوسعك أن تهدي لضيفك هدية عند انصرافه فافعل جزاك الله خيرًا.

❐ قال النبي ﷺ: «**أَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**»[٢].

❋ فراش للضيف:

وينبغي أن يكون بالبيت فراش استعدادًا لقدوم ضيف، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابعُ لِلشَّيْطَانِ**»[٣].

❋ وأنت أيها الضيف:

لا تتحرج من ضيافة أخيك لك، فلك عند أخيك حق، وأنت اليوم ضيفٌ وغدًا مضيف إن شاء الله، لا تكسر خاطر أخيك الذي تكلف لك، بل اجبر خاطره، وكُلْ مما قربه إليك، ألا ترى أن الخليل عليه السلام لما قرَّبَ الطعام إلى

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٨١)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر رجل حلةً من إستبرق، فأتى بها النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك، فقال: «**إنما يلبس الحرير من لا خلاق له..**».
قلت: وإنما ردها النبي ﷺ لكونها من الحرير، ولم يرد الرسول ﷺ على عمر قوله: (فألبسها لوفد الناس).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.
قال النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييبًا لنفوسهم وترغيبًا لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم.

(٣) مسلم (حديث ٢٠٨٤).

الملائكة فامتنعوا عن الأكل ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة!!

❁ أيها الضيف:

لا تشق على المضيف، ولا تحرجه، ولا تجرحه بألفاظ وكلمات.

خذ ما تيسر واستر ما واجهت، وسرِّي عن المضيف، ولا تثرَّب عليه.

ليكن مدخلك مدخل خيرٍ على أهل البيت، ولتكن مفتاح خير عليهم فتؤنسهم بوجودك، وتسعدهم بقدومك، ولتكن مباركًا أينما كنت وحيثما حللت، ويا حبذا لو أخذت هدية معك إن كان ذلك بوسعك، فقد قال ﷺ: **«تَهَادَوْا تَحَابُّوا»**(١).

❐ لا تُثِرِ الفتن بين الزوج وزوجته، ولا بين الوالد وولده.

❐ سمِّ الله عند دخولك البيت وعند طعامك وشرابك، واحمد الله بعد فراغك، واشكر لأهل البيت حسن ضيافتهم، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس.

❐ إذا طعمت فانتشر(٢)، ولا تثقل على أهل البيت، وانظر إلى ما يجلب السعادة لأهل البيت فافعله.

❐ إذا تناجيت فلا تتناج إلا بالبر والتقوى، كما قال تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩﴾ [المجادلة: الآية ٩] وتذكر قول الله ﷻ: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي

---

(١) حسن لشواهده: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤).

(٢) إذا كانت الدعوة لطعام فقط، أما إذا حللت من بلاد بعيدة فلك حق آخر.

كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النِّساء: الآية ١١٤].

❐ احرص أن تغنم الخير من البيت، ولا تؤثِّم أهل البيت بالقيل والقال واغتياب المؤمنين والمؤمنات، بل كن مذكرًا بالله ﷻ ذاكرًا له ومصليًا على نبيه محمد ﷺ، حاثًّا على فعل الخير، محرضًا على أبواب البر.

❐ ولا تعب الطعام أيها الضيف، فإن النبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه(١).

❐ غض بصرك أيها الضيف عن النظر إلى عورات البيوت، ولا تنتهك حرماتها، فهذا أمر الله لك: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

❐ وانظر إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم، ففيه أن النبي ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ امْرَءًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ»**(٢).

❐ احفظ سمعك عن استماع المحرمات، فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٦].

❐ وقال النبي ﷺ: **«مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُك يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٣).

---

(١) البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (مع الفتح١٢/ ٢٤٣)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٨).
(٣) البخاري (مع الفتح ١٢/ ٤٢٧).

❑ لا تخلو بامرأه أخيك المضيف لك ولا بإحدى محارمه، فالخلوة بالمرأة الأجنبية محرمة، قال النبي ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِن ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(١).

❑ وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟(٢) قَالَ: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**»(٣).

ولكن إذا كنتم جماعة وذهبتم إلى بيت أحد إخوانكم، ولم تحدث خلوة من أحدكم بامرأته والفتنة مأمونة، فلكم حينئذٍ أن تدخلوا وتنتظروه:

❑ أخرج مسلم في «صحيحه»(٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَهِي تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ، فَرَآهُمْ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَمْ أَرَ إِلاَّ خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ**»، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**لاَ يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ، إِلاَّ وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ**».

❑ ومر معنا حديث أبي هريرة عند مسلم قصة ذهاب رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى رجل من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨)، وانظر: تخريجه في «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي).

(٢) الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن العم ونحوه.

(٣) أي: خطر دخول الغريب على المرأة وخلوته بها كخطر الموت، والحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم (٥/ ١٦).

(٤) مسلم (حديث ٢١٧٣).

قالت: مرحبًا وأهلًا... الحديث[١].

❁ ولا تكن طفيليًّا:

أتدري من الطفيلي؟!

الطفيلي غير الضيف.

إنه رجل متطفل يفرض نفسه على الناس بدون دعوة منهم له.

رجل يدخل على القوم بدون إذن.

رجل يتحين أوقات الطعام، فيطرق على الناس بيوتهم وقت تناولهم الطعام حتى يحرجهم.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ[٢] وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣].

□ وقد ثبت أن رجلًا دعا النبي ﷺ وبعض أصحابه إلى طعام، فتبعهم رجل، فقال النبي ﷺ لصاحب الدعوة: «**إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ**»[٣].

❁ وينبغي إذا قرب الطعام أن يأكل:

فإن الخليل إبراهيم ﷺ لما رأى أيدي الملائكة لا تصل إلى طعامه، خاف منهم، وظن أنهم يريدون به شرًّا لخروجهم عن المعتاد، فالضيف الذي لا

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٨).

(٢) أي: غير متحينين نضجه واستواءه.

(٣) البخاري (٥٤٦١)، ومسلم (٢٠٣٦) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

يأكل بلا سبب وبلا عذر يثير الريب والشكوك في نفس أهل البيت.

ومن ثم يتألق المثل القائل في بلادنا لمن أكلوا معًا: (قد أكلنا معًا عيشًا وملحًا) فهذا يعني: أن بينهما مودة.

❐ وقد قال تعالي: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[هُود: الآية ٧٠] .

وقد استنبط العلماء آدابًا من هذه الآية الكريمة تتعلق بآداب الضيافة:

فقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ **في معرض ذكره لمسائل تتعلق بالآية الكريمة**[١]: السنة إذا قُدِّم للضيف الطعام أن يبادر المقدَّم إليه بالأكل؛ فإن كرامة الضيف تعجيل التقديم؛ وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول؛ فلما قبضوا أيديهم نكرهم إبراهيم؛ لأنهم خرجوا عن العادة، وخالفوا السنة، وخاف أن يكون وراءهم مكروه يقصدونه، وروي أنهم كانوا ينكتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل أيديهم إلى اللحم، فلما رأى ذلك منهم ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[هُود: الآية ٧٠] أي: أضمر؛ وقيل: أحسَّ، والوجوس الدخول، قال الشاعر:

جاء البريد بقرطاسٍ يَخُبُّ به   فأوجس القلب من قرطاسه جزعًا

﴿خِيفَةً﴾: خوفًا؛ أي: فزعًا، وكانوا إذا رأوا الضيف لا يأكل ظنوا به شرًّا؛ فقالت الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[هُود: الآية ٧٠] .

السادسة: من أدب الطعام أن لصاحب الضيف أن ينظر في ضيفه هل يأكل أم لا؟ وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر، روي أن

---

(١) القرطبي (٩/ ٤٤، ٤٥).

أعرابيًّا أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك؛ فقال له: أتنظر إلي نظر من يرى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت معك.

قلت: وقد ذُكر أن هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأَكيلِ على عمدِ

❊ الضيف وصوم التطوع:

إن كنت صائمًا صوم تطوع، فلك أن تتم صومك وتدعو لأخيك بالبركة، ولك كذلك أن تفطر عند أخيك وتدخل السرور عليه:

□ أخرج مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**»[١].

* وعند مسلم[٢] من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ**[٣]**، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**».

□ وقد أخرج البخاري[٤] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ قَالَ: «أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ

---

(١) مسلم (حديث ١٤٣٠).

(٢) مسلم (حديث ١٤٣١).

(٣) المراد الدعاء لأهل البيت بالبركة، وقيل: الصلاة الشرعية بركوعها وسجودها، ويؤيده الحديث الذي أوردته بعده.

(٤) البخاري (١٩٨٢).

فَإِنِّي صَائِمٌ» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ فَصَلَّى غَيْرَ الْمَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي خُوَيْصَةً، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ....**».

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث بباب: من زار قومًا فلم يفطر عندهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: هذه الترجمة تقابل الترجمة الماضية[(٢)] وهي من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، وموقعها ألَّا يظن أن فطر المرء من صيام التطوع لتطييب خاطر أخيه حتم عليه، بل المرجع في ذلك إلى من علم من حاله من كل منهما أنه يشق عليه الصيام، فمتى عرف أن ذلك لا يشق عليه كان الأولى أن يستمر على صومه.

❐ فإذا أكلت أيها الضيف أكلة فاحمد الله عليها، وإذا شربت شربةً فاحمد الله عليها؛ فإن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[(٣)].

وقم بشكر الله ﷻ على هذه النعمة، واعلم أنك مسئول عنها يوم القيامة:

❐ أخرج مسلم رَحِمَهُ اللهُ[(٤)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) «الفتح» (٤/ ٢٢٨).

(٢) الترجمة المشار إليها أورد لها البخاري (حديث ١٩٦٨) حديث أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة... فذكر الحديث وفيه: فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل.

تنبيه: القائل (كُلْ) هو سلمان.

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٠) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) مسلم (حديث ٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**». قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا**». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلاَنٌ؟**». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِي فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ! وَالْحَلُوبَ**». فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**».

❊ ثم قدم الشكر لأهل البيت على ضيافتهم لك، فإن النبي ﷺ قال: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»(١).

❐ فقل لهم كما كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»(٢).

❐ وورد كذلك أن النبي ﷺ أكل عند سعد بن عبادة ثم قال: «**أَفْطَرَ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (مع النووي ١٣/ ٢٢٥) من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي - فقربنا إليه طعامًا ووطبة فأكل منها، ثم أُتي بتمر فكان يأكله ويلقي النووي بين إصبعيه، ثم أُتي بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي وأخذ بلجام دابته: ادع الله لنا، فقال: «**اللهم بارك لهم فيما رزقهم، واغفر لهم وارحمهم**».

عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ»(١).

ولا تطل المقام عند صاحبك أيها الضيف، حتى لا تؤثِّم صاحبك، وتوقعه في الحرج، إذا لم يجد ما يقدمه لك، أو لم يجد المقام الذي يقيمك فيه، وقد لا تسمح ظروفه وأحواله بالبقاء معك وطول المقام:

❐ ففي حديث أبي شريح الكعبي العدوي أن النبي ﷺ قال: «...**ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه...**»(٢).

إلا إذا كان يفرح ويسعد بوجودك، وعنده من السعة ما يقدمه لك من غير إحراج له، فلا بأس بالمقام حينئذ لانتفاء الحرج، واستئناس صاحب البيت بك.

❋ وهل يسأل صاحب البيت عن الطعام الذي قدمه؟

الأخبار الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ فيها ضعف، ولا تخلو من مقال، من ذلك ما أخرجه أحمد(٣) من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَأَطْعَمَهُ طَعَامًا فَلْيَأْكُلْ طَعَامَهُ، وَلا يَسْأَلْ عَنْهُ، وَإِنْ سَقَاهُ شَرَابًا فَلْيَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ، وَلا يَسْأَلْ عَنْهُ**».

ومسلم بن خالد الزنجي ضعيف.

وقد وردت جملة من الآثار في هذا الباب، منها الصحيح، ومنها ما هو

---

(١) **صحيح لشواهده**: أخرجه أبو داود (٤/ ١٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٦١٣٥).

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٩).

دون ذلك، فأخرج البيهقي في «الشعب»[(١)] جملة من الآثار في ذلك منها: ما أخرجه بإسناد صحيح عن علي الأزدي قال: قلت لابن عمر: إنا نسافر فنمرُّ بالرعيان والصبي والمرأة فيطعمونا لحمًا ما ندري ما جنسه؟ فقال: إذا أطعمك المسلمون فكل، وثم آثار أخر في هذا الباب.

ولما لم يصح في الباب عندنا خبر عن رسول الله ﷺ احتجنا إلى نظر في فقه هذه المسألة:

فإذا كان الشخص ببلدة الغالب على أهلها الصلاح والورع، وظاهرهم الإسلام والتمسك به، وعامة طعامهم الحلال، فحينئذ لا ينبغي للشخص أن يسأل عن الطعام والشراب من ناحية الحرمة أو الشبهة؛ لأن في السؤال آنذاك إحراجًا لأهل البيت بل واتهامًا لهم.

أما إذا كان الغالب على الناس عدم التحري في الطعام والشراب، وعدم النظر إلى حل الطعام أو حرمته، كأن يكون الغالب من أمر الناس عدم المبالاة بهذا الأمر، فلك حينئذٍ أن تسأل بتلطف وذكاء عن الطعام الذي قرب إليك، حتى تطمئن من أنه طعام طيب غير محرم، بطريقة لا تحمل إحراجًا لأهل البيت، والله أعلم.

❁ وهل للضيف أن يقترح على صاحب البيت نوعًا من أنواع الطعام يرغبه ويشتهيه؟

ولإيضاح وجهة ذلك، هَبْ أن شخصًا دعاه آخر لطعام، والمدعو لا يرغب مثلًا في أكل السمك وصاحب البيت لا يشعر بذلك، ويرتب على أن يجهز الطعام من السمك، وعلم المدعو بذلك، فهل له أن يخبره بما يشتهي

---

(١) البيهقي في «الشعب» (٤٤٨٣).

حتى يتقي الطعام الذي لن يؤكل؟

فكتمهيدٍ لهذا، فمن المعلوم أن صاحب البيت إذا دعا شخصًا، وتكلف له وجاء الضيف ولم يأكل، فإن هذا يشق على صاحب البيت بلا شك.

فعلى ذلك، إذا لم يكن هناك حرج على صاحب البيت أن يُخبر بالطعام الذي يرغبه الضيف فليخبر، ولا حرج على الضيف آنذاك ما لم يطلب من المضيف ما يشق عليه وما هو فوق طاقته أن يخبره، وقد قال النبي ﷺ للأنصاري الذي أخذ المدية وذهب ليذبح لهم: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**»[١].

ومع الفارق، فقوله ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**»، فيه حفاظ على الحلوب حتى يستمر درها، فالشاهد أن النبي ﷺ أشار بما لا يشق على صاحب البيت، فكذلك إذا أشار الضيف بطعام، فليُشر بما لا يشق على المضيف، والله أعلم.



(١) **صحيح**: أخرجه مسلم، وقد تقدم.

المحافظة على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم

❐ فكلها عليك حرام كما قال النبي ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(١).

❐ وفي «الصحيح»(٢) من حديث أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَلاَ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: «**أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ فَكَانَ كَذَلِكَ**»، قَالَ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ حُرِّقَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ حِينَ حَرَّقَهُ جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ قَالَ: أَشْرِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرَةَ، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو بَكْرَةَ يَرَاكَ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَحَدَّثَتْنِي أُمِّي، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ دَخَلُوا عَلَيَّ مَا بَهَشْتُ بِقَصَبَةٍ.

❁ **أما الأعراض: فقد قدمنا الحديث عليها في أبواب الغيبة.**

فلا تنهشها ولا تملأ جوفك وبطنك بتلك اللحوم الميتة: لحوم إخوانك المؤمنين: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩).

فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢].

فلا تذكر إخوانك بما يكرهونه، وإن كان فيهم ما تقول، فإن هذه هي الغيبة، وهي: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»(١). كما قال رسول الله ﷺ، فراجع ما قدمناه في ذلك.

ولا تهتك ستر إخوانك، فإن فعلت أوشكتِ أن تُفضح أنت، وأوشكت أن يهبك سترك أنت الآخر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النُّور: الآية ١٩].

❁ وأما الأموال: كما قدمنا، فلا تقربها إلا بحقها:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٨].

❑ وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المَائدة: الآية ٣٨].

❑ ولا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس(٢).

---

(١) عند مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

(٢) وقد روي نحو هذا عن رسول الله ﷺ من عدة طرق في كل طريق منها مقال، وقد صححه بعض أهل العلم بمجموعها.
انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٧٢)، (٣/ ٤٢٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٩٧، ١٠٠)، و«سنن الدارقطني» (٣/ ٢٦)، و«مسند أبي يعلى» (٣/ ١٤٠)، و«الإرواء» (٥/ ٢٧٩).

❋ **ثم إن أكل أموالهم بغير حق يحجب عن دعائك القبول!**

فكيف ترفع يديك الملوثة بالسرقات تسأل بها ربك سبحانه وتعالى؟!

❑ والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية ٢٧].

❑ وأخرج مسلم[(١)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**» فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**».

وحديث المفلس قد قدمناه مرارًا ولا بأس بإعادته في هذا الموطن فهو بابه:

❑ أخرج مسلم[(٢)] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى، هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

❑ وتقدم أيضًا حديث رسول الله ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ**

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨١).

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(١) وتقدمت جملة نصوص أخر في الباب.

❐ وعند البخاري(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا**».

واحذر غش إخوانك، بل احذر غش الناس أجمعين:

❐ فقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٣)، وفي رواية: «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٤).

وانظر إلى فعل الله سبحانه وتعالى بهذا الغشاش:

❐ أخرج الإمام أحمد رحمه الله(٥) بسندٍ صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهُ**(٦)، **وَمَعَهُ قِرْدٌ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ، شَابَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ بَاعَهُ، قَالَ: فَأَخَذَ الْقِرْدُ**

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٢٤٤٠).

(٣) مسلم (حديث ١٠١).

(٤) أخرجها مسلم أيضًا (١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**». قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني**».

(٥) أحمد (٨٤٠٨) (٢/ ٣٠٦).

(٦) ومحل هذا قبل تحريم بيع الخمر، فمن المعلوم أن الخمر كان مباحًا إلى وقت طويل من بعثة النبي ﷺ كما قال تعالى ممتنا على عباده: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: الآية ٦٧]، ثم بعد ذلك نزل تحريم الخمر وتحريم التجارة فيها.

الْكِيسَ، فَصَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَطْرَحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ».

❁ **أما الدماء فإياك ثم إياك من الاقتراب منها إلا بحقها:**

فقد جُعلت بينك وبينها حواجز وأبواب.

وسُدت أمامك كل الطرق حتى لا تصل إلى سفك دمٍ حرام.

وجاء التحذير من قتل النفس المؤمنة بغير حق.

وجاء الوعيد، والوعيد الشديد لمن أقدم على هذا الفعل الشنيع.

فإياك أن تخترق الحواجز، وتقتحم الأبواب المؤدية لسفك الدماء.

وإياك أن تسلك الطرق الموصلة إليها أو المقربة منها.

❁ **وها هو بعض الوارد في هذا الباب:**

النهي عن ترويع المؤمنين

❊ ولا تروع المؤمنين ولا ترهبهم ولا تخفهم:

فإن النبي ﷺ نهى عن ترويع المؤمنين(١).

ونهى أن يأخذ الرجل متاع أخيه جادًّا أو لاعبًا(٢).

ولا تروعهم بحمل سلاح، بل خذ بنصالها إذا مررت في السوق.

ولا تزعجهم بشيء ينزعجون منه.

وإياك أن تلطم وجه أخيك إذا قاتلته.

❐ فإن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ**»(٣).

وإياك أن تحمل السلاح في وجوههم وترفعه عليهم، سيفًا كان أو سكينًا أو مسدسًا أو عصًا أو غير ذلك، فإنك حينئذ على حفرة من حفر النار، توشك أن تسقط فيها إن أنت فعلت وقتلت.

---

(١) أخرج أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسيرة، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلي نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «**ما يضحككم؟**» فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع! فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**».

(٢) أخرج عبد بن حميد في «**المنتخب**» (بتحقيقي) (٤٣٦)، وأحمد (٤/ ٢٢١) وأبو داود (٥/ ٢٧٣) بإسناد حسن من حديث عبد الله بن السائب بن يزيد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه جادًّا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها إليه**».

(٣) صحيح: وقد تقدم.

□ قال النبي ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟! قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(١).

□ وقال النبي ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢).

□ وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِغُ فِي يَدِيهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**»(٣).

□ وفي «الصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ بِسِهَامٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ بِنِصَالِهَا**»(٤).

□ وفي رواية أخرى من حديث جابر أيضًا أن رجلًا مر في المسجد بأسهم قد بدا نصولها، فأُمر أن يأخذ بنصولها لا يخدش مسلمًا(٥).

□ وفي «الصحيحين»(٦) كذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا**»، أَوْ قَالَ: «**فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ**».

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) صحيح: وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ، فأخرجه البخاري (٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وقد ورد أيضًا من حديث أبي موسى في «الصحيحين» ومن حديث سلمة بن الأكوع، ومن حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (حديث ٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٧٠٧٣)، ومسلم (٢٦١٤).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٧٤)، ومسلم (ص ٢٠١٩).

(٦) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).

❐ وفي «الصحيح»(١) كذلك من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ**».

❐ وعند أبي داود(٢) بإسناد صحيح لغيره عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ نهى أن يُتعاطى السيف مسلولًا(٣).

❐ وعند ابن حبان(٤) بإسناد صحيح عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَتَعَاطَوْنَ سَيْفًا بَيْنَهُمْ مَسْلُولًا، فَقَالَ: «**أَلَمْ أَزْجُرْكُمْ عَنْ هَذَا، لِيُغْمِدْهُ ثُمَّ يُنَاوِلْهُ أَخَاهُ**».

❐ وورد من عدة طرق(٥) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

❋ أما القتل فهذه عقوبته، وهذا جزاؤه:

❐ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النّساء: الآية ٩٣].

❐ وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ

---

(١) مسلم (حديث ٢٦١٦).

(٢) أبو داود (حديث ٢٥٨٨)، وشاهده عند أحمد (٥/ ٤١، ٤٢).

(٣) مسلولًا: أي: خارجًا عن غمده.

(٤) ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٥٤).

(٥) في «الصحيحين» وغيرهما من عدة طرق عن رسول الله ﷺ، منها حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري (٧٠٧٧) ومسلم (حديث ٦٦).
وحديث جرير عند البخاري (٧٠٨٠) ومسلم (حديث ٦٥).

ﭐلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: الآية ٦٨- ٧٠].

❏ وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِي وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: فَقَالَ لِي: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟**». قَالَ: فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

❏ وأخرج مسلم رحمه الله(٢) من طريق صفوان بن محرز: أنه حدث أن جندب ابن عبد الله البجلي بعث إلى عسعس بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم، فبعث رسولًا إليهم، فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر، فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به، حتى دار الحديث، فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه، فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم، إن رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قوم من المشركين، وإنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلًا من

(١) البخاري (حديث ٦٨٧٢)، ومسلم (حديث ٩٦).
(٢) مسلم (حديث ٩٧).

المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، فجاء البشير إلى النبي ﷺ، فسأله، فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «**لِمَ قَتَلْتَه؟**». قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلانًا، وسمى له نفرًا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول ﷺ: «**أقتلته؟**». قال: نعم، قال: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**». قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

❐ وأخرج البخاري(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله.

❐ وأخرج مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**...وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**».

❐ وفي «الصحيحين»(٣) من حديث المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «أرأيتُ إن لقيت رجلًا من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقْتُلْه**»، فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يديَّ ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) البخاري حديث (٦٨٦٣).

(٢) مسلم حديث (١٨٤٨).

(٣) البخاري (٤٠١٩)، ومسلم حديث (٩٥).

«لَا تَقْتُلْهُ فَإِن قَتَلْتَهُ فَإِنَه بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنْكَ بِمَنْزِلَتِه قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ».

❐ وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُه كُفْرٌ»**(٢).

❐ وأخرج البخاري(٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِيْ فُسْحَةٍ مِنْ دِيْنِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»**.

❐ وعند النسائي بإسناد صحيح لغيره(٤) من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا»**.

❐ وأخرج البخاري ومسلم(٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»**.

---

(١) البخاري حديث (٧٠٧٦)، ومسلم حديث (٦٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٢) إن قيل: هذا، وإن تضمن الرد على المرجئة، لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي، فالجواب: إن المبالغة في الرد على المبتدع اقتضت ذلك ولا متمسك للخوارج فيه؛ لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتال أشد من السباب - لأنه مفضٍ إلى إزهاق الأرواح - عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدًا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨]. وقد أشرنا إلى ذلك في باب المعاصي من أمر الجاهلية، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، ثم ذكر رحمه الله أوجه أخر.

(٣) البخاري حديث (٦٨٦٢).

(٤) النسائي (٧/ ٨٣)، وانظر: الشواهد عند ابن ماجه (٢٦١٩).

(٥) البخاري حديث (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

□ وأخرج أبو داود[١] بإسناد صحيح من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ[٢] بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»**.

□ وعنده من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا[٣] صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»**[٤].

فاتق الله وابتعد عن مواطن الفتن، وعن جلساء السوء الذين يحرضون على الفتن، ويشعلونها بين المسلمين.

اتق الله ولا تسع في الأرض بالفساد، ولا تسمع إلى الشريرين، ولا تتبع سبيل المفسدين.

اترك مواطن الفتن وابتعد عنها، فكذلك كان سلفك الصالح يفعلون، وعلى ذلك حثهم النبي الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم.

□ قال ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»**[٥].

وانظر إلى هذه الكلمات وأبيات الشعر الحكيمة التي تحمل معنى عظيمًا

---

(١) أبو داود (٤٢٧٠).

(٢) اغتبط بقتله، قال بعض العلماء: أي: أنه قتل ورأى أنه على صواب في قتله (وذلك في الفتن) فلم يستغفر الله من ذلك.

وقال آخرون: قتله من غير قصاص، وقال غيرهم: أي: سُرَّ بقتله وانشرح لذلك صدره.

(٣) معنقًا: أي: خفيف الظهر سريع السير.

(٤) بلَّح: أي: أعيا وانقطع.

(٥) البخاري (حديث ١٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

قيمًا، وقد نقلها البخاري[١] عن ابن عيينة عن خلف بن حوشب قال: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن.

❐ قال امرؤ القيس[٢]:

الحرب أول ما تكون فتيةً ... تسعى بزينتها لكل جهولِ
حتى إذا اشتغلت وشبَّ ضِرامها ... ولت عجوزًا غير ذات خليل
شمطاء يُنكر لونها وتغيَّرت ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ

فانظر إلى روعة هذه الأبيات.

الحرب أول ما تكون فتية، كالفتاة البكر الجميلة الحسناء المتزينة التي تدور بزينتها، وتطوف بها، وتعرِّض بجمالها، وتبرز مفاتنها، فيسعى حولها جملة الشبان، ويتصارع من أجلها الخلان، الكل يريد أن ينال منها، الكل يريد أن يقبلها، الكل يريد أن يغازلها، الكل يريد أن يعاشرها، كل جاهل يريد أن يبيت معها حيث باتت، ويقيل معها حيث قالت، ويسعى معها حيث تسعى!!

كل جاهل معجب بجمالها، ومبهور بحسنها، ومفتون ببهائها، حتى إذا اشتعلت الحرب واشتدت، أصبحت بعد اشتعالها واشتدادها عجوزًا بعد أن كانت فتاة حسناء أصبحت عجوزًا لا صديق لها ولا خليل، ولا زوج لها ولا محب، أصبحت شمطاء، أصبحت عجوزًا ذات شعر أبيض وقد امتلأ رأسها بالمشيب أصبحت عجوزًا يسيل لعابها، ويخرج منها الريح الكريه المذموم.

فكذلك الحرب والفتن، كل جاهل يسعى لخوضها، الكل مشتاق إليها،

---

(١) البخاري (مع الفتح) (١٣/ ٤٧).

(٢) وقد نقل بعض العلماء أن هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

فإذا انتهت الحرب وخرج الناس منها هذا قتيل وذاك جريح، وهذا مغموم وذاك مهموم، هذا أسير وذاك محكوم عليه بالسجن، هذا قد قطعت يده، وذاك قد بترت ساقه وهذا قد فقئت عينه، فحينئذ يكرهها الجميع، وحينئذ يبغضها الجميع، هذا فضلاً عما تجره لهم من ويلات في الآخرة[1]، وفضلًا عما تجلبه لهم من ظلمات فيها، خاصة تلك الحروب بين المؤمنين، والفتن التي يقعون فيها.

فانظر هل لخوضك الحرب ضد إخوانك المؤمنين فائدة؟!

وهل في هذه الحرب نفع؟!

وهل فيها رفعة لدرجاتك في الآخرة؟!

ادرس هذا جيدًا، واعقله تمامًا، وافهمه على وجهه الصحيح.

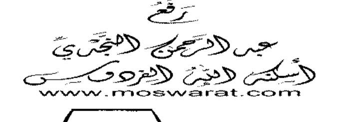
واتق الله في نفسك، واتق الله في دماء الآخرين وأعراضهم وأموالهم.

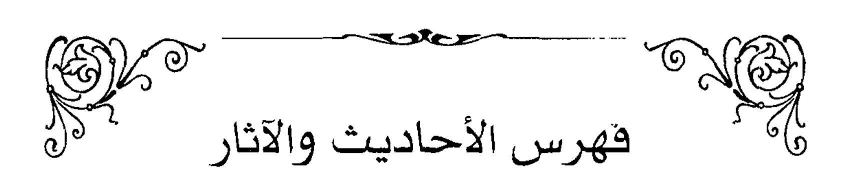
* * *

---

(١) وقد أحسن من قال:

ولست بقاتل رجلاً يصلي ... على سلطان آخر من قريشِ
له سلطانه وعليَّ إثمي ... معاذ الله من جهل وطيشِ
أأقتل مسلمًا من غير ذنب ... فليس بنافعي ما عشت عيشي





فهرس الأحاديث والآثار

حرف «ب»

حرف «ت»

حرف «ث»

حرف «ج»

* * *

حرف «ح»

حرف «خ»

حرف «د»

حرف «ر»

حرف «ز»

حرف «س»

حرف «ش»

حرف «ص»

حرف «ض»

حرف «ط»

حرف «ع»

حرف «غ»

حرف «ف»

* * *

حرف «ق»

حرف «ك»

حرف «ل»

حرف «م»

حرف «ن»

حرف «هـ»

❊ ❊ ❊

حرف «و»

حرف «ي»

❊ ❊ ❊



فهرس المواضيع



تم بحمد الله

الجزء الثاني من كتاب فقه الأخلاق والمعاملات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين

لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الثاني

دار ابن رجب — دار الفوائد

دار ابن رجب — دار الفوائد



القاهرة: خلف الجامع الأزهر — هاتف: ٠٢٢٥١٤١٠١٥
المنصورة: شارع عزبة عقل — هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٢٢٥
فارسكور: خلف المستشفى الأميري — هاتف: ٠٥٧٢٤٥٤٤٥٥
فاكس ٠٥٧٢٤٤١٥٥٠ — جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢٠

www.daribnragb.com — ibnragb@gmail.com